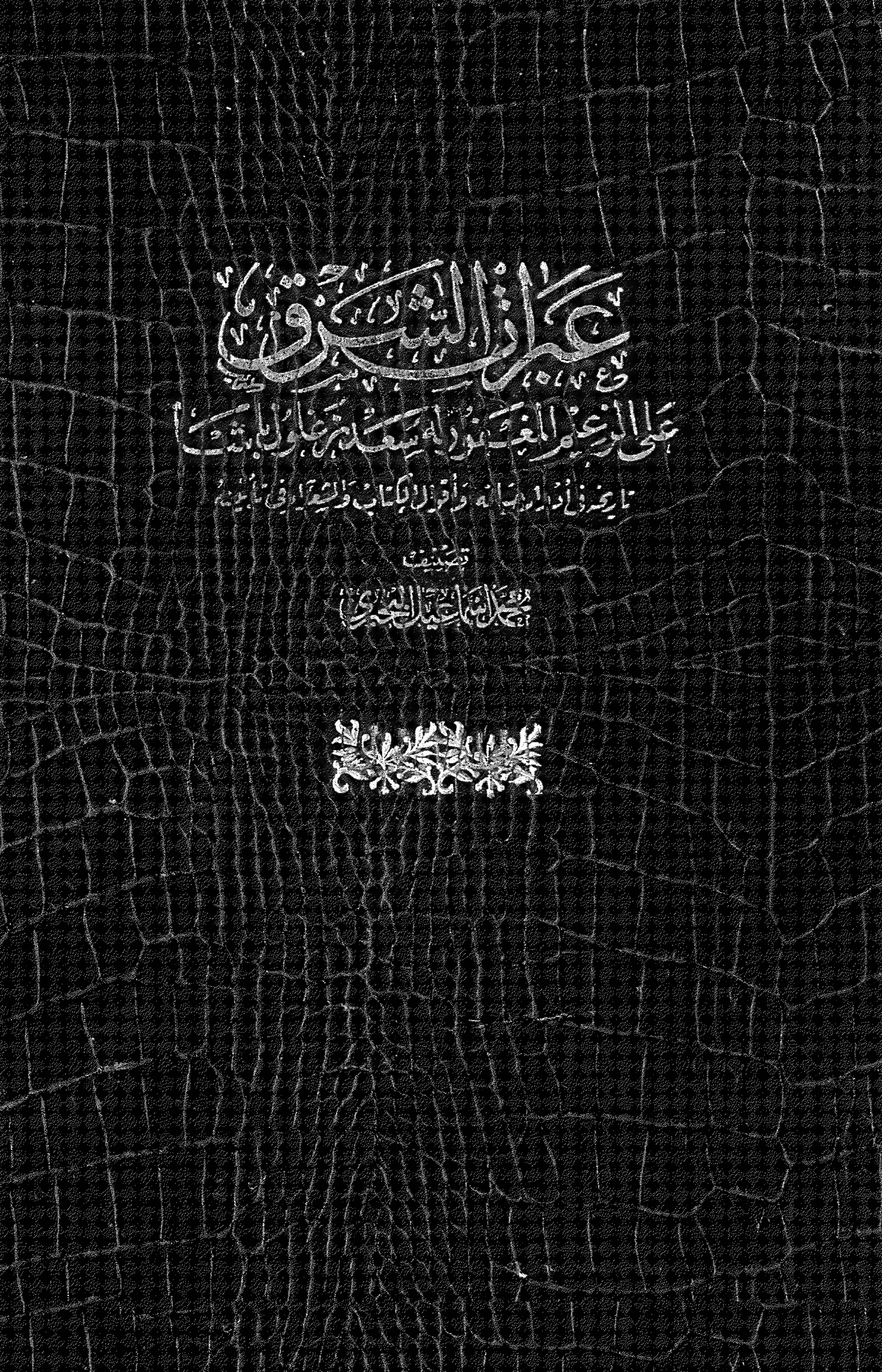
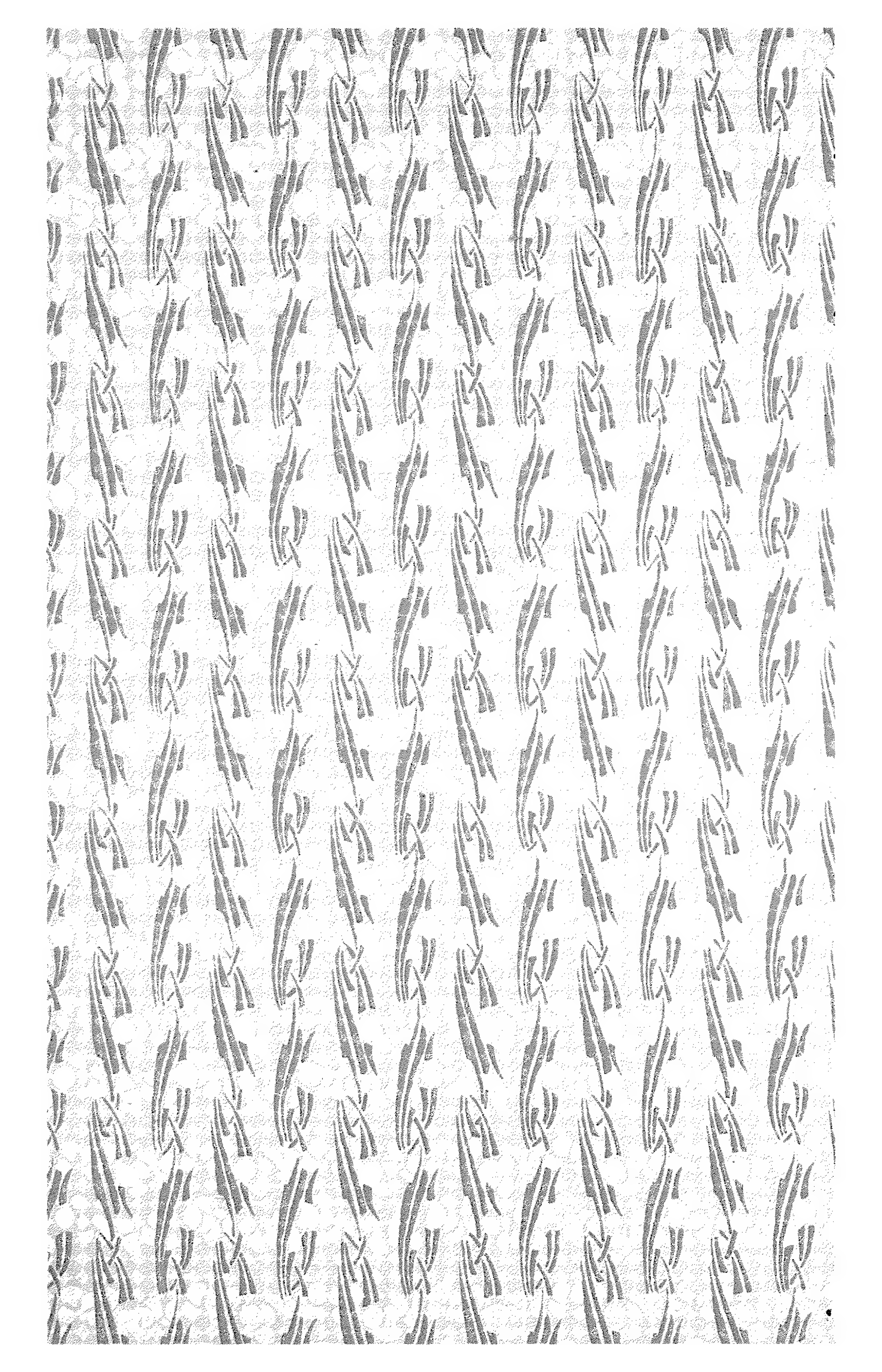
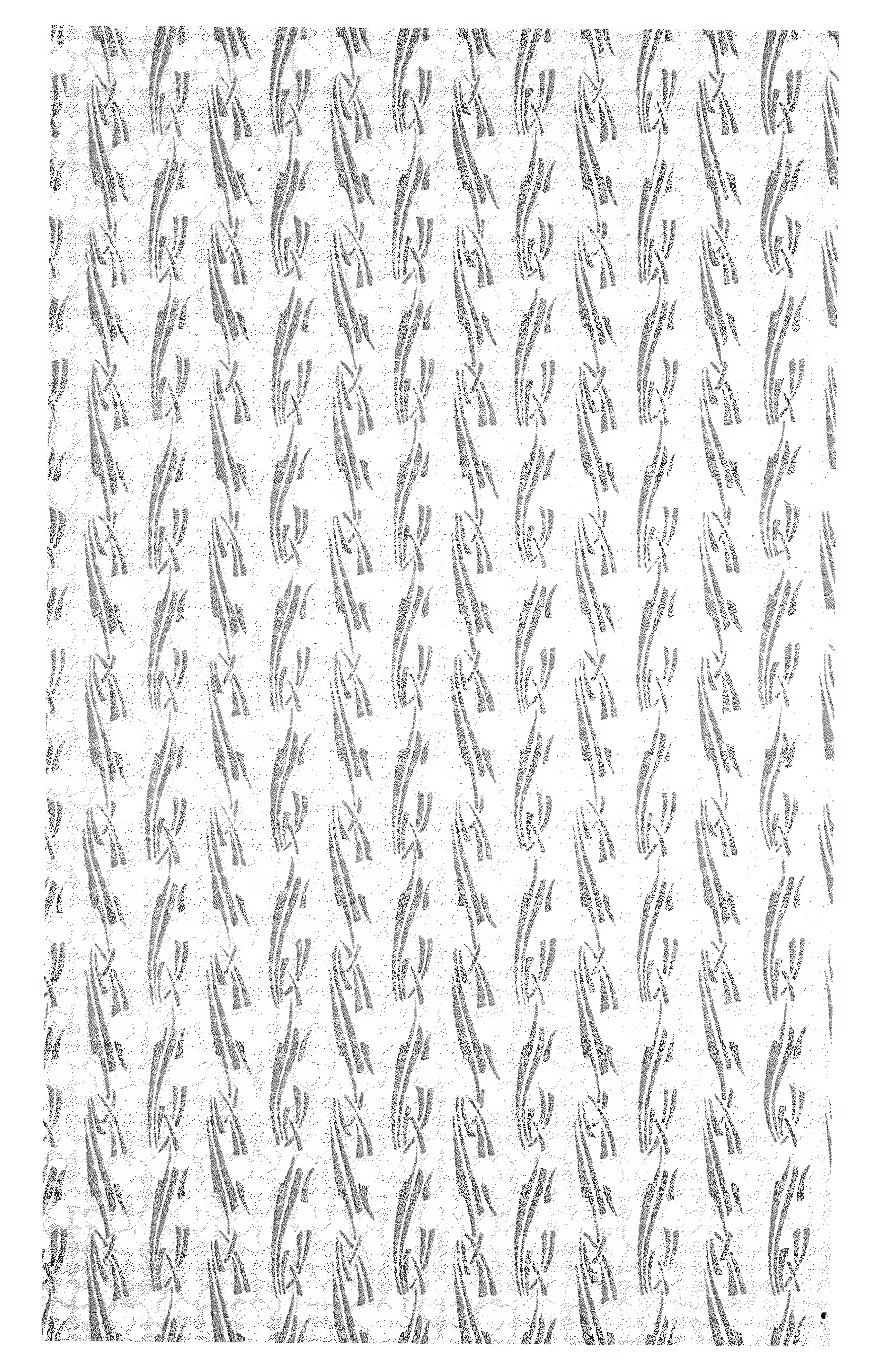

عبرات الشرق
على الزعيم المغفور له سعد زغلول باشا
تاريخه في أدوار حياته وأقوال الكتاب والشعراء في تأبينه
تصنيف
محمد إسماعيل الحمري





عبرات الشرق

على الزعيم المغفور له سعد زغلول باشا

تاريخه في أدوار حياته وأقوال الكتاب والشعراء في تأبينه

تصنيف

محمد اسماعيل البحيري

﴿ الطبعة الأولى ﴾

(سنة ١٣٤٧ هـ — سنة ١٩٢٧ م)

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر



الزعيم الراحل صاحب الدولة سعد زغلول باشا

ولد بابيانه سنة١٨٥٩ وتوفى بالقاهرة فى ٢٥ اغسطس سنة ١٩٧٢ (ص٠٠)

الإهـداء

إلي روح الزعيم الراحل

الى الأب المجاهد

إلى الرئيس المحبوب محط آمالنا ومركز قوتنا

الى ثمرة دموعنا ومشاعرنا

نهـدى عبرات الشرق الكليم . وأنات الامة الحزينة ودموع الشعب الثاكل

فتقبل من أبنائك الاوفيـاء وأنت فى عالم الارواح هذا الواجب الضئيل الذى نؤديه لك

تغمدك الله بالرحمة والرضوان وأسكنك فراديس جناته . وسرك فى عالمك بنجاة هذا الوطن الحزين

محمد اسماعيل البحيرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد النبي الأمى وعلى آله وصحبه القائل عند نزوع فلذة كبده « ابراهيم »

« إن العين لتدمع وإن القلب ليخشع وأنا بك ياابراهيم لمحزون إنا لله وإنا اليه راجعون »

* * *

شعبتنا هموم الزمن وأرقتنا الاحزان القاسية للفاجعة الأليمة . والنازلة المدلهمة فى حامل لوائنا وباعث نهضتنا والمدافع عن قضيتنا «فقيد الوطن المغفور له سعد زغلول باشا »

ولن يسعنا الا أن نصبر لقضاء الله وأن نتأسى بمن سبقونا فى نعى الرسول صلوات الله عليه

* * *

والآن نتقدم الى أبناء وطننا « بعبرات الشرق » جمعناها ذكرى للزعيم الراحل فهى دموع الوفاء وعهود الاخلاص صنفناها من أقوال الكتاب والشعراء واستعنا فى ذلك بصحف مصر ومجلاتها فلقد كانت أكبر عون لنا فى إصدار هذا (الأثر) وكان مرجعنا فى كتابة حياة الفقيد ملفات خدمته . وأقوال الثقات من معاصريه . وتقارير الوفد

وسجلاته. والصحف المصرية فى العهد الاخير . وحوليات مصر السياسية لسعادة احمد شفيق باشا . وتاريخ الثورة العرابية . وتاريخ مصر السياسى للدكتور أبو طائلة . والمسألة المصرية. وصوت مصر. وفى سبيل الاستقلال ومذكرات مازالت فى طى الخفاء . والحق إنا كابدنا صعوبات جمة في البحث والتنقيب وهو أمر ليس بالهين

* * *

وها نحن الآن نضع كتابنا أمام الآباء والاحفاد ليكون مناراً يهتدى به . وغاية تتوجه اليها النفوس والقلوب . ومنبع أدب يستمدمنه الأديب . وعلم هدايه لابناء الوطن المخلصين

فان وفقنا ونال الرضاء فبفضل الله ونعمته وإن أسأنا فمن عجزنا نسأله العون والهداية إنه أكرم مسؤل

محمد اسماعيل البحيرى



موجز عن ترجمة الفقيد

مولده ونشأته

ولد الفقيد تغمده الله بالرحمة والرضوان فى قرية صغيرة هى ابيانه مركز فوه يوم ١٣ ربيع الثانى سنة ١٢٧٦ الموافق سنة ١٨٥٩ . ولما أن ترعرع عوده وقوى صلبه و بلغ السابعة من عمره أدخله والده ابراهيم زغلول مكتب القريه فظل به خمس سنوات ثم أرسل الى دسوق لتجويد القرآن الكريم كى يكون تحت رعاية أخيه الأكبر الشناوى افندى زغلول وكان فى ذلك الحين رئيس مركز دسوق . أخذ الفقيد فى تجويد القرآن فجوده على استاذه المرحوم الشيخ عبدالله عبد العظيم . ولكن فقيدنا النابه لم يمكث فى دسوق طويلا بل قصد الى القاهرة موطن عظمته ومهد نباهته ومركز شهرته فدخل الازهر وظل يتلقى فيه العلوم خمس سنوات ، وفى اثناء ذلك وفد على مصر فيلسوف الشرق وحكيمه المرحوم السيد جمال الدين الافغانى فتعرّف سعد اليه وحضر دروسه وعقدت منذ ذلك الوقت الصداقة به و بتلاميذه أمثال الطيب الذكر المرحوم الشيخ محمد عبده والاستاذ الباجورى والشيخ عبد الكريم سلمان والاستاذ ابراهيم الهلباوى

***

بدأ رحمه الله يشعر من وقته انه خلق لحياة غير حياة الأزهر وكان الاستاذ الامام من علماء الازهر ويرأس تحرير الوقائع المصرية فاختاره الاستاذ الأمام فى ٥ اكتوبر سنة ١٨٨٠ زميلا ومساعدا بمرتب قدره ٨٠٠ قرش فى الشهر وكان من بين كتابها ومحرريها المرحوم عبد الكريم سلمان والسيد وفا زغلول شقيق نصر بك زغلول المحامى وأقام الفقيد فى تحرير الوقائع المصرية حوالى ١٨ شهرا حتى بلغ

مرتبه الى ٩٣٣ قرشا وعلى الرغم من أن هذه الجريده كانت حكوميه والمفروض انها لا تنشر مايخالف نزعة القائمين بالأمر فى ذلك الوقت كان لقلم فقيدنا جولات ناريه انتقاديه فهو لايخطه ألافى كل صالح وفى كل ماهوفى صف الحريه والاستقلال .
فكتب فى الاستبداد ، والشورى ، والأخلاق واختصر كتاب « ابن مسكويه » فى فلسفة الاخلاق ونشره . ووافى صحفا عده بكتاباته . ففى صحيفة مصر ايام المرحوم « أديب اسحاق » وفى صحيفة البرهان والمحروسه والتجاره وكانت كلها للكاتب المأسوف عليه « سليم نقاش » ولئن مضى على هذه الكتابه حوالى نصف قرن تنوعت فيه اساليب الكتاب واختلفت فيه طرق أبحاثهم فأن كثيرا مما كتبه بقلمه فى الوقائع وغيرها لو أعيدنشره الآن لرآه القراء فى الصف الأول

كان يكتب بوحى الضمير ودافع الروح فاستنفذ مادة ذهنه القوى واستعان بروح الزمن وكان لمهارته الساميه وقلبه الفياض أكبر أثر

وحسبك ايها القارئ الكريم أن تعرف أن هذه الكتابة كتابة شاب نارى فى منتصف عقده الثالث حتى لقد كانت من مهيئات الثورة العرابيه

واذا كان جان جاك روسو يعتبره المؤرخون من أسباب الثورة الفرنسيه لما لقلمه النارى وافكاره الحره وتعاليمه الفلسفيه فكذلك كان قلم سعد وكأنه استبدل يراعه بيراع روسو

***

وبعد تحرير الوقائع عين معاونا فى الداخليـة فى ٣ مايو سـنة ١٨٨٢ وبلغت ماهيته ١٥ جنيها ، ثم ناظرا لقلم قضايا الجيزة ولـكن لم يلبث فى وظيفته الا بضع أسابيع ثم فصل منها بدعوى انه من تلاميذ الاستاذ الامام ومن مشايعى محمود باشا سامى البارودى فى الثورة العرابية فعوقب بالعزل جزاء على هذا الانتماء فخرج الى حياة جديدة غير مقيدة ليس لبشر عليها من سلطان اللهم الاوازع الضمير والقانون



الفقيد الراحل سعد زغلول فى المحاماة سنة ١٨٨٩ ص ٩

اشتغاله بالمحاماه

انخرط فى سلك المحاماه مع المرحوم حسين افندى صقر الذى كان رئيس قلم فى نظارة الداخلية وفصل بسبب الثورة ولم تكن المحاماه فى ذلك العهد مرافعات شفوية كما هى الآن . بل كانت مذكرات وتقارير تتبادل بين طرفى الخصوم أو وكلائهما

اتهم سعد اثناء ذلك بالاشتراك هو وزميله حسين افندى صقر فى جمعية سرية أسموها « جمعية الانتقام »

ولم تكن هذه التهمة لتروعة أو ترهبه وهو ذلك الرجل العظيم بل ذلك المتهم البرئ فما أبه لاتهامهم وما استكان لظلمهم وهل كانت الطبيعة القوية لتستطيع أن تعمل فى الظلام أو فى ظل المكامن والمخابئ !

* * *

ولما ان اكتشفت الحكومة أمر هذه الجمعية سنحت لحكامها فرصة الانتقام ، وكان سعد رضوان الله عليه وزميله حسين افندى صقر من الذين استهدفوا لشر هذا الانتقام وتألفت لجنة برئاسة قاض بلجيكى يدعى « فلنكنس » وعضوية أربعة أحدهم أجنبى وهو مسيو دو هلس الذى كان أخيرا مستشارا فى محكمة الاستئناف العليا والثلاثة مصريون وهم حسين باشا واصف ، وحامد محمود بك ، ومحمود بك سالم ، وبعد أن قضيا فى السجن سبعة أيام بحثت اللجنة فى اثنائها القضية فتبين لها براءة سعد وزميله فدهشت لادخالهما فى هذه التهمة النكراء وقررت بانه لاوجه مطلقا لاقامة الدعوى عليهما وأمرت باخلاء سبيلهما فى الحال . ولكن الحكومة لم تنفذ هذا الأمر فى وقته بل ابقيا فى السجن ثمان وتسعين يوما حاولت فى اثنائها نفيهما الى السودان . وأعد حينذاك محافظ مصر المرحوم عثمان باشا ماهر المعروف (بالسنيوره) مشروعا بالنفى قدم الى مجلس النظار

وكاد المجلس يقر على النفى وينزع بالارواح البريئة الى منأى بعيد لا لذنب جنوه ولا لسيئة اقترفوها

ولكن المرحوم فخرى باشا ناظر الحقانية اعترض قائلا : (ان النفى الذى ترجونه للبريئين يعد ضربة للقضاة الاجانب الذين استعانت بهم مصر) ومع هذا فلقد ظل الفقيد فى غيابة السجن حتى رفعت ظلامته الى النائب العمومى فاخذه العجب وأمر من فوره باطلاق سراحه هو وزميله

***

فعاد الى المحاماة يحمل وسام الشرف والبراءة وكان فقيدنا أول محام قيد اسمه فى جدول المحامين سنة ١٨٨٤ فانفسح المجال أمامه فى مرافعات القضايا وبدأ المحامى سعد يدلى بدفاعه أمام منصة القضاء ويبسط حججه بلسانه فيبهر سامعيه ويتملك قلوبهم ويستولى على أفئدتهم ففى تضاعيف صوته ومقاطيع حلقه موهبة عظيمة الشأن هى قوة الجذب العام

وكيف بك وحديث نفسه عن المحاماة يوضح لك بجلاء شعور روحه وقوة إيمانه وعقيدته الخالصة وطهارة خلقه العالى فهو يقول : « لما هممت بالاشتغال بفن المحاماة وحدثتنى نفسى بشأنها . نظرت فاذا من رزئت به من الذين كانوا عنوان سمعتها وذكرها كأنهم الشوك يؤذى الناس ويعذبهم وذلك أنهم كانوا يسيؤن الى عباد الله بخيانتهم وزيغهم عن طريق الحق والهدى ولذلك ترددت بادئ بدء ثم قلت فى نفسى ماضرك لو كنت وردة بين هاتيك الاشواك فلما استقر بخاطرى أن القيام بالواجب خير للمرء وان كان بحرفة هى بأهلها من سقط المتاع أقدمت موطد العزم على الاشتغال بها بين أولئك الذين عددتهم شوكا »

وفى هذا الوسط وعلى أساس هذا الاعتقاد ــ اعتقاد القيام بالواجب ــ اشتغل بالمحاماة فكان حقا وردة بين الاشواك يضيع شذاها فتكسب ماحولها طيبا وعطرا . وماأعلى هذه النفس وأروعها اذ نبتت بجانبها ورود جمة فازدهرت



الزعيم الراحل سعد زغلول فى القضاء سنة ١٨٩٢ ص١١

وأينعت واطمأنت الناس على حياتهم و بعد الاذى عنهم فأكرم سعد النابهوبولغ فى إكرامه فكان مدد الاعلاء ومظهر النجاح وكان لعالم المحاماه ان عرفت لشيخه هذا الفضل فعُد « النقيب » وان كان هذا الاسم لم تجر به الالسن بعد فى ذلك العهد الفائت

***

لبث « سعد المحامى » يرفع من شأن المحاماة برفعة شأنه ويطهر من ذكرها بطهارة ذكره حتى عام ١٨٩٢ و بذلك سمت مكانتها وشرفت سمعتها
كان هذا السمو ينمو بمرور الايام فارتقى سعد مدارج الرقى ودخل حياة أخرى

اشتغاله بالقضاء

وفى يوم ٢٧ يونيو سنة ١٨٩٢ عين سعد القدير بمحكمة الاستئناف الاهلية (نائب قاض) بمرتب قدره ٤٥ جنيها فكان أول محام فى مصر رفع قاضياً
وكان لهذا التعيين نشوة ابتهاج ومسرة: فأدبت له مأدبة باهرة بحديقة الازبكية تجلى فيها التكريم بأجلى معانيه وكان ذلك فى يوليو سنة ١٨٩٢ واشترك فى اقامتها رئيس محكمة الاستئناف فى ذلك العهد المرحوم (احمد بليغ باشا) ووكيل الحقانية « المرحوم اسماعيل بك عاصم » « والاستاذ اللقانى » « والاستاذ الملباوى » وكثيرون غيرهم. ففاضت خطبهم بالمناقب و بأغلى المديح وأعلاه يصفون فيها سعدا باستمساكه بالحق و يتحدثون عن عبقريته النادرة وعن ذكائه الحاد

ولكن الفقيد الجليل رد عليهم بخطبة مؤثرة رقيقة فيها اعترافات بليغه من قلبه الخفاق وروحه العالى وجاشت لها نفس عبقرية تدعو الى الايمان بالحق والشعور بالواجب ومنابذة الباطل ونصرة المظلوم ووفرة الكرامة

***

دخل القضاء بتلك الشخصية القوية وما اروعها فى منصة القضاء وما اشد جلال القاضى المهيب اذا اجتمع جلاله بجلال مقعده . وما اروع شخصيته ازاء المجرمين والجناة لقد يخيل للمتهم امام تلك القوة الخفيه ان مغاليق نفسه انفتحت أمام القاضى ومسالك الشر انفضحت بين يديه فلا يهوى الا وقد أبان الحقيقة ووضحها وادلى الى القاضى باعترافاته وهو هادئ ساكن كى يتخلص من ذلك التأثير الشخصى الذى يصدمه به القاضى ويهدم فيه كل عزيمة تحض على الانكار والاصرار على التضليل

هذا هو سعد فى منصة القضاء صاحب الرأى السديد والحكمة البالغه . هذا هو سعد ذو التأثير الشخصى ذو العين التى تظهر الحق وتخفى الباطل

وكيف بالقارئ الكريم وجريدة التميس كتبت عن سعد فى ذلك الحين ما يأتى :

« انه من شيعة المرحوم محمد عبده الذين امتازوا بالارتقاء والتهذيب وهم الذين اسماهم اللورد كرومر فريق (الجيروند) فى النهضة المصرية الوطنية وان سعدا عريق فى وطنيته اجمع الناس على اكرامه والاعجاب به لما اشتهر عنه من الاستقامة والاستقلال بالرأى »

***

كان طيب الله ثراه عبقريا كبير النفس قوى الشعور متصفا بسجية كبرى هى حرية الرأى والصراحة فى القول والاخلاص فى العمل مع قوة فى العزيمة ونصرة للمبدأ . حديدى الاراده فلقد تعلم الفرنسية وهو يكاد يناهز الاربعين . ولم يلبث غير قليل حتى حذقها واتقن معرفتها وحسبك ان تتشوق كيف تعلم الفقيد الفرنسية ؟ وكيف نال الليسانس ؟

***



الزعيم الراحل سعد زغلول

وهو مستشار بمحكمة الاستئناف سنة ١٨٩٣ ١٣ ص

ولما ان كان زعيمنا الراحل مستشارا بالاستئناف ورئيس المحكمة اذ ذاك قاض يدعى « بوند بك » واثناء مداولة قضية هامه كان « سعد المشرع » عضوا من اعضاء هيئتها فادلى برأى قانونى تشريعى عظيم الأهمية فالتفت اليه بوند قائلا :

« أن هذا الرأى خليق أن يبدر عن قاسم أمين، أو عن غيره من حملة الليسانس »

فقاطعه سعد قائلا :

« يعنى ما فيش الا حامل الليسانس ؟ »

فقال بوند : طبعا

فصمت سعد الجبار طويلا وفكر فى نفسه أخيرا أن يتعلم الفرنسية وأن ينال الليسانس

وهنا أكب سعد على تعلم الفرنسية وتحصيلها هى وعلم الحقوق . فكان ينزل من منصة القضاء ليجلس مجلس التلميذ . ذلك لان العظمة لاتخجل أن تستخدم كل أمر فى سبيل كمالها والناس كما تعرف أيها القارئ طلاب معرفه وأشدهم فى طلبها أقوياء العزيمة

فظل سعد بين جد وعمل حتى فاز باحراز الليسانس من جامعة باريس

***

وكان فى مقعد القضاء يحمل المحامين على احترامه لابقوة القانون بل بوازع الضمير والوجدان وعلى ذلك توثقت عرى المودة بينه و بين نفس من طرازه فى السمو والتشبع بنزعة الاصلاح

هى نفس المصلح الكبير « المرحوم قاسم بك أمين »

فلقد كانت وايم الحق نفسا وادعة مطمئنة ترجو الاصلاح بكل ما أوتيت من قوة وتنزع الى فك القيود أيا كانت فتوادا وتآلفا وترى هذه الصداقة فى كتابى قاسم بك أمين « تحرير المرأة » « والمرأة الجديدة » وفى الدعوة لانشاء الجامعة

للمصرية فكانا يسعيان جهد الطاقة لبث روح جديدة فى التعليم الاهلى حتى لايكون مقيداً بسلطان الاجنبي فتحبس الكفاءة و تقصر الجهود ويقضى على الذكاء المصرى فتمت الغاية بفضله وخرجت « الجامعة المصرية » القديمة كما يبغى الفقيد الراحل

اختياره لوزارة المعارف

ترك منصة القضاء الى منصة الوزارة فى ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٠٦ وهى عمل بالطبع خطير فأخذت اراؤه تتجلى ووثب وثبته فكان دليلا بينا على علو شأنه ورفعة مكانته وليس بدعا ان روحا امتازت باستقلال الرأى واحترام الذات والبعد عن الزلفى واحتقار الملق لاصحاب السلطات ان يكون هذا شأنها فترقى وتعلو الى ذروة المجد

وما أعجبك أيها القارئ اذ ترى أن سعدا حتى يوم اختياره لوزارة المعارف كان أبعد الناس عن فكرة مفارقة وظيفته التى ألفها وألفته واطمأنت نفسه اليها وحبس آماله وكفاءته عليها

ولقد أخبرنا بعض العارفين أن سعدا يوم أن سيق نبأ تعيينه وزيرا حسبه مزاحا أو دعابة أذ كان بعيدا عن القابضين على أزمة الامور قليل الاختلاط بهم فى معزل عنهم . واذا كانت الكلمة فى هذا الوقت العصيب « كلمة اللورد كرومر » ممثل السياسة البريطانيـة فى مصر وهو رجل البطش والجبروت ، ذو النزعة الاستعمارية ومع مافيه من غلو فلقد كان على جانب من النزاهة نوعا ما

ولهذا ليس غريبا أن يتبين مزايا سعد فى ذكائه وجلده فى استقامته وقوة روحه . لذا اختاره وزيرا وتصريح كرومر فى خطبة وداعه تريك فضل « سعد الراحل » والفضل ماشهدت به الاعداء

ماذا قال كرومر عن سعد الوزير ؟



الفقيد الراحل صاحب المعالى سعد زغلول

وزير المعارف سنة ١٩٠٧ ١٤ ص

وبأى وصف وصفه ؟

لقد قال « انى لاذكر لكم ايها الساده اسم رجل لم اشتغل معه الامن عهد قريب لكن معاشرتى له قدعلمتنى أن احترمه احتراما عظيما واذا أصاب ظنى ولم اخطئ يكون امام ناظر المعارف الجديدسعد زغلول مستقبل عظيم فى سبيل خدمته هذه البلاد ومنفعتها لانه حائز لجميع الصفات اللازمة لخدمة بلاده فهو رجل كفء مقتدر بل هو رجل شجاع فيما هو مقتنع به »

***

دخل وزارة المعارف فبث فيها روحا حارة وذهنا كبيرا ونشاطا مستمرا وسيرا فى طريق الاصلاح جديدا

ولم تكن حياته فى المعارف هادئه بل كانت حياة شاقة متعبة محوطة بكثير من العقبات فلم يكن امامه (دنلوب) وحده بل كان مضطرا أن يجاهد الوزراء الوطنين اذ الوظائف الكبيرة مملوءة باذناب الانجليز وكانت مصالح هؤلاء الأذناب فى ممالأة سادتهم على رجل لا يبغى الا الاصلاح

فاحيا فى وزارته اللغة العربية وكادت ان تصبح لغة اضافية ولسانا أثريا وكانت العلوم على اختلافها تدرس بالانجليزيه ، والطلبه فى ذلك يعانون الآلام من هذا العنت فبدل سعد هذه العجمه وعمل على احياء اللغة العربية فى جميع مدارسها ، ومهد السبيل لذلك فلقد فكر بانشاء قسم بالوزارة للترجمة والنشر . وبذلك صد التيار الجارف الذى كان يريد ان يفقد قومية البلاد ويقضى على شخصيتها ويجردها من مكوناتها

وكان الوزراء قبيل عهده مغلولى الايدى . ضعيفى السلطان . خاصة وزارة المعارف . فالوزير فيها لا يعرف غير شيئين الختم والتوقيع . فلما ان وزّر سعد كان حادثا جديدا ونزعة عاليه من عظمة النفس والشعور بالمسئولية أبى أن تصغر نفسه . وأن تكون آلة فى يد غيرها

فكان الوزير العامل المحتفظ بشخصيته واطلق نفسه من قيد الاغلال والسلاسل حتى لقد اصبحت السلطة كلها فى يده يصرفها كيف شاء عقله وذهنه ، فكان حقا الوزير المصرى الاوحد ، وكان عهده عهد التهذيب والرقى الاجتماعى والادبى

فى وزارة الحقانية

انحلت الوزارة البطرسية عام ١٩١٠ على اثر حادثه الشاب الفدائى ابراهيم ناصف الوردانى . وتألفت الوزارة السعيديه واصاب فيها « سعد » وزارة الحقانيه فى ٢٣ فبراير سنة ١٩١٠ ولما ان تقلد زمام الأمر فيها قال :

« الآن اشتغل مع من افهمهم ويفهموننى » وكانت حياته فيها حياة الهدوء وتمت على يديه اصلاحات جمه . اظهرها نقابة المحامين

ولما ان تعاقبت الآلام عليه من خارج النظارة وأرادت هيئة التدخل فى شؤون وظيفته خدمة لمصلحتها على حساب القانون ابت نفسه الاذعان وكان من وراء ذلك ان استقال لان الحق عنده اكبر من كل شئ والشر كما يقولون يستطيع زمانا أن يطفئ لمعة الخير ويقضى على الفضيلة ويحول بينها وبين الذيوع

وبعد استقالته ادركه الحنين الى المحاماة وكاد أن يشتغل بها لولا ان صدر فى ذلك العهد قانون الجمعية التشريعية واعلنت الدعوة للانتخاب

فى الجمعية التشريعية

خلد الفقيد الى العزلة اشهرا . بعيدا عن ضجة الحياة السياسية ومناصب الحكومة . قوى العزم على ان يغامر بحياة جديده هى حياته النيابية وتاريخه فيها ناصع وصحيفته بيضاء ودفاعه مجيد ولسانه حاد ضد الظلم والاستعباد

وكيف بك ايها القارئ وفقيدنا انتصر على القوى الرجعية ففاز فى الدائرتين

(السيده زينب وبولاق) العضو المنتخب عن الأمة وكان بجانب العضو المنتخب عن الحكومة فظفر بمنصب الوكاله رغم الخصوم والاعداء ورغم ما ناله من عمال السوء وتألب الخونة فكم أرادوا ان يحولوا بينه وبين الفوز ولكن أبى الحق الا ان يصدع الباطل وينتصر الهدى على الضلال ويضئ النور مكان الظلماء فدار دورته وجال جولته فكان قلبا خفاقا على مصر يدعو الى الاصلاح ما استطاع الى ذلك سبيلا ولقد قال فى موقف من مواقفه :

« اعترف انى وانا وزير عملت بحسن نية واخلاص عملا لو عرض على اليوم لكنت اول المعارضين فيه فقد عرض على قانون المطبوعات فعارضت فيه أولا ثم لم ألبث ان واقفت عليه واشتركت فى تطبيقه لظروف بررتها فى ذلك الوقت امام نفسى وهأنا اليوم نادم على ما فعلت بالأمس »

***

له اعمال جليله فى الجمعية يعرفها من راجع « مضبطه الجمعية التشريعية » ولقد تصدى فى ذلك الحين لوليم برونيت المستشار القضائى يوم اعد مشروعا لتعديل قانون العقوبات دعا اليه كبار الاساتذة والمحامين

فقال له فقيدنا (ومن وكلكم عن الأمة المصرية لتسنوا لها القوانين ومن حقها وحدها سن القوانين لنفسها ؟!)

كان منطقيا يميل الى حكمة العقل فهو يعتمد على الحقائق ولن تستهويه العواطف ولا افكار الخيال بل يحب الرأى مشفوعا بالحجة والبرهان

ومع هذا فله اسلوبه الرقيق وعباراته السلسله العذبة

أيام الحرب الكبرى

نشبت الحرب الكبرى وتغيرت الحكومة من خديوية الى سلطنة واعتقلت السلطة العسكرية البريطانيـة خلقا كثيرين من مختلف الطبقات فغربتهم عن

الاوطان وطاح القدر بهم فبدل أمنهم خوفا وسلامهم رعبا « وكان الشر مضطرم والبأس محتدم والعدو منتقم والخصم محتكم » وكان لدموع العذارى من التأثير ما يأخذ باللب ولصواعق القوة الغاشمة حيرة تنذر بالويل والثبور .

كان الامن فى خطر وهكذا القوة تعمل فى الضعفاء الآمنين ماشاء لها من سخف ونذالة وسيطرة وسلطان

ورأت السلطة حينذاك أن الوقت غير مناسب لعقد الجمعية التشريعية (١) فصدر أمر عال فى ٨ أكتوبر من قائم مقام الخديوى يقضى بالتأجيل الى أول يناير سنة ١٩١٥ ثم تأجل موعد انعقادها لمدد أخرى حتى جاء فى نهايتها مرسوم ٢٧ أكتوبر يقضى بتأجيلها الى موعد يحدد فيما بعد

تحرجت البلاد من كل الوجوه وتحكم فيها الضيق ولكن طرق الاكتتابات كانت قهرية تارة باسم الصليب الاحمر وآونة باسم المساعدات لأسر الجنود المنكوبين . وفى ٢ نوفمبر روقبت الصحافة وأعلنت الاحكام العرفية وفى ٧ منه قطعت العلاقات بين انكلترا والدولة العلية وتلتها حوادث جسام والناس واجمون حيرة من أمرها .

وكان الانقلاب السياسى فى مصر بخلع الخديوى عباس وتولية السلطان حسين كامل فى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ . وفى ٢٨ يناير سنة ١٩١٥ هجم الاتراك على قناة السويس . ولقد خاب ظنهم بخديعة الملازم احمد أفندى حلمى ولكنه لقى حتفه منهم ثم اشتد كساد الاعمال فى البلاد واشتدت فظائع الانجليز على الاهالى (٢) وانقطع الذهب وجمع العمال المصريون لخدمة الجيش وأخذت السلطة العسكرية الدواب والمحصولات . وفى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٦ حلقت طيارات الالمان فى جو مصر والقت تسعة قنابل فقتلت ١٤ شخصا وجرحت ٢٥ من عابرى السبيل .

---

(١) راجع نظام القضاء والادارة للاستاذين قمحه بك وعبد الفتاح السيد بك

(٢) راجع حوليات مصر السياسية لشفيق باشا ص ٨٥

وفى ٢٠ مايو سنة ١٩١٧ صدر قانون نزع السلاح وفى ٩ اكتوبر نعى المغفور له السلطان حسين كامل وتنحى الامير كمال الدين حسين عن قبول العرش وقبله الامير احمد فؤاد « جلالة الملك الآن »

***

ومن نعمة الله ومنته ان كان فقيدنا الراحل وسط تلك الزوبعة السياسية الهوجاء معتزلا الدنيا . ناعما فى ظل الوحده هادئا لا يعبأ بالقلاقل التى حوله ولن تثيره تلك الضجة التى بجواره فلم تمسسه السلطة العسكرية بسوء ولم تفكر فى اعتقاله . وما درت أن وراء الاكمة ماوراءها . وأن بين طيات السكون العميق ثورة بركانيــة ستنفجر بعد قليل أن لم تنل البلاد حقها من الحرية المغصوبه

ظل هادئا لا ينهض بشر نحو المستعمرين الغاصبين وانتهز فرصة السكوت فى تعلم الألمانية وهو فى الخامس والخمسين من سنه حيث حببت اليه لغتهم . فوثبتهم وايقادهم شعلة النار واختراعهم الاعاجيب زاد العالم اعجابا بهم خاصة زعيمنا الراحل

ظل طوال ايام الحرب بين هدوء ودرس حتى عقدت الهدنه وخرج الرئيس ولسن يحمل رسالة الوحى ويصرخ فى العالم صرخته ويدعو الشعوب الضعيفة الى مبادئه وينذر بين الامم بذرة السلام كى يقتل شبح الحرب من الأرض وتتنسم الشعوب الصغيرة بنسيم الحريه وتتذوق طعم الاستقلال بدل الاستعباد

***

هنا خرج سعد من مكمنه وكانت مبادئ ولسن قد تغلغلت فى اعماق قلبه فجمع حوله انصاره وأصحابه وألف الوفد المصرى بتوكيل من الشعب . ولما أن تم التوكيل وضع قانون الوفد[١] . فتــدخلت السلطة لمنع تداول التوكيلات فى انحاء البلاد . فكتب سعد الى وزير الداخلية والى رئيس الوزراء معترضا ولكن الأمر

---

(١) للوفد المصرى قانون مواده ست وعشرون تراجع فى كتاب مع الوفد المصرى ، وفى حوليات مصر ، وفى سجلات الوفد

ليس بيدهم فهم تحت أمرة قوة عليا وسلطان قاهر وكانت حجة رئيس مجلس الوزراء ان البلاد ما زالت تحت الاحكام العرفية

وفى يوم الأربعاء ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ذهب الرئيس الفقيد الى دار الحمايه بصحبة المرحوم شعراوى باشا، وعبد العزيز فهمى بك. ذهبوا وفدا عن الأمة لتبليغ الحكومة مطالب الشعب المصرى[١]. وطلبوا أيضا التصريح لهم بالسفر الى أوروبا لحل المسألة المصرية. فرفضت حكومة انجلترا وأبت ان تسمح لهم بالسفر. فخرج سعد ورفاقه مغضبا وتوالت الاحتجاجات وكثرت الاجتماعات على أثر ذلك وفى الوقت عينه أرسل الفقيد الى المعتمد يخبره بتأليف الوفد المصرى وغايته والمسألة التى نيط بها

وكتب الى رئيس وزراء انجلتره[٢] وأرسل نداء بليغا الى معتمدى الدول الاجنبية بمصر وكان من جراء هذا المنع ان استقالت وزارة رشدى باشا فى ٣و٢٣ و٣٠ ديسمبر فلقد منعت هى أيضا من السفر الى أوربا وظلت مصر بغير وزارة مدة ثلاثة شهور. ولكن القائد العام حمل الوفد المصرى مسئولية هذه الازمة

وفى ١٤ ديسمبر أرسل برقية الى الدكتور ولسن وكان قد وصل الى باريس. أبان فى هذه البرقية حالة البلاد وما بذلته أثناء الحرب من المساعدات[٤]. وعاد فأرسل برقية أخرى للدكتور ولسن عند وصوله الى لندن[٥] وتبعه ببيان مستفيض أتبعه بمذكره بخصوص مستقبل مصر نشرا بالصحف الفرنجية يوم ١٠ يناير سنة ١٩١٩[٦]

وفى يوم ١١ يناير سنة ١٩١٩ ارسل برقية الى رئيس مؤتمر السلام المسيو

---

(١) راجع محادثات الوفد ومناقشات السير ونجت فى سجلات الوفد وفى حوليات مصر جزءا ص ١٣٧ـ١٤٣ (٢) راجع حوليات ص ١٧٠ (٣) راجع نص النداء ص١٦٦ بحوليات مصر (٤) راجع نص البرقية ص١٨٢ من الحوليات (٥) راجع النص فى ص ١٨٥ حوليات (٦) راجع لبيان ص ١٨٩ حوليات

كلمنسو [١] ناشده فيها الا يتخذ من سكوت المصريين على المطالبة بحقوقهم دليلا لرضائهم لانهم مرغمون على السكوت

وأرسل فى ١٢ يناير الى المندوب السامى والى رئيس وزراء انجلترا وايطاليا وأمريكا وكثير غيرهم يبسط لهم الحالة ومعاملة السلطة العسكرية من ضغط وتشريد ومن تفريق بين الامم المتجاوره [٢]

* * *

وفى تلك الاثناء خطب خطبته الرنانة فى حفلة الشاى التى أقامها سعادة حمد باشا الباسل فى ١٣ يناير وله فيها أقواله المأثورة وحكمه البليغة فمنها يقول :

« ليست فكرة الاستقلال جديدة فى مصر بل هى قديمة يتأجج فى قلوب المصريين الشوق الى تحقيقها كلما بدت بارقة أمل فيه وتخبو ناره كلما استطاعت القوة أن تخمد انفاس الحق »

« هذا عصر احترام الانسانيه فى الشعوب الضعيفة والقوية على السواء . فلا سيادة لقوى على ضعيف بل الكل أعضاء حقوقهم متساوية فى الاخاء الانسانى »

« ان بلادنا خلو الآن أمام القانون الدولى من كل سيادة أجنبية »

« أن ايماننا بقواعد الحق والعدل هو عدتنا » [٣]

* * *

بعد حفلة الباسل رغب الرئيس ان يقيم حفلة شاى أخرى بداره فى ٣١ يناير سنة ١٩١٩ فأبت السلطة العسكرية أقامة الاجتماع ومنعته قهرا وعنوة . فعد هذا المنع اعتداء على الحرية الشخصية وارسل فى الحال برقية الى كبير وزراء انجلترا . وظل يرسل الرسائل تلو الرسائل وينشر الدعوة عن طريق البرق علنه

(١) راجع النص ص ١٩٤ حوليات مصر (٢) راجع نص الرسائل بسجلات الوفد المصرى (٣) راجع نص الخطبة الاولى للفقيد فى حوليات مصر السياسية جزء ا ص ٢٠٢ _ ٢١٢

ينال اذنا بالسفر الى أوربا ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا

فاستدعى القائد العام سعد ورفاقه فى ٦ مارس سنة ١٩١٩ والقى عليهم بلاغا بالانجليزية آخر فقراته : —

(أن أى عمل منهم يرمى الى عرقلة سير الاداره يجعلهم عرضة الى المعاملة الشديدة بموجب الاحكام العرفية)

فلم يذعن سعد لهذا الانذار ولم يخش بأس السلطة ولم يرهبه وعدها ووعيدها فأبرق فى اليوم نفسه احتجاجا الى رئيس وزراء انكلترا فاتخذت السلطة من هذه الشكوى أهانة لها وطريقا للقبض على سعد ورفاقه . وخيل لها فى حسبانها ارهاب المصريين وزعزعة لعقيدتهم . وما دروا أن الحق يعلو وأن المعتقد بأحقية مطلبه لن يثنيه عن عزمه نفى أو تشريد . اهانة أو عذاب . وفى سبيل الأوطان يحلو العذاب ويسهل الهوان . وتخف وطأة الآلام ويكون للنفى والتشريد لذة لايذوقها الا المنفيون والمعتقلون

الزعيم بين مصر ومالطه

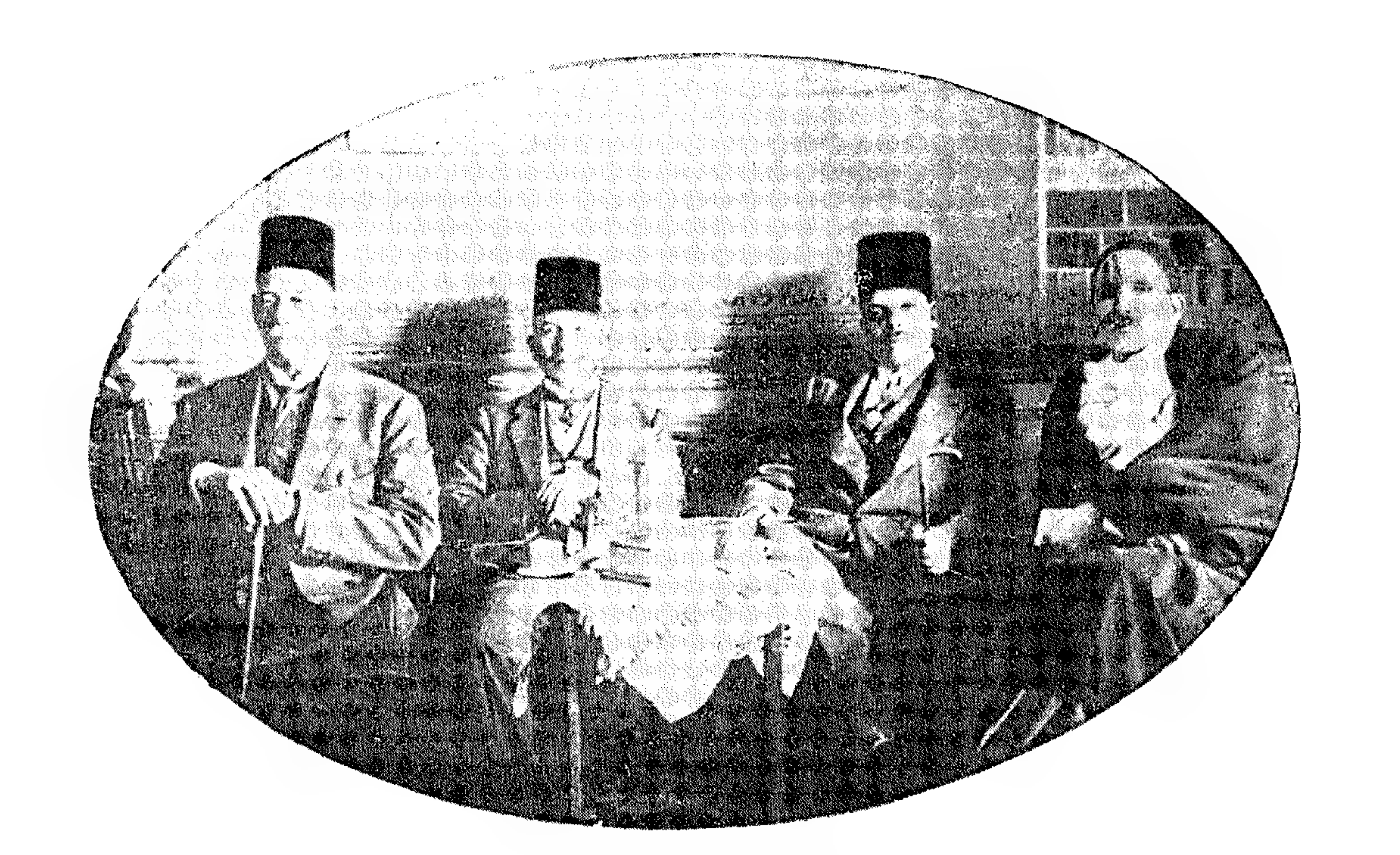
قبض على سعد فى عقر داره فى ٨ مارس سنة ١٩١٩ هو وصحابه الثلاثة المرحوم شعراوى باشا. وصدقى باشا. وحمد الباسل باشا . ومحمد محمود باشا .فنقلوا الى ثكنات قصر النيل وهناك أبلغوا بالسفر فى صباح الغد وعليهم أن يستعدوا لاخذ ما يكفيهم من ثياب — فسألوا القوة :

الى أى طريق نحن مسوقون ؟؟

فلم يجدهم فى سؤالهم نفعا وكان الجواب الى جهة مجهولة !!

***

وفى صباح اليوم التالى أى فى مارس سنة ١٩١٩ وضعت أمتعة المنفيين فى



الزعيم وصحبه فى المنفى الاول بمالطه سنة ١٩١٩

معالى الفقيد الراحل سعد زغلول . معالى اسماعيل صدقى . سعادة محمد محمود . سعادة حمد الباسل ص٢٢

سيارة من سيارات الجيش وركبوا هم فى سيارة صغيرة نقلتهم الى محطة العاصمة فركبوا قطار بورسعيد فى الساعة ١١ وكان فى حراستهم أربعة من الجنود الشاكى السلاح واثنان من الضباط ولما دنا سعد الى بورسعيد هو وصحابه ركبوا الباخرة (كالدونيا) وهى من بواخر (البنسيولا روزينتال) وحمولتها ٧٥٧٢ طنا وطولها ٥٥٢ قدما وعمقها ٧ و ٣٧ قدما وقوة محركاتها ٥ و ١٤ حصان

وعند تمثال (دلسبس) جاء الضابط المكلف بالحراسة الى سعد وأصحابه قائلا : أن طريقكم مالطه :

وهنا عرفوا طريق نفيهم فوصلوا اليها واقاموا بقشلاق فردالة وكان للقوة الغاصبة سلطان قاهر . اذ الحرية مغصوبة والاخبار المصرية ممنوعة والنزهة محدوده — وكان من قوة أرادة قيدنا أن تعلم الأنجليزية على رجل المانى — فبقى فى منفاه هو والصحاب لا يعلمون عن أمر مصر شيئا حتى بدأهم حارسهم :

« أنكم غادرتم مصر بعد أن صيرتموها شعلة من نار »

***

وحقا فلقد اهتزت البلاد من اقصاها الى اقصاها وارتعدت وقامت الثورة فى كل مكان وقدم المصريون أنفسهم وأرواحهم فدية لزعمائهم بل فدية لأوطانهم فأضرب طلاب القطر احتجاجا على هذا الاعتقال والفت مظاهرة كبرى وكان الاعتصاب العام . وزاد الشبان حماسا والقائمون بالحركة المصرية أقداما وأصدرت السلطة الى جنودها المسلحين بمناهضة هذه المظاهرات وفى ١١ مارس اضرب المحامون وفى ١٣ مارس قطعت المواصلات وفى ١٥ كانت موقعة الحسين قتل فيها اثنى عشر شخصا وجرح كثيرون . ثم موقعة السيدة قتل ١٣ شخصا وجرح سبع وعشرون وفيه أيضا اعتصب عمال العنابر . وفى ١٦ كانت مظاهرة السيدات ثم أعقبها اعتصاب عمال النور ثم الهجوم على مراكز البوليس . وعلى كل فلقد اشتدت حركة العصيان حتى قتل من عرب البدو نحو الاربعمائة ومن ميت القرشى نحو المائة

أما فظائع القوة المستبدة فلقد اشتد لظاها يضيق عن تعدادها الحصر . والصحف المصرية ملأى بهذه الآلام والنكبات وما نكبة العزيزية والبدرشين الاصفحة سوداء في جبين الغاصب وما أحراق قرية الشابانات مركز الزقازيق ونزلة الشوبك مركز العياط الافظيعة من فظائع الاستعمار

بهذه الآلام المرة زادت الحالة تحرجا ودعا المندوب السامي في ٢٦ مارس أعضاء الوفد للاستفسار عن الحالة فقدموا تقريراً يقع في عشر صفحات (١)

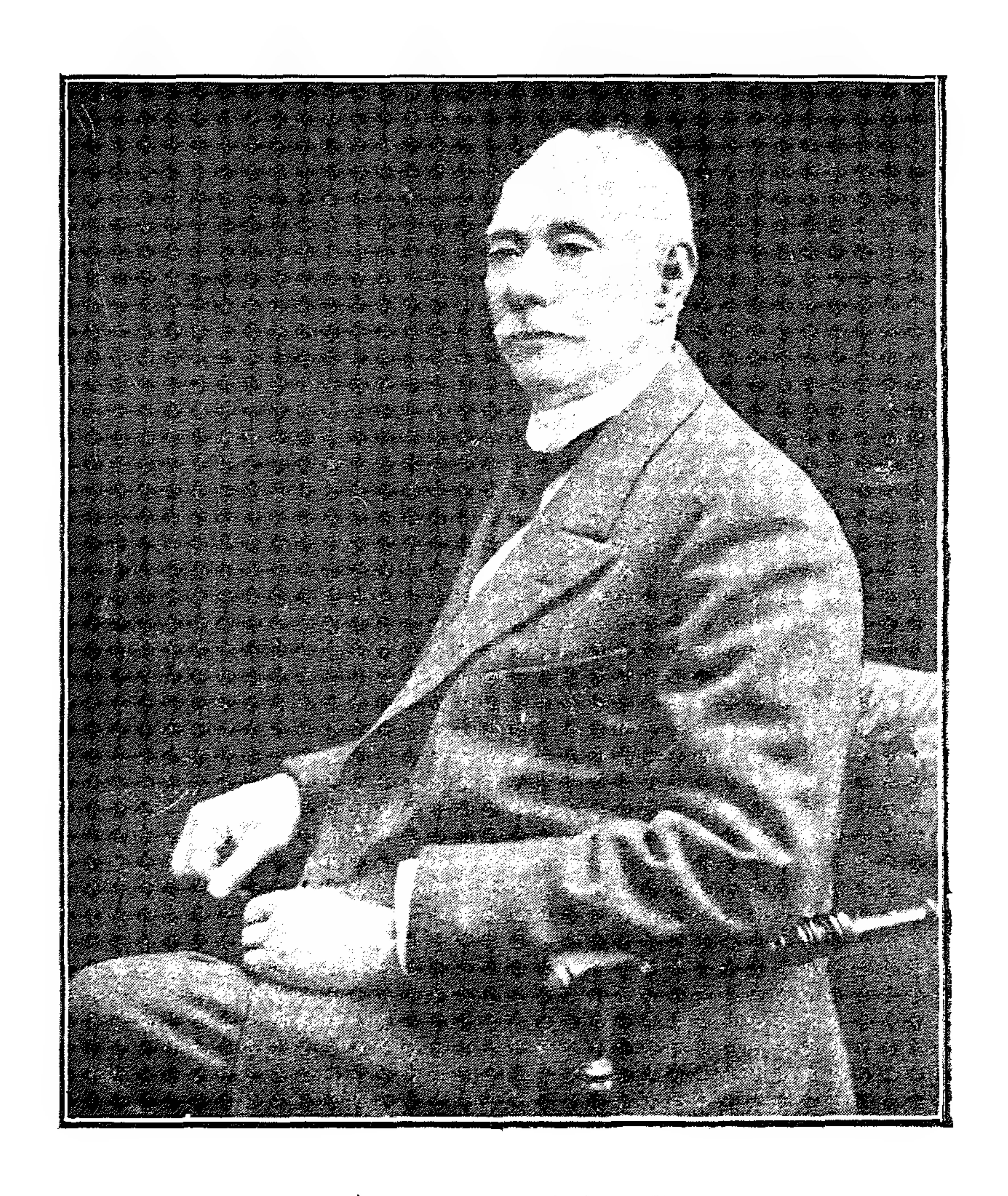
وفي ١٢ ابريل احتج شيخ الازهر على اغلاقه . والمحامون على اعتداء الجنود عليهم . وفي ١٦ ابريل اقيم احتفال عظيم بجنازة فتى صغير لم يتجاوز سنه عشر سنوات يدعى « ابن القباقيبي » وهو من حي طيلون

وبعد هذا خمدت نار الثورة من الوجهة العسكرية ولكن النفوس مازالت تذكر فظائع الامس غير أن الشعب الحكيم الذى فطر على التسامح كظم غيظه على مضض مستعد لوثبة أخرى وكان لمنشور عظمة السلطان في مساء ٦ ابريل رنة من الاطمئنان تنبئ عن أمر جديد(٢)

ولهذا اضطر الانجليز اضطرارا الى الافراج عن سعد وصحبه ففي ٧ ابريل سنة ١٩١٩ أفرج عن سعد ودخل على الزعيم وصحبه في منفاه ضابط كبير قائلا : استعدوا للسفر فسيطلق سراحكم ويسمح لكم بالسفر الى باريس . وهناك في مالطه أقيمت حفلة شاى كبيره حضرها كثير من الالمان والمصريين المعتقلين تكريما لسعد واصحابه

على أثر ذلك سافر الوفد من مصر الى مالطة ومنها الى باريس وكان عند اللقاء روعة من الحزن العميق سالت فيها الدموع وفاضت . ويقول في ذلك « الاستاذ محمود افندى ابو الفتح » ليس يدرى القلم ساعة اللقاء كنه هذه الدموع

(١) راجع التقرير في حوليات مصر السياسية ص ٢٩٥ ـ ٣٠٥
(٢) راجع نص المنشور في اهرام ٧ ابريل سنة ١٩١٩



الزعيم الراحل سعد زغلول

فى بدء الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ وهو فى باريس ٢٤ ص

ولا ما انطوت عليه

وليس عجيباً أن كنا نحن هنا فى مصر نبكى من فرط الفرحة وحسبي أن أحدثك عن أستاذ فى الاخلاق كبير هو الآن أستاذ بالجامعة المصرية . كان يحمل على صدره شريطا حريرياً ـ وسام المسره ـ كتب عليه « كوميدى المعلمين »

وكنت ترى فى مقدمة المظاهرات شيخا من علماء المسلمين أخذ بيد قسيس ، وقسيسا يعانق شيخا ، فكانت مناظر تثير كوامن الشجون وتريق دموع الغبطة والفرح

***

سار الوفد وعلى رأسه الزعيم الفقيد فكان ما كان من ايصاد الابواب . على أنها ما كانت لتفت فى عضد الرئيس أو تضعف من عزيمته فواصلوا الجهاد وواصلت البلاد حركتها الاستقلالية دعامتها فيها نصر الله وقوته

وأرسل الانجليز حينذاك للمصريين (لجنة ملنر) فقاطعتها مصر وعلى رأسها الامراء وقدكان جواب الجميع أن لنا وفدا قد وكلناه فى الدفاع عنا فما وسع الانجليز الا أن دعوا سعداً للمفاوضة واجتمع (بملنر) ذلك الخصم السياسى العنيد وحوله أعضاء الوفد ولما أن دخلوا بهم باب المراوغة والمخادعة . علمت (اللجنة الملنرية) انها تفاوض زعيما قوى الحجة ذرب اللسان فصيح البيان يؤيده الشعب من ورائه

قطع الرئيس الفقيد باب المفاوضة حيث لم يجد هناك أملا فى الاتفاق ورفض المشروع عملا بارادة الامة . ومن ثم عاد الى باريس لتجديد الدعوة ونشر مطالبه وفى هذا الاثناء تشكلت وزارة عدلى ونشر برنامجها و وعدت بانها تسير على ارادة الوفد ورغبات الامة فارسلت الى فقيدنا فحضر الى مصر واستقبلته الامه استقبالا لم يعرفه زعيم من زعماء الامم واحتفلت بمقدمه احتفالا مهيبا فهو رمز النهضة ورسول الوطنية و بطل التضحية

رفعت الاعلام ونثرت الازهار ونصبت أقواس النصر وزينت بثريات الكهرباء وكان للجاليات الاجنبية نصيب فى هذا الاحتفاء فأضحى موضع الامم والشعوب

ولن تجد ناديا من النوادى ولا قصرا من القصور ولا منزلا من المنازل ولا كوخا من أكواخ الفقراء الامزينة بصورته. أما أوسمة الفخار وأنا شيد المجد فتلك صورة الفقيد يتحلى بها صدر كل فتى وفتاة

***

وأراد الانجليز صرف نظرهم عن سعد فرغبوا فى وزارة عدلى ودعوها للمفاوضة الرسمية ووعدوها بالوعود الخلابة ولعب الساسة الانجليز بالبلاد فبذروا بذور الانقسام وكان ما كان من خصام بين الزعماء وتفريق للكلمة ولكن الامة الحكيمة ظلت فى جانب سعد تنصره وتؤيده

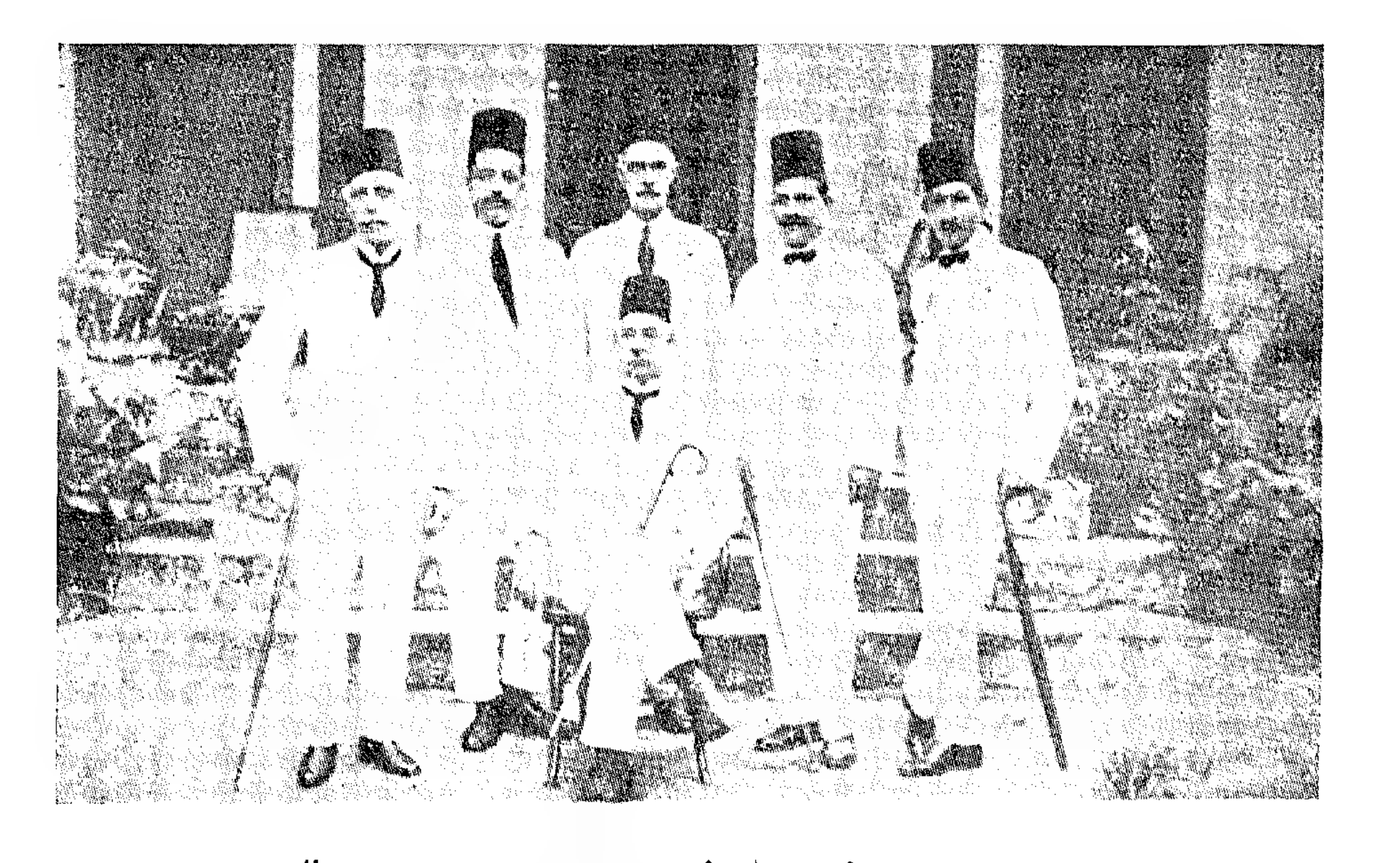
وكذلك فى سبيل الحق والحرية صاح عدلى صيحته وانتشل الشعب من وهدة الضعف والفتور وانقذه من حضيض التوانى والاسترخاء فقطع بشمم واباء وعزة وكبرياء المفاوضات الرسمية ورفض مشروعهم بمنتهى الانفة والنخوة وعاد الى الامة موفور الكرامه فعتزلا للسياسة

الزعيم بين مصر وسيشل

ثارت البلاد ثورتها وعلى رأسها الزعيم الفقيد فاوسع المندوب العميد الا أن أرسل لعظمة السلطان مذكرة اللورد كرزن وبها قررت الغاء الحماية وقبل ذلك مهدوا طريق النفى والتشريد بالشيخ الهادىء الوقور الذى لايحمل الا سلاح الحق فأبعدوه عن البلاد!

واليك حياة الزعيم بين مصر وسيشل اجتزأناها من أقواله وكتاباته لنذكر الشعب المكلوم كيف قاسى الزعيم وأساءت اليه القوة

قال تغمده الله بالرحمة فى نادى سيروس :



معالى الرئيس وصحبه فى منفاهم فى جزيرة سيشل بملابس الصيف

الجالس معالى الفقيد الراحل والواقفون معالى فتح الله باشا . ومكرم بك عبيد . والمرحوم

عاطف بك بركات . ومصطفى النحاس بك . وسنيوت حنا بك   ص٢٦

« فى مثل هـذا اليوم من عامين سطت القوة الغاشمة فى عنفها على الحق فى مأمنه . أحاطت منزلى من كل جوانبه بعساكر مدججين بالسلاح وأدخلت جانبا منهم فيـه فملأوا قاعاته وطبقاته وأقاموا بينهـم أربطة على أبوابه ومنافذه وصعد بعضهم الى مخدعى فأزعجونى من نومى . وأرادوا أن يقبضوا على قبل أن ألبس ثيابى فلم أمكنهم حتى لبستها ثم أنزلونى وهم يحيطون بى وحرمى من خلفى تريد مزاملتى فمنعوها

وأركبونى عربة من عربات الاسعاف تتقدمها سيارات أخرى يملؤها جماعة من الضباط والعسكر وبأيديهم البنادق مصوبة من خلفنا لاطلاقها على كل من يتبع خطواتنا . فعلوا ذلك من غير حكم أعلنوه ولا قرار تلوه ، ولا كتابة أطلعونى عليها ولا تعيين للجهة التى وجهونى اليها وساروا بنا الى السويس فى طريق غير ممهد بلا ماء ولا زاد الا قليلا من الخبز تـكرم على بعض الضباط بقطعة منـه مع شئ من الجبن فتبلغت بهما ومازال السـير يجد بنا فى هذا السير العاثر يحطنا تارة ويرفعنا أخرى من الساعة الثامنة صباحا الى الساعة الخامسة بعد الظهر حيث أوصلونا الى معسكر الهنود وتلقانى بعض الضباط وانزلونى فى خيمة تعصف الرياح من خروقها بعد أن قدموا لى شيئا من الطعام فأكلت ونمت بملابسى اذ لم يسمحوا لى بأخذ شئ معى ولـكنى بحمد الله لم أشعر بتعب مع أنى كنت أتعب من سير ساعة واحدة بالسيارة فى الطريق

ولـكن الله أمدنى بقوته وجعلنى أتحمل كل هذه المشقات من غير أن أشعر بشدتها . وفى الليلة التالية اتصل بى صحبى الذين قبضوا عليهم من بعدى فآنست بلقائهم وسرنى ما رأيتهم عليه من رباطة الجأش ومقابلة هذه الشدة بالثغور الباسمة والنفوس المطمئنة ومكثنا فى هذا المعسكر إلى ٢٩ ديسمبر حيث أمرنا فى العشاء بالاستعداد بالسفر فى ظرف نصف ساعة فدهشنا لهذه المفاجأة وانصرف كل منا يحزم متاعه ثم أركبونا فى سيارة مغلقة الى المرفأ وكانت السفينة المعـدة لركوبنا

خارج الميناء فأنزلونا الى زورق فيـه بعض الوطنيين الذين بكوا للقائنا فى تلك الساعة بكاء مراً وكنا نطمئن خواطرهم بالاشارة تارة وبالـكلمات تارة أخرى ووصل بنا الزورق الى السفينة وإذا بهـا مملوءة بالجنود الهندية ونزل كل منا فى الحجرة المعدة له وعلمنا حينئذ بان وجهتنا عدن التى وصلناها فى مساء يوم الاربعاء ٤ يناير ثم بعد أن أقمنا بها الى ٢٨ فبراير نفونى الى سيشل

فجاءوا بى فى الساعة التاسعة صباحا وكنا فى قلعة عدن مسجونين وقالوا يجب أن تنزلوا فى الساعة العاشرة والنصف فى مركب حربية تنتظرك ليتوجه بك الى سيشل وأمامك ساعه ونصف تحزم متاعك فيها تركونى وتولينا حزم متاعنا . وفى هذا الوقت القصير نزلنا فى مركب حربى (كزورن) حمولته ٩٠٠ طن ولـكنا لم نسافر فى هذا اليوم الاربعاء بل مكثنا فيه الاربعاء والخميس

أنزلنا يوم الاربعاء ولـكنا لم نسافر إلا فى يوم الجمعة لأجل أن يقال أن زغلول نزل الى البحر وهو فى طريقه الى سيشل . فعلوا ذلك فى اليوم الذى أعلنوا فيه تصريح ٢٨ فبراير وأن مصر استقلت والغيت الحماية التى ضربت بها

***

أنزلنا فى السفينة وأنا يصيبنى الدوار فى البحر فـكانت السفينة تهتز وتميـل وكنت دائما على الفراش لم أملك نفسى وكان حضرة مكرم بك عبيد بجانبى هو الذى يواسينى بلطفه وحسن مجاملته . كان حقيقة لى أبر من ابن

أخذونا فى ذلك اليوم وقـد كان من المقرر أن نسافر جميعاً بعد خمسة أو ستة أيام ولـكنهم ما انتظروا بنا حتى يأتى هذا اليوم : ما انتظروا بل عجلوا بسفرى مع مكرم ومع خادمى وسرنا فى هـذه السفينة مسافة ستة أيام كنت اشرف فيها على الهلاك

***

وأخيراً وصلنا الى جزيرة سيشل ولا أحدثكم عن حرارتها ورطوبتها وبعدها.

و بعد ستة أيام وصل اخوانتا الباقون فكان لوصولهم سرور لا يوصف عندهم وعندنا ومكثنا معا فى هذه الغربة وكان وجودنا معاً يخفف كثيراً من الألم وكان اخوانى يبذلون غاية جهدهم فى مواساتى ومجاملتى

***

كانوا يشددون علينا تشديداً كبيراً الى حد أنهم حرموا علينا أن نتكلم فى الصحة والهواء وحجروا علينا هذا فكان لا ينبغى لنا أن نقول أن صحتنا غير جيدة ولا يصح ان نقول ان هواء سيشل غير مناسب لانه معتبر أن التكلم فى هذا ضد النظام العام

مكثنا ممنوعين عن الكلام في الصحة وكنا نحتار حيرة شديدة عندما نسأل تلغرافياً من مصر عن الصحة والطقس الى أن كتب لنا الحاكم العام للجزيرة بان حكومة جلالة الملك قررت أن يسافر زغلول مع خادمه سفرا يطول أمره واحد وعشرون يوما على سفينة حربية تأتى غدا الى سيشل متحملة الى حيث هذه الوجهة

***

غضب اخوانى وحزنوا لهذا التقسيم وطلبوا أن يسافروا معى . مع أن الجواب يقول انه لضعف صحة زغلول تقرر نقله الى جهة اخرى كأن صحة اخوانى لم تكن تقتضى ذلك . والحقيقة أنها كانت تقتضيه لكنهم لم يريدوا أن يشعروا بهذا الاقتضاء

أما اخوانى فحزنوا واستاءوا . احتجوا لانهم شعروا بحزن شديد لانفصالى عنهم وكانت نتيجة هذا الاجتماع أنهم منعوهم من السفر واباحوا لطباخى أن يسافر معى . لم يريدوا ان ينزلونى فى السفينة نهارا خشية احتشاد سكان الجزيرة فأنزلت فى زورق ومنع أخوانى أن يصحبونى الى السفينة الحربية . سرت بهذا الزورق الى السفينة ولما وصلت اليها وجدت القومندان والضابط فى انتظارنا .

ولما أدخلت فيها جاءنى القومندان وسلم على سلاما طيبا ولكنه فتشنى بعد ذلك وسلمنى الى ضابط ليرشدنى الى الحجرة التى اعدت لى . سار بى الضابط الى

هذه الحجرة فرأيت أنها حجرة ليست ضيقة وليست متسعة . نظيفة نوعا ماولو أنها ليست من أحسن الحجر

فقال لى الضابط :

« أن هنا محل نومك وقد أعدلك محل آخر عند المدخنة يمكنك أن تصعد اليه عند اللزوم . ولا يمكن أن تدخل غير هذين المكانين »

والسفينة حربية ليس فيها غير العساكر والضباط وكلهم انجليز

وقال لى :

« يجب عليك أن تتبع هذه التعليمات وهى الاتخاطب أحدا فى السفينة ولا ينبغى لأى واحد ان يخاطبك »

ثم قال لى :

« لقد وضع فى خدمتك صف ضابط لأجل توفر لوازمك وخدمتك »

ففرحت ولكن زاد على ذلك أننى لا أستطيع أن أكلفه بأمر يقتضى قضاؤه البعد عنى « وأذا عرضت لك حاجه عند القومندان فلا تكلمه بنفسك وانما تكلم هذا الصف ضابط وهو يرفعه الى وأنا أرفعه إلى القومندان »

« ويجب عليك الا تحمل شيئا من أدوات الكتابة « لا قلم ولا دواة ولا ورق ويجب الا تكتب الا اذا استأذنت القومندان . ولا ينبغى لك أن ترسل الكتابة الى محلها الا بعد عرضها على والأذن لك بأرسالها . ولا ينبغى لك الا تأكل الا فى أحد هذين المحلين . وان أكلك يجب ان يفحص عند احضاره بمعرفة ضابط مخصوص وأن هذه التعليمات يجب أن تستمر فى المرحلة الاولى من سفرك ويمكن ان تعدل بعدها فى المراحل الأخرى

وأنه يجب عليك ان تلزم الحجرة والا تخرج منها الا اذا أمرت بذلك

***

سألت عن الجهة التى نحن متوجهون او مساقون اليها فقالوا لا يمكننا ان نقول



معالى الرئيس فى منفاه بجبل طارق سنة ١٩١٣

ص٣١

لك ذلك . مكثت وحدى بين السماء والماء لاجليس ولا أنيس مطلقا . وكان فكرى محصورا فيما هي الجهة التى أنا مساق اليها وكنت سمعت قبل السفر باشاعة «انها جبل طارق» التي سمعت عنها من بعض اخوانى بانها صخرة جرداء شـديدة الحر . بها حصن وبجانبها قرية صغيرة لبيع الدجاج والبيض مكثت حائرا فى أمر الجهة التى أنا مساق اليها وكلما تصورت انها جبل طارق اشـتد كربى . مكثت ١٦ يوما أتصور جبل طارق ولم يحدث لى فى حياتى مدة تألمت فيها أكثر من هذه المدة

انما الشهادة لله ان الطبيب كان معتنيابى وكان يزورني كل يوم وقبل وصولنا الى السويس أمرت بالنزول الى الحجرة واغلقوا نوافذها . وقطعت السفينة القنال بسرعة غـير عادية . سافرت السفينة بمقـدار عشرين عقدة حتى عبرنا القنال فى مسافة ٧ ساعات ونصف او ثمان وهو يقطع عادة فى ١١ أو ١٢ وسرنا توا الى جبل طارق وبعد أن وصلنا اليـه اخبرت أن هناك منزلا معدا لانزل فيـه كضيف لا سجين . وحقيقة رأيت استقبالا جميلا وأخذت الى منزل فسيح فيـه حديقة

***

هذه اسوأ مدة مرت بى فى السجن وأما المدة التى تلتها فانى كنت متألما جدا لانفصالى عن اخوانى حتى اضطررت الى رجاء حرمى أن تلحق بى وبعد حضورها خف عنى الألم ولقد اقمت فى جبل طارق من ٣ سبتمبر سنة ١٩٢١ الى ٣٠ مارس سنة ١٩٢٢ ثم أفرج عنى فى ذلك التاريخ

***

قضينا كل هذه المدة فى سجون ومعاقل تختلف ضيقا وسعة باختلاف الجهات قضيناها بمعزل عن الناس لايجتمع بنا أحد منهم الا باذن ولا نرى أحدا الا تحت أعين الرقباء . ولانروض أجسامنا الا كما يريدون ولا نتحرك فى مكان الاحسب ما يرسمون ولا نعلم من أمور الدنيا شيئا الا بمقدار مايسمحون ولا نتلقى كتابا من أهلنا الا اذا فتحوه وبحثوه ولا اشاره الاقرءوها وحكموا بصحة تبليغنا اياها بنصها

أو بعقادها ولا تصدر منا رسالة الا بعد اطلاعهم عليها وسماحهم بارسالها . وحظروا علينا . الا نتكلم حتى عن الصحة ! حتى عن الهواء ! فحرموا على كل مصرى أن ينزل الى جبل طارق ومنعونا أن نستخدم أى انسان بدون سلطتهم أو نعامل أحدا من غير اطلاعهم . ولكن هذه القيود على شدتها . هذه المعاملات على قسوتها لم تحدث فى نفسنا ألما ولا فى قلوبنا حزنا ولا فى ايماننا ضعفا ولا فى يقيننا بالمستقبل شكا بل نستعذب آلامها و نرتاح لمضايقتها اعتقادا منا بشرف العمل الذى من اجله نفينا و بنبالة المقصد الذى بسببه وقعنا فى هذا العذاب »

***

وكان الرئيس فى منفاه يستيقظ على التبكير ليطالع درسه الانجليزى بمساعدة الاستاذ مكرم بك السكرتير العام للوفد المصرى الآن . وكانت رغبة فقيدنا على أشدها فمن مغالاته فى الانهماك بالدرس ان كان يقرأه على فراشه . حتى لقد انحى صحاب سعد باللائمة على الاستاذ مكرم رغبة منهم فى راحه الرئيس وعلى الرغم من اعتراضات الاخوان فلقد اشتدت رغبة الرئيس وقوى عزمه واتخذ مساعدا آخر هو استاذنا المربى المرحوم عاطف بك بركات

***

اما فقيدنا الراحل فكان لشدة رغبته فى الحرية لا يرتاح لمظاهر التقييد فكان يكره النظر الى (الديدبانات) وعند فرقته وفصله عن صحابه قال فى ختام كلام طويل « دعونى اذهب الى سيشل وارجعوا أنتم الى مصر وابلغوا ابناءها الاعزاء ان زعاولا يحييهم و يوصيهم بالاتحاد وتوحيد الجهود الى ما فيه خير الوطن ولما ان وطئت قدما سعد الزورق قال منشدا والعبرات تسيل

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن ألا تلاقيا

***

الحقت السلطة الصحاب بالزعيم فوصلوا الى جبل طارق وهنا اخذت صحة



الفقيد الراحل صاحب الدولة

سعد زغلول باشا

رئيس مجلس الوزراء سنة ١٩٢٤ ص ٣٣

الرئيس فى التقدم منذ وصولهم اليه حتى تم الشفاء و بشر بذلك حرمه تلغرافيا ولكن ألم الغربة شديد وعذابها مر

وصلت ام المصريين الى جبل طارق فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٢ مع المرحوم سعيد بك زغلول والسيده فهيمة هانم

***

أما وصف منظر اللقاء فنكله الى خادم الفقيد الامين فلقد قال لقد بكى الكل بكاء مرا ولم يتمالك احد من الحاضرين دموعه ذكرى هذا النفى الطويل . وعاد الكل الى منزل النفى فلبست الدار حلة من السرور والسعادة لم تك به من قبل

الزعيم ورئاسة الوزارة

وضع الدستور وسعد فى المنفى واستقالت وزارة ثروت التى قبلت تصريح ٢٨ فبراير وهو كما يقول دولة ثروت باشا « لقد قبلت التصريح لا لأنه يحقق أمانى مصر بل لأنه خطوة فقط نحو تلك الامانى »

ثم اعتزل ثروت الوزارة فلقد ابت نفسه قبول التعديل الذى طلبه الانجليز بشأن السودان وتلك منه لن تنسى لوزيرنا الخطير وان هذه الاستقالة لدليل واضح على الاقدام والجرأة وحسن الاعتقاد

***

عاد الزعيم من منفاه الى ربوع مصر فذهب اليأس من القلوب نوعا ما وقوى حبل الرجاء وسرى عنا بعض مالا قيناه فى غيبته . عاد ولشد ما يؤلم فلقد قاسى اهو الاجساما فقضى فترة ليست بالقصيرة محظور عليه ان يقابل الجماهير التى يطل عليها فتستملى من نظراته وخطبة قوة وعزما وايمانا وثباتا

***

فكت الاغلال والقيود ودارت رحى الانتخابات وكان فيها ما فيها من وعد

ووعيد وغش وتدليس ولكن الحق فوق كل قوة . فأدلى سعد الخطيب المفوه بخطبه الرنانه وحسبك من الزعيم انه اذا خطب قاد آراءهم وقاد معها ارادتهم . وهب قوة البيان فهو أميره فلئن خطب رفع سامعيه فوق انفسهم واحدث فيهم قوة جديدة لم تكن تجرى فى عروقهم وما تعهدوها من قبل . نثر فيهم من روحه الصادقة وقلبه القوى شعاعا حتى جعلهم قطعة منه . ولقد كانت هذه الفترة نصحا وارشادا للناخبين ورجعة الى هذه الخطب تريك قوة المغناطيسية التى حباها الله لزعيمنا الراحل

***

فاز الفقيد فى الانتخابات وانتصر على مخالفيه وكانت الاكثرية للوفد رغم ما حاق بالبلاد فى معركة الانتخابات من تزوير وافك وبهتان « وقل جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا »

ولم يكن من بد ان يتولى سعد فى ٢٧ يناير سنة ١٩٢٤ رئاسة الوزارة وكانت هى الوزارة الدسترية الاولى . فتهلل الشعب بالبشر . وسرت فى الناس روح الطمأنينة وامنت البلاد شرور المخالفين « غير الوطنين » الذين استهانوا بالبلاد فأضاعوا حقوقها

وكان من جميل ما قاله فى برنامج وزارته الذى قدمه الى جلالة ملك البلاد

« ان الانتخابات لاعضاء مجلس النواب أظهر بكل جلاء اجماع الامة على تمسكها بمبادىء الوفد التى ترمى الى ضرورة تمتع البلاد بحقها الطبيعى بالاستقلال الحقيقى لمصر والسودان مع احترام المصالح الأجنبية التى لا تتعارض مع هذا الاستقلال »

وسارت الوزارة الشعبية على أحسن طريق وتضاعفت محبتها ولقب زعيمنا الراحل بلقب جديد « ذو الرئاستين » رئاسة الحكومة ورئاسة الأمة



الزعيم الراحل سعد زغلول

بمكتبه بمجلس النواب سنة ١٩٢٥

ص٣٥

الائتلاف ورئاسة البرلمان

ساء المستبدون المتعصبون ان يدير دفة البلاد ابناؤها المخلصون الوطنيون فما راقهم وزارة الشعب فدبروا لها المكائد فى السر وآذوها فى العلن وحسبوا انهم يفلحون فى تحويل الشعب عن السودان فخاب ظنهم وما علموا ان فى السويداء رجالا يرضون بالذلة وأن « وادى النيل لا يتجرأ » « وان مصر دون السودان كالجسم بلا روح

وفقيدنا الحديدى وكيل الأمة أبى أن يعير هذه المناقشات التى رغبها الانجليز ودعوه اليها أى التفات فهو القائل تلك الحكمة

لو كنت أطالب بغير الحق لرضيت بالمناقشة والجدال لكنى اطلب حقا والحق لا يقبل جد الاولا مناقشة

***

ثم كان الانذار المشئوم الذى وجه الى وزارة الشعب عقب حادثة السردار وتلاها من احزان متعاقبة حلت بالقطر و بعد ايام امتلأ طريق مجلس النواب حيث كانت رئاسة مجلس الوزراء بالجنود البريطانية وهم مدججون بالسلاح واقبل اللورد اللنبى (بحلّته) غير الرسمية مع ستمائة من الجنود السوارى يتقدمه البورى « حامل النفير » كى يبلغ الانذار

ولما ان اقبل اللورد الى الباب الخارجى نفخ البورى ودخل اللورد بين صفوف الجنود المتراصه

ولكن سعدا الزعيم . سعدا المثل الاعلى للبطولة جلس فى مكتبه هادئا مطمئنا غير جازع فما أبه للباطل وما استكان للقوة الضالة

دخل اللورد حتى اقترب من مكتب الزعيم وهنا وقف البطل قائلا فى صوت

هادئ وابتسامة ذات معنى وروح مملوءة بالأمل فى نصرة الحق غير هيابة ولا وجله

ماذا هل أعلنت الحرب ؟؟

وكأنما اللورد شعر بخطورة موقفه وبغت من هذه المقابلة الهادئة . فصمت برهة حائرا واجما ثم قال للزعيم الراحل :

هل تعرف الانجليزية ؟؟

فاجاب . . قليلا . . وهنا اخرج اللورد من جيبه الانذار البريطانى وتلاه على الرئيس ثم ناوله اياه ولقد صمم الفقيد رحمه الله على الاستقالة وعرف ان الامر مدبر والفكره مخبوءه وان المقصود بالذات ان ينزل « سعد البلاد عن الحكم » ولقد افتضح الامر المدبر وما فضحه المصريون ولكن سير التحقيق فى هذه القضية ظهر فى اقوال المتهمين وظهر ايضا فى رسالة محرر التيمس التى وجهها الى مجلة العالم الاسلامى واللورد اللنبى نفسه كان له نصيب فى بيان الفضيحة فلقد دار بينه وبين المسيو بيرو الفرنسوى محادثات قال فيها

(ان الانذار كان عنـد مقتل السردار معدا فى مكتبى لاقدمه عند سنوح الفرصه)

***

اعتزل الفقيد الوزارة وتولت « وزارة التفريط » الحكم وكان من أمرها ما كان فلقد حرمت ما أحله الدستور . طرد للاحرار فى كل موطن . رقابة على المخلصين كأنهم أشقياء . تهم باطلة تساق اليهم و يعلم الله انهم ابرياء . حصار للدور . تشريد للقوم فالجيش موزع بعصيه و بنادقه وقـد كان للقوة أن تسيطر بسلطانها فتجبر الكثيرين من أنصار الوفد بالانفصال عنه ووقفت حدا فاصلا تمنع التزاور وتضيق الخناق . ولقـد كان فقيدنا رحمه الله فى ذلك الحين فى أزمة نفسية شديدة وكان اليأس فى بعض الاحايين يكاد يملأ نفسه حتى لقد قال خبير بان الزعيم كتب فى

مذكراته بذلك الشأن (وانهالت على الاستقالات من أنصار الوفد من كل صوب وحدب وأظلمت الدنيا فى وجهى) ومن هذه الجملة الأليمة ترى القلب المعذب والعين الدامعة بل ترى أثر الحزن العميق الذى تركتـه حادثة السردار المشئومة وما تلاها من خروج الـكثيرين من أنصار الوفد واستقالتهم وعلى ذلك الاستقالات اذكّر أيها القارئ الـكريم بحكمة لفقيدنا حيث قال

« يجب أن يسقط من حساب الامة هؤلاء الاشخاص الذين يعضدون كل حكومة ويشايعون كل دولة ويعبدون القوة فى أى مظهر ظهرت به » ولقـد وصف الفقيد عام الآلام فى ختام خطبة خالدة قالها فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٥ :—

« لقـد مضى على الوفد زهاء عام ولسانه معقول بعقال الاستبداد واجتماعه ممنوع بحكم القهر والاضطهاد ولـكن الله جعل له من سخف خصومه وعسفهم ومن كذبهم وسوء صنيعهم أبلغ خطيب وأفصح مبين . فلم يزدد الناس باعتقاله وانطلاقهم وانكماشـه وانتشارهم الا استمساكا بمبدئه وتعلقا بغايته شأن كل من يعمل ضـد الحرية لايفيد أصولها الا رسـوخا ولا فروعها الا امتـدادا ولو لم تـكن الاعمال بالنيات لـكان لخصومنا منا أعظم الشكر على سخفهم وسوء تدبيرهم ولـكن الله جعل لنا منهم خداما غير مأجورين وعما لاغير مشكورين . فليستمروا فى طريقهم ولنستمر فى طريقنا فلهم الندامة حتما ولنا السلامة حقا والله ولى الصابرين »

***

وان تعجب أيها السيد الـكريم فعجبك من حكومة تربعت كراسى الوزارة اغتصابا فعطلت الدسـتور واستباحت لنفسها ما لا يبرره قانون أو يرتضيه ضمير رغبت أن تحول الامة عن سـعد وسياسته أو تحوله عن السياسة فما وسعها ذلك وكيف تتمكن وسعد يقول

« انى رجل قد وطنت نفسى على الدفاع عن الحق وان أتحمل فيه كل مكروه ولو كان آتيا من الذين ادافع عنهم »

ولقد كان (لوزارة التفريط) طريقا لذكرى أيام مضت نذكرها أيام ان انقلب عملها بالضد عليها فالتف الجميع وتوحدت الرابطة وتصافح الزعماء وندم المسيءُ على مافرط والتف الكل حول سعد وتحت جناحة وحمل العب وحده والالم بمفرده وكادت الحركة المصرية فى سنة ١٩١٩ نعود سيرتها فى سنة ١٩٢٥ حيث عقد المؤتمر الوطنى فى ١٩ فبراير سنة ١٩٢٥ تحت رئاسة الزعيم الفقيد

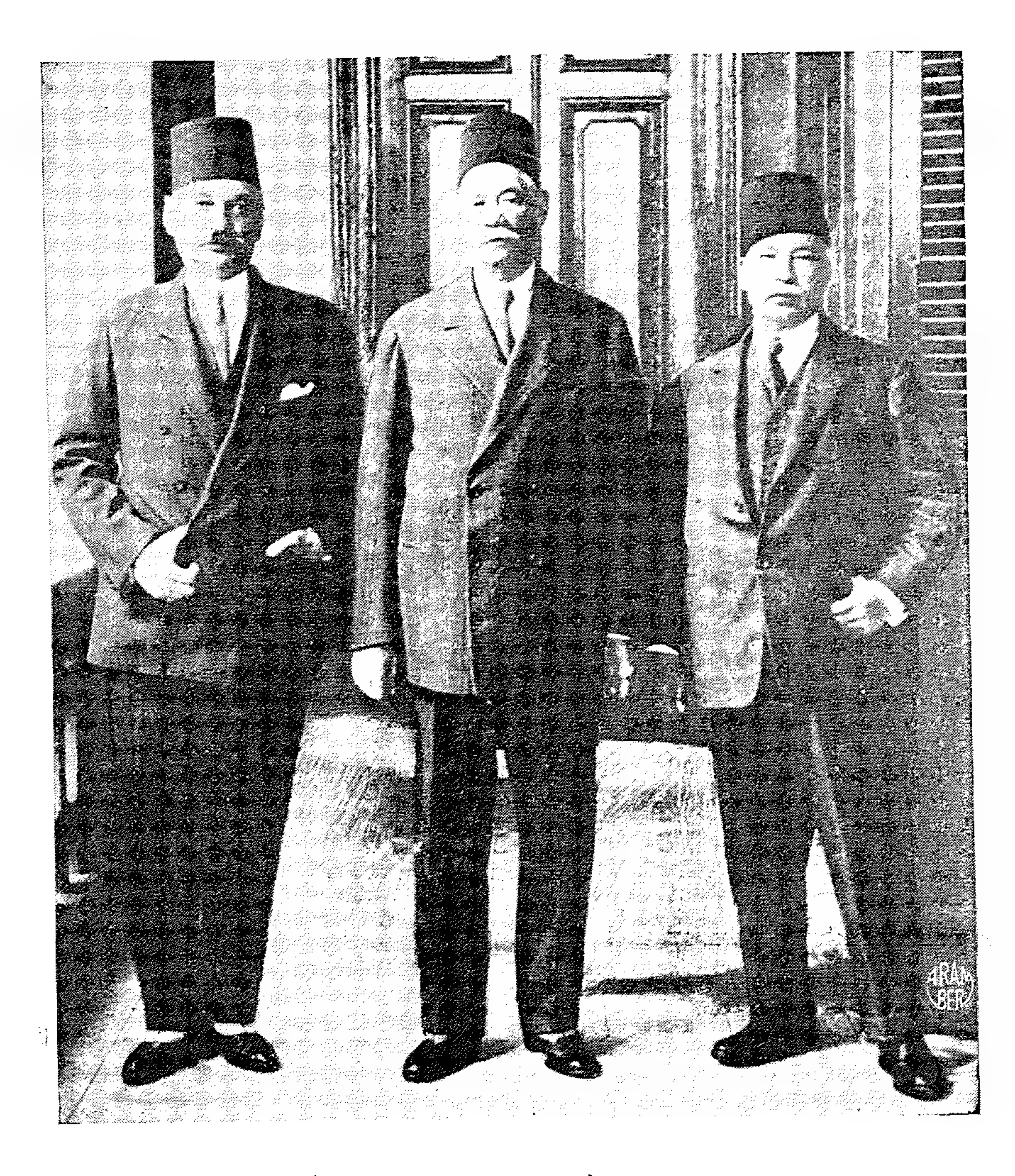
لذلك انصاع الانجليز لارادة الامة وأمروا وزارة « زيور » بتنفيذ قانون الانتخاب كما وضعه البرلمان سنة ١٩٢٤ دون تحوير فيه أو تبديل لمواده

جرى الانتخاب الثانى وكانت الامة فى انتخابها على سياسة سعدومبدئه لن يحولها قهر قاهر ولا سلطان غاصب وكان الانتخاب فى هذه المرة أيضا بالاغلبية المطلقة للوفديين

ثم عين رئيسا لمجلس النواب فى الدفعة الاولى فى ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥ وانتخب رئيسا لمجلس النواب فى الدفعة الثانية ١٠ يونيه سنة ١٩٢٦ وله فى الرئاسة جولاته وحكمته لم فيها رزانته حتى اذا ثارت ثورة الجدل أدلى برأيه الناصع رأى المجرب الحكيم واتبعه بقوله هذا رأبى ولكم رأيكم

وحسبك من شيخ انهكه التعب وقاسى من الآلام اشدها يدعوه داعى الواجب أن يحافظ على جلسات المجلس فكان يذهب اليه ويرأس جلساته وقل ان انقطع عنها رغم ما كان به من ضعف أومرض فلقد كان رحمه الله وأدخله فراديس جناته يلوم النواب الذين ينقطعون عن الجلسات لغير عذر قاهر وبهذا ضرب لهم بنفسه خير مثال فى النشاط والمثابرة وتحمل الألم فى سبيل المصلحة الوطنية واليك موقفه الاخير فى مجلس النواب يريك روح الشفقة والحنان وأعتبرها فى رأبى « خطبة الوداع » فهى نصح من أعماق القلب يبثه فى نواب الامة

قال طيب الله ثراه فى ختام خطبة الوداع



الرئيس الجليل سعد زغلول باشا

قبيل انعقاد المؤتمر الوطني سنة ١٩٢٥

عن يمينه دولة عدلي يكن باشا وعن يساره دولة عبد الخالق ثروت باشا ٣٨ ص

اخوانى

ان مجلسكم فى مركز من ادق المراكز وأحرجها بل لا أعرف فى العالم مجلسا نيابيا أحرج مركزا وموقفه أشد خطرا منه لانه أحيط من يوم نشأته برءوس ماكرة وعيون غادرة احيط بأقلام جرت وتجرى بتشويه سمعته وتسوئ سيرته ونسبة كل المصائب اليه وقلب كل محاسنه سيئات واحيط بالسنة تدوى بمعايبه وباختلاق الاكاذيب عليه ومن وراء هؤلاء وهؤلاء قوى تسندهم وهو يسمع من حين الى حين تهديدات بالحل بل بالاعدام

***

أى مجلس فى العالم مهدد بمثل هذه التهديدات على السنة أقوام من هنا ومن هناك هناك يعيبون عليه ويرمونه ويتهمونه بانه مجلس متهور متطرف . وهنا يرمونه بالخنوع والاستسلام وما به من تهور ولكنه الحق يدفعه فى كل حين الى التمسك باستقلال البلاد

***

يرمونكم بالخضوع والخنوع والاستسلام بل بالاستعداد لبيع حقوق البلاد وما بكم من خنوع ولا خضوع ولكنكم لستم أطفالا تلعبون بالسياسة ، وانما أنتم رجال سياسة مسئولون . يجب أن تكون فى رءوسكم حكمة وفى سيركم اعتدال. وهاهو هذا الذى تمسكتم به وسرتم عليه يخيل لاولئك الاغرار أنكم خاضعون مستسلمون

***

وفى ختامها يقول

قلت لحضراتكم أن نقادكم كثيرون ودأبهم أن يفتروا الكذب عليكم ويشوهوا محاسنكم ويظهروا فضائلكم رذائل ولكن سلوككم ذلك السلوك الحكيم قد أضاع عليهم أمرهم وأبطل كيدهم لان الله سبحانه وتعالى قد وفقكم الى اتخاذ أوفق القرارات . حقا لقد كانت المناقشات تحتد وتشتد بينكم وقد

ينحرف بعض المتناقشين عن الجادة أحيانا ولكن قراراتكم وهى معيار اخلاصكم وكفاءتكم وحكمتكم كانت دائما مقترنة بالحكمة والسداد فلم يجد خصومكم من أعمالكم مغمزا ولم يجدوا فى سيرتكم حجة يرتكنون عليها لاعناتكم وسوف لا يجدون فى المستقبل شيئا من هذا القبيل يتلمسون به مس كيانكم أو النيل من أعمالكم ومجهوداتكم وبذلك يثبت الدستور أركانه فى البلاد وتتغلغل مبادئه فى النفوس ويكون الفضل فى ذلك لكم على مدى الايام

***

لقد كنت أود أن أتحدث اليكم كثيرا ولكنى أشعر بأنى تعبت وأتعبتكم أيضاً ولا أريد أن أجعل أحداً يمل منى ولكنى قبل ان أختم كلامى أرجو منكم حينما تغادرون هذا المكان ألا تنسوا وظائفكم لا تنسوا انكم نواب دائما لكى يحدوكم هذا العلم الى البحث عن آمال مواطنيكم واحتياجاتهم ورغباتهم لكى تبدوها للحكومة اما مباشرة أو بطريق المجلس فى الدورة القادمة ان شاء الله

***

والآن استودعكم الله جميعا واسأله لكم الصحة والعافية ، وأرجو أن أراكم قريبا وأن يهبنى الله جل وعلا من القوة ما يعيننى على مشاركتكم فى خدمة البلاد حتى نصل بها الى ما نوده جميعا

ايام الراحة

ختمت الدورة البرلمانية فكانت أيام الراحة وهى أيام نادرة فى حياة الزعيم اذ أن مهمته العظيمة لم تكن لتمنحه متسعا من الوقت للرياضة على شدة حاجته اليها فاعتزم أن يقضى شطرا من هذه الرياضة فى « بساتين بركات » مع بعض خواصه الذين اختارهم لصحبته فاقلته الباخره النيلية وكان لعطفه على خواصه أكبر من ان يوصف والعطف دائما طريق الحب أو هو الحب نفسه



الزعيم الراحل فى بساتين بركات

فى أوائل اغسطس سنة ١٩٢٨ ص ٤٠

وحسبك أيها القارئ الكريم أن ترى هذا الشيخ المحنك والسياسى القدير له من لطف الحديث ورقته وحضور البديهة وذكائها مابه تخرج فكاهة نادرة المثال دقيقة المبنى لها معناها السامى.

***

ولقد تحدثت الى صفى من أصفياء الزعيم عن هذه « الرحلة الاخيره » وكيف كانت مجالس الزعيم فيها فحدثنى بما معناه

لقد كانت مجالس الزعيم فى هذه الرحلة تذكرنا بمجالس الرشيد و المأمون اذ فيها مناقشات فى الادب والاجتماع فيها سمر ومزاح فيها شعر وحكمة فيها ابحاث فى التوحيد فلقد كان أحد الصحاب يشك فى صحة البعث وحاول أن يستخرج من النظريات العلمية الحديثة ادله تنقضه فدارت رحى المناقشة بينه وبين الزعيم والذين يعرفون السمير يشهدون بحواره وقوة حجته ومتين جدله

فادلى له الفقيد وهو مؤمن ثابت الايمان فسد جميع الطرق واثبت صحة البعث من وجهة الفقه ومن وجهة التوحيد ومن وجهة الفلسفة و رماه بالحجة وراء الحجة والدليل تلو الدليل حتي اقتنع وذهب شكه

***

وكان فى رفقة الفقيد شاعر النيل حافظ بك ابراهيم ولقد بهرة من شمائل سعد فاجال وحى الشعر بخاطره وافاض بالفيض الروحى من شعر رصين متين فمن قوله

لما مثلت على أنس بحضرته رأيت بين الندامى وجه (هارون)
رأيت وجها صبوحا حوله نفر من الميامين من شم القرانين

***

ومن ثم انتقل الى قصره بمسجد وصيف وقدر لصفونا أن يعكر ولمسراتنا ان تتبدل باحزان ولا مالنا أن يعروها اليأس والجزع

الزعيم فى مرضه الاخير

فى ساعات الصفاء بينا الفقيد فى مسجدوصيف يروض نفسه من عناء الاعمال اذ شكى فى يوم الاثنين ١٥ اغسطس سنة ٢٧ من التهاب فى جلد الاذن واتسع الالتهاب فى يوم الثلاثاء والاربعاء وتناول جلد الرأس وارتفعت الحرارة وكان الظن انها (أكزيما) فدعى أحد الاخصائيين لمعالجته بالكهرباء ولكن الاطباء فحصوه فوجدوا أن الرئيس « مصاب بالحمرة » فبادروا الى اتخاذ وسائل العلاج اللازمة وحقنوه بالمصل المضاد لهذا الداء دون أن يطلعوه على حقيقة المرض تفاديا من ازعاجه واتفق لحسن الحظ أن تحسنت صحة الرئيس وهبطت الحرارة فى يوم الخميس فاشار الاطباء بانتقاله الى القاهرة ليسهل عليهم الاشراف على صحته ومباشرة علاجه براحة فعاد يوم الجمعة الى القاهرة وهو على أتم مايكون من الراحة . وقضى ليلته وهو فى حالة حسنة ! ولما عاد الاطباء فى صباح السبت سروا مما رأوه من التحسن واصدروا نشره طبية تبشر بتحسن الحالة حتى ان الرئيس لما شعر بتحسن صحته قال لاطبائه لماذا اذن جئتم بى الى هنا وحرمتمونى من نسيم العزبة البليل وهنا باحواله بانه مصاب بحمرة وقد نجاه الله منها . وكان لنشرة الاطباء تطييب للخواطر مما الم بها من هذه النازلة

وفى يوم الاحد تحسنت صحة الرئيس وكان التفاؤل بشفائه كبيرا . ولكن الاقدار مازالت تحوط المرء عالا تحمد عقباه وتسوء نتيجته و تكدر صفو خاطره . ففى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل استيقظ الزعيم من نومه وشعر بألم فى المعدة شديد ومغص بلغ حده . وفى الساعة الثالثة من صباح الاثنين أخذ يتقايا واستمر حتى الصباح بين قئ وألم وارتفعت درجة الحرارة ورئيسنا على مابه من تعب وألم ورغم النازلة الشديدة التى حلت به صار ينافس اطباءه فى ألمه و يباحثهم فى مرضه اما الامل فاخذ يتضاءل فلقد سرى المرض الى الدم وتشاءم الاطباء تشاؤما بلغ



الزعيم الراحل يعانى آلام المرض　　　　ص ٤٢

محده ولكنهم لم ييأسوا من رحمة الله وأخذوا يبذلون جهدهم من علم وخبرة حتى هبطت الحرارة بضع خطوط

وفى يوم الاثنين عادالاطباء وخرجوا من لدنه وامارات الهم بادية على وجوههم والعبوسة حلت بنفوسهم فالداء تناول الرئتين وتلك علامة الخطر خاصة من كان فى سن الرئيس وشيخوخته . صحة ضعضعتها متاعب الجهاد وكادت تقضى عليها الآلام والامراض فكان يقاوم الزعيم الداء و يصدمه الاان صدمة المرض الاولى لم تبق من قوة لتقاوم صدمة المرض الثانية

وفى منتصف الليل من مساء الاثنين استدعى الزعيم الفقيد الدكتور حامد محمود فجاءه وتحدث اليه فى أمر مرضه ثم عاده فى الصباح وكانت بجوار الزعيم أم المصريين و وصيفته وفى تلك الساعة وقفت أم المصريين فى قليل من الصبر يستره كثير من الهلع . ووقفت فى نقاب من الشجاعة يستره كثير من الجزع وهنا ساءلت سعدا

كيف صحتك الآن ؟ ؟

فاجاب وهو مغمض العيون : أنا انتهيت

فشجعته بكلمات عطفها ومرت بيدها مرورا خفيفا ملوءه الحنو وقالت : بل أنت بخير !

ولكنه كرر قوله مرة ثانية أنا انتهيت

وكانت هاتان الكلمتان هما آخر ما تحرك به ذلك اللسان الذرب الفصيح الذى يحرك أوتار القلوب و يلهب نار الحماسة فى الصدور

***

اجتمع الاطباء حول فراش سعد وسعد الذى كان يرج صوته القطر بل أقطاراً عدة لا يستطيع نطقا وسعد الذى كان كله حياة لا يستطيع حركة

اشتدت الحرارة وارتفعت الى ٤١ درجة وسبعة خطوط وتناول المرض

الرئتين ووصـل الى حـد لم تعد تنفع فيـه حيلة الطب وبذلوا الجهد فى استخدامه لانقاذ آمال الامة فما . وسعهم . تسمم الدم وقل البول قلة واضحة وحقن الزعيم بحقنـة تحت الجلد بمادة « الجلوكوز » وهى آخر سـهم بقى فى قوس العلم

انصرف الاطباء على أمل العودة حتى قال أحد الاطباء وهو فى كثير من الحزن العميق « لقد قال الطب كلمته الاخيرة ولم يعد هناك أمل إلا فى معجزة »

***

عاد الاطباء كما وعدوا للمرة الرابعة حول سرير الزعيم ولـكنهم تأكدوا ان الطب لم يفلح وان المعجزة لم تقع والزعيم فى دور الاحتضار

فاشتدت حيرة الاطباء وزاد بهم العجب واجتمعوا لاصدار النشرة

ماذا يكتبون ؟ وما الذى يذيعونه لشعب يرجو شفاء زعيمه ويأمل تمام عافيته ؟

وبينما الاطباء فى حوار وجدل اذ قضاء الله نفذ والامة قد نكبت فى زعيمها وسعد العظيم أسلم الروح والتحق بالرفيق الاعلى فى الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين بين يدى أم المصريين وشقيقتها وكريمة شقيقتها والوصيفة

فكان النعى كانقضاض الصاعقة على البلد الامين أو كالليلة الصافية اذا عكرتها زلازل الكون فحطمت دورها وبدلت مسراتها بكاء وعويلا

وما ذاع خبر الفجيعة حتى وجفت القلوب ووجمت الوجوه وانعقدت الألسنة وخفقت الافئدة وطارت العقول شعاعا وجزعت النفوس حزنا والتياعا وملك على الناس مشاعرهم فبدل الرجاء يأساً والطمأنينة هماً وانزعاجا. فلقد دك طود الزعامة الوطنية واغتالت المنون بطل النهضة المصرية فخر صريعاً وسقط فى الميدان حامل لواء الاستقلال وهو لا يزال يجاهد

ولئن عز علينا أن نرى العظمة تهوى من شاهق ذراها فتسلمها القبر جبراً لا اختيارا وقهرا لا رضاء فذلك أمر الله



صاحبة العصمة ام المصريين

حرم الفقيد الراحل صفيه هانم زغلول

ففى سبيل الله روحك ياسعد . وفى سبيل الله جهادك المقدس . كنت أبونا البار كنت مناط آمالنا فى أوقات الكروب ومعقد الرجاء فى أعصب الاوقات

كنت القوى التى نستملى منها خطة السير وطريق السلام . وهذه أيدينا وثغورنا واسماعنا وعيوننا قد خلت من مصافحتك وتقبيل يديك ورنة صوتك الساحر

استودعناك الله أيها الاب البار فقد كنت عمادنا وزخرنا فى الحياة ولكن الدهر قاس والزمان غادر

ها هى العيون دامعة والقلوب دامية والحسرات تنفثها الصدور وآهات الاسى ترددها الافواه

فنصيبنا منك زفرة تتأجج فى القلب ولوعة ينطوى عليها الفؤاد وحرقة الهبت الصدر فاضحى الشباب شعلة لا ينى عن حقه فسنظل مجاهدين فاما ان ننال استقلالنا غير مشوب بشائبة زيغ أو بهتان واما ان نلحق بك

هذه دماؤنا وهبناها للوطن فسنعمل جهدنا ما حيينا فى انقاذه من يد المستعمرين الغاصبين.

« سنترسم خطاك ثم نرخص نفوسنا ونفنى اشخاصنا حتى يتخطفنا الموت واحدا بعد واحد وراية الشرف خفاقة تتلقفها الايدى وتفديها النفوس »

النعى

سيق النعى الى القصر الملكى والى الحكومة ورجالها والى الامراء والعظماء فحضر من بلغه النعى الى بيت الامة وكان البكاء فيه يصل عنان السماء . فما كنت ترى الا غريقا فى دموعه أو مغمى عليه أو صامتا من الذهول . ووسط هذه الدموع والاحزان حضر الى بيت الامة رئيس الديوان الملكى ووزير الحربية ورئيس الوزراء بالنيابة ووكيل الداخلية وعلى الاثر اصدرت رئاسة الوزراء بلاغا

بلاغ رئاسة الوزراء

مجلس الوزراء ينعى الى الأمة المصرية مع الاسف الشديد والحزن العميق « حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل وزعيم الامة العظيم ورئيس مجلس النواب سعد زغلول باشا »

قد وافاه الاجل المحتوم حوالى الساعة العاشرة من مساء يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ اغسطس سنة ١٩٢٧ عقب مرض لم يمهله طويلا ولم يتعطف على مستودع آمال الامة ومحل رجائها وقائد نهضتها وحامل لواء الدفاع عن حقوقها والى الله مرجعه وله منه الرحمة والرضوان والى الشعب المصرى جميل العزاء

ثم تلى هذا البلاغ ببلاغ آخر :

قرر مجلس الوزراء أن يكون يوم غد « الاربعاء ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٧ » يوم عطلة رسمية لدواوين الحكومة فى القاهرة . وأن يكون تشييع الجنازة باحتفال رسمى تشترك فيه الحكومة بوزرائها ووكلاء وزاراتها موظفيها وأورطة من جيشها

ثم صدر بلاغ آخر

بتنكيس الاعلام على دور الحكومة جميعها ثلاثة أيام

***

ثم ورد على دولة نسيم باشا برقية عزاء من جلالة الملك يأمر أن يكون الاحتفال عسكريا

وحوالى الساعة الثالثة بعد ظهر الاربعاء دعا بيت الامة بعض كبار العلماء للاشراف على غسل جثمان سعد الطاهر ومباشرة تكفينه

وفى الساعة الثالثة وعشر دقائق جاء كبار ضباط وزارة الحربية بمركبة « مدفع لحمل النعش وهنا كانت الجموع من أصفياء الفقيد فى داخل بيت الامة تذرف

الدمع السخين وحسبك أن ترى أم المصريين وقد طلعت على أبنائها صارخة أسيفة تندب سعدها وتبكى رجاءها فكان اشرافها مظهراً من مظاهر الجزع والحزن لدى الوزراء والشيوخ والنواب ونابهى الشبان واستمرت ثورة الحزن بالغة غايتها حتى موعد تحرك المشهد

فأنزل الفقيد محمولا على أكتاف الاصفياء ثم لف فى العلم المصرى ووضع على عربة مدفع تجرها الجياد وتحرسها الفرسان

اوصدت المحال التجارية والمصارف على اختلافها ونكست الاعلام ووقف الشعب فى طريق السير يرمى آخر نظرة الى منقذ مصر ويذرف دموعه على محيى النهضة ورافع اللواء

فسارت فى مقدمة النعش مواكب العمال والنقابات العامة والكشافات والملاجئ والمدارس على اختلافها من ثانوية وعالية وخصوصية ثم وحدات الجيش بأعلامها وموسيقاها منكسة البنادق ثم نعش الفيد وله روعة وجلال ثم تلاها المشيعون من نائب جلالة الملك فاصحاب السمو الامراء فالمفوضون للدول الاجنبية وموظفيها لحضرات الشيوخ والنواب لحضرات رؤساء الوزراء والوزراء السابقين فاعضاء صندوق الدين فرجال القضاء فرجال النيابات فقضاة المختلط فالمحامون فوكلاء النيابات فالمستشارون ومساعدوهم فمديرو المصالح فالعلماء فالرؤساء الروحانيون فنقابة الصحافة فاعضاء المحافل الماسونية فالمديرون فالمحافظون فموظفو وزارات الحكومة ومصالحها فأعيان القاهرة وتجارها فاعيان الاقاليم ثم تتابعت الجماهير من مختلف الطبقات ثم صلى على « الزعيم الراحل » فى مسجد قيسون

وفى تلك البقعة الناطقة بصمتها المعربة باستعجامها انزل النعش عن مركبة المدفع بين الزفرات المتصاعدة والدموع المنحدرة وقد اطلقت المدافع ايذانا « بالوداع »

ثم وقف صاحب المعالى جعفر والى باشا وألقى باسم الحكومة الكلمة الآتية

مات سعد . فيا له من خطب فادح . ومصاب جل عن العزاء . ان المبادئ السامية التى أفنى عمره فى نشرها قد تأصلت فى قلوب هذه الامة المجيدة . فاذا كان هذا الفقيد العظيم قد رحل اليوم بجسمه . فانه لا يزال حياً فى قلوبنا بمبادئه وتعاليمه كلنا سنفنى أفراداً : ولكن الامة بفضل جهود هذا الراحل الكريم . وتفانيه فى الاخلاص لها . ستعيش حرة خالدة : هذه كلمة الحكومة الآن . وللبرلمان كلمة سيلقيها حضرة وكيل مجلس الشيوخ . أما الرثاء والتأبين فسيحدد لهما ميعاد آخر يعلن عنه فيما بعد

ثم تلاه حضرة محمود بسيونى بك وكيل مجلس الشيوخ وألقى الكلمة الآتية :

مات زعيم الامة : مات الرجل العظيم . فما أشد وقع هذا المصاب على نفوسنا نحن النواب والشيوخ . وعلى الامة بأسرها

قضى بعد جهاد طويل فى سبيل حرية بلاده وفى سبيل انشاء الحياة النيابية وتوطيد أركان الدستور جاهد لأ نبل قصد وأشرف غاية

وقد أراد الله أن يكلل جهاده بالنجاح . فنالت الامة بغيتها من الحياة الدستورية

وقضى وهى فى أشد الحاجة الى جهاده لتستكمل حقوقها . وتحقق أمانيها . ولئن مات فستبقى ذكراه خالدة فى نفوسنا . نذكى فيها محبة الوطن الذى عاش من أجله ومات فى سبيله فانا لله وإنا اليه راجعون

وعلى هذه الذكرى الاليمة وضع استاذنا وملاذنا شيخ مشايخ الطريقة الحامدية الشاذلية سيدى ومولاى أبو حامد سلامه افندى الراضى تاريخاً للزعيم بجيبك جمع جمله عن عام وفاة الزعيم

سعد	باشا	رمز	الاستقلال	التام	والوطنية
١٣٤	٣٠٤	٢٤٧	٦٥٣	٤٧٢	١١٧

سنة ١٩٢٧



حضرة صاحب المعالى مصطفى النحاس باشا

الرئيس الجديد للوفد المصرى

دموع الرئيس الجديد

مصطفى النحاس باشا

عهد وميثاق على قبر الزعيم

بقلم الكاتب الحزين صاحب الامضاء

على قبر الزعيم سكون رهيب ، وحزن بلغ قرارة النفوس ، وعيون منهمرة بالدموع ، وخشوع تملك القلوب وآهات من الاسى تداولتها الافواه

وقد خيم جلال الموت فوق جلال العظمة واتصل صمت الحياة بصمت الابدية وأشرقت الحياة على الفناء فما أرهب الموقف وما أشد وقعه على القلوب الكسيرة جلال يشيعه خشوع وعبرات تعقبها آهات من «الرئيس الجديد» على زعيم النيل ونحن حوله ساهمون متفجعون نائحون مرثية جد محزنة حتى لقد أجهش «زائر القبر» بالبكاء فطفق حزنى المكتوم تتفجر ينابيعه أذ تجددت المأساة الأليمة . ووضحت لدى تلك الحقيقة القاسية بان سعدا زعيمنا قد مات وما الى عودته من سبيل

آ كنت ان سعدا الذى ملأ عنان السماء وطبق صيته الخافقين يضمه قبر مظلم الآن فقط تحققت ان سعدا التحق بربه فلن يسمع له صوت فى مصر ولن يشترك مع مواطنيه فى تسيير دفة أمورهم

***

حول هذا القبر تجددت المناحة فجاشت الصدور بالاسى واكتوت بحسرة ولوعة وانفتحت عيون المآقى بالعبرات ووقف الرئيس «مصطفى» يندب «الزعيم سعد» ويبكى حظ مصر وشقاءها والنازلة وشدتها والحمل وقسوته والمسئولية وتبعتها وحسبكم يا ابناء النيل ان تروا «مصطفى» يشعل بكلماته القلوب نارا ويلهبها

صميرا قال اطال الله بقاءه والدموع تبلله :—

« كان سعد يحمل العبء عنا جميعا وقد القاه الآن علينا جميعا . ان سعدا يريد منا العمل . أنه يريد من الاربعة عشر مليونا ان يعملوا . فلنكن جميعا ملتفين حول روحه . ان روحك ياسعد أمامنا انت الامام دائما »

***

آه ياسعد : . . . . . لقد استرحت ياسعد وتركتنا نتعب ، تركت الحمل لابنائك كلهم ، كنت زاهدا فى الدنيا وها أنت الآن فى الزهد الاخير ، لم تتم مأموريتك ياسعد ولكن روحك ستتمها معنا . اننا جميعا على عهدك حتى الممات ، واذا متنا فذرارينا سيقتفون الأثر . سنعمل حتى نصل الى ما كنت تصبو اليه لتستريح . كنت تعمل ونحن مرتاحون فان نلنا المبتغى استرحنا واسترحت وان لم ننله واسترحنا جاهد ابناؤنا من بعدنا ،

كلنا الى الموت سائرون . سنكون جميعاً كتلة واحدة ويداً واحدة لنعمل مجتمعين عمل سعد منفردا وسنلتف حول روح سعد ليستريح فى مرقده . سنجتمع جميعاً لا يشذ منا أحد نجتمع حول مبادئك ياسعد ونسير على طريقك القويم . أما سحر بيانك وقوة حجتك التى كانت تبهر السامعين فعزاء لنا فيها وصبرا جميلا على فقدها ، ان قلوبنا قويه ومتجهة الى مصر التى كنت تحبها وتهش لذكر استقلالها

ان سعداً لم يكن رئيسى بل كان أبى ، لقد عاشرته فى المنفى فرأيت فيه حنو الآباء على الابناء

ما كان سعد ليهتز لخطب أبداً ، لقد كانوا يأخذونه من بيننا وينقلونه من منفى الى منفى وكانت الكلمات التى يقولها وداعا لنا :

ستعودون أنتم الى مصر لتتموا عملى أما أنا فأحب أن أموت بعيداً عن بلادى حتى تتأجج الوطنية فى قلوب بنيها ثم كان يقول :

قد يجمع الله الشتيتين بعدما ... يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

فسنجتمع معك ياسعد ان شاء الله فى دار الخلد بعد العمل للاستقلال. وسنبذل جهدنا لتحقيق غايتك. ونعاهدك أمام قبرك الكريم على المضى فى الجهاد. ونرجو الله أن يثمر عملنا قريباً حتى تستقر روحك وتهدأ فى عالمها الأعلى. فاننا لنشعر إنها ستظل مشرقة علينا ترقب جهادنا وتغذى نفوسنا حتى ننال الاستقلال التام »

وهنا طلب الينا ونحن وقوف حوله أن نقرأ فاتحة الكتاب بصوت عال فقرأناها

ثم عاد الرئيس ومن معه يكفكفون العبرات ويغالبون الزفرات أذكر منهم صاحب السعادة « حمد الباسل باشا » وكيل الوفد المصرى وصاحب المعالى « على الشمسى باشا» وزير المعارف وأصحاب العزة « محمود فهمى النقراشى بك. وابراهيم راتب بك. ونخرى بك عبد النور. والاستاذ صبرى بك أبو علم. ومصطفى بكير بك. وحسن افندى يس. والاستاذ النايب محمد افندى عبد الرحمن الجديلى. والأخ الوفى الصادق الاستاذ محمد افندى ابراهيم الجزيرى سكرتير المغفور له الرئيس الجليل »

***

يا روح الزعيم

أطل علينا من عالمك الملائكى وانظر أمة جللتها خطوب الزمن بفقدك ولكنها على عهدك باقية

ها هى أبناؤك « أيها الزعيم » قد وهبت أرواحها وأجسامها فى سبيل نصرة مبدئك والسير على طريقتك

وها هو ابنك البار « مصطفى » أحللناه فى الذروة العالية من قلوبنا فله شجاعته واقدامه وله جرأته ونزاهته

شرف الزعامة للشعوب يحوزه * من كان فى عصف الخطوب شجاعا

يا روح الزعيم !

اشرف على « رئيسنا الجديد مصطفى » وأنر له الطريق وخذ بيده. وافرغ عليه ثوب القوة ليحمل هذا العبء وحتى تنال بلادنا حريتها المغصوبة واستقلالها التام

الحزين ــ محمد السيد محمد

المراثى

النثر

ساعة الفراق

للكاتب القدير عبد القادر حمزه

لطفك اللهم و رحمتك

هوى الطود وانطفا النجم وسكن اللسان الذى كان ينطق فتدوى الارض بما يقول ، وخرجنا بسعد أسوأ ما خرجنا ، نحمله فى نعش وكانت الدنيا تضيق عنه، ونناديه فلا يجيب وكان لا يطيق أن نشكو ، ونبكى فلا ينهض الى دموعنا يكفكفها. وكان من أجلنا ينصب ومن أجلنا يعيش . حملناه فلا والله ما حملنا الا أنفسنا ولا شيعنا الا حبات قلوبنا ولا كان النعش يسير الا بنا أى بمصر دميت جوانحها وماتت آمالها وتقطعت نياط قلبها حسرات .

مشينا ساعة ثم أخرى فلوان عينه أطلت لرأت نفس الجموع التى عهدت ولكنهم كانوا فيما مضى يهتفون وهم الا ن يبكون ، والميادين التى عرفت ولكنها كانت فيما مضى تبتهج وتتزين وهى الآن تئن وتلبس السواد ، والمدينة التى ألفت ولكنها كانت فيما مضى تهش وتحتفل وهى الآن واجمة فاجأتها المصيبة جلى فأطارت صوابها وتركتها ذاهلة . لو أن عينه أطلت لرأت نفس الصفوف التى نظمت والجنود التى قادت ولكن هؤلاء الجنود كانوا فيما مضى يهزءون بالحديد والنار ولا يضعفون لموت أو سجن أو تشريد، أما الآن فياو يلنا لقد انهد عزمهم وخارت قواهم وفارقتهم

شجاعتهم فهم أطفال ينتحبون ويتوجعون

مشينا فهل عرفنا ساعتئذ الى أين كنا نمشى ؟ هل عرفنا اننا كنا ماضين الى حيث ندفن ذخر آمالنا فتضرب الارض حجاباً بيننا وبينه الى الابد ؟ لا لعمرى ما عرفنا هذا على حقيقته ولا تصورنا منه الا صورة مبهمة ولا استجلينا الا ان المصيبة نزلت فادحة وانهار حدها تعرف مداها فتذهب بنا اليه . وستمضى وا أسفاه أسابيع بل شهور بل سنين قبل ان ندرك هذا المدعى ونعرف حدوده

مشينا ومشينا ، ومضى بنا سعد الى داره الاخيرة فيالهولها ساعة تلك التى أقبل فيها على باب هذه الدار ونحن بين يديه نريد بكل ما أوتينا ان نرده عنها فلا نملك ، ونستوقفه لحظة نتزود فيها زاداً يخفف اللوعة ، ونضج نسأله كلمة وداع أخيرة فلا يجيب ، وتنشق طريقه بيننا على الف رغم منا والف حرقة فى قلوبنا ، ويتسلمه القبر من أيدينا . أى والله من أيدينا بين الهلع والصياح والنشيج ، ونتظر فاذا سعد غاب فى القبر واذا القبر أطبق عليه واذا نحن فقدناه ولن نراه

لن نرى سعداً بعد اليوم ولن نسمع صوته ، لن نرى ذلك الوجه المشرق ولا تينك العينين البراقتين ولا تلك الطلعة السمحة الصادقة . لن نسمع ذلك الصوت الصريح الرنان ولا تلك النبرات التى كانت تهز أوتار القلوب ولا تلك الكلمات التى كأنما صيغت من جنة الخلد فهى الحق وفى الحق تقال . لن نرى سعداً ولن يرانا فى هذه الحياة فما أبعده فراقاً وما أقساه

كذبت يا دنيا . وعدتنا الهناء وما فيك إلا الشقاء ومنيتنا إلتئام الشمل وما فيك الا الفراق ومددت لنا من الآمال حبالا لا نهاية لها ولا انقطاع وما فيك الا الالم وخيبة الرجاء . ولو أن لامل واحد فيك أن يتم ولشمل أن يلتئم ولوعد أن يصدق لبقى لنا سعد . ولكن أين منك الصدق وأين الوفاء

ولم يكن لنا بد من أن نعود ، ولا أدرى وايمن الله كيف تركناه وعدنا . ولكنا جئنا ولم نكن نرى لمجيئنا الا صورة مبهمة . ونشر الليل ظلامه إذ نحن مفارقوه

فذلك ليس ظلام الحزن وحده وانما هو إلى جانب ذلك ظلام غرقنا فيه بعد أن انكفأ مصباحنا وانطفأت ذبالته

***

والآن ! لقد استرحت يا سعد ونعمت بجوار الله ورضائه ووجدت عنده الجزاء الأوفى لكل ما قدمت يداك من خير للناس وبر بأمتك . وسبقتك الى دارك التى سكنتها أخيراً دعوات هذه الملايين التى هامت بك فقبلها الحق شهادة لارياء فيها وجعلها لك مهاداً ونعيما

الآن ياسعد « انتهيت » فمجدك فى الدنيا خالد ونعيمك الذى استقبلته فى الآخرة خالد أما نحن فياتعسنا لقد « انتهينا » لاننا فقدنا بفقدك كل شئ

فى ذمة الخلود

للكاتب الشاعر عباس محمود العقاد

لغير هذا النبأ أعدت الأسماع و بغير هذه الصيحة جرت الألسنة فى الافواه، بالحياة اقترن اسم سعد فما معناه إلا والحياة له لزام والدعاء له صلاة وقيام ، وماعرفنا سعداً الا حياً تسرى منه حياة النفوس وتخفق به قوة فى القلوب ، فما سبق فى الخواطر قبل هذا اليوم الأسود ان يوماً ينعاه فيه النعاة وتفجع فيه المهجات ، وأن يقال « مات سعد » ويتنادى السامعون مات سعدفى هذا الجوالذى ملأته أنفاس الداعيين لسعد بالحياة

ياويح النعى من ذا ينعى وماذا يقول ؟ أتصدق الاسماع أن سعدا مات ! ان سعداً سكن فماهو بعدالیوم بخطيب ، ان سعداً وقد فماهو بعد اليوم بناهض لنضال ،

إن سعداً أوى الى مضجعه الاخير فما هو بعد اليوم بمسموع فى الندى ولا بمنظور فى صدور الحفول ، إن سعداً سكت فما هو بعد اليوم بشجى الصوت تمتزج فيه العذوبة بالمضاء وتشترك الجوارح والارواح بالعكوف عليه والاصغاء ، لو أن خبراً تكذبه الدهشة التى تبتد السامعين منه لقد كان هذا الخبر الصادع جد مكذوب ولقد كان آخر نبأ من الانباء يحق له الايمان والتصديق . ولكن من لهذه الامة أن يكذب هذا النبأ الواحد وتصدق جميع الانباء ، من أن يقال اليوم : إن سعداً حى كما عهدت يامصر وان كل شئ فى الارض بعد ذلك كما يشاء القدر القاهر وكما يشاء الزمن العسوف ، من أن لها يكذب النعى وهو اليوم صاحب الصدق الكريه والحق الذى تصم عنه الآذان . مات سعد ! أى والله مات سعد ! فيامصر شأنك والبكاء الغزير والحزن الفاطر المرير ، لاملام الساعة على باك ولا حزين ، بل اللوم الساعة أن يصبر الصابر وأن يرقأ الدمع فى الجفون ، وهل فى هذا الخطب لائم أو ملوم ؟ كل مصرعين تفيض بالدمع السخين وتنظر فى لوعة الاسى الى مكان خلا وركن هوى ووجه كان مطلع النور فاحتجب الآن فى ظلام القبور

صدق أيتها النفوس الهالعة والكبود الوارية والصدور الزافرة والعيون الدامعة — صدق أن سعدا قد مات وان الرجل الذى حملك قوة فى مجال الكفاح تحملينه أنت جثة فى الممات ، صدق ان المنبر الذى طالما سموت اليه مرهفه الآذان داوية الاكف هو الآن نعش صامت لاتسمعين منه إلا عبرة الفناء وحديث الصمت البالغ الرهيب

ولمن غير سعد تسهم الوجوه وتذهل العقول وتخفت الاصوات وتتقطع الزفرات وينظر الناظر حوله الى العيون الوالهة والنشيج المبحوح والرؤوس المائمة فاذا هو فى لحظة من تلكم اللحظات التى كأنما يقف فيها نبض الكون ويتوادع كل من فى الوجود الى غير لقاء ولا معاد ؟ لمن غير سعد يهبط الهول على الارض ويضل الامن فى هذا الفضاء الرحيب فما اليه سبيل ؟ لسعد وحده تنزل هذه الرجفة

ويطوف بالناس هـذا الطائف الدائم من الذلة والخشوع ، ولسعد في رقدة الموت والهفتاه لا لسعد الامس الذى كان مبعث الامل الراكد وفرج الصدور المكظومة اذا حزبتها الكوارث وحاقت بها الخطوب

واحسرتاه عليك أيها الزعيم . أكانت إذن نظرتى الاخيرة اليك تلك النظرة التى القيتها عليك وأنت باسم الثغر تحيطنا بعطفك وتشكو تلك الفكاهة الحلوة رحمة الراحمين من حولك ؟ تقول : « ان على يابنى هنا رقيبين لا يرحمان » إذا أمر الطبيب لم يأذنا لشفتى أن تفترا بكلام ولا للهواء أن ينفذ من هـذه الابواب ، وأقول لك وأنا أخلى الناس ذهنا من هـذه العاقبة المستورة : ان رقيبيك يامولاى لا يرحمان لانهما يرحمان ! وأستعجل القيام مخافة عليك من الكلام ومن الاصغاء وما كان يدور بوهمى فى تلك اللحظة انى استعجل القيام من مجلسك الاخير وأمنع نفسى التزود من طلعة محبوبه لن تبصرها بعدها عيناى ، أكانت تلك إذن آخر نظراتى اليك وكان ذلك إذن آخر الزاد من حديثك الساحر ولفظك المتخير الكريم ؟ لو علمت لما تعجلت ، لو علمت لما أبقيت للامل بقيـة تخدعنى عن تلك الحضرة التى رجوت وأنا أفارقها انى معاودها غداً كما أعاودها والاجل بعيد والامل مديد ، ومن لنا يومئذ ان نبصر ظلال الموت تزحف اليك وقد حجبها عنا الرجاء وأخفاها ضياء شامل من الحب والولاء ؟ لقد بشرنا الأساة بشفائك ونحن نؤمن بما يبشرون ، ولقد أنذرنا الأساة متلطفين ونحن ننكر أشـد الانكار ماينذرون ، ولقد نفض الطب يديه ولم يبق إلا المعجزة تنقذك من الخاتمـة المحتومة ونحن ننتظر المعجزة موقنين ، ولقدمت ونحن لا نطيق لفظها ولا نسيغ سمعها كأنما فى الامر شك وكأنما فى الامر بقية لدعاء الداعين وتفاؤل المتفائلين ، ولقد قضى الامر كله وكأننا نسمعه فى حلم وكأننا بعد مازلنا حالمين . ثم ها نحن نحملك بأيدينا والانف راغم والقلب طيع لا يعرف كيف يأبى لو كان للاباء من مناص معروف . إلى أين أيتها الامة ؟ إلى أين يامصر ؟ إلى لقاء من لقاءات سـعد ؟ الى خطبة من خطب سعد ؟ كلا

واحسرتاه . بل إلى التراب بجثمان سعد ، إلى القبر بالزعيم الراحل والعتاد الذاهب والملجأ الامين ، فهل كان هذا ماتريدين ؟ هل كان هذا ماترقبين ؟ ما أردت ان تحمليه إلا على أكف السلامة والبقاء الطويل ، وما أردت أن ترفعيه إلا إلى مقام التنصل فى مصيرك المجهول

ولكن الانسان ضعيف

ولكن القضاء غالب

ولكننا كلنا ذاهبون

سعد

للكاتب الكبير داوود بركات رئيس تحرير الاهرام

تودع مصر اليوم رجلها — وقل من يستحق فى الامم هذا الوصف — تودع سعداً وقد حل سعد منها بين القلب والشغاف . وارتقى سعد فيها متن الذروة العليا تتقطع الاعناق دون التطلع اليها . وصعد بجهده وجده وبانقاد ذكائه وعلو همته . وبصدق ايمانه وصحة معتقده بحق نفسه وبحق وطنه عليه سلم الحياة درجة درجة حتى القنة التى لا يطاوله اليها متطاول ولم يتقدمه اليها متقدم ولم يلحق به لاحق . واستفاضت من ذلك المكان السامى الذى تبوأه ومن تلك المكانة العالية التى وصل اليها . شهرة طارت الى جوانب الكون كله . فاذا فاخرت أمة من الامم برجل من رجالها فاخرت مصر بسعد . وإذا ذكروا فى أمة من الامم الرجال العظام قالوا ان رجل مصر سعد . وما كان سعد برجل مصر وحدها وقد عظم وكبر فى عيون الشرق كله . فكان مثالا للزعماء فى كيف يكافحون فى سبيل عقيدتهم الوطنية . وفى كيف يجمعون النفوس المتفرقة والطوائف المتنابذة والاهواء

المتنازعة . وفى كيف يمزقون التقاليد البالية لتحل محلها الروح الشريفة الجديدة فتجعل من الامة كتلة واحدة تتجه بآمالها وأمانيها فى متجه واحد الى غرض سام واحد وغاية جلى واحدة

خرج سعد من صلب الامة كما يخرج جميع الافذاذ النوابغ فاذا ذكر واشنطون ولنكولن ونابوليون وغاريبالدى وكرومويل وكل نابغة فى الامم ذكر بعد اليوم معهم سعد . وقديما قالوا ان بناة الامم والشعوب هم الذين يخرجون من صلبها و يرقون سلم الحياة فيها درجة درجة الى الذروة والقنة

وهكذا كان سعد الذى تبكيه اليوم الاقلام والعيون ويخفق لفقده قلب مصر وتخفق معها قلوب الشرق وتهتز قلوب الغرب بجملته[1]

فاليوم انطفأ ذلك النور الوهاج الذى كان يفيض على البلاد كلها ولكن أثره لا يمحى من النفوس وفعله لا يزول من الصدور . واليوم انهد ذلك الركن الركين الذى كانت تستند اليه الامة بآمالها وأمانيها وتوليه ثقتها التى لا حد لها . واليوم يخفق قلب مصر حزنا وأسفاً لم يحكه خفقانه فى يوم من الايام الا يوم عودة من منفاه مرفوع الرأس موفور الكرامة واليوم تبكى كل عين مصرية رجلا ضحك له بالامس كل ثغر مصرى . واليوم تعاهد الامة هذا الرجل العظيم على قبره انها على مبدئه حتى النهاية . واليوم تملى سيرة سعد على كل مصرى ان الرجل العظيم هو الذى يكون نفسه بصعوده سلم الرقى درجة فدرجة حتى الذروة العليا بقوة اليقين وصحة الاعتقاد وصدق العزيمة التى لا تفل . فقد كان سعد رحمة الله عليه رجلا ولكنه كان فوق الرجال يتمسك بالحق وحبه للعدل والصراحة والاخلاص يكره الذبذبة والنفاق واللين حيث تجب الشدة والصلابة و ينأى عن الصلابة والشدة حيث يجب اللين والهوادة . فلا نفقد سعداً اذا ظلت حية فينا روح سعد

(١) تكلم الكاتب عقب هذا عن تاريخ الزعيم ولكنا لم نكتبه اعتمادا على ما كتبناه فى الصفحات السابقه من ٧ الى ٤٨

ومطالبه وأمانيه بل فضائله ومميزاته . فقد أدى ما عليه لامته حتى اللحظة الاخيرة من حياته فسجل بعمله اسمه مع الخالدين وخدم وطنه وأمته الخدمة الباقية الخالدة إلى أبد الابدين

وقطع فى احدى خطبه فى سنة ١٩٢٢ عهداً على نفسة بربه وهو قوله : « اعاهدكم عهداً لا احيد عنه وهو أن اموت فى السعى لاستقلالكم فان فزت فذلك والا تركت لكم اتمام ما بدأت به » .

مأتم الوطن

للكاتب البارع الدكتور محمد حسين هيكل

مات سعد زغلول ! ياهول الموقف ! ويالقسوة المقادير ! وياما أشد حزن مصر على فاجعة لم تترك قلبا الا أدمته ؛ ولا فؤاداً الا سلبته ، ولا نفساً الا اهتزت لها فرقا . ولا عقلا الا زلزلت أعصابه زلزالا .

نعم . ياهول الموقف الرهيب . وأية رهبة وأى جزع كأن تنظر أمة فاذا لسانها الناطق قد صمت ، واذا قلبها الخفاق لم يعد يخفق ، واذا هـذا الذى كان على كل لسان وفى كل نفس فى مصر وفى غير مصر من بلاد العالم كله ؛ اذا سعد زغلول قد طوى الموت صحيفته ؟ واذا كل الانظار التى كانت تتطلع اليه بالرجاء لم يبق لها الا أن تتطلع الى السماء راجية فى رحمة الله ومغفرته العزاء ؛ والا أن تنخفض الى الثرى تبلله بالدموع المهراقة والعبرات المسكوبة

مات سعد زغلول ! ياهولها من كلمة . رجل يملأ الدنيا اسمه دويا وتحسب الممالك له حسابا ثم يأتى عليه الموت كما يأتى على أى رجل من الناس . عجباً . اذن فما الحياة وما زخرفها الباطل . ولكننا يجب أن نتأسى . وما سعد الازعيم قد

قضت من قبله الزعماء . ولئن مات فلن ينقلب على عقبيه أحد وستظل ذكراه باقية فى النفوس مذكية فيها ماذكت به نفسه من حرص على حق الوطن وايمان لايتزعزع باقتضائه اياه .

مات سعد زغلول ! واأسفاه . من أيام معدودات كنا جميعا نعد الايام الباقية على كلمة تسقط من بين شفتى الزعيم الراحل يقضى بها فى مصير هذه البلاد . وكنا جميعا ندعو بالتوفيق ، ننتظر من رحمة المقادير منقذا من موقف طال بنا الضجر منه . فاذا هذه المقادير تقلب لناظهر المجن فيحبس الموت كلمة سعد بين شفاهه ويحيل رجاء البلاد فى المستقبل حزنا ولوعة وأنينا ويقيم فيها بدل الآمال الواسعة مآتم تندب كلها رجلا طالما هتفت باسمه وطالما ابتهلت الى الله ليمد فى عمره اذ كان هو أملها ورجاؤها لقوة الوطن ومنعته وعزته

لمثل هذا اليوم الذى كانت مصر تنتظر فيه كلمة سعد للبت فى مصيرها جاهد سعد واحتمل ما احتمل من تضحية . لمثل هذا اليوم تألف الوفد ، ولمثله نفى سعد وأصحابه الى مالطه ، ولمثله فاوض سعد ملنر ، ولمثله أبعد الى سيشل ، ولمثله عمل لاعادة الحياة النيابية بتآلف الاحزاب . فلما جاء اليوم الذى آن لسعد فيه أن يرى جنى ثمرة تضحياته وجهاده ، وثمرة هذه المتاعب والمشقات التى احتملها وهو فى سنه المتقدمة بصبر وثبات لاقبل بهما لشاب ، لما جاء هذا اليوم الذى كنا نرجو وكان سعد يرجو أن يتوج فيه مجد حياته بالغاية العليا التى بذل فى سبيلها كل ما بذل اذا يد الموت الغادر تمتد اليه تتخطفه من الحياة والناس أشد مايكونون بحياته وبصحته اغتباطا واشد ما يكونون فى المستقبل رجاء وأملا .

جاهد سعد فى السنوات الاخيرة من حياته لأنبل غاية ، وجاهد بقوة لايعرفها الا العظماء ، ومن قبل ذلك جاهد لمثل هذه الغاية فبلغ من جهاده مامهد لهذه الزعامة الكبرى ، فهو لم يكن يوما من الايام بالرجل الذى يطمئن فى الحياة لغير الجهاد . كان دائما عظيماً . كان عظيماً فى خصومته ، عظيماً فى وفائه عظيماً فى

كل شئ ولقد كان كذلك عظيما فى وفاته . وهل لمن خلقه الله عظيماً الا أن يموت عظيما وأن يخلد على صفحات التاريخ عظيماً :

***

وكذلك قضى ! وكذلك وافاه الاجل المحتوم ! نعم ! مات سعد زغلول ! فانا لله وانا اليه راجعون يالقسوة القدر ؟ ويالنضوب معين العزاء ! رب رحمة بشعب ثاكل ، ومغفرة لزعيم راحل . تولانا الله وتولى الامة برحمته ، وامطر الفقيد غيث رضوانه ومغفرته ، والهمنا جميعا الصبر والعزاء . واجعل من ذكرى سعد لكل قلب قوة ولاهل هذا الوطن جميعا ايمانا مضاعفا بحق الوطن وبكرامته وعزته وكبريائه

سعد زغلول

للكاتب الشاعر ابرهيم عبد القادر المازني

سعد زغلول ابن مصر الذى اتخذه شعبها أبا له ، والزعيم الذى كان فى كل مرحلة من مراحل حياته الحافلة قوة لا يسع أحدا أن يهرب من وقعها والشعور بها وادخالها فى حسابه ، مناصراً أو مناصبا ، والشخصية الفذة التى لم تتألم والتى واجهت الامة فسحرتها ، ووقفت حيالها فجذبتها وبرزت لها فاستولت على هواها ، والقوة التى كانت تعيي الناس مداورين ، وتدهمهم مبارزين ، والعظمة التى تروعك اذ تطالعك ثقة تامة بالنفس واعتدادا مطلقا بالذات ، أو ضحكة من أعماق القلب ، أو زوبعة فى الوجه ، أو مشية متئدة وطيدة واشية بامتلاء النفس بالعزة واليقين ، والحيوية التى لا ينضب لها معين ، وروح الكفاح التي يسقمها الركود ويحييها — على الرغم من السن والاوصاب — أن تحمى المعركة وتشتد الدعكة ، كل ذلك يطوى اليوم مع سعد فى كفن ، والموت قدر مر ، وقضاء ليس منه مفر

ولقد نأت بى عنه الحياة ولم يقدر لى الله أن أعرفه عن كثب الا أياما معدودات ، ولو شئت لقلت ساعات ، ولكن ما خلفته هذه الهنيهات لم يزده كر السنين الطوال الا ثبوتا و رسوخا وما زلت الى اليوم أراه وهو قائم وقد فاضت عينه بالدموع واصطكت أسنانه وتهدج صوته لذكر الشهداء حين عاد فى صيف ١٩٢١ ، وامتنع عليه القول وهو الذى لا يعيى بفكاهة أوجد ، و بكى السامعون جميعا و وقف القلم فى يدى وتعلقت عينى وجهه وقد راعنى التشنج من هذا الشيخ الوقور كما يروع المرء تقصف الدوحة الضخمة السامقة ، لا بل لا أزال أذكر وقفته فى المركبة كأنه تمثال أبو الهول انبثت فيه الحياة وسرت فى عروقه الدماء الحارة ، وقد جعل يحيى الناس بكلتا يديه يرفعهما الى رأسه ، والخلق من حوله عباب زاخر ولج مائج

وليس أدل عندى على العظمة من اثنتين : البساطة والقدرة على اثار العطف وكلتاهما كان نصيبه منهما الاوفر وحظه الاجزل ، و بهما استطاع أن يلف حوله الامة وأن تكون له نوطة بكل قلب وعلوق بكل نفس وأذكر الان وأنا أكتب هذه السطور حادثتين وقعت أولاهما فى الاسكندرية وثانيتهما فى مصر حين عاد من فرنسا لاول مرة فى سنة ١٩٢١ ، فاما الاولى فتلك ان الجماهير ظلت محتشدة حول فندق كلاردج تهتف وتصخب الى ما بعد الساعة الثانية صباحا تحت نافذة غرفته وتصيح طالبة أن يبرز لها من الشرفة لتحييه ففعل وأشار اليهم بيده فظنوه سيخطبهم . فساد السكون فقال وهو يضحك « أريد أن أنام فان لم تنفضوا فوالله أنزل وأمسك فى خناقكم » فضحكوا وحيوه وصفقوا وانصرفوا

وفى مصر وفد عليه جمهور من الفلاحين فغصت بهم ساحة البيت فخرج اليهم وجلس على الارض معهم وهو يقول أنا فلاح مثلكم . ثم انصرفوا ولو شاء أن يرسلهم الى الموت لاطاعوا !!

وفى صبيحة اليوم التالى لوصوله الى القاهرة قصد سرا الى مقابر الشهداء الذين ذهبوا ضحية الثورة المصرية وهو فى مالطة فزارها وترحم على حلالها وخطب

منْ معه من خاصته حولها وكانوا سبعة فقط ؟ وكنت قدرت ذلك وتوقعته مما رأيته منه في الاسكندرية حين ذكر أمامه الشهداء فسبقته وصح ظني ؟ وعدت وأنا مقتنع بان الحافز على هذه الزيارة لم يكن الا الشعور الملح الذي خامره منذ عاد

ولم تكن بساطته تكلفا ولا قدرته على ابتعاث العطف اكتسابا فما كانت هذه أو تلك بالتي تستفاد بالمران وتنال بالتدريب ، وانما كانتا سجية فيه جمعت حوله القلوب وجذبت اليه النفوس .

وكان زعيما بفطرته يساير الشعب ثم يملك زمامه و تستولي على مقادته ويسير به الى حيث يشاء ، فلا ينبوا الشعب في كفه ، وهل يسع رجلا عاديا من أوساط الناس ، أن يملك عن أمة بأسرها مثل ما ملك عليه رحمه الله ؟ أيتأتى لغير زعيم ضخم الشخصية ان يوضع في الميزان مرة بعد مرة فترجح شخصيته ، و ينحدر منها على الامة مثل السيل الجارف ، كل ما في طريقه محمول على متنه ؟ أيتيسر لغير عظيم أن يدور عليه تاريخ أمة وأن ترتهن حياتها حاضرها ومستقبلها بما يفعل أو يترك ؟ أيسع غير قوة جبارة أن تطوى كل قوة أخرى وأن تثور بها الاعاصير من كل ناحية فتثبت وتصلب وتجمع في نفسها على الرغم من كل شئ قوة الحكومة وقوة الشعب وقوة البرلمان حتى لقد كان يسعه أن يقول انه مصر

ان هذا هو الجانب الخالد من سعد والباقي على الزمن ، أما الاعمال فبنت أوقاتها وقد تحمدها من المرء أولا تحمدها ، وترضاها أو تعيبها . ولسنا الى هذا ننظر فانه في ذمة التاريخ وأمانته وانما ننظر الى هذه القوة الغالبة والشخصية الساحرة ومعظمة الباهرة والحيوية الزاخرة . والى الامة التي شاءت المقادير الفاجعة أن تسطو عليها وتحرمها اياها ! أي فراغ هائل لا تحسه ؟ لقد كان رحمه الله كالمغناطيس القوي يجذب اليه برادة الحديد المنتثرة ويلم شعثها عنده . فالآن ماذا يجمعها سواه ؟ أين القوة الشعبية التي يسعها ما وسعه ؟ لقد قبض الله اليه في شخص سعد أمة في أمة ، وفقدت بموته مصر شخصية عظيمة تعقم بمثلها أجيال — شخصية كانت على

الحركة القوميـة علماً ولها رمزا ، فانا لله وانا لله راجعون ألهمنا الله العزاء ، وكيف العزاء عمن كان ملء الدنيا ؟

سعد زغلول

رسول الوطنية وفقيد مصر والشرق

للكاتب الكبير خليل بك ثابت

رحل سـعد فطويت برحلته صحيفة منيرة بليغة مجيدة من صحائف تاريخ مصر الحديث . وخبا فى سماء هذا الوادى كوكب لامع سطع نوره فى فضاء الشرق فأنار القلوب وشد الآمال والعزائم فى النفوس وأضاء الطريق لسالكيه من هـذه الشعوب التى تطمح الى نيل حقها فى الحياة وتصبوا الى تقرير مصيرها . وانطفأ ذلك المشعل الذى كان منارة على ضفاف النيل يرسل أشعته الى الارجاء . وفقدت مصر أكبر أبنائها وأحبهم الى قلبها وأشدهم غيرة على عظمتها فهى اليوم ثكلى كاسفة البال سائلة الدمع كسيرة القلب وقد وجفت الافئـدة لهول المصاب واصطكت الركب لعظم الخطب فصبر جمل وانا لله وانا اليه راجعون

اما وقـد كتب الموت على الخلق لايخلد منهم سوى النفوس والاعمال فان فى أعمال سعد ما سيخلد اسمه وذكره ويجعل من حياته وجهاده المثل الاعلى للذين يتجردون لخدمة الاقوام ورفع شأن الاوطان

مابات سعد وانما مات جسمه اماروحه فخالدة واما قدوته وتعاليمه ومبادئه فباقية واما صدق وطنيته وسمو همته وذكرى جهاده وجميل سجاياه وصفاته فمنقوشـة على صفحات القلوب سجلها التاريخ له بحروف من ذهب محاطة باكليل من الغار وسيتناقل

الخلف عن السلف أخبارها ويقول الناس فى مستقبل الايام كذا فعل سعد وهذ ما قاله سعد

***

هذا مقام يقف فيه الكاتب خاشعا تعروه الحيرة وتتنازعه عوامل الاسف والاسى فلا يدرى اى نواحى هذا الموضوع يتناول واى أبوابه الكثيرة يطرق . أيشيد بذكر سعد وقد كان اسم سعد ملء الافواه والاسماع . او يعدد فعال سعد وقد انقضت مرحلة من مراحل تاريخ مصر وسعد المحور الاكبر الذى تدور عليه نهضة وادى النيل . او يصف ماشمل مصر من الحزن على فقد سعد وفى كل بيت مأتم وفى كل شارع مناحة . او ينوه بما آثر سعد فى جميع الكلمة وتوحيد القلوب والقصد وتوجيه الابصار والقوى الى الغاية العظمى وهذه الجموع الزاخرة التى تموج بها عاصمة البلاد اليوم من جميع الطبقات والاعمار وهذه الرسائل والتلغرافات الواردة من جميع الاقطار والامصا تنطق بأبلغ لسان بما صنع سعد لهذه الامة . او يذكر فضل سعد فى محو علل الخلاف الدينى وسعيه للقضاء على الشقاق المذهبى ومعالجته لهذا السوس الذى طالما نخر جذع شعوب الشرق وفروعها فاورثها الهوان والبوار حتى جاء سعد فجهر بالدعوة الى الاتحاد وائتلاف الخلق على مافيه صلاح أمرهم وعز اوطانهم قال ذلك وعمل به فكان فيه اول قائل فعال . أو يردد اعجاب الخاصة والعامة ببلاغة سعد وفصاحته وحسن بيانه وماله من المواقف الخطابية المأثورة . أو يرحم على سعد وماحباه الله من خلال جعلته حبيب هذه الامة ورائدها فى سيرها ورمز نهضتها ومعقد آمالها والمتكلم الناطق برغبتها وارادتها حتى قالوا انه رسول الوطنية فى مصر واحد افذاذ الرجال الذين قلما يجود بهم الدهر . أو يصفق صفقة الاواه ويتحسر على ذلك الذكاء ان يخبو نوره وتلك الهمة العالية ان يسعها لحد صغير وذلك اللسان الذى كان يقطر عسلا فى ساعات الرضا ويصب صواعق محرقة فى ساعات الشدائد والازمات وذلك القلب الكبير الذى ما كان يقدر للاهوال قدراً ولا يحسب للخطر

حساباً وذلك الحديث الشهى الطافح بغزارة العلم وصدق الفراسة و بلاغة المنطق ولطيف النكات وسحر البيان . أو يحصى عطفه على الشرق وشعوبه وتوجعه لمصائبهم ونكباتهم وحنانه على المنكوبين منهم و بالامس فقط كان اول من هزته الاريحية وحركته الحمية الشرقية لمصاب فلسطين بزلزالها فجاد لها بما دل على رقة القلب وصدق العاطفة وكمال الشعور بالاخاء الشرقى والواجب على الجار لجاره الحزين وما كانت هذه اولى مكرماته ولا الوحيدة من حسناته فى هذا المضمار فكم له فيه من مواقف جليلة نبيلة وكم له فيه من آيات بينات يذكرها الذين اصابهم خيرها ويذكرون معها ما اضاعت مصر وما فقد الشرق

باى هذه يبدأ الكاتب ولا بها يكون فضل التقديم

وقد وجدت مجال القول ذا سعة * فان وجدت لساناً قائلا فقل

لقد كانت الموسيقات تعزف بنشيد « يحيا سعد » فتسمع نغماتها فى ارجاء وادى النيل وتردد جبال لبنان وسهول العراق والجزيرة وآكام فلسطين ذلك الدعاء وتهتف لهتاف مصر بحياة سعد واليوم يسير النعاة فى انحاء وادى النيل ينعون ابن هذه الامة الكريم فتسيل المحاجر وتدمى القلوب ويتبادل الناس عبارات الاسى وتردد الشعوب الناطقة بالضاد العزاء لمصر وتقول معها رحم الله سعداً

مولده ونشأته وحياته

هذا موضوع كتاب يخلق بأحد كبار مؤرخينا المنصفين أن يتولى تسطيره خدمة لمصر وسائر أقطار الشرق وهدية الى المعاصرين لسعد والذين سيأتون بعدهم ففى تاريخ كهذا دروس وعبر للاحداث والشبان والكهول والشيوخ بما حوى من الوقائع وما اسفر عنه من السجايا التى جعلت هذا الفتى القروى يتدرج فى مدارج التقدم والارتقاء بدافع طبيعى من نفسه وان يقف قواه فى آخر الامر على خدمة بنى قومه حتى طار صيته كل مطار وذاع اسمه فى جميع الاقطار والامصار وصار عنواناً

للنهضة القومية ومثالا يحتذى فى الخدمة الوطنية و يتشبه به كل من تتوق نفسه الى العمل النافع فى رفع منزلة الشعوب واذكاء نار الحمية القومية فى النفوس

بعد همته و نشاطه الفطرى

كان سعد مثالا للنشاط والاجتهاد لا يعرف معنى للمل ولا يدركه التعب ولا يأبه للكلال كان كذلك فى حياته وشبابه وظل كذلك فى كهولته وشيخوخته ومع كل ما استهدف له من العلل ظل يواصل العمل ليل نهار ولا يلتمس الراحة الا مكرهاً بأشارة طبيب أو توسل المقربين من أهل بيته وفى مقدمتهم قرينته الكريمة الحزينة التي يشاطرها الملايين من الخلق اليوم حزنها الشديد فى مصابها العظيم . وقد كان فى جهاده الاخير الذى سيظل ذكره مقروناً بتاريخ نهضة مصر الحديثة مثالا لبعد الهمة وصدق العزيمة فقد كان يصاب من معه من الشبان بالاعياء و يغلبهم الفتور والنعاس وسعد يقظ رابط الجأش وكأن العمل لا يزيد ذهنه الا صفاء وعقله الا مضاء

ولا يزال الذين شهدوا جلسات مجلس النواب فى آخر الدورة الماضية يذكرون بأشد اعجاب مواقفه فيه وقد اشتد الحر وسئم الناس العمل وكلت سواعد الكتاب والصحافيين وسعد مستو فى مجلسه لا تفوته شاردة ولا يغفل بادرة بل يستوعب كل ما يقال و يخوض غمار البحث والمناقشة اذا اشكل الامر فينير المظلم و يفتح المغلق و يحل المعقد و يسير الاعمال برأى صائب وعقل ثاقب الى ان يستتب الامر و يستقر الرأى على قرار فيعود فى بيته الى مجلس آخر وأعمال أخرى تستغرق جانباً طويلا من الليل — حياة جليلة حافلة بالعمل وقد جعلت صاحبها كما وصفه احد عظماء سورية فقال ان سعداً كان ممتازاً كطالب وكان ممتازاً كمحام وكان ممتازاً كمستشار وكان ممتازاً كوزير وصار ممتازاً كزعيم

وكان كرومر الذى اشتهر بمعرفة الرجال وعجم عودهم فى مقدمة المعجبين بسعد

ولا يزال ما قاله فى خطبة الوداع فى دار الاوبرا يرن فى الآذان يوم نوه بصفات سعد ومزاياه وتنبأ بما يكون له من مستقبل مجيد

وفى حياته الطافحة بجلائل الامور شواهد لا تحصى على بعد الهمة والنشاط وهذه حكايته مع يوند بك وكيل محكمة الاستئناف لما كان مستشاراً فيها مشهورة مذكورة فانه لما عيره يوند بك بانه ليس من حملة شهادات الحقوق شق الامر عليه وعقد النيه من تلك الساعة على بلوغ هذه الغاية فشمر عن ساعد الجد واكب على درس اللغة الفرنسوية وطلب الحقوق فى كتبها وأدى الامتحان ثلاثة أعوام متوالية فى جامعة باريس وعاد منها ظافراً باجازة الحقوق وهو كهل وله فى ذلك الزمان مقام رفيع ومكانة عالية فاعجب زملاؤه بصدق عزيمته ودهش جميع الذين سمعوا الحكاية وكان يوند بك نفسه فى مقدمة المعجبين والمقدرين لهذه الهمة الشماء والحمية البالغة

ولم يكتف بذلك بل شرع يتعلم الالمانية فى شيخوخته وكان يتكلم بها مع وصيفته التى كانت تعنى به وتسهر على صحته . فهذان مثلان من أمثال للدلالة على ما فطر عليه فقيد مصر من الهمة والنشاط والاجتهاد وهى من أسرار نجاحه وأركان عظمته

وقد زاره كاتب هذه السطور من نحو خمسة أسابيع عائداً فى ظهر ذات يوم وقد بلغه ان الرئيس يشكو من ضعف فقال له سعد باشا نزلت أمس مساء لاذهب الى البرلمان وركبت السيارة ولكن الضعف اشتد بى فاعادونى الى هذه الغرفة وحظروا على مغادرتها اليوم . ثم تبسم تبسم المضطر الى التسليم بامر القضاء والاذعان لمشورة الاطباء

شجاعته وقوته

وكان سعد باشا شجاعاً جريئاً ولو انتظم فى السلك العسكرى لكان قائداً

عظيما حتى ان بعض ناقديه كان يعده فى بعض الاحيان متهوراً أو مفرطاً فى الاقدام وهذه الشجاعة سر من أسرار زعامته فالناس عامة يحبون الشجاع ويجلون قدر الجرئ فكانت شجاعته مكملة لما اتصف به من الصفات الاخرى والسجايا وكان اذا استقر فى ذهنه ان هذا الامر أو ذاك حق جاهر به لا يخشى لومة لائم ولا تزال حكايته مع الخديوى السابق محفوظة فى الاذهان مذكورة على السنة الذين وقفوا عليها حينها وسينقضى زمان طويل قبل ان ينسى الناس موقفه فى الجمعية الاقتصادية والخطبة التى ارتجلها هناك فى الساعة التى كان الحلفاء فيها خارجين من الحرب العظمى والنصر معقود بالويتهم وما تلا ذلك من مواقف مذكورة من ذهابه مع صاحبيه الى دار المندوب السامى وخطابه فيها للسر رجنلد ونجت الى يوم ابعاده الى مالطة وما عقبه من حوادث انتهت بابعاده الى سيشل ايام كانت الكلمة العليا لرجال السيف والحكم المبرم للمحاكم العسكرية

مكانته فى القلوب

فلا غرو بعد هذا كله اذا نهضت مصر كلها للقائه يوم عاد من اوربا فى المرة الاولى ويوم عاد منها فى المرة الثانية وهل ينسى الناس ذلك اليومين وقد ندر أمثالهما فى تاريخ مصر بل تاريخ سائر الامصار فهرع الناس الى البحر واصطفوا على خط سكة الحديد وملأوا شوارع القاهرة وميادينها وشرفاتها ونوافذها للترحيب بالزعيم الاكبر واظهار الولاء الخالص له بمثل ما تظهر الشعوب حين تزخر بحارها لتحمل من تريد أن تشيد بذكره على سفينة التكريم والتعظيم مكافأة على مابذله واعترافا بفعله وتنويهاً بنبله وتقديراً لفضله

وظل سعد قبلة الانظار وحبيب الامة الى أن توفاه الله بين الاصوات المتصاعدة بالابتهال بشفائه والدعاء له بطول العمر والعافية والاقبال ليواصل سيره العظيم وعمله المجيد

نزاهته وحياته البيتية

وعاش سعد باشا نزيهاً ما استطاع أشد خصومه ان يلصق بسمعته غباراً من تهمة فى هذه النزاهة وما كان للمال عنده من قيمة سوى أن يكون وسيلة لقضاء واجب أما حب المال أو السعى له لذاته فقد كان أبعد شئ عن خاطره ولذلك كان يمقت الرشوة والارتكاب وينفر من الذين يقدمون عليهما وكان فى أحكامه وهو قاض لا يبغى سوى العدل والانصاف فلم يطل به المقام حتى برز بين الاقران وصار يشار اليه بالبنان وكان فى معيشته البيتية قدوة الازواج وفى حياته العائلية وآدابه الشخصية مثالا للشبان والكهول وقد وفقته العناية الى قرينة فاضلة كانت أكبر عون له فى حياته وسراً آخر من أسرار عظمته وفلاحه

وقد قيل لما قلد منصب الوزارة للمرة الاولى فى رئاسة المرحوم مصطفى فهمى باشا انه مدين بذلك لارتقاء لحميه غير أن الذين يعرفون الحقيقة كما نعرفها نحن لاتصالنا بالرجلين اتصالا وثيقاً فى ذلك العهد يعلمون أن وجود مصطفى باشا فى رئاسة الوزارة حال فى أول الامر ولمدة طويلة دون اعطاء سعد حقه لان مصطفى باشا كان يستنكف من أن يقال انه سعى لترقية صهره وقدمه على سواه بحكم قرابته منه

سعد كخطيب

ليس من السهل أن ينعت المرء فى مصر باجادة الخطابة فالمصريون قوم أنزل الله البلاغة على قلوبهم وأجرى الفصاحة على ألسنتهم فاذا اشتهر أحدهم بالخطابة فذلك لانه استوفى شروطها الكاملة ولا نعرف فى هذا العصر من استوفى هذه الشروط استيفاء سعد لها لا فى اتقان صوغ العبارات واجتناب اللحن وسلامة النطق واكتمال الصوت وحسن الوقفة وقوة العارضة والمقدرة على الارتجال فقط بل بهذا كله وبادراك نفسية الذين يخاطبهم والوصول الى مخادع قلوبهم وجتذابهم

اليه بما حباه الله به من وسائل الاجتذاب وقد بلغ فى ذلك منزلة يعز بلوغها حتى لقد قال أحد كتاب الانكليز من الذين يعرفونه ويعرفون العزيمة العامة فى شأن العربية الفصحى يصف مقدرة سعد الخطابيـة فى جريدة من جرائد لندن عند الكلام على خطبته الختامية للدورة البرلمانية الماضية ما نصه « وان زغلول باشا كسائر الناس يكبر فى كل عام عن العام الذى قبله . ولكن الزمان عجز عن اضعاف قوته فى القبض على ناصية حسن البيان بالعربية ومقدرته ورقته فى الخطابة وهما الصفتان اللتان تخلبان لب سامعيه حتى ان الذين يسمعون خطبه ولا يستطيعون فهم كل عبارة من عباراته الحسنة السبك (من الاجانب) يطربون لسماعه يخطب فانه جمع فى شخصه جميع المواهب اللازمة للخطيب وعنده من عذوبة النكات أكثر مما يجد المرء عند معظم الخطباء السياسيين وخطبه طافحة دائما بالعبارات الرائقة والشائقة وسامعوه تارة يخشعون لأقواله المفرغة فى قالب الجد وتارة يطربون لنكاته البديعة التى تأخذ بمجامع القلوب »

وحتى كان سماع سعد يخطب من الامور التى تشوق الناس بقطع النظر عن موضوع الخطبة ولطالما اخترقوا نطاق البوليس واقتحموا الحواجز وحطموا الابواب والنوافذ ليسمعوا خطيب مصر المفرد ويشنفوا الآذان بعباراته البليغة وأقواله الساحرة

سعد والتعصب الدينى

كان سعد مسلماً شديد العقيدة بدينه وكان يفتخر بانتسابه الى الازهر ولكنه كان رسول الوطنية وقد أدرك باختباره الطويل ما فعل التعصب الدينى والمذهبى فى أمم الشرق وكيف انه أورثها الوهن وأدخل عليها الانقسام وفتح فى بلدانها الابواب والثغرات لتدخل الاجنبى عنها فى شؤونها فلما قبض على زمام الزعامة العامة آلى على نفسه أن يصلح هذا الفساد ويطهر مصر من جراثيمه فأظهر بالعمل والقول انه لايميز بين المسلم والمسيحى واليهودى فى خدمة البلاد والحقوق الواجبات

ونفذ هذه النظرية فى كل مكان استطاع ولا سيما فى أثناء رئاسته الوزارة . ومما يذكر له من الاقوال التى تنم على ما كان يكنه ان جماعة من السوريين المتمصرين زاروه بعد تأليف مجلس الشيوخ شاكرين على تعيين ثلاثة من السوريين المسيحيين أعضاء فى المجلس فكان جوابه انى لا أعرفهم بهذا الوصف بل انى أعرفهم مواطنين مصريين وعليهم ان ينهضوا بعبء العمل كما ينهض اخوانهم من سلالة المصريين القدماء فكان جواباً بليغاً يدل على علو الهمة وسعة الصدر وسداد الرأى وبعد النظر فى تعزيز روح القومية وتقديمه على سائر الاعتبارات

وسيكون تاريخ سعد متعدد الصفحات ولكن أبهى صفحاته فى نظرنا وفى نظر كل محب للشرق محيط بأسباب ضعفه وراغب فى اعلاء شأنه وتوحيد كتل شعوبه الصفحة التى تصف هذه العاطفة الشريفة التى حوت أنجع دواء لهذا الداء النضال الذى ما برح الشرق يئن منه ولا يزال يعض بلدانه فريسة له فان المثل الذى ضربه سعد للمصريين والشرقيين علم يهتدى به وهالة أحاطت بهامته وكللتها باكليل من المجد لا يزول ولا يفنى

سعد الزعيم الوطنى

المتصدرون للزعامة فى الدنيا أكثر من أن يحصوا ولكن الذين سلمت اليهم الامم أمورها وأسلست لهم قيادها لايجاوزون فى كل عصر عدد أصابع الكف فالشعوب فى صمتها وكلامها وقعودها وقيامها ترتجى من الزعماء كثيراً وتعقد عليهم أملا كبيراً وتحملهم أعباء جساماً وتسلمهم زمامها ولا تصطفى الشعوب لهذه الزعامة الا من ثبت لها اخلاصه وتجلت مقدرته وكفاءته وقام البرهان على صدق ولائه وحسن وفائه وطيب عنصره وتفانيه فى الخدمة العامة وعدم اكتراثه للراحة

وقد قبض سعد على زمام الزعامة باختيار هذه الامة فما تزعزعت ثقتها به ولا ضعف ايمانه بصحة قضيتها وكان سعد فى السن التى يلتمس فيها معظم الناس الراحة

من عناء العمل يفعل فعال الجبابرة ويستهدف للخطر والمشقة وشظف العيش لاهم له سوى هذه الغاية التى وضعها نصب عينيه فكان وفياً بعهده حريصاً على أمانته حافظاً للوديعة التى عهد اليه فيها واذا كان لم يفز بكل ما كان يرتجيه ولم يظفر بكل ما كان يتوق اليه فانه كان يتعزى برؤية الذين بث فيهم روحه ويقينه بانهم يواصلون هذا الجهاد بعده ولطالما سمعناه يكاشف الشبان برأيه هذا ويتمنى أن يتم على أيديهم ما لا يزال يطمع باتمامه اذا فسح له فى العمر وجاءت ظروف الاحوال مطابقة لما كان يشتهى

وكان سعد سابقاً لمعاصريه فى ماصوره له الرجاء من مصير مصر وقد استطاع أن يجعلهم يماشونه فى طريقه ويلتفون حوله ويطلبون ما كان يطلب ويغرس فى القلوب بذوراً رأى فى حياته نباتها وعروقها وزهرها وثمرها فقرت عيناه وطابت نفسه وعلم ان هذا الركب الذى ألفه من مجموع الامة سيواصل السير بعده الى الغاية المرجوة وهذا أقصى مايشتهيه زعيم وخير مايرتاح اليه من مكافأة وجائزة فقد خلف بعده أقطاباً يحسنون ادارة دفة هذه السفينة ونظاماً يسيرون بموأمة تقتفى خطواته وتقتدى بقدوته وتكبر حياته وتحترم وصاياه

سعد القطب السياسى

هذه صورة من صور سعد لايعرفها المجموع كما يعرفها الخاصة والذين كانوا متصلين به وكيف كان يحل المشكلات ويعالج المعضلات فى هذه الاعوام الاخيرة بيد الخبير القدير السياسى المحنك وكيف كان يدير دفة سفينة الاعمال بلا ضجة ولا ضوضاء ويشير بما يتبع من السياسات وما يحسن اجتنابه من الامور وكان يجود بما وعى فى صدره من الحكمة والاختبار وما فطر عليه من دقة النظر وسداد الرأى .
ومتى كتب تاريخ هذه الاعوام الاخيرة وتبين ما كان لسعد فيها من اليد فى تصريف الامور فسيعلم الناس مالا يعلمون الآن عن حنكة هذا الفقيد العظيم ومقدرته الفائقة

وما أسدى الى وطنه وقومه من الخدمة الجليلة والفضل العظيم واذا كانت أخلاقه وحسن سياسته تأبى الظهور بهذا المظهر حرصاً على المصلحة العامة فان لسان الحال ينشد فيه قول ابى فراس

سيذكرني قومي اذا جد جدهم وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

وقد كانت الآمال معقودة بفوز كبير على يده ويد الساعين الى اكمال العمل والمضى فى مهمة الاستقلال فعاجلته المنية وفى يده المشروع الجديد ينظر فيه نظر الثاقب فلا حول ولا قوة الا بالله

***

هذه لمحة وجيزة عن سير فقيد مصر والشرق يكتبها القلم الذى طالما سجل لسعد مواقفه الشريفة بمداد الفخر والرجاء يكتبها وفى القلب حرقة وفى العين دمعة على رجل وقف حياته على الخدمة العامة والمصلحة الوطنية واتفق ما وهبه الله من مواهب فى رفع شأن قومه وتعزيز مقام وطنه فاستحق ماقوبل به ولم يترك سوى الحسرة على ان الله لم يطل فى حياته ليرى أكثر مما رأى من ثمار جهاده ونشاطه وتفانيه ونزاهة قصده ولكن اذا ضم تراب مصر رفاته فان روحه ستظل ترف على هذا الوطن الذى احبه وتناجى هذه الامة التى اصطفته وترشد الذين يأتون بعده الى طرق الهدى ومحجة الصواب

واليوم سيحمل سعد على الاعناق ميتاً كما كان يحمل على الاعناق حياوتشيعه مصر الى مقره الاخير بين ترديد الحسرات وترجيع الزفرات وتواريه اللحد مذكوراً بفضله وعظم خدمته لقومه وسائر أقوام الشرق عزيزاً كريما تاركا ذكرى يعبق اريجها ومخلفاً أفضل مثال يحتذى ومردداً للمصريين عهده لهم على السعى لقضاء امنيتهم فاذا حال دون ذلك الاجل عهد اليهم فى اتمام العمل وسيقابل ربه بما اسدى وما فعل فى حياة طافحة بالمكرمات وجهاد زانه اكليل من المجد ضفره هذا الشعب الذى يعرف الجميل لذويه ويحفظ الفضل لاصحابه

فالى جنة الخلد ياسعد ورحمة الله عليك وعزاء لقرينتك الكريمة الامينة ولآلك وصحبك ذوى الفضل والنبل وللامة المصرية الحزينه عليك ولسائر شعوب الشرق التى تشاطر شعب وادى النيل حسرته فى هذا المصاب العظيم

فى ذمة الله

للكاتب الجرىء محرر الاخبار

كان لمدينة « أثينا » يوم حداد فكنت ترى نصب الالهة الحامية وقد تجردت من زينتها وغشيتها براقع السواد . والمعابد وقد غلقت أبوابها و « الاجورا » وقد هجرت . « والبنيكس » وقد صمتت ولا تسمع فيها غير صوت السكون والوحدة العاجزة عن التعبير والاهلين وقد حبسوا أنفسهم فى مقامهم نائين عن متاع الغرور . ولذائذ الغرور . مدبرين عن كل عمل ناشدين الوحدة . وقصارى القول كنت ترى أثينا وهى فى غير حركة وفى غير حركة وفى غير صخب وفى جمود تحاكى مدينة الاموات !

و ٢٣ أغسطس مساء ؟ كان هذا المساء لمصر كما كان يوم « البلنتيريه » لاثينا يوم حداد يوم صمت وسكون . يوم تنهدات وزفرات

فى منتصف الساعة التاسعة من مساء أمس سكت دوى مدفع القلعة الحصينة بغالبية الامة أمام طلقات القدر المحتوم . وسكون الموت هذا الذى أعقب فجأة دوى المدفع المستمر . فطلقات البنادق . فصفير القذائف المتقطعة . وفى بعض الاحايين كانت تنطلق فى سرعة وحشية على وتيرة سماعك صليل السيوف أو نية الملحمة لم يكن الا سكون التسليم للنفس الاخير بين يدى الله .

كان مقرراً أن يكون تسليم الروح فى فى منتصف الواحدة بعد ظهر أمس .

ولكن الروح الكبير والقلب الكبير جملا الحراس يجهلون مدى الحياة . ولكن عند ما انطفأت النار . عند ما توارت الشعلة أيقن الجميع أن الامل قد ذبل ثم محل وطار مع النعامة فى طيات دخان آخر قنبله من قنابل الحياة « أنا انتهيت » .

هنا شعر كل فرد بانقباض قلبه فى حسرة . هنا جفف البعض عيونه الواكفة الندية بدمعها . هنا كانت اليد المرتجفة الرعشة المحمومة العصبية تبحث ولكن فى الفراغ . وتدور ولكن حول المجهول . وتقبض ولكن على لاشئ ما اذا كان ؟ كان الاحتفاظ ولكن بالذهول !

كانت صولة الغلبة ! كانت دولة النصر! ولكن غلبة الفناء . ونصر الزوال. لم تخف خافية . والامل لم يكن غير خرافة سخية . فمنذ تبادل البرقيات الرقمية ما كان فى المقدور عقلا الوصول الى نجاح مقترن بفوز مبين يبنى عليه مجد حاسم لمصر. وتحتم بعقد المعركة وأراد الله إلا أن يظهر آيته ويقبض سعداً جواره وما كان فى الطاقة التسليم الا لله فحسبنا الله ونعم الوكيل

مات بالامس سعد فانا لله وإنا اليه راجعون وما عساها تكون تلك الحياة السعيدة ان لم تكن روحاً هادئة مطمئنة لاتغيرها حركات وثابة تخل توازن الصواب الابدى ؟ ومن الرجل الذى يكون بائساً تعساً غير ذلك الذى يخشى الموت والالم ما دمنا دائما محل نفاذ الاول ومهددين فى استمرار بتحمل غصص الآخر ؟ من الرجل الذى يخشى الموت عزيزاً ؟ ومن الرجل الذى لايؤثر على المذلة والعار فضائل حياة الخلود اذا لم يكن ذلك الذى قضى بحمة الاعتزاز بحقوق بلاده ؟

ما اذا يكون الرجل اذا لم يبخل على نفسه بالدراية والاحتقار والامتهان ؟ ماذا يكون اذا لم يقتحم باب الخلود عارياً عن زخرف الحياة رابياً بعزيمته قاسياً على شهوات نفسه . دكتاتورياً اذا ما استصرخه الضمير ساعة المعركة الحاسمة ؟

من ذلك الذى كان يأبى أن يكون مقعداً عاجزاً دون أن يكافح العبودية التى تحاول أن تفرضها عليه دولة قوية اذا لم يكن انسانا شاذا عن العاديين؟

. لقد كانت روح عالية تلك التى صعدت وهى فريسة شهوات عادلة لاغلاب لها وشمست ثم جمجمت فى اشمئزاز عن تقبل اكراه أو تعنت الا فى مرضاة خالقها وأجناء الرأس خضوعا وامتثالا لانتقالها من عالم أرضى الى عالم ملائكى بعيد عن للظلام وآثر الا أن يلاقى فى سبيل النور وجه ذى الجلال والاكرام

انجد أسعد من ذلك الذى استبشع البقاء فى العالم السفلى خاضعاً لمن يحترق فؤاده من نار شهوته وسما الى أعلى عليين على الضوء القوى لذبالته ؟.

لقد خيل للبعض أن القوم حكموا بأن البحر كان هادئاً عند مالاحظوا أن سطحه لم يكن ثائراً وان الرياح التى مرت عليه لم تحرك منه سبا كنا مع أن الروح منه فى طمئنان لاتتأثر بقلق خاص أو عام . ولكن ألا تستطيع أن تعتبر سعيداً وعظيما ذلك الذى يتألم فى غير ثورة و يتأثر فى غير حاجة الطبيعة الى تأثر من حظ قاس أو مصير مهلك ؟ .

لم يفهم سعد غير من خاصمه سياسياً وخاصمه للمصلحة العامة دون سواها . كان سعد رجلا وكفى انه كان كذلك نخلو مكانه فراغ يتعذر أن يسد فى حزبه بعد أمد طويل لان الرجل رجل لايعوض ولاقابل له أو كفء حتى يقبض على جمرة مبدأ حزبه . والمبدأ دين والقابض على دينه كالقابض على الجمر .

مصر تشيع الزعيم

للكاتب المحترم محمد الكوكب

بلغت الفجيعة منتهى عنفها حين اجتاز النعش يحمل رفات لزعيم القومية للصرية و بطل حركة التحرير والاستقلال . وتضاربت فى النفوس احساسات شتى نبيلة ووثبت مشاعر مختلفة تزدحم فى الصدور

هذا آخر العهد بالزعيم العظيم جثة هامدة يقطع آخر مرحلة من طريق الخلود وهذا أول العهد به ذكرى يعبق عبيرها تاريخ مصر الحديث

وماذا يأخذ الموت من الابطال والمجاهدين . انه ان ظفر بجيشانهم ، ومحى من الوجود صورتهم المادية ، فلن تمتد يده الباردة الى شخصيتهم المعنوية وماذا يملك الفناء من سير العظماء وحياتهم . انها تبقى رغم الموت وانها لتهزأ بالفناء

كلا لم يمت الزعيم

ان صفاته الممتازه وجماع خلاله الفذة لتشيع فى النفوس جميعاً . وستنحدر الى الاجيال المقبلة ففى نفس كل مصرى قبس من شخصية سعد ، وفى كل خلجة من خلجات قلبه يتردد احساس بثه فيــه سعد ، وفى كل جارحة لسعد صورة معنوية

نعم ، ان الشخصيات البارزة لا تورث ، ولـكن المبادئ إرث الشعوب عن الزعماء

هو ذا جثمانه يحيينا فى صمت رهيب ، وهو ذا الشعب يودع الفكرة مجسمة قد دب اليهـا الفناء ، وما يودع الا عرضاً زائلا ، فاما معانى الزعامة ، وأما معانى النضال ، وأما معانى الشرف والنبــل ، وأما معانى البطولة ، فازلية تعمر قلب كل مصرى ما بقى المصريون

ان للفجيعة بالعظماء طبيعة تختلف عن طبيعة كل فجيعة . لان العظيم مهيأ للعظائم مخلوق لظروف غير عادية ، وهو فوق ذلك موكل من قبــل الخالق لانقاذ شعب أو شعوب ، وأضــاءة السبيل بمشعل قدسى فان طوته المنون تفجع الناس وأحزنهم أنهم ليسوا أكفاء لاحتمال عبئه مجتمعين . ومن ثم تراهم يندبون حظهم ويبكون أنفسهم ، حين يندبونه وحين يبكونه

وما زالت فى الغرائز الانسانية نزعة الى حب الحياة فى صورتها البارزة الملموسة ، وهــذا تفسير حى لمعنى دفين فى النفس هو الشعور بخلود الانسان ، ولـكنه بعد شعور مبالغ فيه ، إذ الخلود للروح لا للجسد ، للمعنويات لا للماديات

والانسان بعــد هو الانسان ، قد يصبر للرزء ولـكنه يأسى ، وقــد يتزن

للخطب ولكنه يتألم ويختلف الاسى والألم باختلاف تقدير الفجيعة وتقديرها خارج عن طوق الارادة ، متصل بأواصر منها الواضح الجلى ومنها الغامض المستبهم

المصريون جميعاً فى حزن شامل لان كلا منهم يرتبط بسعد بأواصر مردها الى المليء ما أضافه اليه من معانى جليلة . هو الذى انتقل بهم مرحلة من مراحل التقدم ، ووثب بهم شوطا من أشواط التطور الى الامام . هو وسع أفق الحياة فاحتلوا طريفاً من أوضاعها وشهدوا من جمالها وفتونها ما حجبته عنهم عصور الظلم والاستبداد

هو حطم تقاليد رسخت فى المجتمع ، وفرقت الناس سائداً ومسوداً ، ووزعتهم طوائف وطبقات ، وجمعهم حول قدس الوطن أنداداً واخوانا ، وأنصاراً وأعوانا

هو الذى جعل الديموقراطية حقيقة عمليـة ، وأقنع كل فرد بأنه مسئول عن حاضر بلاده ومستقبلها

هو الذى سار بالبلاد فى متجه جـديد منحرفا بها عن طريق العبودية للحاكم المطلق ، وللآراء الوراثيـة العتيقة ، وللاحساسات الجامـدة المتعفنة ، ولليأس والاستخذاء والتواكل

هو الذى أطلق النفوس من سجنها لتحلق فى الفضاء اللانهائى ، وأطلق العقول من حيزها المتواضع ، ولقحها بالجرأة والحكمة لتنفذ الى الصميم وتستشف الاغوار

شيع المصريون جيلا بأسره

شيع المصريون عهداً حافلا بالعجائب والامور الخارقة

شيع الشعب من سوده ، وجعله يشعر بأن له كرامة وحقوقا يجب أن يموت دونها

شيع الشبان فتى الجنان شاب الوجدان

شـيع الـكهول شيخاً اجتمعت له التجربات ، واستلهم الحوادث حكمتهـا والمحن عبرتها

شيع الفلاح فلاحا جعلته عبقريتـه مثالا فذاً للعظمة غير المحدودة ، ورفعته مواهبه الى أسمى الدرجات فوثق الفلاح بأنه خلق خلقاً جديداً ، وأنه ليس تلك

الـكمية المهملة يتحكم فيها من شاء بما شاء

شيع رجال التشريع حجة متفقها استوعب روح القانون، وابتكر نظريات ومبادى

شيع أولياء الامور من كان فى منصة الحـكم اماماً عادلا حاذقا نشيطا ، يضع الواجب فوق المصلحة ، لا بل كأنه قد من حديد ، يضطلع بأثقل الأعباء ويطلب المزيد ! ويعمل فى الوظيفة للجمهور لا لنفسه

شيع المجاهدون رمز الـكفاح ، والتضحية ، ومضاء العزيمة

شيع أهل الطوائف المختلفة من وحد الصفوف حول هيكل الوطن ، وجمعها على دين الوطنية ومبدأ القومية

شيع الشيوخ رجلا منهم هدته قريحته الى التحرر من قيود الرجعية فاحبوه واحترموه ، وساروا على دربه طائعين أو مجبرين ، وحمدوا له أن ما أصابهم من نعمة الخروج الى النور كان على يد فرد منهم اختصته العناية بكسر قيودهم

شيع النساء خير زوج وأفضل رفيق فى الحياة وابر مصرى بالعائلة ، واسبقهم الى رفع مستوى المرأة والاعتراف بما لها من حقوق

شيع الاجانب جميعا صديقا ومضيفا لا تنسيه الصداقة حق بلاده ولا تذهله عن أفهام هؤلاء النزلاء ان مصر اليوم غيرها بالامس وان المصرى ند لأى فرد من أبناء البلاد المتحضرة

شيع الوزراء أول وزير مصرى عمل بوحى ضميره لا بوحى قصر الدوباره

شـيع النواب والشيوخ أعرفهم بواجب النيابة ، وأرسخهم قـدما فى فهم معنى الدستور

شيع الامراء أميرا سودته خصاله النبيلة

لـكن أرواح الشهداء والضحايا استقبلت من شاد بذكرها ، وعرف لها اخلاصها ووفاءها لبلادها وأخضل أجداثها بالدموع

ففى ذمة الله ، وفى رحمة الله

أ كانت مصر فى حلم ؟

فهذى دهشة الحلم ؟

للكاتب الفذ مصطفى صادق الرافعى

مات الرجل الذى كان مخلوقا لاحلام السياسة المصرية حتى كأنه كتاب يقرأ فيه التاريخ الذى لم يخلق بعد ، وكأنه رسم بيد الله على طريقة المصورات الجغرافية فى قياس وتدقيق لترى فيه مصر الحاضرة اين تذهب بها خطوط الغيب والى اى النواحى يمد بها القدر

مات الرجل الذى كان يفرح الناس به فرح اهل المشكلة اعضلت حتى استيأسوا منها وتناولت كل قلب بعقدة هم ومدت على كل وجه خيطا من كآبة ؛ ثم يصيبون قدرة الله فى رجل عظيم مرسل منه سبحانه لقدره فى الحادثة العظيمة فاذا الرجل اسمى منهم ومن نفسه لانه أمل وتيسير ولانهم فى حاجة وشدة

مات سعد فيا رحمة الله لسعد

ا كانت مصر فى حلم من أحلامها انفرج فيه ستار الغيب فاذا سعد قد اطلع عليها واذا هى قد ظفرت مما فوق المادة برجل فى احدى يديه السحر وفى الاخرى المعجزة ، ثم انسحب الحلم فاذا للرجل مواقف يندمج عندها فى قوة السكون فلا يزال يمضى فى الحوادث ويعزم حتى تقول انه رجل من اقدار ، ويضئ للسياسة ويظلم حتى تقول انه رجل من ليل ونهار ، ثم تنفس الحلم فاذا البطل جبار من هذه الاعاصير واذا هو يطير فكاد كل ما يلمسه على الارض يطير ، ثم يتضرم الحلم فاذا عبقرى كالجمرة الملتهبة لايقال انه يعيش بل يحترق ، ولا يجتمع فيه النور الا ليتبدد ويفترق ،ثم يتندى الحلم فاذا رجل من الرقة كالروض فانت منه فى نسائم عطوره . واذا كتاب من الفكاهة لو ترجم الى الطبيعة لكانت الازاهر من

سطوره ثم تهافت الحلم فاذاما جاء من النور قد غاب فى النور ثم اضمحل وتلاشى فاذا الغطاء على عينه الدنيا كلها قبر من القبور ؟

يا رحمة الله لسعد كان رجلا ما نظر اليه انسان الا بعين فيها دلائل احلامها كانه شخص فكرة لا شخص انسان فاذا رأيته كان فى فكرك قبل ان يكون فى نظرك فانت تشهده بنظرين احدهما هذا الذى تبصر به والاخر ذاك الذى تؤمن به

رجل كانما كان يمسك فى جسمه زلزلة فهو ابدا يرج ما حوله ، فلما مات انطلقت فتركت الامة على هزة عنيفة تشعر كأن معانى الحياة يرجع اعلاها على اسفلها او يوشك ان يرجع

كان قوة عامة لا بد من فعلها كل حى تحت هذا الافق حتى كان معانى نفسه تنتشر فى الهواء أو كانه محطة لبرقيات الهية يخاطب بها قدر قدراً أو تدعو منها حادثة حادثه . قوة مرسلة لا يمسك ، ماضية لا ترد ، مقدورة لا يحتال لها بحيلة ، فلا يقال فى مثله ان له محاسن وعيوبا بل محاسنه هى محاسنه من انه قوة ثم لا بد له من ضعف الانسان لانه خلق انسانى . وتكاد معايب الرجل العظيم تكون ظلال حسناته فهى منها ولن تكون الا بها

فاذا كان لسعد هنات فليست من خطائه ولكنها طبيعة من ناموس النور الذى كان فيه

يارحمة الله لسعد انما كان رجل الشعب فكان كل مصرى يحس انه يملك فيه ملكا فيشعر من ذلك ان له كبرياء وعظمة وطنية

كان الذات المتسعة التي لا يعرف لها معاصروه حدودا لانها ذات التاريخ المتشعبه من الماضى والمستوعبة للحاضر والمترامية الى المستقبل ، وفيها ذكرى المجد الوطنى والعمل له والامل فيه

وكان من قومه فى اكبارهم واعظامهم كأنه واياهم رجل خلق وصنعوا ، أو رجل صنع وخلقوا ، لا بد من ان يباينهم حتى فى وجوه الشبه بينهم وبينه ،

وبذلك بلغ ما لا يتناهى اليه الامل وكانت قاعدة تمثاله الشخصى تماوب أمة كاملة

يا رحمة الله لسعد اذ يجود بنفسه وتزمزم شفتاه « انا انتهيت . انا انتهيت »

اقسم ما تكلم سعد بابلغ ولا ابدع ولا ادق من هذه الكلمة على اقوارى انه خطيب الشرق ولسان العربية

انتهى منه ما يسمى « انا » ليبتدئ فيه ما يسمى « هو »

انتهى الذى آخر حدوده الذات الفانية ليبتدى الذى أول حدوده الفكرة الخالدة

انتهى مما كان ابتدأ فى التاريخ ليعمل بالتاريخ فيما لا ينتهى

انها بلاغة خرجت فيها روح عظيمة فلهى منطوية على سردقيق حتى كأنها جملة وقعت من السماء فعليها روعة الوحى وفيها دقائق الاعجاز أو هو اقتبسها من لغة الخلود ليرسلها لامته فى آخر حركة من حركات لسانه يقول :

انا انتهيت أما انت ياأمتى العزيزة فباقية فاعملى ولا تيأسى

انا انتهيت اما انت ياأمتى العظيمة ففكرى كل يوم ان تبدئى فى الحياه بدءاً جديدا

(انا انتهيت) اقولها ياأمتى لتعلمى ان وصاتى الاخيرة اليك ان لا تقولى ابدا انا انتهيت انها كلمة الموت

يارحمة لسعد وسلام الامة فى سلام الله عليه

الى الراحل العظيم

فى دار النعيم والخلود

للكاتب الاجتماعى محمد السباعى

وكذلك هوى ذلك الكوكب الوقاد من فلكه أحوج ما نكون الى لألاء

اشراقه وسناهدايته ! وكذلك تحطمت تلك السفينة الصلبة المتينة فجأة على صخور القدر المخبوءة وخلفت ركبها مشرفا على الهلاك ولهان حائراً يتلمس أسباب النجاة وسائل الحياة ؟ وكذلك خفت ذلك الصوت الرائع الذى كان سم الاعداء ونسيم أرواح الاولياء — الذى ملأ انحاء الوجود دويا سيبقى صداه الى يوم القيامة ؟ وكذلك رحل عنا الزعيم الاجل والامام الاعظم وخلفنا تقول « والهفتاه ؟ وا حسرتاه ؟ ويابؤس القدر الجائر لوكان مدفى أجله وأطال حياته ؟ » ولكن الاجل محدود وأيام الانسان فى هذا الوجود معدودة ، وماذا يصنع الانسان وماذا تصنع الامم والشعوب اذا تراءى شبح المنون وسط ضجة معترك الحياة ودافق تيارها الزاخر ، ماذا تصنع اذا ظهر لك الرسول الشاحب المخوف المرهوب وأشار باصبعه فى صمت وسكينة ؟ ماذا يصنع المرء سوى أن يطرح من فوق عاتقه كل مهمة ومسئولية وينفض يديه من كافة شؤون هذه الدنيا مهما كبرت وعظمت وكان معلقاً عليها تحرير الشعب واستقلال البلاد ومستقبل الاوطان ، ثم يلبى نداء ذلك الرسول المهيب ويمضى ؟ لا مناص من إجابة ذلك النداء سواء أ كنت أعظم عظيم أو أحقر حقير ، ولوان تاريخ العالم بأسره كان متوقفاً على ساعة من الزمن لما مد فى أجلك هذه الساعة

فى سبيل الله وفى سبيل العلياء والمجد والخلود تلك الجهود العظيمة والهمم الثاقبة والمساعى الضخمة ، فى سبيل الخلود ذلك الروح الكبير الطاهر السامى الذى كان لنا مبعث الامل والرجاء وموقظ الهمة والمضاء ، ومستحث القوى والعزائم وكان الموئل والمعاذ فى البأساء والعزاء ، وفى الازمة الدهماء والمحنة النكراء

فى سبيل الخلود أيها الراحل العظيم ، لقد كنت فينا الطود الراسخ الباذخ تعصف الزوابع الهوجاء من حول هامته الشماء فلا تحرك من سكينته ولا تستخف من رزانته ، وتزلزل لمن حول ساسه الارض فلا ترعزع من رسوه وثباته وقد سمت

قمته العلياء فوق سحب الغايات والاهواء وضباب الميول والاغراض وواجهت شمس الحقائق مرفوعة شماء . .

لقد كنت أيها البطل الخالد تسير بسفينة الوطن فى بحر السياسة المسفاف المعصاف المتقلب الخوان تتنكب بها مكامن المهالك ، وتتوخى بها المأمون من المناهج والمسالك ، تدير دفتها بيد مباركة ميمونة رائدها التوفيق والنجاح تمكن فى أسرتها أسرار الحذق والرفق والمهارة تؤم بها مرفأ الفوز والنجاة

وكنت فى مجاهل السياسة المخوفة تقود شعبك مجتازاً به متاثه الاضاليل والاباطيل تؤم به أفق الاستقلال المشرق المنير ووادى الحرية الطاهر المقدس ،

وكنت من فوق زوبعة السياسة الثائرة تقلب مقلتى صقر وتصفق جناحى نسر ساكن الجأش ثابت الجنان ، تصرف بيد حاذقة صناع أعنة الحوادث وأزمة الاقدار كأنك الملك الحافظ الأمين ، كلما ازدادت الحادثات عسفا واعتسافا ازددت سكينة وهدوءا

أرى ساكن الاوصال باسط وجهه * يريك الهوينا والامور تطير

وحبذا مواقفك المشهودة مع جبابرة ساسة الانكليز فى حومة الخصام والنضال اذ تعلو عليهم بذرابة المنطق وشدة العارضة وخلابة البيان ، واذ يخيل لمن شاهدك وسمع نفثات سحرك المبين أن سلطان البلاغة والافحام قد اتخذ بين شفتيك عرشه واريكته

وكأن تحت لسانه * هاروت ينفث فيه سحراً

وقد كنت فى تلك الزوابع السياسية وفى هاتيك الغيوم والادجال المدلهمه وفى مضطرب تلك العناصر المتكاثفة والعوامل المتنافرة تمضى فى سعيك المجيد وفى سيرتك الباهرة مضاء الصارم المصقول والكوكب المشبوب دائب الكدح موصول الكد ليل نهار كأنك ينبوع قوة لاينفد وشعلة لظى تأبى أن تخمد ، تملأ فضاء ارض رونقا ونوراً . فى سبيل الله تلك القدرة النادرة العجيبة التى لا يكاد

يصدق بباهر آياتها وروائع معجزاتها الا من شاهدها بعيني رأسه ممن من الله عليهم بكريم عشرتك وصحبتك من صفوة آلك وصحبك ومريديك واتباعك ، طوبى لهؤلاء لقد فازوا بصحبة رسول الوطنية وأبصروا الخوارق من بينات آياته ورأوا إلى أى حد قد تبلغ قدرة الانسان وعظمته . فى سبيل الله أيها البطل الخالد ! لقد كانت ساعتك كعام غيرك رشهرك كدهره .

إلا أن خلقك ومولدك وظهورك فى هذه الاوطان وعلى مسرح حياتها لم يكن عفواً كما هى الحال فى شأن الملايين العاديين أمثالنا انما خلقك القدر وابدعك وأظهرك على مسرح الحياة المصرية الوطنية لحكمة عظيمة ولغرض سام نبيل ، وذلك أنه أعدك لتلك الازمات والكوارث التى أصيبت بها البلاد من جراء طغيان ظالميها وغاصبي حقوقها ، لتكون درعها التى تتحصن بها وسلاحها الذى تذود به عن نفسها وتدافع

وكذلك ما كان الله ينذر على الشعب المجاهد المطالب بحريته من غير أن يؤزره بالرجل العظيم وقت الحاجة ، ولا يزال كلما وقع مثل هذا الشعب فى الازمات والمضايق أسرع الله الى غوثه ومعونته فاسعفه ببغيته وضالته اذ يسوق اليه بطل الساعة ، فارس الميدان وحامى الحمى وحامل اللواء ، فلا يزال ينافح عنه ويذود عن حياضه حتى يستنقذه من الحضيض ثم يأخذ بيده ويهديه سواء السبيل

تلك عادة الله وسنته فى صلاح العالم ودوامه ولن يعدل عنه الايوم يريد بهذا العالم العطب الفساد والخراب السريع والدمار العاجل

حبذا خطبك الرنانة أيها الخطيب المصقع والمنطيق المفوه اللاعب بالالباب تقرع بها أوتار السرور تارة واوتار الحزن تاره ، تبعث منها آونة الاسف والاسى وآونة صيحة الحبور والطرب وأحيانا تستل الاحن والسخائم وتستأصل الاحقاد والضغائن وتملأ القلوب اليائسة رجاء واملا ، والنفوس الجازعة أنسا وجذلا ، وكنت اذا اخذت فى حديث خيل الينا انك تصب تيار روحك الزاخر فى

أرواح سامعيك فتملك نفوسهم وتستحوذ ألبابهم وتقتاد الافئدة بأعنتها ، حتى تتضاءل الجموع الحاشدة فى حضرتك المهيبة المؤنسة ويلذ لهم أن يغمسوا أرواحهم فى معين بلاغتك الفياضة ويرتشفوا رحيق بيانك المزرى برحيق السلاف . وكأن الساعة من ساعات خطبك وحديثك غرة كوكبية فى جبين الزمان ، وكل ما عداها من الساعات أوقات وسن ورقاد ، لله خطبك وأحاديثك ما أجدرها ان تعد أعمالا عظيمة ووقائع مظفرة فائزة لا مجرد كلمات وألفاظ ، اذ هى فى الواقع كهرباء العمل والنهضة فهى تنطوى على القوة الدافعة الى الاعمال والجهود وهى شبه بما يرسمه قادة الجيوش من الخطط والخرائط وما يصدرونه من أوامر الكر والفر والدفاع والهجوم . وكذلك الخطيب الحق إما ان يكون قد جاء لأمر عظيم لاستنهاض جماهير سامعيه الى استئصال جيوش الاباطيل والاكاذيب والى افتتاح عوالم جديدة من المذاهب والمبادئ (واذ ذاك تكون خطبته دعوة الى الغزو والجهاد) والا فأولى له أن يسكت فيريح نفسه ويريح سامعيه

لهفى عليك لقد كنت آية فى خلابة المنطق وسحر البيان ، لقد كان مقولك الخلاب كالمزهر الرنان استوعبت أوتاره جميع الانغام من أخفت جرس التحية والتسليم وأرق كلمات الملاطفة والفكاهة الى أعلى صيحات الغضب وأشد صرخات الوجد والحمية فقد جمع الى ضحكة الجذلان ، زفرة الولهان ، والى ايجاز المكتفى باشارته ، اسهاب ابن المقفع فى يتيمته وكنت تستخف سامعك بسحرك الحلال وتزدهيه حتى ليكاد يطفر فى الهواء ويطير فى الجو

وأجل وأعظم من ألفاظك العذبة وكلماتك الحكيمة ما انطوت عليه تلك الكلمات والالفاظ من سر روحك الكبير ، من حرارة الوجدان ونار العاطفة والشعور ، ففى هذه يكمن سر الخطابة وتأثير الخطيب . لقد كانت هذه النار وهذه الحرارة تنتقل بطريق العدوى الى الجماهير من سامعيك وتسرى فى أعصابهم وتجرى فى عروقهم ، فتندفع بهم الى حيث تشاء وما تشاء الا الرشد والهدى والسداد

لقد كنت المليك المسيطر على الافئدة والنفوس ، النافذ بحدة الذكاء الى أعماق الارواح العليم بذات الصدور المطلع على مكنونات الضمائر ، وكنت طبيباً بادواء النفوس خبيراً بعللها وآفاتها لديك لكل جرح بلسم من فتنة البلاغة ولكل كلم مرهم من عذب الكلام فنون شتى من البيان ، تداوى بها فنونا شتى من الآلام والاشجان

فى سبيل المجد الخالد قوة خطابتك التى تغنى بذكرها الركبان ، وتحدث بأعاجيبها كل قاص ودان

لقد كان جمهور سامعيك يظل بين يديك كالآلة الموسيقية بين يدى العازف المطرب ، فكنت تعزف على أوتار القلوب كما يعزف المطرب على مزهره ، فتستثير من أفانين الاحساسات والعواطف مثلما يستثير ذلك من أفانين الانغام والالحان — تارة تسكن ثوائر الغضب والحنق وتطفئ نيران الكمد والجوى وتارة تطمئن القلوب وتهدئ الخواطر وتارة توقظ الهمم وتسل العزائم تسر وتحزن وتبكى وتضحك ، ان شئت لويت بالطرب الاعناق ، وشققت بالفكاهة الاشداق ، وان شئت استذبت بالعبرة العبرات ، واستثرت بالعظة الزفرات .

والآن وقد انطفأت تلك الجذوة المتقدمة خبا ذلك الشهاب ، فلا تحسبن ان نوره قد زال ، بل انى لأبصر فضاء الدنيا لا يزال مشرقا بنور حضرتك القدسية ، وأرى شمسك الراحلة قد خلفت على آفاق هذا الوجود شفقا ولكنه شفق دائم

سعد

للكاتب الفاضل عباس حافظ

بالامس كتب الموت آخر سطر فى أضخم مجلد . . ووسد الثرى أكبر

رأس جبار فى هذا البلد ، وصمت أبلغ لسان وأفصح منود . . صمتة الابد

بالامس سكتت أوتار صوت اجش عميق رنان مزود . . وتداعى بنيان صرح شامخ ممدود ، وهوى اى الحافرة من سماء الانسانية الكوكب الفرقد . .

وبالامس قبض الله اليه البطل الاروع الاسد ، وأطفأت يد المنون شعلة الذكاء المتوهج المتوقد ، وفجعت مصر كلها برحلة سعد . . الى سفرة قصية لا مرجع منها ولا مرد . وكذلك عدت على آية الحياة آية الموت

بالامس قضى خطيب الوادى فى رنة صوته الساحر من فوق ذؤابة المنبر ، اطالما جاش خرير النيل بين مد وجزر ، واصطخب موجه غضبة صادقة لحق مصر ، اصطخاب فيض النهر الجياش العظيم فى مهبطه من فوق المنحدر . وها هو ذا النيل جاء يحمل من المنبع البعيد رسالة « الوفاء » ، يوم أوفى صاحبه الزوال عن واديه على آخر نسمة متحشرجة فى مجرى الصوت .

وا أسفاه . . نعم فى امس عزت على المفوه المنطيق قوة المنطق ، وحصر اللسان النضاح الفصيح المتدفق ، وارتج فى محضر المنون الخطيب الذى يتفتح له رتاج القول الجامع الطلى اللبق ، واغلاق الخاطر الرائق المونق . . وفى أمس ياويلتا عجز سعد أن يحرك بالكلم لسانه ، وينثر على الناس من در بيانه . وكان صوته قبل أمس يتردد فى أرجاء المغرب والمشرق . صوت الاخلاص والوفاء والاباء والحق ، يصرع به الباطل فتأخذه من رهبة الصيحة فاذا هو زاهق .

بالامس قضى أخطب الخطباء قرابة اليوم أو اليومين يحاول اللفظة أو اللفظتين ، فلا يتخرك من فمه غير شفتين مختلجتين ، وغير عينين تدوران فيما حوله حوامتين جوانتين ، ولا تتصعدمنه غير أنفاس خافتة راجعة من رئتين مكروبتين ملتهبتين . . وكانت شفتاه من قبل ترسلان فى حنايا الضلوع ناراً ، وتبعثان الى أعماق النفوس من بلاغة المنطق لظى وأواراً . . وكانت عيناه قبل أمس تلمان بالافق كله شهاباً رصداً وكوكباً سياراً . . وتطلعان على الندى بأسمتين ضاحكتين تنتظمان

الصفوف مجالا ومداراً . . وكانت أنفاسه و يح نفسى ، مجمع أنفاس الصدور وخلاصة مهاب الارواح ورواداً . . وقد جاءه الموت ليلا فى سكنة الطبيعة ولم يجئه نهاراً ، فى غفلة من الارواح التى اتخذت بيته موئلا وداراً ، وجعلت منه لهدايتها مأذنا عاليا ومنارا ودخل عليه الموت من اذنه ولم يدخل عليه من قلبه تقاة منه وإكبارا ، فكأنما « استأذن » عليه سراً ولم يستأذن لمقدمه جهارا . ولقى سعد مطالع الموت وقلبه ينبض كأهدإ ما كان ينبض من قديم ثباتا ورباطة واصطباراً ، بل لقد تلقاه لقاءه النذير الذى جاء يحتمله الى المنفى القصى قسوة واقتسارا . ويوم ألقى عليه الآثم المفتون من قذيفته فى بهرة الجمع رسول الموت رصاصا ونارا ، ثم يوم الوعيد الاكبر إذ دخل عليه الجبار شاكى السلاح عزة بالاثم واقتدارا . . وكذلك مات سعد موتة البطل ولم يقض ضعفا . مات جثمانا ولا يزال له من حياة الروح فى كل نفس سلطان وأثره ، وسيظل فى الخاطر حياً آخر الحياة ، ومخلدا يد الدهر .

مات سعد . لنا الله . أحقاً مات سعد وانتهى . أحقاً لن نعود فى غد نراه فى الجموع خاطراً ، وفى المواطن الشداد واثباً ظاهراً ، وفى دار الندوة متهادياً متألقاً ، وفى حومات الجدل ومطارحات الرأى فياضاً متدفقاً . أحقاً لن نعود نسمعه فى الحى ولن نشهده . ونفتش بأعيننا عنه فى الخطوب الجسام فلا نجده ، ونلتمسه فى ملايين الاحياء فيقال انزل الله له سلم الموت فصعد ، وأسكنه مقاصير الفردوس وخلده . ثم يقال فى مختتم ذلك وا أسفاه حسبكم فى اصطفاء الله له برد العزاء ، وفى حضور روحه معكم وغياب جثمانه عنكم جميل السلوة عن النكبة الفادحة النكراء . وفى صفوة صحبه وأنصاره وأوليائه نعم الخلفاء انهم الصادقون الاوفياء . ولكن هيهات . ان سعداً قد مات . والف سعد من أنصار سعد المطبوع الساحر العظيم لا يأتون من مثل آيت الكبرى بعشر آيات بينات . ولا تقع حسناتهم الا صغاراً بجانب تلك الحسنات ، إذ أين أيها الناس ابن الطبيعة المفطور وأين ذلك البحر المسحور ، والصوت الرهيب الجياش الزخور ، وأين النغم الشجى ، واللحن الفياض الآتى

وأبن الزعيم الاكبر: — وحاسرتاه فى مدارج الكفن ، وكان بالامس المبعوث بوحى من الله لنهضة الوطن ، وكان خلاصة خمسة آلاف من الاعوام تمخضت كلها عن مولده ، ومجد مصر القديمة كلها اجتمع برمته لتكوين مجده ، بل لقد كان صورة تمثلت لحما ، وجرت فى كيان آدمى دما . وكان فاتح سجل الشرف الوطنى ومدون آيات الفخار ، لوثبة واحدة للخلاص من ذل الاسار ، وكان أمل أربعة عشر مليونا من خلق الله يفيض به قلب رجل واحد وتضطلع به نفس واحدة ، تشدها عزمة ماضية وراء أثبت عقيدة . فاسألوا نصراءه أهم مغنون عنا من فجيعة فقده ، وسلوا صحبه أهم بالغون مكانه من بعده ، يجبكم جمعهم . إننا مثلكم سنعيش فى غد على الذكرى ، ونحيا فى قادمات أيامنا على الدرس والاسوة والعبرة ، ونتولى الامر فيكم على هدى تعاليمه وروحه ، ترف على الوادى بالعشى وتفرضه قبل مطلع النهار وصبحه . وسنستلهم ذلك التاريخ العظيم سداد الرأى فى الملمات ، ونستوحى ذلك الايمان المغيب جثمانه فى الثرى الخاطر الصائب يقيمنا من العثرات والكبوات . فقد فقدتموه وفقدناه ومحال والله أن ننساه ، وهيهات أن تذهب بما آثره يد الدهر من صفحات القلوب ، وأن كان سعد فى الغياب ليس يؤوب

نعم قضى سعد وانتهى ، وما طلب من قبل الراحة ولا اشتهى . وقديماً كرهنا المكاره وأحبها ، وخشينا الصعاب وما خشيها ، ورفعناه فى ذؤابة الامة ووكلنا اليه موثق الشعب ، لاننا نعمنا بالراحة ونعم هو بالألم التعب ، وكذلك أبى سعد أن يذعن لمطالب عافيته وصحته ، أو تحسين منيته ، وها قد حانت منيته

لقد قضى سعد وانتهى فمن فى غد البادئ من حيث منتهاه . مصر كلها بأذن الله

بين البيت والقبر

القاهرة اليتيمة

للكاتب الشاعر عباس العقاد

من نسيج الاحلام ومن تعلات الغرور هذه الحياة . ينتقل المرء فيها من منظر الى منظر ومن حادث الى حادث كما ينتقل النائم من رؤية الى رؤية ومن أضغاث أحلام الى أضغاث أحلام ، فالقاهرة التى شهدت يوم سعد منذ ست سنوات هى القاهرة التى شهدت يوم سعد منذ يومين ، والجموع التى توافت للقائه الاول هى الجموع التى توافت لوداعه الاخير . ولكن شتان داع وداع ، وشتان لقاء ووداع ، وما أبعد البون بين المشهدين حتى فى حلم الحالمين وأوهام الواهمين

أصبح الناس يوم الاربعاء وأكثرهم لايعلمون من أنباء الرئيس الفقيد الا انه قضى النهار متعباً كما يتعب كل مريض فى بعض أدوار السقام ، وكما كان يعتريه التعب رحمه الله فى بعض ساعاته ثم ينصل منه ويعود الى جهاده محصد العزيمة مستجمع المضاء ، وقد كان من خوارق حب هذه الامه لسعد وشعورها بحاجتها اليه ولزومه لها انها كانت تقدر كل شئ وتنتظر كل شئ الا أن رجلا فى السبعين أضناه الجهاد والالم واصطلحت عليه الاسقام والعلل يمكن ان تدركه الوفاة وينفذ فيه قضاء الموت فى كل مولود ، فاذا وسوس لهم هذا الخاطر مرة فى بعض ساعات الاشفاق والحذر أخطروه فى أذهانهم ليستولوه ويستبعدوه ويطردوه الى ناحية سحيقة من الفكر لاتقبل المناقشة والتفكير ، وسلموا بان الموت جائز على سعد كما جاز على الابطال والعظماء من قبل ولكن كما يسلمون بالقضايا العقلية لا كما يسلم الانسان بأمر له وقع وأثر فى عالم الحقيقة ، فلما شاع فى مساء الاربعاء ان الرئيس يعانى من مرضه بعض العناء غلب الامل على النفوس فى هذه المرة غلبته عليها فى كل مرة ، ولم

يهأ أحد أن يتوجس من هذا التغير فى حالة المريض العزيز شراً أو يتوقع من ورائه النهاية المحذورة ، إلا الذين كانوا على مقربة من سرير السقام فقد أخذ يتسرب إليهم الروع من صباح ذلك اليوم وخالط رجاءهم جزع الخطب المداهم وشك المزعزع المستفيق ولكن حتى هؤلاء ظلوا يرجون فى وجه اليأس ويعرضون عن شبح الموت متغاضين أو متجاهلين ، فلما انتشر النبأ المشئوم صباحاً بوغت به الناس وتلقوه بين مصدق ومكذب وهم لا يعلمون كيف يصدقون وكيف يكذبون ، وعز حتى على الذين سلموا واستسلموا للحقيقة التى لا مناص منها أن يوطنوا قلوبهم وأخلادهم على هذا التسليم ، فان سعداً ملء تلك القلوب والاخلاد يعمرها ذكره ويتردد فيها كلامه وعمله ، ومن أصعب الصعب على النفس أن تصدق أو تقبل ان إنساناً ينقضى ويموت وهى تحسه هذا الاحساس ويمتلئ به هذا الامتلاء ، فالعقل فى تحليله وتعليله يقبل هذا ولا ينكره أما النفس المهيجة فلها منطق غير هذا المنطق وفى أعماقها صوت يقول لها أبداً ان الحياة التى تمرها بالمحبة والاعجاب لا تموت ولن تموت

وأخذ الناس يتجمعون ويتفرقون بغير وجهة وعلى غير هدى ، ثم عرفوا لهم وجهة يتجهون اليها حين قارب موعد التشييع وآن أوان الشروع فى تنظيم الجنازة ففريق منهم وجد مكانه على جوانب الطريق من بيت الامة الى القبر الذى يوشك أن ينزله صاحب ذلك البيت ورافع مناره وقبلة زواره ، وفريق منهم قصد بيت الامة ليشترك فى تشييع الجنازة أو ليتزود النظرة الاخيرة من الرفات المسجى فى نعشه وما اقتربت الساعة الاولى بعد الظهر حتى كانت القاهرة كلها ومن قدم اليها من الاقاليم محشورة بين البيت والمقبرة . بين دار سعد وقبر سعد . فلا يتحرك السائر فى تلك الطريق الا تدفعاً وزحاماً ولا تقطع مسافة الدقائق منها الا فى الساعات ثم كانت اللحظة المرقوبة المرهوبة : لحظة ينزل فيها الفقيد الراحل من بيته الى غير عودة لحظة يفارق فيها سعد البيت الذى ردته اليه الامة كلما ابعدته عنه قوة الاقوياء وشدة الاشداء — ولم يدر الشعب انه سيرده اليه كرة أخرى ليسكن فيه بجثمانه

وذكره كما سكن فيه بجثمانه وحياته

افاق الناس . سعد يبرح داره ! سعد يفارقهم الى غير لقاء ، يا للهول القاصم ويا للفزع الاكبر ، كأنما نسوا هذا ، كأنما كانوا فى حاجة الى مذكر به فوق ما هم فيه من كآبة وذهول ، عادت الحقيقة اليهم جائحة فادحة فى صورة ذلك النعش الاخضر يتحدر من بيت الامة فى تؤدة وسكون ، نعش سعد وفيه سعد لا شك فى ذلك ولا مراء ! فيا لها من لحظة تطيش فيها العقول ويذهب فيها حلم الحليم وصبر الصبور ، صيحة واحدة لا فرق فيها بين رجل وامرأه ولا بين شيخ وغلام أحزمهم فى تلك اللحظة من ذكر الله وصاح لا حول ولا قوه إلا بالله ، وما يقولها وهو يفقه لها معنى ويتأسى فيها بأسوه ، وانما هى كلمة مقولة فى هذا المقام تنبعث من الافواه عفواً فتختلط بالصياح الممزق والانين الصارخ المذبوح

ثم سار النعش تتعالى الاصوات حوله ويتصاعد النواح ، ويا عجبا لمنطق العواطف فى موقف الحزن والبلاء ، اختلف المشيعون بعد فتره فسكن فيهم من سكن واتصل الضجيج من الآخرين فأما الذين وقفوا على جوانب الطرقات فقد كانوا يتلقون النعش ويودعونه بالتفجع والعويل لانهم علموا انه الوداع الذى ما بعده وداع والفراق الذى ما بعده لقاء وأما الذين مشوا خلف النعش فقد علتهم السكينة وطواهم رواق واسع من الصمت والوجوم فلا همس ولا ركز إلا خفقات الاقدام وزفرات الألم المكتوم . أتراهم أنسوا بالفقيد الذى ما يزال بينهم فنأى عنهم هاجس الفراق وعاودتهم طمأنينة اليقين بالقرب من سعد إلى حين هو ذاك فيما أخال . فانهم ما انقطعت عنهم هذه الطمأنينة المختلسة عند جامع قيسون وما شهدوا النعش يتحرك من مكانه ليذكرهم باقتراب مغيبه حتى ثارت الثائرة الهاجمة وتدفقت الجماهير كالسيل الآتى الى الفقيد المنذر بالرحيل . هذا سعد بين أيديهم فلماذا يسلمونه للموت ولماذا يفرطون فيه هذا التفريط ؟ لا عقل هنا ولا تدبر ولا نصيحة ولا إصغاء هذا سعد ونحن نريد سعداً فمن ذا الذى يحول بيننا وبين ما نريد ؟

هذا سعد ونحن نريد سعداً فلماذا نرسله بأيدينا الى ذلك المكان السحيق ؟ كذلك تفكر العواطف المجنونة اذا عصفت بالعقل محنة الحزن الاليم وأقسم ما ناب هؤلاء الهاجون الى أماكنهم لانهم ثابوا الى الرشاد وانما رجعوا عن بغيتهم كما يرجع السيل صدمة السد القوى المتين رجعوا لان الشرطه نافحوهم هنالك حتى عجزوا وتقهقروا فأمدهم الجيش بكل قوته التى رابطت حول ذلك المكان

ثم عدنا الى المدينة الى القاهرة بغير سعد الى القاهرة اليتيمة فوالله للقاهرة فى تلك الليلة أشبه بوحشة القبر من ذلك الضريح الذى تلقى الأنس والطمأنينة فى رفات الفقيد المتروك ووالله لقد كانت الاسماع يطرقها كل صوت فاذا هو بكاء ونحيب وقد كانت السيارات الذاهبة الآيبة تهتف بابواقها فى وسط تلك الوحشة فكأنما هو نعيب متصل ينطق به قلب يشعر ولسان مشلول عن المقال

تنقضى أيام عديدة قبل أن يوقن الناس بقلوبهم واخلادهم ان القاهرة مكان لا يرى فيه سعد وتنقضى أعوام عديدة قبل أن يقوم فى هذه المدينة رجل مقام سعد و بيت مكان بيت سعد ويرى الناس غداً تمثاله الشاخص يذكراه فيذكرونه كما يذكر كل عظيم عند أثره الماثل بعد مغيبه . ويذكرونه مرة أخرى لانه الرجل الذى جعل الوطنية فضلا تعترف به حكومة الوطن وترمز له ببناء النصب ورفع التماثيل وقبل ذلك ما كانت الوطنية إلا جريمة يقول فيها القانون رأيا وتقول الامة والمروءة فيها رأيا سواه — وسيعلم التاريخ اليوم وغداً انه بيد سعد استطاع أن يقيم تمثاله ويدعو الامه إلى واجب تخليده ونعم اليد الخالدة يد تعمل فى الحياة والممات وتلمس الامة فيها مجدها حين تلمس لصاحبها مجده القائم المشهود

لذكرى سعد

للدكتور منصور فهمى

بعد خمسة أسابيع ابتليت فيها باشد ما يبلى المرء من محن يمثلها فقد الابناء ومرض الأعزاء . بعد خمسة أسابيع شداد هجرت أثناءها القلم فى معقله حتى يتولى عنى شبح الآلام والأحزان ، وتقشع عن نفسى سحائب الهموم والاشجان . بعد خمسة أسابيع أمد يداً واجفة لقلمى ثم احصر ذهناً مشتتاً واجمع لباً مبعثرا . بعد خمسة أسابيع كدت أنسى فيها القلم و ينسانى القلم لأخلد لشئ من الراحة يعود اليوم راعى ليتحرك حركته ، ويئن أنته . و بعض الأقلام لاتتحرك إلا لآلام الناس أو آمالهم وهل كان لقلمى أن يسكن واليوم فى القلوب ضجة وهل كان لقلمى ألا يهتز وفى النفوس اليوم رجة ؟؟

***

يموت الناس كل يوم وما كان لقلم كاتب أن يتحرك لموت من يموت لكن الأمم عندما تهتز لموت عظيم من عظمائها حق على كل كاتب ان يرسل كلمته و يسكب عبرته . وعندما تقف الامم وقفتها فى الحادث الجليل حق على كل قلم أن يرعى الوقفة ويرتجف للرجفة — وهاهو سعد زغلول قد مات فى هذا الاسبوع ولم يتلق الناس نبأ موته كنبأ كل موت لان موته دويه فى مصر كل موت ولان حياته كانت فيها اليوم فوق كل حياة . كل الناس يعيشون ويموتون . ولكن بعض الناس يعيشون للعظمة ويموتون فى العظمة . وفى حياة العظيم وموته مدد للاقلام ونور للافهام

إذن لموت سعد وأمثال سعد تتحرك الاقلام لتسجل شيئا عن العظمة الباقية وانى لاسائل اليوم قلمى ماذا تراه اليوم يسطر عن سعد وحول ذكراه ؟؟

أأ كتب عن شخص سعدوقدعشت بعيداً عن شخصه وسواى ممن يعرفون شخصه أولى بالكتابة منى فى ذلك واحق ؟ أم ا كتب عن دقيق سياسته وواسع خبرته وجدير حنكته ولسواى ممن اشتغل بالسياسة أولى بالكتابة منى فى ذلك وأحق ؟ أم أ كتب عن حياتموتاريخه،ولغيرى ممن عاشروه وخالطوه أولى بالكتابة منى فى ذلك واحق ؟ أم أ كتب عما كان للراحل الكريم من العظمه والقوةولغيرى ممن مستهم عظمته فعظموا ومدتهم قوته فاشتدوا لهم أولى بالكتابة منى فى ذلك واحق ؟

***

يعلم الله وبعض الناس اننى ا كبرت سعداً واعجبت به وكنت ا كتفى بهذا الا كبار والاعجاب عن بعد دون ان اتخذ الوسيلة لادنو من سعد أو أن اقرب اليه

ويعلم الله وبعض الناس انى كسواد المصريين اقدس المبادئ الوطنية والديمقراطية لكن كنت ا كتفى بتقديسى لهذه المبادئ وتعظيمى لحامل لوائها دون ان اتخذ من وطنيتى أو ديمقراطيتى مايدنينى من موضع الزعامة

ويعلم الله وبعض الناس أنى بقيت وصديقى لى مكروها اذ أدينا واجباً استوجبناه على أنفسنا لسعد ولم نتخذ من أداء الواجب سلما نرقى به للوصول اليه

لكن مالى اتكلم عن أمور يعلمها الله وعلم الناس بها أو جهلهم إياها لا ينفعنى ولا يضرنى عند ضميرى وعند ربى فى شئ

فلأستوح اذن ما استقريته من تاريخ الرئيس — بنفسى دون واسطة بل لا ستوح تاريخ دقيقتين أو ثلاث وهل أنا إلا من هؤلاء الذين لم يجمعهم القضاء بالرئيس إلا دقائق معدودات وهل أنا إلا من هؤلاء الذين أخذوا على أنفسهم ان يحبوا العظماء لله وفى الله ويقدروا العظماء لله وفى الله وهم بعيدون عن حظيرتهم وما كان ابعدنى عن سعد شخصا لشخص وما كان اقربنى اليه عند تقديرى له

وتعظيمى لمبادئه

وحسبى ان ارجع الى ذكرى بقيت فى نفسى من دقيقتين مع الراحل الكبير اذ ذهبت مع اخوانى أساتذة الجامعة القديمة عند عودته من مالطه ولما استقر بنا المجلس أخذت اتكلم فى حضرة الزعيم بفيض من الحماسة عن حاجة الامة لاستقبال حياة جديدة فى أسلوب نظمها وتفكيرها ثم أخذت اتكلم عن الديموقراطية التى تنبت فى انحاء العالم وكان كلامى تتقطعه نبرات الشدة المتاخمة للتهور فلحظ زميلى (ضيف) ذلك وأراد ان يلقى فاصلا قد يتحول بعده مجرى القول أو يخف اندفاعه وتدفقه فقال : « ان منصورا رجل ثائر و . . . » وما كاد يسير فى القول حتى نظر الرئيس اليه وقال : « وأنا احب الثائرين » ثم أخذ يتكلم فى رقة ولطف وحكمة عن وجوب الاخذ بالحديث مع مراعاة حرمة القديم

ثم مرت الايام وتعاقبت الحوادث وتفرق الناس شيعا وأحزابا لخدمة الوطن وكان كل ذلك دون أن تجمعنى الظروف بالزعيم وكان شأنى فى ذلك كشأن أكثر الناس اعلم عن سياسته ما يعلمون وأسمع عن تدبيره ما يسمعون وأقرأ من عباراته وأقواله ما يقرءون لكن من نحو عام مضى التقيت بصديقى السيد الثعالبى الزعيم المغربى فألح على أن أصحبه الى دار النيابة حيث كان على موعد مع الزعيم المصرى فسرت على أن أنتظره بقاعة من قاعات البرلمان حتى يفرغ من قصده ولم أبق فى قاعة الانتظار طويلا حتى أقبل على النائب عزام ليدخلنى عند الرئيس وكنت أتوقع ان يلقانى الرئيس بفتور وقلى لانى كنت أسمع انه ليس يرضى على من لا يترددون على داره وأنا أعرف من نفسى انى ابعد الناس ان اتردد على دار أحد إلا دار صديق صميم للصداقة وروابطها فكنت وأنا ذاهب اليه اخشى لقاء لا ارضاه . لكن ما كنت أدخل على الشيخ الجليل حتى رأيته مبتسما هاشا باشا فسلمت وطلب الى أن ادنو من مجلسه فدنوت وأخذ يسألنى عن أمر الجامعة فتحدثت بما شاء الله ان اتحدث ثم سألنى عن شئ فى حياتى الخاصة فأجبت بما

أراد الله ان اجيب وكان يبسم وتبدو عليه الراحة لما أقول ثم سألني عما اذا كنت من أنصار فلسفة التفاؤل أوفلسفة التشاؤم وقلت : «بل أنا يا مولاى من المتفائلين» فتهلل وجهه حينئذ ببشر نورانى وتحرك بجسمه وذراعيه حركة يملؤها الشباب وقال والسرور يفيض من تجاعيد وجهه : « وأنا كذلك من المتفائلين . أنا من أنصار فلسفة التفاؤل » . ثم استأذنت بالانصراف فأذن الى أن أعود . لكن أراد القضاء أن أظل كما كنت أدعو للرئيس بالتوفيق وأنا بعيد وأكبره وأنا بعيد ووقر فى نفسى من تلك المقابلة ان سعداً رجل الثورة هو رجل متفائل يثق بنفسه ويثق بالله

ولعل فلسفة التفاؤل التى كان الرئيس من أشياعها توحى الى الذين يتشاءمون بعد موته ويخافون ان تلين الامة عن حقها ونهضتها بل ويخافون ان تفشل الريح وينضب معين القوة المحركة . أقول لعل فلسفة التفاؤل التى كان من أشياعها الرئيس تذكر الناس ان المبادئ القويمة متى انبتت نباتا حسنا فانها تقوى باذن الله على النمو حتى تؤتى أكلها ناضجة . مات محمد بن عبدالله النبى (صلعم) وتذبذب بعد موته من تذبذب لكن الله أعز دين محمد ومبادئه رغم المتذبذبين ومات سعد ومات فريد ومصطفى والامة تسير فى وطنيتها دون ابطاء فى السير ودون ارتخاء فى الهمة ومن الحب لسعد ومن البر بسعد أن يتفاءل الناس بمبادئ سعد ومبتغاه فلا يأس ولا هلع ولا فتور بل الى الامام دائما الى الامام

***

فيا أيها الراحل الكريم الذى كان الطريق الى بابك واسعاً أمامى ، قريب المنال منى دنيا الى خطواتى ولكنى وقفت عنده دون أن اغيره وقيدت نفسى لا كون بعيداً عن حضرة الكبراء وزعماء الساسة

ها أنا اليوم اقطع بروحى الى روحك طريقا بعدها السموات والارض لان عظمتك وأنت فى الموت اكثر استعباداً لنفسى من عظمتك وأنت فى الحياة

ها أنا اتوجه بقلبى الموجوع وبقلمى العابى المضطرب بين أصابعى وبذهنى

المكمود و بعقلي المشتت

ها أنا اتقدم بكل ذلك لاذكرك بما فيك من عظمة وأطاطئ الرأس اجلالا لذكراك

أحقا عباد الله ؟!

للنائب الجرئ حسن يس

لا يملك الطرب المحزون منطقة ودمعه وهما في قبضة الطرب
غدرت ياموت كم افنيت من عدد بمن اصبت وكم اسكت من لجب

« المتنبي »

أحقا عباد الله انه اودى سعد ؟ ثم أحقا انه نزل من الطابق العلوى لبيت الامة — بيته — محمولا على اطراف النفوس واعناق الرجال على غير عادته ، ثم وضع (وهو الذى بكلمة منه طالما خفض ورفع) ثم وضع على صهوة مدفع ما كان سبيله فى جهاده اجر زعامته وقيادته . حتى اذا قضت العيون اللبانات فتحجرت ، والقلوب والافواه الاوطار فانكمشت والجمت تحركت الجياد بسعد وليتها ما تحركت فضجت مصر الخالدة لمسير مصر الفانية ، وطبقت السموات العلى على الارض السفلى فاصبحنا لا ندرى املائكة رحمة نحن ام قوم معذبون ، وتعثرت الحيوانات العجم يومذاك فى اشباهها من بنى الانسان من فرط الهول والذهول . وهكذا سار املنا الصادق يتهادى وسط حديقة من نبات شتى تعهده ثمانى سنوات طوال فكان لريه غيثا وسقاء ولانمائه هواء نقيا وحرارة وضياء ، ولذيوعه ونشر اسمه فى الارجاء عطرا نماما ومندلا وكباء — حديقة صوحت ونشرت مصر الميت عليها ظلال الفناء والحزن (فورودها) امتقعت الوانها وشرقت بدمعها اما الاشواك فقطعت

القلوب وشقت منها المآزر والجيوب (واغصانها) اللدان يبست لاحتطاب وعبست بعد بشاشة لاكتئاب (ودوحاتها) الكبار زلزلها ذلك العاصف فخفت بعد وقار ،وخشعت بعد علو واستكبار (وحشائشها) بل اطفالها الصغار قد سكنوا بعد دائم حراك ووجموا و بهتوا للطامة الدراك . هذه مصر يوم الرحيل ظلت متمسكة باهداب هذا الامن وذياك الرجاء من عن يمينه تارة وشماله . من ورائه ومن قدامه ولقد خطر لها فى بعض الميادين ان تتخطفه ومضت فى هذا الخاطر الى ان صدها عن تحقيقه الجند المدججون بالسلاح وما فعلته اذ فعلت الا اعتقادا من الجماهير المتأججة بانه سيدفع عنها جثمانا كادفع روحاوانسانا ، والارغبة منهم فى استعراض هذا الجسد الطاهر ليفتر سواقيه آية الموت كما فجر فيهم ينا بيع الحياة اوكما يفعل الاوربيون باقيا لهم والابطال العظماء . فلما حان الوقت المحتوم والابد الغشوم : وقت التغييب فى الرمس وابد التفريق بين النعش وتوأم النفس يومئذ اسلمناه الى ربه راضيا مرضيا وخررنا من المرارة والجهالة والوحشة بكاء ونعيا . . خرج سعد من بيت الامة فابى العلم الذى لاقى فى سبيل رفعه المنا فى والحتوف الا ان يهوى فى ذلك اليوم والا ان يكون لوفيه دثارا عن دون الاوسمة والنياشين . خرج الى ميعاد كما بشرتنا بذلك الوزارة الشعبية وسيكون رجعة انكاء للقروح وأوجع . و بعد فهل رأيته وهو عائد من اوروبا جهادا ونفيا اذن فتصور التصفيق خشوعا والتحديق دموعا والتهليل جأرا واجهاشا والهتاف انقباضا وارعاشا لكنه سعد فى الخالين يأبى الا ان يكون شعبيا والا ان يتزود منه الانسان وغير الانسان ولعله فى خروج القصير يريد ان ينعمر من (الامام) اليباب والخراب وان يرجع بالجواهر والتيجان ذلك الرمل والحصى والتراب .

مولاى الرئيس . لمن غيرك يكون الخطاب و بهذين اللفظين اللذين الممتها الهاما يوم خطبتك فى حفلة شبرد للطلبة واللذين جرى بهما اللسان فاصبحا لك فى السر والعلن وفى الموت والحياة . واخيرا بل اولا أتى الامر الذى كنا نخشاه ان يتم

بخاطرنا مرا حتى اذا فكرنا فيه بعد سماح لانفسنا بل و بعد حساب مات على شفاهنا ولم نستطع له ذكرا مت يامولاى وعزيز على ان اذكر هـذا وكنت امنى النفس بانك ستعزى فى من بعدى لكنها الغير غارت عليك فقضيت ونحن نتهيأ للقائك كما وعـدنا الاطباء ومت ونحن ننتظر نتيجة ابحاثهـم وتشاورهم ليطمئنونا عنك ، فاى وفاء فينا وقد وقف قلبك الكبير النباض فلم تقف آمالنا ورحنا بك ولا زلنا نروح ونغدو لحاجاتنا وغيبت فى الترب حليف الصفائح والكثيب وفراشنا وثير وعيشنا ممهـد والفت الدياجى ولما تزل الشموس والاقمار والسرج وللشاكى تضئ وترسل الحرارة والحياة

مولاى ؟ أأقف منك هـذا الموقف انا الذى طالما جثا على ركبتيه امامك وانحنى على يديك يغمرها لثما وتقبيلا أأقف على القبر وانت فى احشائه ! انت الذى ملأنا حياة وملأنا فقـدك موتا : انت الذى دفع بنا الى حياة الكفاح والجهاد فلمحنا وقار الحكمة فى شيخوختك وفتاة الشباب فى عزمتك وشبوب النار فى ناظريك وهذا البحر بين شدقيك

مولاى انا لا أرثيك فقد رثيت نفسك فى قولك انا انتهيت ولا ارثى فيك المعالى العظام فمنك افادت وبك ازدهت ويكفى ان أقول انك كنت اكبر من زمانك فما استوعبك ولاوسعك وان ازمنة تأتى من بعده لتضيقن بك

ويذكرك ويكفيك انك كنت قوة الامة متجمعة فلما مت تفرقت شعاعا وقلما تجتمع ثانية فى واحد ؟ ذلك مالا اظنه وما هو على الله بعزيز مولاى . ها أنذا ادعو ولا من مجيب وابكى ولا من مكفكف لهذا الغروب هذا نور يخطف الابصار قد كلل الضريح وغطى على الازهار هو من شعاع العقول هو من صفاء القلوب هو من شغاف النفوس هى اسراب الارواح التى هجرت اربابها محيطة بك و بقبرك وارسلت عليهم الهم والغم والاسى والكآبة !! انا نراها من خـلال غيم الدموع ان كانت العيون ترى بغـير قلوب او عقول فردها الى اصحابها ياسعد

لحظة علها تستطيع ان تفكر فى العمل الذى بدأت فعشت له ومت بدائه . انك من القلوب فى الدماء ومن عقولنا فى الضياء بالليل حلمنا الطروق وفى النهار فكره الوثيق وهل كان كلامى مع مولاى يوم رأيته آخر الايام يدل على احساس سابق بما سيكون . كان كلامنا فى الشوق وكان من رأى مولاى انه يدنى من المشوق فأجبت مولاى بما يفيد انه كلما طال أمد عدم اللقاء كلما كان الشوق اشد وأكثر وها قد بعدت الشقة وتوعر الطريق فبرح بنا الشوق وربما اقتادنا الى التلف . استغفر الله بل الى جنابك الرحيب وحنانك الفسيح فانك لم تضق باتباعك حيا يا مولاى بالرغم من الاحراج فكيف وأنت فى جوار الواسع الجوار

أى ربى (١)

أن مصراً لن تمس بضر فقد أحياها سعد

بعد ممات وأيقظ شعورها بعد سبات ووحد عناصرها بعد تنافر وشتات وهى التى انجبت سعدا وهو الذى بذر البذرة الصالحة فليس بمستنكر عليها وعلى بذره ان يهيأ للعالم سعدا آخر .. ولننتظر

مولاى لقد مرضت فلم نعدك ولم نزرك ففى عيوننا رمد . وتأوهت فلم نستمع لاهاتك ولم تقطع نياط قلوبنا تنهداتك ففى آذاننا وقر ثم غبت عن الوجود من فرط الالم واسلمت الانفاس الاخيرة فلم نكن هناك لنتلقى هذه الانفاس المقدسة فبنا خبال وبالدنيا قبح لاجمال .. بلى قد كانت هناك صفية ام المصريين وانها لمسكينة حقا اذ حلت المصيبة الكبرى عن هذه الامه وابت بعد ذلك ان تحملها اياها بل ساهمت فيها وخرجت منها بالقسط الوفير ! واى عزاء واى صبر فيك او عنك لصفية ياسعد مولاى . ثم وان كانت بك وبنا حاجة للصحو . ثم كارها فلقد نال منك

(١) للنائب الجرىء فكرة اعتراضيه أساسها ثورة الحزن فمحوناها اذا انا لا نوافقه عليها — « م »

الموت فى لحظة ما لم تنله الدنيا وعسفها وجبروتها فى اعوام بل فى آباد . ثم وداعا يا ابانا ولا اقول الى اللقاء فلقد عرفتنا الايام عقبى الدعاء والى هنا انتهى وان لم يكن ثم منك انتهاء . . والوداع الوداع ولدكم الملتاع — حسن يس

هجع جبار الوادى

للكاتبة الاجتماعية الانسة (مى)

الى أم الشعب الحزينة الباسلة ، الى السيدة صفية

سعد زغلول ، أقدم هذه الكلمة باحترام « مى »

فى « كلمات » قاسم امين التى جمعها ونشرها أصحابه بعد وفاته كلمة شائعة بين الكاتبين،وهى انه « فى ١١ فبراير ١٩٠٨ يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل هى المرة الثانية التى رأيت فيها قلب مصر يخفق . وكانت المرة الاولى يوم دنشواى »

هذه الكلمة تلخص فيها تاريخ وجيز حصيف . ولو شئنا اليوم ان ندون كلمة من نوعها دون علو ولا استسلام عصبى للحزن الشامل لقلنا ان سعداً سيطر على قلب مصر ثمانية اعوام متوالية . فكان مولى ذلك القلب يثير فيه ما شاء من انفعال وحماسة ويبعث فيه ما اراد من رضى واستسلام

ثمانية اعوام هى صفحة تاريخية وهاجة وقصيدة حماسية رائعة وعلواء جليلة باقية فى عمر امة كان سعد شاعرها و بطلها ومنشدها وموقعها فطرب لها المصرى وغير المصرى على السواء وتأثر بها الموالى والمعادى فقال كل قولته وعزز كل فكرته . ضرب سعد على وتر حساس جوهرى هو وتر الوطنيه والقومية والحرية والاستقلال فتحركت معه عديد الاوتار وتنبهت فى الامة الاستعدادات

وللمواهب والمطالب

ثمانية أعوام كنا نتصفح خبر مثيلاتها فى تواريخ الامم السابقة واللاحقة فنغبط اهلها عليها ونتساءل هل لشرقنا او لقطر من اقطاره ان يعرفها فى ادواره الحديثة فاذا بسعد يخلقها فى مصر خلقا واذا بصوته العجيب يشيع فى اجوائها فيوجد الروعة رهيبا و يبعث الحمية عاصفا و يطبع القلوب على اليقين متصلبا و يطلق على الشيوخ والشبان حياة واحدة دافقة من كل صوب فى تنوعها. وان عمد ذلك الصوت الاخاذ الى التريث والترفق تمددت منه اصداء تلتصق بقلوب النساء فتثير فيها مع حب الاوطان ظمأ التحنان وتهتاجها لاستماع كلمات الولع والهيام

ثمانية اعوام هى أعوام اليقظة. حقا ان سعداً شاعر اليقظة و بطل اليقظة وخطيب اليقظة وزعيم اليقظة . وفى اليقظة جميع عوامل الحياة وآمالها وشعائرها واسرارها

أهو الذى حبا مصر بهذا الفيض الحيوى أم هى التى امدته به فقوى بقوتها ونطق بلسانها وسطا بسلطانها ؟

أهو الشاعر يأتى للسامعين بالوحى العجب فيستهو يهم ام هو الجمهور ينفث فى الشاعر بما يصبو اليه و يتطلبه ليذوق النشوة و يحلق مع مبدعها ؟

لا ريب ان الامرين مترابطان متفاعلان. فللجمهور ارادة صامتة واماني راكدة وحياة يريد ان تتجلى وتتوزع فى سبل الخير والنفع والجمال على انه فى حاجة الى شخص فرد يدرك مقاصده ويلمس ممكناته فيحسن تكييفها وينشرها امامه جلية واضحة . ولذلك الفرد بعدئذ ان يظل مستوحيا تلك الامال مستندا على تلك الارادة التي هى ميدان تصرفه ومرح اقتداره . وحذق سعد كل ذلك واعتلى منصة الزعامة فاذا بالفلاح الصغير وقد أصبح معبودا لامته وقائدها واذا بمنزل الرجل المصرى الواحد اوقد انقلب « بيت الأمة » باسرها

وسرعان ما تناول العوامل المحيطة به فاستغلها خير استغلال وارسلها الى قومه

مشاعا ممتزجا فى حياتهم اليومية . فالعلم المصرى الذى غرس مصطفى كامل حبه فى ابناء جيله صار فى عهد سعد شعارا نابضا اشركته الامة فى احزانها وافراحها وكان للعلم المصرى دورخطير مثله فى هذه الاعوام

والقومية المصرية التى كان احمد لطفى السيد (الذى نتمنى له العمر الطويل والهناء الكثير) اول كاتب مصرى دعا اليها وقال بتجردها من الصبغة العثمانية على ان نجمع بين العنصرين المصريين المسلم والقبطى تلك القومية كانت يد سعد عاملة على توثيقها كما كان صوته خطيبها القدير .

وتحرير المرأة الذى نادى به قاسم امين فاثار تلك الزوبعة الهوجاء حققه سعد فى اشارة واحدة وأيده لسانه فى خطب كثيرة كما قدم منه مثالا مبينا فى شخص المرأة الواحدة التى تعيش فى ظله فى شخص حرمه المصون السيدة صفيه زغلول

***

لم يكن هذا الرجل يوم مصرعة باعظم منه فى أى يوم من أيام هذه الاعوام المتلظية ان قصيدة « اليقظة المصرية » متماسكة متكافئة فى جميع مقاطعها كل مقطع وفقا لطبيعته وأحواله فكانت الخاتمة منها خليقة بالمطلع ومثله زاخرة بالامال والاحزان والهتاف والعبرات

ولقد احسن مجلس الوزراء بل هو قام بالواجب فى ما قرره بالامس لتخليد ذكرى الفقيد تخليدا « حكوميا » (ان صح الوصف) على الوجوه التى ارتآها فتمثال سعد يجب ان يكون قائما فى ميدان عظيم فى كل من القاهرة والاسكندرية . ولا بد أن يقوم كذلك فى مسقط رأسه . ويجب ان يعالج المرضى فى مستشفى سعد ، وان تسمى المدارس والملاجئ باسمه والبيت الذى ولدفيه « كبيت الامة » يجب ان يكون فى عداد الممتلكات العمومية والآثار الغالية وان يجمع فيه كل ما تداولته يد سعد فى حياته على ان تبقى كل اداة فى موضعها وان لا يتغير شئ فى مكتبه وغرفته عما كان يوم وفاته

هذا بعض مايصنعه المحبون للراحل المحبوب اذ على يد سعد ظهر من قلب مصر ماهو انفس من التقـدير والاحترام والاكرام ظهر الحب والتعلق والعبادة . ان مصر مصراً « بحب » زعيمها كما قالت « الاهرام » وسعد هو الرجل المحبوب . ولا يوقظ هـذا الحب الحار الطويل العتيد فى قلب كبير الامن كان ذا قلب كبير يملك ان يحب حبا طويلا حارا عنيداً

ان سعدا هو فتى مصر المحب المحبوب فى حياته وفى مماته

غـدا يتناول أساطين القلم والتاريخ عمل سعد السياسى والدولى بالتمحيص والتحليل بعد أن شغلوا بهذا الموضوع أخذاً ورداً ثمانية أعوام تترى . اما أنا التى كان لى منها حظ أبناء جيلى ، حظ اليقظة ، أنا التى لم اكتب عن سعد زغلول جملة واحدة فى حياته ، أود اليوم أن أذكر له ثلاثة أفضال لا غنى عنهـا فى يقظة شعب يفتح عينيه لنور الحياة ، فقدر أن تتم بهذه السرعة على يد سعد العظيم

انى كنت من أول المتأثرين بحمية هذه الاعوام . وفيها انشأت أدرك معنى الـكلمات الحيويه وأفهم مصاعب الشرق ومصائبه . فيها شعرت باحتياج الى وطن وتألمت لعاطفة الغربة الوجيعة وان كنت لا أخشى التكرار فاذكر اليوم لسعد زغلول هذه الايادى الثلاث فلان فى كل منها حرية أعظم من الحرية السياسية وافعل . ولان ما فى مصر فى البلدان العربية الاخرى من ارتباك وسوء تفاهم ومعالجة هذه المشاكل هنا بارادة الزعيم الاعظم جعلتها أقل عسراً فى غيره من الاقطار

الامر الاول هو الجمع بين عناصر القطر بلا تفريق فى العقيدة والطائفة ومزجها فى قومية مصرية واحدة . فسعد المسلم المصرى الصميم كان أرحب ادرا كا وأشمل تقديراً لمعنى القوميـة بمعناها العصرى الذى هى صائرة حتما الى انمائه مع الزمن ، وجمع الامة كتلة واحدة فى يقين واحد وأغراض متشابهة للجميع

الامر الثانى هو تحريك الطبقات وفتح السبيل لمن كانت السبيل مغلقة فى فى وجوههم وتمهيد الطريق لبروز الشخصيات التى لولاه لظلت مجهولة فى المرتبـة

التى ولدت فيها. ففعله من هذا الجانب فعل نابليون ـ على ما بينهما من بون شاسع ـ الذى حرك قوى الفرنسيس وقلب نظام المراتب فخلق الشخصيات الجديدة ويسر الظهور لغير الظاهرين المعروفين

والامر الثالث هو تحرير المرأة . فباسم سعد اجترأت المرأة المصرية على رفع صوتها وتحت لوائه سارت مواكب النساء فى الشوارع وهتفت بحياة الوطن وللحرية والاستقلال . وفى ظل سطوته تلقى الجمهور اسم المرأة وهتافها وتعود أن يستمع لمطالبها فى تهيب واحترام ولولا ذلك لكان زاريا واجما وهل من عامل اقدر على تقدير المرأة من أن الزعيم العائد من المنفى تلك العودة الفخمة المنصورة — يستهل خطابه فى فندق سميراميس شكراً على احتفاء عظماء قومه به فيقول « سادتى وأرجو ان ابدأ خطابى فى محفل قريب بقولى « سيداتى وسادتى » . لان للمرأة المصرية قسطا من الفخر فى جهاد الامة » فيقابل هذا الكلام بالتصفيق الحاد المتواصل

وهل من عامل أقدر على السفور من أن يدخل الزعيم سرادق السيدات بعد عودته من المنفى فيأبى البقاء فيه الا إذا اسفرت السيدات المجتمعات لاستقباله . وسابقت يده لسانه فى ما أراد فمد يده ضاحكا رفع الحجاب عن وجه اقرب السيدات اليه . فكان ضحك وكان تصفيق وكان تهليل واسفرت الحاضرات بعد ذلك التعجب فكان ذلك اليوم عنفوان تحرير المرأة . وفهمنا منه قول قاسم امين فى تقديم كتابه « المرأة الجديدة » الى صديقه سعد زغلول :

« فيك وجدت قلبا يحب وعقلا يفكر وارادة تعمل »

« انت الذى مثلت الى المودة فى اكمل أشكالها فادركت ان الحياة ليست كلها شقاء وان فيها ساعات حلوة لمن يعرف قيمتها »

وكانت حرم سعد أولى من تجمع حولها قلب الجمهور فألف تقدير المرأة فى هذه الاعوام فخرجت فيه غير مرة خطيبة وأعلنت عليه البيانات موقعة باسمها وكان يوم سفرها للاجتماع بزوجها المنفى لا يقل حماسة عن أى يوم من اعظم ايام

الانتصار لمصر فى ايامها المشهودة وسفرت فى صورتها فرأينا مثالا من السفور الكريم والجلال الذى لا يلجأ الى تظاهر أو تصنع او دعوى

***

اليوم يوم النفى يا زوجة سعد اليوم يوم الوحشة . اليوم يوم الاغتراب الطويل . هجع الجبار العذب القاسى هجع جبار الوادى . وبقيت انت قائمة على اللهيب الذى اذكاه وتلقيت انت من ذكره ذلك المغناطيس الذى كان وسيظل مستوليا على القلوب فعالا فى النفوس . كل هذه الاعوام كانت فجراً وسيعقبها نهار وهاج محتوم . فكونى انت المرأة التى تعد أن تضم الى قدرتها الشخصية قدرة القدير الهاجع وارفعى فى هذه الامة صوتك لتذكريها انها سائرة الى الحياة رغم الخطوب الجسام والخسارات الفوادح

الشعب يتيم يبكى اباه ولا يخفف الجوى الا صوت الام الحنون . فاستبسلى يا أم الشعب الباسلة وهمهمى فى مصابك بكلمات حلوة رقيقة . كلمة العزاء يجب ان تأتى من المرأة وأنت اليوم تلك المرأة لانك انت انت ـ لانك زوجة الفلاح العظيم المصرى الصميم لانك سيدة بيت الامة لانك فى قلب مصر الجريح القلب المنفطر الدامى

ألقى فى النفوس سحر الجبار الهاجع وارسلى على الجماهير روعة صوته وقولى لابنائك ان سعداً واحد منهم ليس غير فعليهم ان ينشطوا ليكون كل منهم فى الطليعة ! قولى كلمة المؤاساة انت التى تتهافت القلوب لمؤاساتك انت التى فقدت فيه الاب والاخ والزوج والولد جميعاً ! تكلمى من صميم تفجعك لتشحذى الهمم وتشدى عزائم الرجال وتقوى قلوب النساء ! قولى بوجوب العمل وقولى باتحاد العناصر وتألف الاحزاب ! قولى ان الوقت خطير يحتاج الى الشخصيات القوية والحب والاقدام والجهاد وقولى ان الوادى يجب ان ينجب الف الف سعد على كر العصور وأخيراً قولى هذه الكلمة العظيمة التى ستجىء منك أوقع ما تكون:

« ليس كل مجد الامم قائما بعظمائها الاحياء ولا بد لها مع جهاد هؤلاء من قبور عظمائها الماجدين لنستمد من جوانبها النور والعزم والشجاعة » (مى)

مات الرجل !

للكاتب الفذ حسنه الشيخ

أرأيت كيف يفعل المرض الكافر المضنى بمن كان بلسما لأمته وترياقاً لبلاده وطبيباً حاذقا للأفئدة المكلومة اذا ما لعبت بها القوة أو استبدت بها الأيام !

أرأيت كيف استسلم للمرض الطاحن من لم يستسلم لحظة لأكبر قوى الارض نفوذاً وعدة وعدداً حتى خارت قواه فلم يكن له إلا التسليم للقضاء السماوى ومن أكبر من قضاء الله اذا حكم ؟ ؟

أرأيت كيف نامت على سرير المرض حركة هذا الجسم الذى كان اذا مشى مشت وراءه الأمانى تحرسه والآمال تحميه والعيون تقيه والافئدة جميعاً تنفتح له فيرجو كل فؤاد أن يكون لهذا الجسم موطنا ومهاداً ؟

أرأيت فى ساعة الاحتضار السوداء كيف انكمش هذا الجسم الناحل بين فرش وغطاء وقد كانت الارض لاتتسع له على ضعفه اذا نشط للعمل وتقصر دون غاية اذا جرى على أديمها شوطاً !

أرأيت ملك الموت يرفرف بجناحيه على غرفة سعد فيخرس هذا اللسان الذى كان اذا نطق دوت الدنيا بمنطقه وقرعت لقوله أجراس العالم واهتزت له أعواد المنابر شرقاً وغرباً وبجدت قرآنه كل الشعوب التى غلبت على أمر ما وكأنه كتاب آخر الزمان على لسان خاتم الانبياء ؟

أرأيت كيف كان يحاول النطق فلا يجد اليه سبيلا وقد كانت الفصاحة أقل

خدامه والبلاغة أصغر أعوانه والحكم تجرى من خلاله كما يجرى الماء العذب على أديم الأرض القفر فيكسبها الخصب والبركة والنماء !

أرأيت كل هذا ويد الاقدار القاسية تقترب من موضع الروح فيه شيئاً فشيئاً ثم لاحول له ولا لأحد على رد عاديتها ! ومن مخبرى أيها البطل الثابت فى مواقفك أكنت تغالبها كما كنت تغالب أعداء البلاد — فغلبتك وكنت تحاربها كما كنت تحارب الغاصبين فحاربتك ؟ هل شمرت لها عن مجهود موفق كما عودتنا فلم تقو على رفعها ولم توفق لدفعها ؟ لا . لا . ان قضاء الله نافذ لامحالة ومن أكبر من قضاء الله اذا حكم .

ثم أرأيت كيف هوت يد الاقدار الى مستقر هذا الروح الكبير فانتزعته انتزاعا بعد ان لم تقدر على انتزاعه أسفار ميشل ولا تشريد جبل طارق لا ولا تهديد المهددين ولا أنذار المنذرين . لا ولا هذا الجهد الطويل المدى الذى آلى الفقيد على نفسه أن لا ينقطع عنه للراحة لحظة والذى ينوء بحمله الشباب المجتمع ولا يقوى على أطراده الكتائب المؤلفة بعددها وعديدها !

وافرحتاه لعالم الارواح بهذا الروح الذى صفقوا له طرباً حين رأوه فى صفوفهم لامعاً وفى واسطة عقدهم بدراً ساطعا . يسألونه عن هذا العالم الفانى المملوء بالمتاعب والمشاق . أنه يجيبهم بما عرف عنه في دنياه من طلاقه وحسن بيان . فهو بذلك زعيم الارواح كما كان شبحه فى هذا العالم الارضى زعيم الاشباح

سير بجثمان سعد الى مقره الاخير وانتظمت مناحته ولكن لا كما يسير الناس عادة بالأموات بل أن روحه أسمعت كل أذن فى وادى النيل قول ذلكم الشاعر العربى

وكانت فى حياتك لى عظات وأنت اليوم أوعظ منك حيا

فكان سعد خطيباً صامتاً يهتز لهيبته ذلك النعش الحربى كما كانت تهتز له أعواد منابر الخطابة فى عالم الاحياء . وكانت عظاته تهوى الى الأفئدة فتجد مرعى لها خصيباً وتربة صالحة فهو بذلك خطيب الدنيا وخطيب الآخرة وزعيم الحياة

وزعيم الموت وقائد الاحياء الى مستقبل بلادهم وهو فى شوارع القاهرة محمولا على هذا النعش الحربى . ومنظم هذه الجماهير لاستماعه كما كان ينظمهم فى حياته الأولى

ومن من المشيعين لم يستعرض حياة سعد وعظمة سعد وكبرياء سعد ووطنية سعد ومن منهم لم يستذكر آيات سعد البينات التى هى قرآن الوطنية الصادقة والنهضة الموفقة وعنوان الحرية والاستقلال ؟ لا أحسب أن رجلا من المشيعين غاب عنه من ذلك شئ . ثم من منهم لم يأخذ الميثاق على نفسه بأن يسير على سنة ذلك الراحل الكريم وأن يترسم خطاه فى جهاده لحرية بلاده واستقلال وطنه ؟ لا أحسب أيضاً أن واحداً منهم لم يأخذ على نفسه هذا الميثاق الشريف . كل هذه كانت خطابة سعد الاخيرة لهذه الجماهير المشيعة الباكية الناحبة .

لبيك أيها الخطيب الصامت ثم لبيك . انا على عهدك مقيمون ولوصاياك حافظون وعلى سنتك سائرون والا كنا عبيداً أبداً الا قليل علينا الذل الأبدى والهوان المقيم

ثم أرأيت كيف وضع سعد فى حفرة من الارض وكان لا يرتضى السماء مع المذلة مقاما وكيف أهيل التراب على وجهه الكريم وقد كان هو ذلك الوجه الوضئ الذى طالما تاقت الناس من أقطار الارض الى اجتلاء طلعته والتمتع برؤيته وكيف رضى أن يقيم وحده فريداً غريباً فى هذه الحفرة التى لا أنيس بها ولا جليس وقد كان أمام الجلساء وسيد المؤانسين وكيف رضى بهذه الرقدة الأبدية وهو الذى كان يملأ الدنيا نشاطاً لا يقر له قرار من حركة نافعة أو عمل موفق . نعم رضى بكل هذا مرغماً وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا

***

والآن ننظر نظرة أخرى فى هذه المونة العظيمة لهذا الراحل الاعظم. ننظر اليها من جهة أن سعداً أضحى عقيدة وطنية أزلية مابقى فى مصر لسان ينطق فى واديها ونسمة تمشى على اديمها

تجمعت فى سعد روح وطنيةهذا الوادى فصار هوالمحرك الاعظم لها والقابض بحزم على ناصيتها ولم يكن ينظر اليه أنه سعد زغلول الرجل القاطن فى بيت الامة بل كان إذ ذكر اسمه دل على هذا المعنى السامى الجليل معنى الوطنية الصادقةوالزعامة الرشيدة اليها ولهذا كان سعد كما أسلفنا فكرة خالدة لا رجلا فانيا

ان موت الزعماء بالاجسام لا بالمبادئ والفكر . فمبادؤهم باقية والفكرة التى كانت قبلتهم تترجم عنها خالدة ولقد كان هذا الخلود سر عظمة الشعوب وسر تطورها معا فما قامت من النوم أمة الا على صوت زعيم ولا واصلت سيرها حتى بلغت غايتها الابامتلاء حواسها بالفكرة السامية التى يمل زعيمها عليها وأن هذه الفكرة التى كان الزعماء عنوانها وقد تكون فى حياتهم أقل حدة ونشاطا منها بعد موتهم لان وجود الزعيم بين أمة دافع بكثير منها إلى التواكل والتوانى تارة والى الخروج عليه وحربه عمدا تارة أخرى أما بعد الموت فان الفكرة تتجدد والعقيدة ترسخ تجدداً ورسوخا هيهات أن يزيلها الاحوادث زمنية جسام لا تدخل فى حساب البشر

أن شخص الزعيم قد يحارب وقد ينقم عليه وقد يؤخذ بقذع الهجاء وخشن القول بل وقد يكفر به وبزعامته أحيانا لان مرضاة الناس من رجل واحد غاية لم يدركها حتى الرسل والانبياء ولكن سرعان ما تنقلب هذه النزعات بعد الموت الى نزعة واحده هى الفكرة هى العقيدة . فقد زال الزعيم بشخصه من هذا الوجود الفانى ولم يبق مايحارب به البعض ولا ما يكفر به البعض الآخر . نعم زال موضع الطعن والتجريح ولم تبق إلا الفكرة الصافية المجردة الخالدة والعقيدة الباقية الصالحة وكلاهما لا يقبل طعناً ولا يحتمل عناداً ولا كفرانا إلا من ليس له فى هذه الفكرة دين ولا ذمة

خرج سعد من الدنيا ولم يعقب ولداً ولم يعقب الا الفكرة الوطنية السامية التى أصبح وهو فى مملكة الاموات علما عليها وأضحى وهو فى قبره استاذها الاعظم وقائدها الاكرم

غير أن كل فكرة فارق شبح صاحبها الحياة أحوج ما تكون بعده الى المثل الصالح الحي الذى كلما رأى الناس عمله وكلما سمعوا قوله زادوا بها ايمانا وتمكنت من نفوسهم تمكيناً وليس ذلك في المسائل القومية والنهضات الوطنية وحسب بل الامر كذلك فى الاديان نفسها فان أى دين منها يقوى ويضعف تباعا لما عليه الممثلون له والزعيمون به . الاديان هكذا فلا ظنك بغيرها من العقائل والافكار انها أحوج منها الى مثل صالحة ترتفع بها دائما ارتفاعا مطردا ليكون حظ هذه العقائد وهذه الافكار الخلود والسمو معاً

من أراد أن تبقى فكرة سعد خالدة فليكن مظهراً صالحا لها وعنوانا طيباً على التمسك بها والسير بسنتها مهما كلفه ذلك من تضحية (صادقة) وعناء (مخلص) بهذا تحفظ ذكرى سعد وبهذا يكون سعد لم يمت ورحم الله سعداً بقدر حسناته

عند قبرى سعد زغلول ومصطفى كامل

للكاتب القدير الاستاذ ادجار جلاد

تشرف قلعة محمد على العظيمة على الوادى وسرنا فى طريق ضيق اخترق بنا حيا من الاحياء الوطنيه الدائمة الحركة . وما كدنا نترك السوق بضجته والوانه الزاهية فاذا بنا فى قلب مدينة الموت الرهيب واذا بشوارع ممتدة مستقيمة وعلى جانبيها الاحواش ذات الجدران القصيرة البيضاء التى تحجب عن العيون اسرار القبور ومن حين لاخر يقع نظرنا من خلال فجوات الابواب على اضرحة مكسوة بالاخضر المذهب اوعارية تتكشف عن مرمرها المنقوش المزخرف . وقد نقشت على الجدران آيات من القرآن او كتب عليها اسماء سكانها وتاريخ مواراتهم الثرى

وحقا ان مثوى الاموات لمدينة كاملة صفت فيها الاحواش صفا منسقا متشابها تحت شعاع ضوء الشمس المتقد . وكان سكون الموت الرهيب فلا صوت ولا صيحة تقلق رهبة مقابر الامام الشافعي . وسرنا ساعة كاملة فى شوارع تلك المدينة الصامتة وقد اذهلنا ذلك السكون العميق واذا بنا امام جبل المقطم كانه مارد قد من حجر وقد عملت فيه معاول الناس والزمن

وهنا كأ ننا قد تركنا الاحياء تركا تاما فلم نعد نتصل بالقاهرة وحركتها وحياتها وقد تلاشت من ذاكرتنا الهموم والمسرات وكأ نا قد اقتربنا من هؤلاء الاموات جسما وقلبا وآمنا بانهم كانوا ما نحن عليه الان وباننا سنكون ما هم رماد تذروه الرياح

عند ذلك تقدمنا فى خشوع وهيبة كاننا نخشى ان تقلق هدوء ذلك النوم الذى لا يعرف للاحلام طعما وكنا نمر من حين لاخر على نائحات يبكين فى ثيابهن السوداء وكان فى حركة ايديهن اليائسة نوعا من الصلاة والدعاء

قبر الشاب النارى

وفى وسط رمال جرقتها حرارة الشمس ضريح مرت عليه السنون واوسع لنا البواب الطريق فاذا بنا امام قبر مصطفى كامل الشاب النارى والابن الروحى لتلك الافرنسية الشهيرة مدام جولييت آدم . فى وسط الظلام المضئ لمحنا قبرا من الخشب مكسوا برداء اخضر نقش فى وسطه هلال احمر . فيالها من بساطة مؤثرة

وقد تدلت على جدرانه تيجان من الازهار الذابلة والاعلام ذات الايات الدينية والكلمات الوطنية المأثورة عن الخطيب الشاب

اما اليوم فالسكون شامل . ولكن هذه الازهار وهذه الاعلام قد حملها منذ عشرين عاما جمهور عظيم من الناس تبع نعش الزعيم الوطنى حتى مقره الاخير

ومن يوم ان مات اصبحت حجارة ضريحة الكلمة الاخيرة من احد

فصول الحياة السياسية التى عادت سيرتها الاولى فى فتور

بعد عشرين سنة

هنا قبر مصطفى كامل وهنا على بعد مائة متر قبر سعد زغلول عشرون عاما من التاريخ تفصل هذين القبرين والآن ينام الشيخ الحديدى بجوار الشاب النارى . وقد قارب الموت بين الخطيبين وجمع الاسمين ومزج التاريخين

عند قبر سعد

القبر لم يتم بعد والعمال لا يزالون يشتغلون فيه والطريق الى الخيمة التى تضم القبر مكسو بالرياحين والزهور وقد انشئ على الرمل مستطيل من الحجر علوه نصف متر يحمل نعش الفقيد وقد اختفى بأكمله وسط جبل من الورد والزهور وقد بدأ بعضها يذبل واصفرت الاشرطة التى تحمل اسم سعد ووجدنا مئات من الناس قد احتاطت به تخنقهم العبرات . وسمعنا رجالا يصلون وطلبة ينشدون أشعارهم وآيات من القرآن تتلى كل ذلك فى كثير من الهيبة والتأثر . وكأنما حزن الشعب ومكانه عند قبر الزعيم قد تحولا الى رنين من الاسى متشابه متقطع فيه الخشوع وفيه امتثال

وقد أثبت الشعور بانه هنا بجوار هذا الجمع وانه مات وان الزعيم « انتهى » كما قالها ساعة الموت اثبت ذلك الشعور فى نفس هذا الجمع كثيراً من الاسى واللوعة

وبينا هذا الشعور يسود تخيلت وجه سعد

تخيلته خطيباً يبدأ خطبته بصوت هادئ ثم لا يلبث الموضوع ان يكبر والصوت ان يرتفع والخطيب ان يحتد ويتحمس واذا بصوته كأنه رنين النحاس واذا بالالفاظ تتسابق سريعة حماسية واذا بالمجازات القوية والتعابير التى تثبت فى العقول كأنه النقش على الحجر . تلك النفس الباسمة الضاحكة . وذلك الاستهزاء القاتل تلك الرأفة المتأثرة وذلك الغضب والاحتقار الناطقين . صوت يتبع كل

تحركات العواطف . صوت ساحر مدهش . بذلك أمكن سعد أن يتملك شعور الجمهور ويحرك أوتاره

تخيلت سعداً فى حياته الخاصة تخيلت ذاكرته القوية . فان أنس لا أنس يوم أزمة سياسية حادثته وبعد الحديث الرسمى انتقل فجأة الى التحدث الى عن مقالة أدبية كنت كتبتها منذ سنتين بخصوص المرحوم المنفلوطى

وتركنا السياسة وأخذنا نتبادل حديث الادب والفنون وكم ادهشنى سعد فى مناقشته اسلوب المنفلوطى ومقدرته الادبية ونثر حافظ ابراهيم الشعرى ونظرية يورجيه فى كتابه « ابليس الجنوب »

وقطع على اجهاشى باكية بجوارى . فتذكرت ان سعداً قد انتهى فهو هنا تحت الارض . الرجل الذى ملأ وادى النيل والشرق باسمه طوال سنين ثمانية لن يصبح بعد أشهر إلا تمثالا يحييه المارة بالخشوع . ولكن لا . فان يكن الموت قد أخفى عنا جسمه فان تعاليمه ستبقى فى نفوس أربعة عشر مليونا كل منهم يحمل بين طيات قلبه سعداً

وتركت مدينه الموت وعدت ادراجى الى العاصمة الكثيره الضوضاء ذاكراً قول الفيلسوف (مهما عظم الرجل ومهما ارتفع ومهما كان نفوذه وسلطانه وغناه فهو عند الله الازلى أقل من حبة الخردلة وأهون من ورقة الشجرة التى تذروها الرياح)

كلنا نبكى

للكاتب الناكل حسين شفيق المصرى

قف هناك حيال هذا الضريح

فيه سعد زغلول

والق عليه التحية ، وقبل الجدران ونحن لتشم التراب
أما تجد فى هذا التراب مثل رائحة العطر ؟
أليست لجدران الضريح رائحة ذكية ؟
التراب تراب ، والحجارة حجارة
كالتراب الذى فى كل مكان ، والحجاره التى فى الدنيا كلها
وليس فى الدنيا أحجار عطرية . ولا تراب تفوح منه رائحة المندل
ولكن حبك سعداً هو الذى حبب اليك هذا الحجر وهذا المدر ، وجعل ما يثور من الغبار هنا كعبق المسك أو بخور الصندل
ولم لا تشم طيباً وانت تعلم أن هنا رفات سعد
أليس مايحيط بالحبيب محبوبا ؟
نعم والمحبوب يتخلل النفس نوراً ساطعاً ورائحة ذكية
نعم يخيل الى أن حجاره القبر تضئ ، وان هذا التراب شعاع ساكن ، مستقر على وجه الارض !
وما هذا العطر الا ما بقى فى نفسى من قول سعد ولا هذ النور غير معانى ما كان يقول أما تشعر بما أشعر به ؟
كل هؤلاء الخلائق الزوار يشعرون بهذا
بل لا تزال نفوسنا تأبى أن تصدق انه مات !
انظر !
أليس الناس صامتين ؟
نعم. ينتظرون أن يقوم للخطابة ليروه ويسمعوه
فقم ياسعد أرنا وجهك واسمعنا صوتك
قل لنا ماذا نصنع بعدك
واخبرنا بما رأيت لمصر مكتوبا فى الغيب

هل قضى الله لها أو قضى عليها ؟

هيهات أن يقوم سعد ـ وهيهات أن يتكلم

لكل ذى غيبة اياب وغائب الموت لايؤوب

قال سعد كل مانحتاج اليه من القول ثم رقد ومن حقه أن يستريح

أقام الحجة وأوضح المحجة

قم هادئا ياسعد ، نوم المطمئن الذى يعلم أن بيته وطيد الاركان وأن أولاده فى أمان

غير انا يعز علينا أن تنام فى هذا القفر الموحش ، فى سفح الجبل

يعز علينا أن يكون سريرك من جندل وصفائح

يعز علينا أن تفترش التراب

قم ساعة واحدة تعود فيها الى بيت الامة

استوحش بعدك بيت الامة يا سعد

ياسعد صفية وحدها

ليس لها أنيس ياسعد .

ياسعد صفية تبكى

بل لا تبكى وحدها

كلنا نبكى

كلنا فى مكان واحد يرى بعضنا بعضا وكأن كل واحد منا وحده من الوحشة

وهل غيرك أنيس ياسعد ؟

مهلا أم المصريين ، كفكفى هذا الدمع لاتشرقى به ، أنت بقية حياة سعد فى الدنيا ، انه عائش بك نتذكره حين نراك فتصوره الذكرى ، فتراه معك كأيام كان بيننا ،

أم المصريين مهلا ، كفكفى الدمع . وان لم يكن بد من البكاء فابكى بعيونناء

أننا نبكى لك ولنا على سعد

وهل يسعفها غير دموعها ؟

يا ليت للمحزون أن يسعفه غير دموعه

لو يسعف المحزون غير دمعه لارحنا هذه السيدة بما نهرق من ماء العيون . .

ومن الذى لا يبكى لام المصريين على زعيم مصر

لابقاء لغير الله ، وانا لله وانا اليه راجعون ، أجاء الوقت الذى نبكى فيه الرئيس الجليل ؟

كنا نريد أن نحتفل بشفائه

هو حامى هذا الحمى ، هو قريع الاعداء ، هو القائد العام لجيش الوطنية فى مصر وفى غير مصر

هو أمل الامم الشرقية المجاهدة فى سبيل الاستقلال

مات !

مات . . . . . . مات !

ولكنه لا يريد أن يموت معه الامل ، فالأمل حى بسعد

بل سعد حى بحياة هذا الأمل

لم يمت

لم تمت ياسعد انك صعدت الى الفردوس الأعلى

أما كنت تحب الطابق العلوى من بيت الأمة

خلقت للعلياء ياسعد ، فاجلس فى أعلى عليين فى الجنة ، وأطل علينا واهتف بنا ، اننا نسمعك ، واننا نراك !

ها هو ذا . . . . . .

ها هو روح سعد يشرف على مصر من السماء

فليحى سعد

آه . . . . . نعم . . . . . سعد حي بتاريخه العظيم . . . . .
سعد حي بهذه الامة التي وهبت له أرواحها . . . أرواحها له . . وأجسامها لهذه الارواح
يعيش بها الى الابد . فليحى سعد
ويا أيها الناس عجلوا بانشاء الروضة التي سينقل اليها سعد في بيت الأمة
سعد في الصحراء .
سعد في سفح الجبل
هاتوا سعداً الى المدينة

سعد

للكاتب النابه احمد ابو الخضر منسي

اقسم اني صادق ، لقد كنت في غشية الذهول ، وان كنت بين الناس ، ومعهم لا يجول منا في حديث ، لسان أو قلم ، ألا بذكر موت سعد ، وان سعداً قد انطفأ سراجه وما الى عودة منه الينا سبيل ، كنت غير مصدق وأنا مع ذلك من الشاهدين . كنت لا أعي أن الامر جد ، وان شأن الرجل لم يعد الينا وانما الى ربه والى غفرانه الى يوم يبعثون

وانما كان ذلك لاننا كنا بالامس القريب ممتلئون برؤيته فتياً في شيخوخته مسمعا ناطقاً ، مدبراً للامر قاطعاً .

وانما كان ذلك لأن عظمة روح فيه تتغلغل في بدن متين البناء ، بنبضات قلب لا ينبض بمثلها كثير من قلوب الفتيان والابناء ، وشباب يطالعك من خلف غلاف شيخوخته ، وفتاء يتجلى عليك من خلل ما تجعد من أسارير وجهه الباسم

للحياة المستبشر بمسول الامانى ومفرحات الامال ، كانت تراوغ الموت وتزوغ من قبضته وكانت تجعل سعداً شديد العلوق بالحياة شديد الاستمساك بأهدابها فكنا لا نزال لهذا فى أمره مغرورين نتوقع له أجلا يمتد الى ما شاء ربك من أخرى السنين

وكان ذلك الرجل العظيم تنزل به المرضة تلو المرضة ، فتأخذ عليه سبله ، وتنحط عليه بكلكلها ، حتى لتنهلع قلوب أطبائه عليه ، فينذرونه ان هو خالفهم ومال الى العمل وجهد البال بأن الموت مدركه فما يبال أمر نصحهم ويدخل الى حيث نهى ، فيخرج سالما معافى ويعلم الناس أن روح سعد وعظمة سعد أصدق إنباء من تحذير الاطباء ونذيرهم

هذا وقد كانت الى ما قبل عشية موته نشرات أطبائه تبعث فى النفوس الاطمئنان وتنزل فى القلوب السكينة ، فلما أخذنا أخذ المباغتة بموته ، ذهلنا وقتاً ثم أفقنا على يقين . وعلمنا أنهم اذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وانه أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة ، ولا حول ولا قوة الا بالله . وهو العزيز القهار

وحل سعد أتم الله عليه رضوانه وأجزل له غفرانه وقد أبقى لنا العظة الكبرى وهل أكثر من عظة تروعك فى موت عظيم لا تلد البطون من مثله الا فى الاحقاب الطوال . ولم يلاق عظيم فى الناس مثل الذى لاقى سعد فى أمته ومن أمته ، فى ما سطر التاريخ ونقل الراوون .

سعد عظيم عظمة المصطفين من البشر ، كالخيار من اللآلئ والجياد من الجواهر يروعك أمره فتقف كأنما أنت فى غير حضرة انسان هو شبهك فى التدعيم والتكوين وتحسبه خارجاً من حدود البشر فتقول سبحان الذى أتاه هذا السلطان وأكبر بمثله بنى الانسان !

سعد كان عظيما عظمة لا ترضى بحدود تمتد الى الاصول والفروع وتصيب

بأيد مادنا منها وما نأى ، وما انخفض وما علا . عظمة من قيل فيه وأشير اليه .
هذا الذى يضر وينفع ، ويعلى ويخفض ، ويدنى ويبعد :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى أضع العمامة تعرفونى

واجتمع بسعد آيات ربك المعجزات وخصه بما شئت ويتشهى أعلام الناس من مواهب هى كفصوص الجوهر الغالى والدر الفاخر العالى فكان مما تدعمت به عظمته خلابة المنطق وسحر الخطابة

سعد خطيب قل ان شهدنا مثله فى الغابرين والحاضرين . خطيب ألقى فى روعه نفحة علوية ، وعلى لسانه السحر الحلال . اذا شهدته شهدت منه ما شهد الاولون من سحرها روت وما روت القول اليه منقاد ، والمعانى له إماء طائعات والنشاط عنده موفور ليس بناضب معينه ، ولا بمنقطع وروده وكأنه قد اجتمع له مركوما بعضه فوق بعض ما اجتمع للخطباء جميعا من سحر واختلاب وجلد واقتدار

ولقد شهدته يوما يخطب فى حفل حاشد لا يدرك البصر منتهاه ، وقد برز فيهم على أثر اعياء وقوى خائرة . فكنت لا أتلقى مدة ثلاث ساعات طوال غير منقطعات ولا فيهن راحات أو فترات الا سيلا متدفقاً من جزل القول ورائع المعنى والمبنى وبلاغة كوحى السموات وفصاحة لها لذة كذلك ما وصف ربك من أنهر الجنات والرجل الشيخ الذى شارف الثمانين ، وبلغتها ، يتوثب من فوق المنبر توثب الغلام الأرن لا يبلغ به أمره الى كلل أو ملل ، ونسى الرجل المسن المعيى الذى جاء يشكو من تعب ووعثاء الطريق مابه وعاد فتياً لا تبصر من عينيه الا بريقاً يتألق ومن فمه الا سحراً يتدفق وكلما زدناه استماعا ورأى منا طربا واعجابا زادنا شدواً واطرابا حتى لقد اشتد بى الكرب مما لقيت من أزل المزاحمين وعصرهم لى واشتد بى حاجة الى شراب أنقع به غلة فى جوفى فصحت بسعد رغم ما أنا ملاق من فعل سحره عساه يسمع فيتئد : يا هذا أرحنا نحن واشفق علينا ان لم تكن على نفسك بشفيق ولكن أنى لمن ليس براحم نفسه أن يرحم الناس

ولقد كان سعد مع الخطابة التى رفع بها الخطباء بها الى السما كين كاتباً بليغاً يضع لسانه حيث شاء وهذا قلما يجتمع فى رجل واحد ولكن سعداً عصبى المزاج نارى الطبع دمويه والذى تلك سليقته يكون من الانفس الوثابة المتحفزة للأمر الجلل مع ذلق اللسان وقوة البيان فهو اذا كتب خلب واذا حبر جاءك بالعجب وشيه أنيق وثيق مشرق المعانى آخذ كلامه بعضه بأعناق بعض كأنما ألفاظه قطع الرياض ونسيم الآصال يبلغ به كنه القلوب

ولقد جاءك نبأ بياناته التى كان يعرض وشيها الرائع على الامة وهو زعيم الوفد كلما حزب أمر، أو فدح خطب ، وكيف لا يكون هذا الذى علمت ، وقد نبت عارضاه وهو يعالج تحرير الصحف بين رسمية وغيرها ، وكيف لا تجده كذلك وقد كان نباتاً كريماً أنبته حكيم الكتاب و بليغهم الشيخ محمد عبده ؟

وكان سعد سقى الغيث جدثه ، وأنزله ربه جنات رضوانه قد كسى ثوب مهابة تعظمه الاعين ، وتهيبه النفوس ، كأنه الاسد فى عرينا ولقد فطره ربه وفى صورته شبه بصورة الاسد فما كان فى الامر صناعة ولا تزويق وآتاه الله مع هذا الوجاهة وعلو المرتبة : فالقضاء والوزارة والنيابة والزعامة كل قد أصاب ما أحب منها وما اشتهى

رأيت عرابة الأوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وكان حلو مذاقة الروح ، جذاب النفس فكه الحديث لطيف الدعابة ولقد علمت كيف كان فى زعامته تنجذب اليه الجماهير انجذاباً قوياً عجيباً لست تجد الى دفعه أو منعه مهما أوتيت سبيلا وانما نشأ سعد من حيث تنشأ الجماهير من الفلاحة ، فمنها الى الازهر ، فمنها الى التحرير وجعل يرقى المعالى درجة فدرجة عصامى لا عظامى فكان أدنى ما يكون الى نفوس وطبائع الذين تقلد زعامتهم، وولى مقادتهم ، خبير بما تجيش به نفوسهم ،وتطوى صدورهم ، عليم بأين تؤكل الكتف

فكان زعيم أمة جمع فأوعى ومثله كان لوأمرخلق مصر جميعا فى سبيل الحق والمجد والاستقلال أن يلقوا بأنفسهم فى اليم ما تمكثوا ولا استرثوا

لقد كنت عظيما فى الحياة عظيما فى الممات. فالى غفران ربك ياسعد والى رضوانه

اسد الوادى وجبار الشرق

لزعيم من كتاب فلسطين

كادت الار بعون تأتى على اصطفاء الله سعداً الى جواره ، والناس تفزع بقلوبها لواجفة الى مصر ، كان النعى لم يبرح نزيل الساعة ، وكل امرئ تثبت جوارحه ويرفع يده الى قلبه ، قائلا : أمات سعد ، ثم يطرق اطراق من صعق فى مكانه على غير حراك

وما جرى قبل اليوم ، ان رأيت العالم العربى أشد تشاركا فى الشعور ، وأجمع حساسية منبعثة عن عرق واحد النبض ، منه الآن وهو يضطلع بعبء الخطب العظيم ، فى فقد الذائد عن مصر وكل مصر ، والداعى بسيف الحق الى دين الاستقلال لافناء الاستعمار ، واسقاط الرق النازل بالشرق : أمام العصر ، وحجة الدهر ، السنام الاعلى فى الزعامة القوميـة والسيادة العربية والرئاسة الشرقيـة ، لايسامى سموه ولا يعالى علوه ، ولايدانى حرمه المقدس ، ولا يمثل حماه المعزز من قبل ومن بعد ، الهاجع بعد السبعين جهاداً فى كنف الوادى أسد الكنانة (سعد)

***

طبع هذا العصر فى العالم العربى بطابعة ، وضربت جبهات الانقلابات باسمه كما تضرب السكة باسم المليك السلطان . قبض فى السبع السنوات الاخيرة على

مجرى التاريخ فى أشرف رقعة من رقاع الشرق الادنى ، وأملى على المؤرخ فى نهضة مصر ذكراً لا يفنى ، وأبلغ هذه النهضة سوراً عاليا اعتز عنده الحق وهو أعزل الا من ايمان كفلق الصباح ، وخذل عنده الباطل وهو بآلته وعدته وسلاحه يملأ البحر والبطاح . فاخرج لمصر من رجال الله عروة الوفد الوثقى كالحلقة المفرغة صمدت لمناضلها كصخرة الوادى واقام من ورائه الامة الناهضة صفوفا كالبنيان المرصوص تمده بالحول والقوة ، وبات عرين الاسد (بيت الامه) ، وأقبل الجبار العظيم يشيد الاستقلال ركنا ركنا ، وصاح صيحات تجاوبت اصداؤها فى الشرق وجرت من المشارقة مجرى الكهرباء فى السلك فطبق سعد الدنيا اسمه وذكره وأضحى كالمنارة القائمة فى أعلى الفضاء

وجاء ملنر بعصبته ليفاوض ، فنبذ وقوطع وأمسك عنه ، كأن ليس أهل مصر فى مصر وجال الرجل فى بعض البلاد مدهوشاً فلم يكلمه انسى من بنى سعد . وبلغ الريف فجاع فطلب اللبن ليشتريه فلم يبعه أحد . وهكذا إذا انتشت روح الاعتزاز بالقومية وفشت فى الشعب آخذة منه طريق الحس الحى والشعور المستيقظ ، باتت الوطنية الصادقة كنور الشمس يتجلبب بها الصغير والكبير ، فيطلب ملنر اللبن وهو جائع فلا يباع له

وراح سعد يذود عن الحوض بهذا السلاح فى قومه ، هو يزيد الامة ثباتا فى الموقف واحتمالا للنفى فى جزر البحار ، وهى تزيده توحيداً فى الزعامة ورصاً فى الصفوف . وقد بوأ الله لسان سعد على أعلى عزية البلاغة وأطمى درجات البيان وأفاض عليه الحكمة ، وزاده بسطة فى العلم ، ودانت المنابر لطاعته ، وجعل الخطابة ذات السحر الحلال من رسله وجنوده ، فهو أخطب من رقى منبراً فى هذا الزمان ولا نزاع

فلم ينفك مجاهداً حتى جاء (بالبرلمان) للامة سياجا و (بالدستور) للحياة النيابية سراجا وهاجا ، وطغا الطغاة على (البرلمان) فعطلوه ، فسرعان ما رأب

سعد الصدع ، وجمع الجمع ، وقام بذلك الحفل ، فى اليوم الخالد الذكر ، ونادى بالائتلاف فماهدت الامة رجلا واحداً ، حتى لو عاد ملنر لما باعه أحد لبناً . فما لحق سعد بالرفيق الاعلى الا (والبرلمان والدستور) يجريان على سنن مسنونة ، وقواعد موضوعة ، وطريق مشروعة ، والحياة النيابية فى حرز حريز من طمع الطامعين

فى عهد سعد وعلى يديه شهد التاريخ الجارى مشهدين عظيمين سيغيران من شأن الشرق العربى الكبير شيئاً كبيراً . الاول تعالى نهضة مصر فى سماء الحركات الشرقية . النهضة التى كفلها سعد وتعهدها تغذيه وتنمية ، حتى أشرق كوكبها بأجمل صورة على الامم العربية المحيطة بمصر ، اشراقا باشا منعشاً ، مسلما ، مكلما مبتسما ، حاملا شارة كريمة وعلامة فارقة ورمزا مأنوساً . تلك شارة سعد وعلامته الفارقة ورمزه المأنوس . وكما تضىء الشمس فياضة النور على وجه الكرة ، هكذا باتت أنوار النهضة المصرية فى كنف سعد ورعايته تضىء على العالم العربى الافريقى والاسيوى ، وعلى العالم الشرقى كله فان ذهبت الى الهند وجدت هناك سعداً

وقد قال جماعة من الهنود غير المسلمين انهم يقدسون سعداً تقديسهم لغاندى.

وكما يخيل اليك عند رؤيتك البدر أن فى البدر وجه انسان فكذلك عند رؤيتك نهضة مصر من أقصى المغرب العربى أو أقصى المشرق العربى ترى فيها إلا تخيلا بل على الحقيقة صورة سعد مرسومة بها النهضة المصرية الاستقلالية بجميع ما تدل عليه من قوة وسلطان والآخر أن اخذت الامم العربية تنجذب الى مصر وتتعطف ونحن نرقب جهادها وندعو لها بالتوفيق والفوز وشمل الاقطار العربية تيار جارف وهو شعور الاحترام لمصر ورجلها العظيم فما كاد المؤرخ يفرغ من تدوين الحالة العامة التى كان عليها العالم العربى قبل الحرب العامة الى أيام الهدنة من انعزال عن مصر حتى يروعه انقلاب الحال بسنوات معدودات ، فاذا بمصر سيدة العالم العربى نهضة وثقافة ، علما وسياسة على رأسها سعد ، ومنها يصدر الخير

فى الـكتب والصحف والخطب وسائر وسائل النشر، وينشر فى العالم العربى شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا، واذا بالاقطار العربية تأخذ عن مصر بطريق الاقتداء فردا ومجموعا آراء وأساليب فى كل باب

واذا بسعد يقوم له يقعد ليس الاربعة عشر مليونا أهل الوادى الـكرام وحدهم. بل السبعون مليونا أهل العالم العربى قاطبة ولم يقف الناس عنـد الاحترام لسعد واكبارهم لحسن بلائه بل كانوا يأخذون من جهاده وحـسن بلائه ومن خطبه وبيانه دروساً فى كيفية الجهاد والعمل فى سبيل الاوطان المثقلة بكابوس الاجنبى فـكان سعد بذلك يعلم مصر وسائر الامم العربية أفضل الاساليب فى خدمة القضايا القومية فاتصل الناس به اتصالا عجيبا وهم على بعد منه آلاف الاميال فعظمه عربى الشام والقدس وبغداد والحجاز كما عظمه ابن القاهرة وشاركوه فى سرائه وضرائه وهتفوا باسمه وجرى ذكره على الألسنة حتى باتت (كلمة سـعد) مجردة عن لقب ، اذا شعر لافظها وسامعها بأنها ذات مدلول معلوم لا يوصف ومدرك لايحد . ودخل اسم سعد البيوت والمنازل وعلقت رسومه على الجدران

ولو قـدر الله لسعد ان زار يوما فى حياته فلسطين أو سوريا لـكان مهرجان استقباله هنا أحفل منه فى القاهرة ولا شك ولو قيض الله له زيارة دمشق لدخلها دخول الفاتحين وخرج الشعب يستقبله كما استقبل غليوم امبراطور المـانيا منـذ ثلاثين سنة

فسعد من ناحية ضرب مثالا عاليا فى جعله قضية الشعب المغلوب على أمره: قضية قائمة على اعتبار القومية والوطنيـة بلا فارق هما دون تلك القضية : وجاءت القومية المصرية من حيث التآخى الاسلامى والقبطى مضرب المثل فى الشرق : ومن ناحية أخرى كان سعد موفقا التوفيق الاكبر فى الابانة الجلية للدول الغربية أن الشعوب الشرقية ولاسيما التى أمدت الحلفاء بعون ومساعدة ايام الحرب العامة بالاموال والرجال لاتعترف بحال من الاحوال بتجزئة حقها فى الاسـتقلال ، ولا

بنظرية الحلفاء الفاسدة القائلة ان هـذه الشعوب ليست بكفيله للحكم الاستقلالى الخالص ، فان هـذه النظرية المصنوعة تمثل الجشع الاستعمارى الاوروبى باقبح منظر وفيها الدليل على الغدر بدل الامانة : والنكث بالعهد بدل الوفاء به : وتسميم لعلاقات الشعوب المستضعفة ازاء الغربية : وفوق كل ذلك توهين لتماسك الحضارة التى لاتقوم على ابن ارومته وحده ولو ملك على ناصية العلم أعظم ممالك ،

والزعيم العظيم لم يتوان عند وقوع الكوارث الاستعمارية بالشعوب المجاورة ، عن زأرة يزأرها فى وجه الاستعمار الطاغى ، وفى « نيس » صيحته الكبرى التى أطلقها عند ما دمر الفرنسيس دمشق الشام بالمدافع فى خريف ١٩٢٥ ، ونادى فى تلك الصيحة الخالدة بتوثيق الصلات بين مصر والاقطار الشامية ، صلات الجوار والدين واللغة والعادات ،

ولو كان الشرق على رحبة مملكة واحدة ، تسهل على أسد الوادى ، بعبقريته وما آتاه الله من قوة وتأييد ، ان يبسط على الشرق زعامته وينشر فوقه لواءه

أصلب زعماء الشرق عوداً ، وأصبرهم على الكريهة ، وأجهرهم بالحق ، وأخطبهم على منبره غالب أصلب الدول عودا فى الاستعمار ، وأكثر حيلة ووسيلة ، وأشرهها طمعا فى الماء واليابسة ، فغلبها حتى آب (بالبرلمان والدستور)

خاصمته جبارة الدول ورهبت جانبه ، وأبعدته الى مالطة وسيشل وجبل طارق ابعاد النفى ، أقصته عن الامـة ابتغاء ان يلين هو أو تلين الامة ، فلم تظفر بأمل فاعادته وفاوضته ، وبالتالى فايدت كلمة الامة والعدو راغم فاختارت الامة سعدا فتسلم الحكم وولى الامر وكلمة الحق هى العاليـة وقالت الصحف الانجليزية مرغمة ان سعداً هو المصرى الذى لم يقم قبله غيره خلال ٢٥ قرنا للمطالبة باستقلال مصر

قام (حان — يات — جن) فى الصين زعيما شعبيا كسعد فى مصر وجاهد جهاد سعد ونفى نفيه وعذب عذابه وقد قضى زعيم الصين منذ ثلاث سنوات فما مات الا لتظهر القدرة العليا مبادئه الاستقلالية على المناوئين وتتأيد قضية الصين ومات

سعد فاذا بمبادئه نامية فى مماته مثلها فى حياته وسلام على اسد الوادى، وجبار الشرق

لم يمت سعد

للكاتب المحترم ميخائيل بشاره داود

لقد صار روحاً تبقى بيننا ما بقينا أهلا لها . هل مات عظيم حتى يصح قول الناعى لقد مات سعد . ؟ . هل مات (ليكورج) الذى احتمل ألواناً من الاذى فى سبيل انقاذنا سبارطه من الفوضى وجعلها من أعظم الامم أثراً فى التاريخ ؟ هل مات (وشنطن) و(كافور) اللذان أنقذوا وطنيهما من مخالب الاجنبى وجعلاهما من الدول العظمى ؟ هل مات (ديموستين) الذى رأى الخطر محدقاً بوطنه فهب يستحث الهمم ويدفع قومه لانقاذ بلادهم ممن يهدد استقلالها ؟ ألم يكن كليمنصو بعد تلك القرون الطوال لقد كان ديموستين « جندياً مجيداً »

هل مات شيشرون الذى أفنى حياته يقاتل المعتدين على مصالح روما ويضرب على يد العابثين بحريتها ، هل ممكن ان يموت العظماء والتاريخ يعلمنا ان الدول تزول ولكن العظماء خالدون

ان سعداً لم يمت ولا يمكن ان يجد الموت اليه سبيلا ستبقى روحه بيننا ما بقينا أهلا لها يبعدها عنا مالا يرضيها منا ويحبب اليها المقام بيننا الوفاء لها بالتزام « الصدق فى القول والاخلاص فى العمل »

هذه عظمة سعد . عرف من قومه سلامة نيتهم واخلاص طويتهم وصفاء وطنيتها فاستثار وجدانهم وجعل لهم من ذلك الوجدان ضميراً يسترشدون به فى خدمة الوطن . أظهر سعد هذا الوجدان السليم الذى طواه الظلم مما نشره من المثل

للاعلى للحياة العاملة حياة الحكمة والاخلاص . اذا لم يكن سعد خالق ذلك الضمير فهو الذى هزه وأمده بروحه القوية فلنكرم سعداً ولنكرم أنفسنا بالحرص على هذا الوجدان وهذا الضمير ، ان للعظماء عظمتهم يدوم لها ذكرها ويدوم لشعوبهم فضلها ما حرصوا عليها اما اذا فرطوا فعلى الشعوب وحدها عار التفريط وويلاته

لم يبق سبيل لاتهام وادى النيل بضعف العزيمة أو قلة المروءة أو جهل الواجب فقد رأينا مصر قلباً واحداً حول سعد وقد رأينا الفلاح يقول للمتر ورجاله « عندكم سعد اسألوه » فهل بعد هذه الثقة وبعد هذا الاخلاص الجرئ موضع لاتهام شعب النيل ؟ لم يكن سعد سوى رجل صفا جوهره وطاب عنصره وسلمت نيته وقويت ارادته وصح عزمه وسمت مروءته فاجترأ على الظلم وبدد غياهبه . أشعل نور الحق وأضرم نار العدل ، وطارد اليأس وفتح أبواب الرجاء وعلمنا ان ليس بيننا وبين ما نرجو سوى ان نريد وان نخلص لما نريد ؟ أليست هذ عظمة سعد تذكرنا روحه اذا توانينا وتبتسم لنا اذا أقدمنا مخلصين ؟

سمعنا بعض كبار حكامنا ابان حركتنا المباركة يقول « لم أكن أظن فى الامة المصرية هذا الاقدام » وفاته ان أول شرائط الحكم ان يتعرف الحاكم طبائع المحكومين وقد اختص الله سعداً بهذا الفضل فعرف حقيقة قومه وعرف ما انطوت عليه نفوسهم من فضل فهل نشد فضل ذلك الزعيم القدير وندفن كرائم غرائزنا ونكرم أنفسنا بمتابعة السير الى الامام مع الحرص على تلك المبادئ وما حصلنا بفضلها من خير ؟

عرفت الحكومة لعظيم مصر ، قدره فقررت اقامة التماثيل لشخصه الكريم وانشاء ملجأ باسمه وجعل بين اقامته ومولده مزارين مقدسين وعرفت الامة لزعيمها فضله فجعلت من نوره شمساً تتطلع اليها كلما أشرقت الشمس وتسير على ضوئها كما سارت وتهتدى بهديها كلما فكرت وكان ليكورج يقول ليست حياة الامم فى

القوانين المكتوبة ولكنها فى القوانين المغروسة فى الصدور . وقانون الحياة الذى سنه سعد للامة من القوانين التى تشربتها النفوس وصارت مادة حياتها الفردية والحماسية والادبية والوطنية ذلك لان سعداً كان يستملى شريعته من وحى قلبه فيمليها على القلوب

اما الحزن على فقد سعد . اما الشعور بما خسرته الامة بفقد سعد واما تعداد صفات سعد وكرائم مواهبه وجلائل أعماله وعظائم فضائله فانها أعمق من أن تستوضحها الكلمات وأملك للقلوب من ان يترجم عنها اللسان لانها أصبحت عواطف مرتبطة بالوجدان ولانها بديهيات أوضح من أن يشرحها البيان

لقد صرت يا سعد بجوار ربك فاذكر مصر فى صلاتك ان مصر ستذكرك ما جرى النيل فوق صعيدها وسيذكرك المصريون ما جرت الدماء فى عروقهم . نسأل أن يجعل لنا من حياة سعد ما يعلمنا كيف تكون حياة المخلصين من العظماء

هجع الجبار

للكاتب الفاضل المصرى عبد السميع عرابى

مابين ضحوة وعشى سكن جبار هذا الوادى وهمدت عزائمه . وهى لسانه وتنكرت معالمه . وكان قبل ذلك يدهش الوجود بمضاء تلك العزائم ويستثيره بصدق ايمانه فى سحر بيانه . ويملأ على محبيه والمعجبين بعظمته آمالا وضياء

وآحر قلباه على الفجيعة القاسية فى موئل هذا الوطن البائس وصخرته المتينة الشامخة . فالحزن العميق الشامل ملأ المشاعر . والحرقة الكاوية تكاد تأكل الجوانح والصدور

بينا الامن عميم والطبيعة هادئة وادعة والآمال الحلوة الغالية تفيض على

النفوس طمأنينة واستبشاراً . وتصور المستقبل فى أجمل صور السعادة والهناء . اذا الفزع الاكبر ملق رواقه واذا نكباء جرباء تعصف علينا من مأمننا فتذهب بغتة وفى مثل لمح البصر بما عمر نفوسنا من أمال وأحلام

ذلقت الى بيت الامة فى الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء الفارط استجلى ماخفى من أنباء صحة الرئيس الجليل طيب الله ثراه . وأثابه بما هو أهله وأرضاه وكانت أخبار مرضه موضع عناية الكافة واشفاقهم . فدخلته وما كدت أرى الفزع البادى على وجوه العواد المساكين والوجوم الضارب فى كل مكان حتى أحسست الامر العظيم الذى أذهل العقول وأطاش الالباب . نخفضت رأسى وغرقت فى بحران . ولكن سرعان ماضاق صدرى من تلك الحال الباعثة أشد القلق ودنوت ممن كان بجانبى أسأله عن صحة الرئيس . فصمت ثم نطق بما كنت أحذره وأخشاه قال « ان الحالة شديدة » ولم يزد عليه حرفاً . ولكن هذا الجواب الوجيز كان قد أغنانى عن كل اسباب و بيان

فيا لحول النبأ وعظم الفادحة ومرارة الفرقة الوشيكة والخيبة الاليمة أيمكن أن ينزل القضاء القاسى هكذا سريعاً وتصاب النفوس المكلومة الوالهة فى معقد آمالها ومحل ثقتها ورجائها وينضب معين الحكمة البالغة والقوة القاهرة والادب الجم والبحر الخضم ؟؟

من للسفينة القلقة المضطربة فى الخضم المزبد من عنت الطبيعة وحوادث الايام يكفل لها أمنها و ينشر فى الفضاء أعلامها و يشق بها الى السلامة طريق المجد والكرامة

من للذمار يحميها اذا دك الطود وأزفت الآزفة . ومن ذا يغنى غناءه فى حيث يندب البطل الجعد . ويهتف بذى الساعد الأشد أم من للمكارم يحييها و يوفيها حقوقها . وللمجد القديم يعلى بناءه و يوطد أركانه ؟؟

مرت هذه الخواطر المفزعة وأمثالها بمخيلتى فى تلك الساعات الرهيبة التى

سبقت وقوع القضاء المحتوم . وتمثلت لى الامة التعيسة الحائرة كما رأيتها فيما بعد مولولة باكية تندب سوء حظها وتبدى عظيم ما بها . وتضج حول نعش أبيها فى رونق الحزن الممض تؤدى اليه واجب الوداع الاخير

وفيما أنا كذلك اذا بالعويل يشق الحناجر والنشيج يقطع نياط القلوب واذا الامر جد والخطب حال والدمع فوضى والمصيبة شتى فقد نفذ قضاء الله فى الرئيس الجليل ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم

ماذا عسى يقول القائلون ويكتب الكاتبون فيما يجل عن كل قول ووصف وهلا أبلغ فى هذا المقام الذى لا ينبغى فيه غير الصدق والوفاء من شهادة الخصوم الشرفاء المعقولين الذين تنزهت خصومتهم عن شوائب الاعراض الكاذبة وسلمت من أهواء هذه الحياة الغرور ؟ ؟

لقد أعلن القوم الحق الصراح ونادوا بأن زغلول كان خصما عنيداً شريفاً يا طالما شد عليهم فكربهم بقوة جنانه وعظيم سلطانه وأعياهم إذ يشدون عليه بعجيب يقينه وجلده وثباته فوفاته كبطل قومى خسارة لا تعوض هكذا قال القوم فما عدوا الحقيقة شيئاً وكانوا فيها من المنصفين

أما نحن فنحس خسارة فقده فى مواطن أخرى غير هذه . فى مزاياه التى حببته الى القلوب جميعاً من صدق وشهامة ووفاء واقدام فى الجلائل وتضحية بكل غال ثمين فى سبيل العقيدة . نحسها فى شمائله الرضية وأخلاقه الدمثة ونفسه العيوفة ودعته ولطفه . نحسها فى تعاليمه العالية ودروسه الحكيمة السامية وفى رعايته للحقوق وهشاشته للولى والصديق نحسها فى حدبه بينى وطنه ورأفته وثورته على المفاسد وبطشه وفى كثير مما يطول بنا تعداده من المناقب والفضائل

كان الراحل الكريم يضرب لامته وللامم الشرقية قاطبة أشرف الامثال فى حب الوطن والتضحية فى سبيل مجده وفخاره وكان فى انكار الذات فى مواطن المفاخرة أول من عهدنا من زعماء الشرق وقادته يلهب المشاعر ويذكى العزائم

و ينفخ فى الجموع من روحه الفتية الوثابة و يقود الصفوف و يسبقهم الى الحتوف . ثم لا يرضى لنفسه بعد ذلك بأكثر من نصيب الجندى الامين الذى لا يرى له حقاً فى شكر أو ثناء على واجب قام به ووفق فى أدائه .

أنظر اليه كم كان عظيما وصادقاً وفياً يوم هرعت الامة الى السرادق الذى ضرب بجوار بيت الامة لتحيته وتكريمه عقب عودته من منفاه فى سنة ١٩٢٣ فقد وقف فى ذلك اليوم التاريخى الجليل يلقى على أبنائه الحافين به كلمة شكر من تلك الكلمات العذبة الساحرة المأثورة الباقية على الايام :

قال رحمه الله فى بعض ماقال (طلب منى بعض خطبائكم أن ألقى كلمة تكون برداً وسلاماً على قلوبكم والكلمة التى جاشت فى صدرى على الاثر هى أن أرجوكم وأرجو كل مصرى أن يحافظ على أمر واحد هو فخر نهضتنا الحاضرة : ذلك الامر هو الاتحاد المقدس) ثم قال : (تفضل بعض خطبائكم باسناد هذا الفضل لى .لا أقول ذلك ولا أعيه ولا أتصوره . وانما نهضتكم تبتدئ من مؤسس العائلة العلوية محمد على وللحركة العرابية فضل كبير فيها . وللسيد جمال الدين الافغانى أثر كبير فيها هو وأتباعه وتلاميذه وللمرحوم مصطفى كامل باشا فضل غزير فيها أيضاً كذلك للمرحوم محمد فريد) ففى بعض كلمات قليلة أتى من تاريخ نهضات مصر ووفى الذين عملوا فى حركاتها الوطنية فى مختلف العهود حقوقهم وأسند الفضل الى ذوية لم يختص نفسه الكبيرة بمجد ولا فخر بل صدق التاريخ وأرضى الحقيقة ودل الاعقاب على مواطن الخطأ والصواب فى هذه القضية الوطنية التى تنوعت فيها أراجيف المرجفين وتعاون على طمسها الخصوم الواغلون وأشياعهم من العبيد والدساسين ثم استطرد الفقيد العظيم الى قوله : (كل هذا حق يجب علينا أن نقوله لانه لا يكتم الحق الا الضعيف

ثم أتت هذه النهضة وأتت على أثر تلك النهضات وامتازت عن سابقتها بأنها وتمت هذا الاتحاد المقدس بين الهلال والصليب هذا الاتحاد أرجو مصر

جميعها أن لا تتهاون به . انه فخار هذه النهضة وعمادها وهو الذى اضطرب له خصومنا وفند حجة يعتمدون عليها اذ كانوا يقولون نحن حماة الاقلية فلا بد أن نقيم بينكم لنحفظ العدل فيكم)

فما أعظم نفسه الكريمة العالية إذ تأبى أن ينسب اليه فضل غيره وكم كان فضله عظيما شاملا إذ ألف بين الهلال والصليب فذلل بذلك عقبات كبيرة كانت لولا يده البيضاء تقف فى طريق الجهاد الوطنى وتحول بينه وبين بلوغ الامانى العزيزة الغالية

---

٢٣ اغسطس

للكاتبة النابهة عزيزة فوزى

ان الحياة والشباب بما فيها من محاسن وجمال ونور وآمال ليس فى كل ذلك ما يخفف عنى حزنى وليس فيه من يلهينى عن ذكر ما اصاب امى ففى مثل هذه الليلة منذ عامين فجعنى الموت فيها وذكريات ليلة الفراق أذكت جذوة بفؤادى تتقد فبت على جمر وطال ليلى وليل الحزن ليس له آخر وتعجلت الصباح فلاح الصباح وولى ليلى فلا رعاك الاله ياليلى ليل كله ويل وروع فتبا لك يا ليلى وتعسا لغرتك المشؤومة وبعد ان ادركنى التعب اصبت من صباحى قسطا من النوم متقطعا زهيدا واستيقظت مذعورة وجلة على صوت الناعى ينعى سعدا ويح نفسى وهل مات سعد ؟ وطنى شؤم ليلى على مصر فارهقها ؟ ودكها دكا ؟ وكانت مصر ياموت مطمئنة قريرة العين فما اقساك ياموت ! عهدناك ياموت عاتيا قهاراً عهدناك ناقدا حريصا ولكنك اليوم اشد حرصا واكثر عتوا فقد عدوت على سعد ولم توقر عظيما ولم ترفق بامال امة وكدرت صفوها ولم ترحم

ولقد نشأ فقيد مصر و بقوة عزيمته سما وبجزمه ارتفع و برز سعد وكان القائد الكبير وكان الزعيم المحبوب وكانت نفسه تفيض بالحب لمصر وكان لا يفتر عن ذكرها ولقد استحالت كل خلية من خلايا جسم سعد الى قوة وحزم وعزم فكانت مصدرا للخير ومنبعا للحماسة والاقدام وكانت صفاتك ياسعد متفرقة ترفع الرجل الى اكبر مكانة فاذا كان الرجل امينا وثقوا به وقلدوه امورهم واذا كان صادقا نزيها احتكموا اليه وشاوروه فى شؤونهم واذا كان خطيبا وقروه وتقدموه فى اوقات الشدة واذا كان عذب الحديث اقبلوا عليه واذا كان ذكيا لبيبا رفعوه الى ما يستحق وقلدوه زعامتهم تلك هى بعض صفاتك وشمائلك متفرقة ذلك هو اثرها على الاشخاص

فكيف بك وقد وهبك الله اياها جميعا ؟! فكنت الصادق الامين وكنت الوفى النزيه وكنت القاضى العادل وكنت راجح اللب حى الوجدان وكنت الخطيب البليغ وكنت الكاتب الاديب وكنت ثابت الخلق والمبدأ والعقيدة وكان حديثك العذب نافذا الى القلوب يملأها شغفا وأعجابا وكان يشع من عينيك نور يسحر النفوس فتعنو لك الجباه العاتية وكان لطلعتك مهابة وقوة تفرض الاعجاب والاجلال وكان لك ياسعد الاثر الخالد المتين فى كل ناحية من نواحى النهضة وكان صارما فى الحق لا تأخذه فى دين الوطن شفقه ولا رحمة تنزهت عن الغايات ولم يشغلك عنا نعيم فى الحياة وكانت الشدة والمكاره تزيدك بأسا واقداما — فلم يزعزعك نفى ولا اعتقال و بقيت عقائدك سليمة راسخة

ثمان سنوات متواليات كلها مغالبة . ونضال . وكلها بذل وتضحية . وجهاد مستمر . ونفى واعتقال . وكلها أهوال وعناء . انها صفحة نقية خالدة . انها المثل الأعلى للنبوغ . انها الآيات البينات . ولم يقعدك عن التفكير فى مصر سوى الموت الغادر الطاغى . فتركتنا ومصر تجتاز الظروف العصيبة الرهيبة . فهل فطنت وأنت تردد صوت القضاء الحاسم بقولك (أنا انتهيت) هل فطنت انك انتهيت قبل

ان تنال مصر بغيتها ؟ ؟ وهل فطنت انك انتهيت ومصر تجتاز أحرج أوقات الشدة وأدق الظروف ؟ . وابيت مصر استقرت باخلاصك على قرار تطمئن اليه قبل الرحيل ! وليتك ياسعد جوزيت عن جهادك وما تحملته فى سبيل مصر بحل تطمئن اليه قبل الرحيل ! وهم يزعمون ان سعداً مات قرير العين . فقد بلغ المجد والرفعة وانضوى تحت لوائه البلد الامين . ولكننى اخالفهم وأقول لهم ان نفس سعد العظيمة متشعبة المطامع لا تكترث لما يوجه لشخصها من تقدير وتكريم ولا تهتز لغير ما يصيب مصر من نصر وفوز فهل فازت مصر بما هيأته لها يا سعد بجهادك ؟ وبما كابدته من عذاب وعناء ؟؟ — كلا فما أقساك ياموت وهل كنت تفطن ياسعد وأنت تردد صوت القضاء الحاسم بقولك (أنا انتهيت) هل كنت تفطن الى ما يترتب على رحيلك من خسارة تحيق بمصر ؟!

ان خفوت صوتك ومصر أكثر حاجة اليك أشد هولا من الموت ! وكنت احسب ان حزنى على امى أجمد نوازعى فلن أكترث لخطب مهما عظم ولكن موت سعد وقع عليّ وقعاً أليما فما زلت أنتحب وأتوجع وما زالت رأسى تتصدع بجد مريب هى السهام الفاتكة حتى أصابنى ما أعيانى عن الكتابة وعز على ان أعجز عن توديع سعد بكلمة وكم ناجيته وهو حى وكم أحببته وكنت أعرف عن بطولته حديثاً عرفنى به قبل ان تعرفه غيرى من الفتيات

وكانوا يحجبونك عنا ياسعد ويحيطون بيتك بسور من نار ويصوبون المدافع علينا وكنا نقتحم كل هذا ولما نكترث لشئ فى سبيل رؤيتك والوصول اليك ولكننا اليوم أمام أمر لا مرد له وليس له من دافع فخرجت أشيعك الى مضجعك الاخير فكان كل ما على الارض يبدى الحسرة والأسى وفى سفاحات مصر الواسعة يجتمع الناس ويسيرون مطأطئين الرؤوس يملكهم الجزع وكنت يا سعد باكية واجمة أسبح بتصوراتى بعيداً بعيدا فيرجع بى الخيال الى يوم عودتك من المنفى وكنا هاتفات قريرات العيون وكيف كان الناس يلحون فى طلب التذاكر

ليجلوا أبصارهم بطلعة سعد وكانت صيحات الفرح والسرور تلك ياسعد أيام مضت وانقضت وكأنها أحلام أما اليوم فالكل باك حزين وكان موكب جنازتك مظهراً من مظاهر الحب وصورة من صور نفسية المصريين وكان أبناؤك الذين يسبقون جثمانك الطاهر يمشون مشياً وئيداً واهمين وكأنهم يريدون أن يطيلوا الوقت ليحتفظوا بك بينهم قليلا ؟ أما هؤلاء الذين كانوا يمشون وراء معقد آمالهم فقد كانوا يسرعون وتتدفق جموعهم ويخشون أن يحجبوك قبل أن يلقوا عليك نظرة الوداع وقد سمعتهم يقولون : مع السلامة ياسعد . ويح نفسي يا أصدقائي ؟ وهل في الموت سلامة ؟ وهل في الفناء امن ؟ لقد ارتج عليهم القول وعجزوا عن تصوير جذوة بأفئدتهم تضطرم واقترب أحد فرسان البوليس من المحتشدين ليبعدهم عن الشارع فصدم غلاماً صغيراً فطفق الغلام يبكي ويقول بصوت مؤثر حزين (مات سعد باشا فدوسونا بعده بخيولكم) فهل كان الصبي الجاهل يتطلع كما نتطلع جميعاً الى كشف ما خفي من مستقبل مجهول ولما كنت لا أحتمل غير هذا القدر من دموع وحزن فقد عدت من منتصف الطريق

ويح نفسي وماذا فعل بكم الاسى وأنتم توارونه التراب ؟ انني أتخيلكم وقوفا لا تملكون دفعاً ولا اعتراضا ونار الأسى تشتعل بين جوانبكم والرجل العاقل يغالب لوعة الحزن كما كان يريد منا فقيدنا سعد انهم أشداء أقوياء ولكن الصدمة وجيعة تحز في أكبادهم وتعتصر أفئدتهم وألبابهم فكيف يصبرون ؟ ان فراقك ياسعد غصة تكاد تزهق لهوله الارواح فكيف لا يجزعون واستحالت مصر بأسرها الى سعير يحترق بلظاه العيون فكيف يصبرون ؟ انه مصاب يلهب ادمغتهم فكيف يتجلدون ؟

ثم انطلقت المدافع تدوي دويا منكراً فادركت ان سعداً يتوسد مضجعه الاخير وانه قد خفت الصوت الشجي وهوى النجم الثاقب الهادي ووقف القلب الرحيم وانطفأ النور الذي كنا نستمد منه الصواب فسبحان من لا يموت وإلى الله المرجع واليه المآب

سعد زغلول

للكاتب الفاضل عز العرب على

بوىء جدث من كان بالامس عظيما يملأ العالم من قوله دررا ، ويبعث فى الناس من بيانه سحرا

ذهلت عقول الناس يوم نعيه فغدا سواء فدمها وعليمها
وجمت نفوس مشيعيه من الاسى ولشد ماهاج الشجون وجومها
عادوا وقد واروه أصدق منزل حسرى فعاودت القلوب همومها
ويهيج أشجان الحزين أنينه ويثير شجو النائحات نئيمها
لم تطمئن جنوبهم لمضاجع جرحى القلوب يمضهم تكليمها

ويح الليالى دخلت بيننا وبينه ، وويل نوب الايام حالت دوننا ودونه ، ولم تبق لنا الا مايرجعه المحزون من الانين والا مايردده المفجوع من الذكرى والحنين

مجد وعظمة وذكر خالد ، ذلكم أقصى ما يتمناه مجاهد فى الحياة ، ولقد بلغ سعد غاياتهم القصوى واستوى على عرشها جميعها فهل استطاع المجد والعظمة وخلود الذكر أن يردوا عن سعد قضاء ؟ أو هل استطاع المجد والعظمة وخلود الذكر أن يبعثوا فيه نفساً ؟ أو حتى ان يحركوا من نومه ساكناً ؟ كلا . . اذن ما المجد ؟ ما العظمة ؟ ماخلود الذكر ؟ لا شيء . ! . الا آثار أقلام الكتاب والشعراء والقول ممن يصورون لنا الناس اطهارا بررة أو ملاعين فجرة . . وفاق مشاعرهم وعلى نص خواطرهم . فما أعجز الدنيا عن تقدير العظماء الذين يجاهدون فيها والفضل الذى يصلون اليه

على أم دفر لعنة الله انها لأجدر أنثى أن تخون وان تخنى

خدعتنا فيك المرض ، ياسعد كما خدعنا صرف الزمن فهيأ الدهر لمصر يوماً

أسود استعر فيه حر الكبد وبرح فيه سقام الجسد . وسحت العيون دموعا كاللؤلؤ خانها النظر فكاد الناس فى دموعهم يغرقون

تعشقت العظمة من صغرك ومن يتعشق العظمة يستهدف للهول والخطر فسجنت باسم الوطن صبياً وطوردت فى الحرية فتيا واعتقلت فى استقلال بلادك شيخاً أقصوه ملياً

عذبوه فلم يلن فنفوه ... هو كالصخر قسوة أو أشد

فاستمالوه بالوعود ليرضى ... عجموا العود انما العود صلد

ثم أرادوا أن يقهروك على باطلهم فما اطامنت لهم من نخوتك فاختصموك وأعلنوا عليك الحرب وأرسلوا عليك جيشاً يحاربك وأنت فرد واستطالوا على بنيك واستبدلوا فوقفت لهم ثبت الجنان وهزئت قوة يقينك بجيش له التئام وحشد فياعجبا كيف أحرز النصر فرد ؟

وواعجباً ياسعد كنت زعيم المطالبين بتحرير مصر وبلغت من ذلك جلالة لاتطاول وسلطاناً لايغالب ومجداً تنتهى اليه الآمال ؛ ولكنك كنت أسيراً استعبده هؤلاء الذين تطالب باستقلالهم وتجاهد لتحرير رقابهم استعبدوك لانك كنت مفزعهم ولسانهم ومعقلهم الذى يأوون اليه وسندهم الذى يعتمدون عليه فما سرت الا احتاط بك الجوع ولا تحركت الا حشد حولك الجميع ولا تكلمت الا أصغى اليك ألف سميع ولا تأوهت الا اهتف لتأوهك الضلوع حتى ولا اكلت الا كانت مائدتك للناس مرعا ولا استراحت الا كان بينك لهم مرتعا . كنت ملكا شائعاً بين أمتك لصغيرها عليك من الحق ما لكبيرها وهذه منزلة من العظمة تنتهى دونها مطامع العظماء اذن فمن يستطيع أن ينصح للامة فيك الصبر والسلوى! والتفجع فى رزيئتك دواء نفوسهم والتوجع فى مصيبتك شفاء أرواحهم أصبح الناس يتلذذون بالحزن عليك ويجدون فى حرقة الحزن برء أفئدتهم وبلج صدورهم . . كلا . كلا. فى غيرك ياسعد يجمل العزاء وفى سواك ياسعد يحلو

التصبر والتأساء

لهف نفسي عليك يابطل الوادي ويانابُ أهليه ما أفدح الخطب فيك ! شر من موتك مانزل بنا بعد وأقسى من القضاء عليه ماتلاقى أرواحنا من عنت القضاء

لقد فضح الموت الدنيا ، نزلت معترك الحياة غازياً قاهراً وقطعت أيامه قائداً ظافراً ، فأين في الوطن جهادك ؟ وأين في الحق صلابتك وعنادك ؟ وأين مالبست من العظمة والجلال ؟ وأين مانفثته في الناس من السحر الحلال ؟ وأين وقفاتك للغاصبين ترعدهم رعدا ؟ وأين صيحاتك بالمارقين تهدهم هدا؟ .. قضى كل ذلك واحر قلباه ، وأصبح أكبر عملك أن يقال عنك « وبعد ئذ مات . . . هنا توت رفاته واستكان جسده » ! ! . .

أيها الناس ، ليست الحياة حلما ، فلا تحسبوا عظيما لجلالته فما ذلك الا من خدع الحياة تأملوا تبصرون وما تسمعون وما تعملون ثم اعرضوه على الحقيقة لا تجدوا له طيفاً ولا تحسون له الاخيالا

كان سعد بطل الشرق أيقظه من رقدته ودوى صوته فرج الغرب وسكن من حدته وجعله يلتفت لمصر يحسب لها حساباً وكذلك البطل يثير الضجيج ويعج العجيج ويملأ الدنيا غباراً ودخانا فأين نجد هذا البطل الآن أطلبوه كتاباً تقرءوه أو تاريخاً تدرسوه واحزنوا عليه حزنا كطول الدهر اذا مضت أوائله عادت بالأسى أواخره . أطلبوه من أفواه الشهرة ذكراً وتلمسوه على لسان الصيت خبراً أطلبوه في قوافي الشعراء ومقاطيعهم وتلمسوه في ترسل الكتاب وأساجيعهم فان سعداً مات ولله وحده البقاء

نصح الزمان وانما ... لم يلق من متسمع
واهاً من الدنيا تغر ... وليس فينا من يعي
هل بين آدم والزمان ... قديم ثأر مفزع
يقضى على أبنائه ... ويصيب قلب الاروع

يا دهر روعت النهى ورميت خير سميذع
رشت السهام الى القلوب ورحت غير مروع
وظوت يداك صحيفة نشرت هداة المجمع
أنقى الصحائف ما طو يت بفعلك المستبشع

***

من للكتابة والمنابر ان دعونا يسمع
من للمبادئ حرة يدعو حميد المنزع
يقف المواقف جمة فى الحق غير مزعزع
أقنعت كل مساجليك وما تركت لمدع
علمتهم أدب الجدال بكل لفظ ممتع
فى مدلهمات الشدائد كنت آمن مفزع
ان غاب أفق الحادثا ت سلكت أبين مهيع
حلت حياتك من كتا ب بالحقائق مترع
نم هادئا فالعهد عند الشعب غير مضيع

الى سعد

للنائب المحترم عبد السلام بك فهمى محمد نائب المتوفية

اليك ياسعد أيها الخالد الاثر على الزمن. نجدد الايمان والعهود على اتباع تعاليمك والسير على منهاجك حتى نستقبل ما بدأت به من بناء استقلال هذا الوطن العزيز

اليك فى تلك اللحظات التى تكاد قلوبنا تطير من بين ضلوعنا حزنا عليك

نمد ايدينا مجددين العهود والمواثيق معتقدين ان فى هذا اطمئنانا لروحك وتخليد الذكرك

سنقف جنودا كما كنا فى حياتك نتلقى الوحى والالهام من روحك التى لن يقر لها قرار حتى نعلم حق العلم انها تركت فى هذا العالم جندا وخلفاء ساهرين على تحقيق امانيها لهذا الوطن العزيز

الا انتطمئن تلك الروح الطاهرة عالمة انا لن نخلف عهد السعد وانا لن ننسى سعدا ما حيينا وانا سنعمل على رضاه وليس رضاه الا استكمال ما بدأه هو من فخار وارتفاع لهذا الوطن العزيز

ياسعد !

لقد فارقتنا فى وقت كنا فى اشد الحاجة الى قيادتك ولكن غايتك معلومة وخطتك مرسومة فستتبع خطتك حتى نصل الى غايتك

سنقتفى اثرك فنخلد ذكرك وما هذا التخليد الا بالاخلاص فى العمل لخلاص هذا الوطن العزيز

وانت ايها الوطن

لقد اعزك سعد وجعل ماله ونفسه وحياته فداء لك وسنسير على منهاجه فنجعل كل ما نملك والروح فداء لك

سنقف صفوفا متراصة متحدين مستميتين فى الدفاع عنك حتى لا توجد ثغرة بين صفوفنا ينفذ منها من يريدك بسوء

كفاك ايها الوطن ان يولد فيك سعد و يتقدم بنيك مضحيا حياته فى سبيل مجدك حتى يتقدم الكل مؤتمين به

لن تجد الغيرة فى قلوبنا محلا الا فى التسابق الى تمجيدك واعلاء شانك

سنعمل ما حيينا على خلاصك ورفعة شانك كما عمل سعد حتى آخر نفس له فى الحياة .

سيكون مبدؤنا ما بقينا « الاستقلال التام » او الموت الزؤام » .
وسيكون نداؤنا ما بقينا فى هذا الوجود لتحى ذكرى سعد . ليحى الوطن

المدينون بأعمارهم وحريتهم لسعد

للكاتب الحقوقى حسنى عبده الشنفناوى

اذا حزن الناس على سعد لانه تقدم صفوفهم يدفع عنهم العادية ويلقى بصدره الرحب ما يصوب اليهم من مكاره وشرور حتى خر صريعاً فى سبيل الله والناس . ففى هذا البلد أناس يدينون لسعد بأعمارهم وبأنفاسهم التى تتردد فى صدورهم وبالضوء الذى يتماوج فى أعينهم فيصل ما بينهم وبين الافق الشاسع الطلق بعد ما كان الاستبداد يضن عليهم فى السجون حتى بفراغ يسع ما بين منكبيهم وأحاطهم بظلمة يستوى فيها الاعمى والبصير

فتحت لنا أبواب السجون ياسعد ووقفت ماداً ذراعيك تتلقانا على رقائق صدرك . ولن ننسى ما حيينا هذه الدموع البريئة التى تناثرت فى أول يوم رأيتنا بعد الافراج ولا هذا الصوت العميق الرنان الذى يغمر سامعه بما فيه من حنان واخلاص وهو يقول « كفى . كفى انتم . فلقد حملتم أكثر مما يجب » فهلا كنت أكثر اشفاقاً على نفسك منا فأبقيت عليها ولم تفنها وأنت لاه بالناس عنها وكأنما خلق الله لك نفساً لتهبها للناس وتكون فيها من المسرفين

أخرجتنا من مقابر الاحياء فياليت أنا نملك لك اخراجاً من قبرك وأن نعطيك ما وهبتنا أياه من أنفاس الحياة . ونرد الى عينيك ما وصلته باعيننا من ضوء ونور . ونعطيك من قوتنا التى بثثتها فينا بعد ما كادت تتلاشى قوة فى جسدك الفانى

ولكن الموت لم يكن لمثلك الا الخطوة التى يرتفع به الى عرشه الابدى والرجفة التى يرخى بها عن نفسه شطرها الدنيوى . فيصبح بعد ذلك حياة خالصة ومعنى خالداً . ولانت فى مماتك ياسعد أعظم منك فى حياتك . وسلام عليك يوم تموت ويوم تبعث حيا

فجيعة السودان

للكاتب السودانى مجد الدين سعفان

أنا ترجمان العواطف السودانيــة المخلصة لمصر الام الرؤوم . وأنا رسول تلك العواطف الفدائية التى استصغرت الشدائد والعذاب فى سبيل مصر . واستعذبت الألم وابتسمت للحتف والتنكيل من أجل عروس النيل الجميل

لا أحــدث عن الماضى . فالماضى أمره موكول الى التاريخ يحكم فيه بما شاء وما يشاء التاريخ الا حكما عادلا تسود فيه وجوه وتبيض وجوه

ولا احدث عن المعقل وأيام المعقل . ولا عن السجون وليالى السجون فالمعقل والسجون سيشهدان فى صحائف التاريخ ان المعتقلين والسجناء فى السودان من أجل مصر والسودان كانوا ولا يزالون فتية من أولى العزم والبأس لا تنهنهم الاغلال ولا تفل من غربهم السلاسل والاثقال

ولـكن احــدث الايمان القوى فى الامة المصرية الفتية بذلك الزلزال الاليم الذى صدع عواطف ضحايا الحرية السودانية المصرية وهم آمنون مطمئنون قانعون من العيش بالـكفاف ومن الطرد والتشريد والبعد عن نسائهم وأطفالهم بالذكرى ان كانت الذكرى تسد الرمق أو تزيل العوز والاملاق

أحدث الايمان القومى المصرى عن الايمان القومى السودانى الذى تصدعت

أركانه لنعي سعد ونحن فى السهرة فولهت العقول وذهلت وازرفت العيون الدموع السخينة وكاد أبطال الوادى المقدس ينكلون بالناعي ويسحقونه سحقاً لاستنكارهم النبأ واستبعادهم ان الموت بجبروته يجرؤ على أن يمد أصابعه الى سعد وما سعد إلا أمة بقضها وقضيضها وشعب ناهض متوثب تدفعه الى الامام همة تواقة الى الحرية وعزمة مضاءة الى اعتلاء عرش العزة القومية

انكر أنبياء الوطنية فى السودان وأنكرنا معهم النبا فهرعنا جميعاً الى البيت الذى أصبح فى الشرق كعبة يحج اليها الحادى والبادى ومنتدى ينتجعه القاصى والدانى ومثابة للناس وامناً يجدون فى باحتها الرأى الاصيل والقول الجميل

دهش صحابتي ودهشت وذهلوا وذهلت وبكو وبكيت باسم الزعيم الجليل وناديت ولكن لا سميع ولا مجيب

وكيف يسمع النداء ويجاب الدعاء فى بحر لجى من الانفس الحزينة الواجمة المكتئبة واللجيج النادب والضجيج الصاخب وكيف وقد حم القضاء ومات ليث الشهباء وألجم ذلك اللسان الذرب . وأسكت ذلك الصوت الذى كان يرن فى أجواء الفضاء ؟

وما كان سعد هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

ليسوا جديدين فى اخلاصهم لمصر وولائهم لها اولئك السودانيون الابطال فكم أقاموا الحجج الساطعة والبراهين القاطعة على محبتهم لمصر وولائهم لمليكها ورئيسها . وكم كانوا يتناحرون على الصحافة المصرية ساعة وصولها للمكتبة بالخرطوم وهم يرددون كلماتهم المحزنة المبكية أخبار أبينا سعد ورئيسنا الجليل أى قلب لا ينفطر عند قراءة وفاة الرئيس الجليل ؟ ؟

ولكن لك الله يا مصر ! . ولك الله أيها السودان القطر العزيز المحبوب . ولكم الله أيها الابطال المقاديد . وفيتم لمصر وللرئيس والنيل حتى النفس الاخير من أنفاس الزعيم الكبير

انكم تبكون بطلا كبيراً . ونديا عظيما . وهماماً جريئاً مقداما وقائداً خبيراً بصيراً محنكا . ورجلا لا أقول لكم كما قال من قال قبلي و الرجال قليل . فان سعداً مات وترك مساعيد كثيرة . وأبطالا عديدون لا يقلون عنه ايمانا بحق مصر والسودان والنيل . ولكن أقول لكم اننا فقدنا بفقد سعد الزعيم الاكبر ذلك الهمام الذى عناه الشاعر بقوله [1] : —

همام لو السبع الطباق تطابقت * على نقض ما يقضيه من حكمه الجارى
لنكث من أبراجها كل شامخ * وسكن من أفلاكها كل دوار
ولانتشرت منها الثوابت خيفة * وعاف السرى فى سورها كل سيار

وفقدنا بفقدانه حكيما كبيراً وسياسياً محنكا أعاد للعالم عهد ذلك الذى احتفظ التاريخ بذكراه وجاء فى بعض مناقبه : —

ومعضلة دهماء لا يهتدى لها * طريق ولا يهدى الى ضوئها السارى
تشيب النواصى دون حل رموزها * ويحجم عن اغوارها كل مغوار
أجلت جياد الفكر فى حلباتها * ووجهت تلقاها صوائب أنظارى
فأبرزت من مستورها كل غامض * وثقفت منها كل قسور سوار

أيها المصريون وأيها السودانيون :

لقد ترك لكم سعد رجالا أشداء فيهم ما فيه من الاخلاص للوطن . والغيرة على سعادة النيل فاجمعوا أمركم وولوا خياركم ولا تولوا شراركم . وكونوا كالانجليز وهم أرقى الامم فى وطنيتهم وتعظيم شأن كبارهم وقادتهم يدفنون اعظم عظيم فيهم ثم ينصرفون الى انتقاء من يخلفه على عرش العظمة والرياسة غير مختلفين ولا منقسمين وليكن أبطال مصر أمامكم . كلهم سواء

سيروا بنى وطنى سيرا حكيما متئدا غير متورطين ولا مندفعين فالخطب جلل

أحقا مات سعد ؟

للكاتبة الفاضلة محررة مجلة روزا ليوسف

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وشاع الخبر فى النـاس تعاظم الامر عمر رضى الله عنه فانتضى سيفه وقال : من قال أن محمداً قد مات علوته بسيفى هذا وأسرع أبو بكر رضى الله عنه الى المنبر فخطب الناس وقرأ قول الله تعالى . « وما محمد ألا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفأن مات أو قتـل انقلبتم على اعقابكم » الآية الكريمة ، فقال عمر والله لكأنى ما سمعت هذه الآية ألا الساعة !

لم يكن عمر يعتقد أن رسول الله خالد أبد الدهر ولا أنه من الموت بمعتصم ولـكنه الروع وهول الـكارثة . ومن الـكوارث ما يذهب باللب ، ومن الـكوارث ما يزلزل اليقين .

ولقد أصبح الناس يوم الاربعاء لا طلعت شمسه فيطلع الناعى على جماعاتهم فلا يصدقونه . أسعد يموت كما يموت النـاس ؟ أسعد يدس فى التراب كما يدس الناس ؟ لا ! لا ! . هـذا لا يتصوره العقل ولا يتسع له الذهن واذ تـكرر النعى وترددت به الالسن هنا وهناك عم الناس ذهول أى ذهول وغشيهـم من الهول ما غشيهم فـكنت لا ترى الا أبصارا زائغة وأفواها مفغورة وشفاها متقلصة والسنة معقودة وأنفاسا تتردد فى الحلوق درا كا .   «سعد مات » !

بطل مصر وقائد نهضتها ؟ وحامل لوائها الى استقلالها ولسانها الناطق بحجتها وقلبها الخفاق بحقها ورجاؤها فى الحياة اذا انقطع الرجاء وأملها فى الفرج اذا اشتد الـكرب واستحكم البلاء كل هذا يموت فى لحظة واحدة ثم يدس فى قبر ثم يمسى خبرا من الاخبار ؟؟

اللهم أنه لا تتقبل أذهان الناس هذا ألا اذا جنت ولـكن سعداً مات فجن الناس .

وارحمتاه ياسعد أطف على أبنائك بروحك العظيم ترى فى كل دار مناحة وفى كل طريق مأتما وفى كل عين دمعة وفى كل قلب لوعة

أطف ياسعد على الناس بروحك الكريم وكفكف دموعهم وخفض من أحزانهم وأدخل العزاء على قلوبهم ، فقد تعودوا ألا يطيعوا فى الناس الاسعدا وألا يسكنوا الا بكلمة من سعد .

أطف ياسعد على الناس بروحك الحكيم وقل لهم كيف يصنعون بعد اليوم فى قضية بلادهم والى أى طريق هم سائرون ، فلقد تعودوا أن لايهتدوا الا بهداك ولا يمشوا الا على ضوء سناك ، وأن لايجهدوا فى تدبير فقد وكلوا تدبير قضيتهم بعد الله اليك فحدثهم ياسعد بعد اليوم كيف يصنعون ؟؟

تركتنا ياسعد والافق حالك والطريق شائك وأمر البلد فى كفة الميزان فهلا لبثت حتى أبلغتها شاطئ السلامة وكفلت لمستقبلها الامان ؟

مارضيت ياسعد أن تدعنا قبل أن نحقق ما استودعناك من آمالنا ولكن أرغمك القدر فليس لنا الا أن نحنى رؤوسنا تسليما بما فعل القدر .

وارحمتاه لنا ! أهذا ماجرى به علينا القلم ؟ أهذه هى الغاية التى أرصدها لنا القدر ؟ أهكذا يعصف الدهر بآمال أمة من حيث لاتحتسب ؟

اللهم كما قبضت منا سعداً فانشر علينا رحمتك ، ودبر أمرنا بحكمتك ، وأنر الطريق بين أيدينا فلا تضل أحلامنا ولا تزل أقدامنا وألف بين قلوبنا حتى نسير الى غايتنا صفا واحدا يقوده روح سعد كما كان يقودنا فى الحياة سعد

اللهم ارحم سعداً بقدر مصيبتنا فيه ، وارفع درجته عندك كما رفع أمته فى خلقك ، وزد فى أجره جزاء مابذل لقومه مما لايلحقه الوصف ولا يرتفع اليه الحساب . آمين .

هذه دموع . . .

للكاتب الاديب محرر الفكاهة

من الذى يستطيع وصف الهلع الذى أصاب البلاد من وفاة سعد زغلول ، وكيف يوصف الحزن الذى أهرق دموع الرجال والنساء والشيوخ والعجائز وحزّ اكباد الكل فلم يستثن الاطفال الذين قرب عهدهم بالكلام

من الذى يصف هذا الهول بأبلغ من هذه الصفحة الفاجعة الالمية التى كتبتها الامة عند توديعه ، تلك الصفحة التى كانت الرجال والنساء حروفها والاطفال نقطها والبكاء والعويل والجزع والذهول معانيها وقد اجتمع الشعب كله فى العاصمة فضاقت به الميادين والطرق وتعذر على كل انسان قويا كان أو ضعيفاً ان ينقل قدمه الا من كان مدفوعاً فى تيار الموكب سائرا الى المدفن

هكذا كانت الجنازة وقد ابتلع الشعب الحكومة فكان الموكب الرسمى الكبير الفخم المهيب كالموجة فى البحر العجاج ، وكادت الجماهير تجن من الحزن فانقضوا على النعش خمس مرات ليحملوه عن عربة المدفن التى كانت تسير به كالقارب الصغير فى ذلك البحر الخضم

واختلطت الازياء ، فتكون من العمائم والطواقى والطرابيش والقبعات المتماسة من الزحام بساط كانه ملطخ بالدم والذين لم تسعهم الطرق يكادون يكونون حجارة تسد نوافذ الدور وشرفاتها والبكاء يشق عنان السماء وتلبست روح الالهام بابدان العامة فأنطقها الاسى بالقول البليغ فكنا نسمع مالم يقدر على مثله فحول الشعراء من الرثاء فى الالفاظ المرتفعة مع الزفرات من أفواه الدهماء ولولا ما شغلنا الاشتراك من فى التشييع والاعوال لدونا الشئ الكثير

وماذا بعد بكاء الاوربيين فى الشوارع والميادين من أثر المشهد فى النفوس

وما يعلو من الضجيج عند مرور النعش

الوداع ياسعد ، فى ذمة الله ياسعد ، الى الفردوس الأعلى ياسعد وأشرف بروحك من السماء لترى ما فعله فراقك بالبلاد

نسى الامراء والوزراء مقامهم بين الجماهير ياسعد فرفعوا أصواتهم بالنواح واختلط شهيق الامير والوزير بزفير الشرطى والخفير وصاحوا وصاح الناس معهم عند باب الضريح

وهل فى الارض نفس تقوى على شهود هذا الموقف من غيران تفيض أسى ولوعة وحسرة على الامة وهى ثكلى لا تدرى أمات أبنها أم أبوها ؟

أشرف على مصر من السماء يا روح سعد وانظر الى المأتم القائم فى الشرق كله

ليس مأتمك ياسعد فى مصر ، انه فى مصر وسوريا والعراق والهند وفى طرابلس أومراكش والجزائر والريف ، بل فى أوروبا بل فى أمريكا ، بل فى كل مكان فيه شرقى ، بل حزنت عليك الفرنجة العارفون باقدار العظماء وحملت الرياح الينا انفاس رثائهم من وراء البحار

سلام الله على سعد ورحمته وبركاته ؛ نبكيه وبكاؤنا عليه بكاء على أنفسنا ألم تصبح مصر بعده أماً ثكلى هو ابنها البار وبنتاً يتيمة هو أبوها البر الرءوف ؟ من هذا المصاب فليتعلم الناس الحزن ، والويل للبلاد من بعد هذا الرجل اذا ذاقت ذل اليتيم وكرب الضعيف الذى ذهب عنه الغوث والعون

***

... اللهم لاحول ولا قوة الا بك ، وياأيها الناس قد مات سعد ولم يمت روح سعد ، انه بيننا نراه فى تاريخه وفى أقواله وفى صوره ، وفى قلوبنا التى ملأها ، فليكن مانتلوه من أقواله فى المحفوظات ملء أسماعنا بصوته الذى لاننساه ، ولتنتشر ذكراه فى كل عمل ان ذكرى العظيم كصاحبها وان الذكرى تنفع المؤمنين انظروا

الى صورته وتذكروا ما كان يفعل وما كان يقول واقتدوا به وأطيعوه كما كنتم تطيعونه قبل أن يلبى دعوة الله

اللهم قد ارتجفت يدى ولم يبق لى من القوة ما أجمع به بين التفجع والكتابة اللهم تغمد سعداً بما هو أهله من الرحمه والرضوان ، فى ذمة الله ياسعد ، الوداع ياسعد

الى الخلود

للكاتبة السيدة استر فهمى ويصا

فجعت الامة فى موت رئيسها فكان لهذه الفاجعة رنة أسى لم يسبق لها مثيل فالامة تبلى وتقطر على سعد دموعا هى دماً ، وزفرات تفيض عن قلب ملؤه الاسى ولكنها ليست دموع اليأس والقنوط فمثل سعد لا يموت فهى تعلم أن من جاهد وبذل حياته فى خدمة المجموع قد زرع مبادئه زرع الخلود فاذا كانت حياتك ياسعد جهاداً فان فى مماتك فى خدمة هذه البلاد حياة . فاسكب علينا من روحك الطاهرة ونفسك العظيمة قوة وأوح الينا من ذكراك وحياً ومن خلودك عنوانا فاننا نعاهدك ان نسير على مبادئك ونحرص على الوديعة التى تركتها . فاذا نجحنا جنينا ثمار عملك واذا فشلنا فالحياة فى سبيل الوطنية رخيصة وسيجاهد من يخلفنا جهادك فاننا على عهدك أمناء وسنراك أمامنا قائداً لنا . ومنك نستمد قوة وروحا

فالى الخلود ياسعد

وعلى مثاله سيروا ياأبناء الوطن

في ذمة الله ياسعد

للرياضى البارع جهينة

لم تكن « النهضة الرياضية » الا ضلعا من « النهضة القومية » . ولم يكن زعيم الاخيرة الا زعيما للاولى . لهذا كانت الرياضة تتكئ على سعد ، ولهذا كانت الرياضة تدخر روح سعد

واذا ذكرنا مواقف الزعيم الجليل فى الرياضة ذكرنا له تلك البرقية الرقيقة التى ارسلها وهو على رأس الحكومة والامة سنة ١٩٢٤ الى الوفد المصرى الاولمبى فى باريس . واذا ذكرنا له غير ذلك ذكرنا بطولته على الشباب وهو كهل ذكرنا جرأته ، ذكرنا صراحته ، ذكرنا ايمانه الصادق ، ، ذكرنا عزيمته ، وكل هذه صفات كان فيها المثل العليا والقائد المطاع ، وكلها صفات تتغذى منها الرياضة وتعتمد عليها فى تربية الاجسام

مات هذا الجندى الباطش ، والاب الحنون ، والابن البار ، والقائد الحكيم والمحامى المتضلع ، والقاضى العادل ، والوزير الخطير ، والسياسى الداهيه ، والرئيس الجليل

ففى ذمة الله ايتها المجموعة القوية وايها التاريخ الفاخر

ولتقبل الامة عزاء الرياضة والرياضيين عوضنا الله جميعا فيه خيرا .

والى اللقاء الى اللقاء ياسعد

الى حرم الرئيس

من جناب مسيو بيولا كازيللى (١)

صورة الكتاب الذى بعث به لحضرة صاحبة العصمة حرم الرئيس الجليل

سيدتى

أقدم اليك بقلب ينفطر أسى عزائى عن مصابك الجلل بوفاة المغفور له سعد زغلول باشا

وما أنس لا أنس تلك التسعة الاشهر التى كان لى فيها الشرف الا كبر بالعمل فى كنفه كستشار ملكى لدولته . فنى خلال هذه الفترة استطعت أن أعرف ما لشخصيته الجذابة من سحر أخذ بمجامع الافئدة وان أقدر نفسه العالية الكبيرة و بصيرته النافذة العميقه ، وان أدرك احترامه المتناهى للقانون وتفانيه فى محبة كل ما هو حق وعدل غير متأثر بشئ من الاعتبارات الشخصية الطائفية أو الجنسية

وكنت اذا اشتدت أزمات السياسة وازبدت أجواؤها أعجب منه أيما اعجاب بسمو نفسه وعظمتها و باطمئنان روحه ، ذلك الاطمئنان الذى مرجعه ايمانه الراسخ بمستقبل وطنه والذى كان يسمح له بأن يتقبل منى نصائح رجل القانون مهما كلفه ذلك من التضحيه الشخصية

فلا غرو أن يكون فقد هذا الرجل العظيم خسارة فادحة لك ياسيدتى ولمصر على انه اذا كان سعد قد مات فان شخصيته لباقية بل عندى ان شخصيته

---

(١) اشتغل مسيو بيولا كازيللى فى منصب مستشار ملكى للحكومة المصرية مدة طويلة وكان رئيسا لاقسام القضايا ومستشارا ملكيا لمجلس الوزراء مدة تولى المغفور له سعد باشا زغلول رئاسة الوزارة . ثم اعتزل الخدمة بمصر وتولى وظيفة مستشار بمحكمة النقض بروما

الا ن وقد غشيها جلال الموت الذى من شأنه أن يعفى من نقائص الطبيعة البشرية فتتورع عن مساوئ هذه الحياة الدنيا — لن تزداد على كر الايام الا نمواً فى قلوب المصريين وعواطفهم

وكذلك ياسيدتى ، أنت التى كنت له فى حياته ذلك الرفيق النبيل وستظلين بعد موته باقية معه ، باقية له

وتفضلى بقبول أسمى عبارات الاحترام

من الخاضع المخلص

بيولا كازيللى

الى أم الشعب

للكاتبة البارعة السيدة بلسم عبد الملك

تفطرت أكباد الامة وسالت مدامعها مدراراً وبلغ الخطب والمصاب أقصى أمد من الحزن والالم حتى خيل لكل مصرى انه فقد مصر ولكل حى من أبناء هذه الامة انه اصبح لا يرى ولا كائنا فى هذه الموجودات كلها غير أحزان تضرم الاحشاء وتذيب لفائف القلوب على هذا العلم الخفاق الذى طالما رفرف على هذه الامة وعلى مجدها وحمل لواء النهضة فى هذه البلاد فاشهدها أول بارق من استقلالها بعد ان كانت ترسف فى اغلالها

ولقد كنت أيتها الام العزيزة الغالية أكبر عون لزعيم مصر على ماقام به من نهضة فى تثبيت قدم الحق وتشييد منار السعادة القومية لقد نفى سعد وشرد أرض مصر وسمائها فكنت انت النبراس الذى يستضىء به فى ظلمات الحياة وكنت الدوحة المورقه الفينانة نفىء اليك ونطفىء تحت ظلالك مايلم بمشاعرنا ونفوسنا من

جمرة الوجد وسعير الاسى على غربة زعيم هو كل مافى الافئدة من أمل وفى النفوس من رجاء

وقد شاء القدر الغالب ولا مرد لحكمه ان تصدع جوانب البلاد بهذه الفاجعة المؤلمة وان تغرب هذه الشمس الوضاءة المشرقة احوج الى ما كنا الى الاستنارة بها فى ليالى الخطوب المدلهمة

وما كانت هذه الفاجعة فى رجل ولا فى رجال بل هى فاجعة فى أكبر بنيان وأعلى عماد

على انى اذا عزيتك انت فمن ابن العزاء لنا والخطب يكاد من هوله يذيب النفوس اكدارا ويظلم وجه الحياة ليلا ونهارا

انك شريكة سعد ومعينته فى ميدان جهاده المبارك . وانت التى كنت تعلمين الامة دروس الصبر واليقين وهو فى منفاه فلتكونى انت مرآة سعد التى نشاهد فيها بطولته ومجده الاثيل صباح كل ومساءه فيهدأ روعنا وتطمئن قلوبنا ونعلم ان حكمة القدير ستمد لنا فى حياتك وتبارك أيام نهضتك لترفهى عنا الاسى وعن هذا الشعب الذى سيقيم الوفاء فى قلوب ابنائه واحفاده أكبر تمثال من الحب والاخلاص يبقى مسجلا على جبهة الدهور لابناء العصور

ان سعدا هو كلمة الحق فى فم الخلود يبقى محمولا الى الاجيال المتعاقبة ليكون انشودة عذبة تنهض الناشئين والناشئات كما كان سعد كذلك وسيكون اسمه أبدا فهو الذى اختط لامته المثل الاعلى والحكمة البالغة وقادها الى الصراط السوى وهو يزدرى جلائل الخطوب وكوارث الارزاء حتى أصبح وله فى أمته وابناء وطنه منزلة الروح من الجسم والحياة من الروح .

ولقد كان يوم فقده اكبر زلزال تفجرت منه ينابيع المآقى فى هذه البلاد من أقصاها الى اقصاها ومن منبع النيل الى مصبه وكان فى كل قلب مأتما وفى كل قطرة من الدم امواجا من النوب القاسية والكوارث الشداد حتى الاطفال الذين لم

يبلغوا سن الهموم والاحزان وفى الحقول البعيدة حيث صمت الحياة وهنوئها . كان الضجيج هناك ينشر اعلام الحداد ويكاد يبدل بياض النهار بليل السواد وكان الجميع لاتفرقهم قوة كأن الصبر لم يخلق ولم يعرف الناس له اسما ولا رسما . بل كأن كل حى قد فقد الحياة ذلك كله بعض الاعتراف الواجب تندفع اليه كل نفس من مكتوبات سرائرها وتسمو اليه الضمائر بما علمه سعد اياها وغرسه بها

والآن لم يبق لنا الا قلبك الرحيم وعطفك الكريم

انت انت التى شاهدت جلال الموقف ولكن صبرك أجل وعزيمتك اكبر وانت التى تلجأ اليك أن تكونى اول من تضع السنة الحسنة فى طريق حياتنا المستقبلة ويملى علينا اكبر آيات العزاء

وأنا لنأمل من القدير بقاءك فى عافيـة الحياة وامنها الى أن يبلغ بك الشعب مناه ويدرك من الخير أقصى مداه

آهات الاسى

للشاب الوديع المخلص الاخ محمود حسن خليل

حمّ القضاء ونفذ السهم فلا مرد للقدر ولا لحكم الله

آه : مات سعد . وقد كنا أكفا مبتهلة وقلوبا داعيـة ونفوسا والهة ترجو برءك من سقامك . وانتصارك على مرضك ولكن شاءت قوة القهر أن تلبثنا ثوب الحداد . وان تغير مسراتنا احزانا وافراحنا اتراحا وهذا ما كنا نرهبه ونخافه

آه . . ما أتعس هذه الليلة الحالكة السواد . ليلة فراقك يامولاى وقدزلزلت الارض وادمعت العيون واصيبت الرءوس بالدوار ونزل بالعقول الذهول والغشيان فاخذتنا الصيحة على غرة مذ نعاك الناعى

آه يامولاى . . انك فى عالمك الروحى تنظرنا وها هو قلب مصر قـد وقف نبضه وعلها الخفاق قد سكن ومصباحها المنير قد انطفأ . هاهم الـكل يامولاى بالضعف بعدك يشعرون « اذكر سيك عظيم لايملؤه غـيرك » وسحر بيانك خلاب أنت مالـكه دون سواك : ولئن يرخطبنا فيك كل الخطوب فعزاء لقلوبنا المـكلومه ولعيوننا الدامعة

أى مولاى : ابن ثويت ؟ أفى الثرى وما عهدنا نجوم السماء تغرب فى الترب. ام فى أى مكان ؟

خبرنى أيها الروح الطاهر وقد حرمت قبلة يدك ومتعة النظر اليك والاستماع لرنين صوتك وجميل خطابك

حدثنى فلقد ذهلت يوم رأيتك فى طريق الخـلود الى ربك

حدثنى وقد كانت روعتى اشد يوم ان اركبوا تمثالك سيارة الى المقبرة . ليزور تمثال سعد سعداً

آه لقد كنت بارا بابناء مصر وفتيانها

فمن نصير الشباب الآن ؟ ؟ : ولـكن عزاء لنا فيك أيها الرئيس

عزاء لنا فى نصير الضعفاء فى موحد الصفوف فى مؤلف القلوب

عزاء لنا فيك ياسعد

يامولاى لتطمئن فلقداستوليت على عروش قلوبنا فـكنت مثال الخلود ومنار الحـكمة ومرجع الرأى ومكان الاستشارة

يامولاى : لئن قضيت ومنع عنا شبحك فروحك تطل علينا

وستتبع سنتك لانحيد عنها ولا نتحول . فرفرف علينا من عليائك ، واهدنا سبيل الانتصار حتى ترقى مصر وتنال أمانيها

صوت السودان

للكاتب الفاضل « عفاف »

سبق نعى الزعيم الى السودان فكان فى كل بيت حداد . دموع تسيل ، وعيون دامية . بل وكل عرس فيه انقلب الى مأتم وكل جماعة نسوة ورجالا فتيات وفتيانا شيبا وشبانا تبدل صفوهم كدرا . وامنهم هماً وغماً . وهدوءهم مناحة وصخبا وضجيجا

انهم هنا يتغنون باسم سعد ويرتلون له أناشيد المديح والحماسة . وكم أوذوا من اجلها فما سلوها . بل زادتهم الشدائد حباً وايمانا وجهراً بالغناء والترتيل فكان ما كان من زج أشبالهم فى السجون . ومن اعتبار تلك الاغانى والاناشيد من القضايا التى حوكموا بسببها ونسفوا ولا يزالون يرسفون فى القيود والاغلال غراما بها

هل بين شعرائنا من لا يطأطئ الرأس اجلالا لهذا الروح العام السارى بين طبقات شعب السودان ؟ وهل لا يكبر متعلمونا مثل هـذا الروح وهو روح الله الناطق على ألسنة الامة السودانيـة المؤمنة . وهو صوت الله يندفع جهوريا عالياً فيدوى فى الاجواء كدوى الرعد فيهز الاعصاب وتنخلع منـه القلوب فتسرى فى النفوس والاجسام دعوة تنطق لسان كل من سمعه فاذا هو باك . واذا هو منشـد ومرتل وأسد هصور وثاب

للشعراء والادباء أوزانهم وقوافيهم وقواعدهم . أما الوطنية الحقة فأوزانها وقوافيها وقواعدها الترنم بقداسة الوطن وابطاله على غير ضبط للقواعد والاوزان

فان مصاب زغلول فى آخر لحظة من تحقيق آماله . ومصاب مصر فى زغلول فى الساعة الحرجة الدقيقة قد ألبس البلاد العربية ثوب الحداد . فلبنان . والشام وفلسطين وشرق الاردن والعراق والحجاز وبلاد المغرب وغيرها كلها فى مأتم عام

لاعتبارها سعداً زعيما لها لا زعيما لمصر فحسب

ان النساء فى السودان يصلين وراء الرجال وهن يذرفن الدموع الحارة على سعد بطل الوادى الرهيب حتى اذا علا الصراخ واشتد العويل ووصل الى عنان السماء ودوى التكبير والتهليل واختلط الامر واشكل الخطب فلا تستطيع ان تميز الرجال من النساء

سعد

للكاتب الاديب محرر اللطائف المصورة

صعقت القلوب ووجمت النفوس وانقبضت الصدور واحتبست الدموع فى المآقى « ليل ٢٣ اغسطس المشؤوم » فقد زلزلت الارض زلزالها فهوى ذلك الطود الراسخ واندك ذلك الجبل الشامخ وانتقلت روح طاهرة زكية سامية للقاء ربها حافلة بجلائل الاعمال والمآثر

روح كانت نادرة الوجود غالية ثمينة فيا لخسارة البلاد العظمى ويا لهول هذا المصاب الجلل ويا للوعة مصر وحسرتها فانا لله وانا اليه راجعون

مات سعد نبأ جارح يقطع نياط القلوب نبأ مؤلم نبأ فاجأ وادى النيل فحوله مأتماً ففى كل بلدة وفى كل عاصمة من حلفا الى ساحل بحر الروم حزن وحداد على فقد ذلك الزعيم الاوحد والبطل المفرد الذى جاد برمقه الاخير مستشهداً فى سبيل حرية مصر واستقلالها فى سبيل مجدها وسؤددها وفى سبيل تبوئها المقام اللائق بها بين الشعوب التى تنعم بحرية الحياة واستقلال العمل

ذلك الزعيم السياسى العظيم بل الجندى المغوار والبطل الباسل يسقط فى حومة الوغى رافعاً علم الوطن فقد ظل يعمل بلا كلل او ملل على رغم شيخوخته وعلى

الرغم من ضعف جسمه واعتلال صحته فكيف لا يكون اسمه منقوشاً على صدور أبناء وادى النيل وهم أول من يعترف بالجميــل و يقر بالفضل بل كيف لا تعظم خسارتهم فيه و يفدح مصابهم لوفاته وقد جاد بحياته وجازف بأثمن ما لديه ليحصل لهم على استقلالهم وحريتهم

فهل من فاجعة أكبر من فاجعتنا اليوم

فانا لله وانا اليه راجعون

مات سعد

مات الأب الشفوق المحب مات الشيخ الحكيم والفيلسوف العاقل مات السياسى الداهيه الذى لا يقارع — مات الحصيف المصقع الذى لا يدانى مات بطل مصر الجندى الشجاع الباسل الذى لا يقاوم

مات سعد فليبكه المصريون

فأنا لله وانا اليه راجعون

سعد

للكاتب المحترم محمد صالح العرب

وأخيرا مات سعد رسول الوطنية فى الشرق ونبى الاخلاص فيه وشيعت الامة التى نشأ فيها وترعرع فى ربوعها وورث عن فراعنتها عزة النفس ومتابعة العمل بلا كلل ولا ملل جثمانه الذى ضم تلك الروح التى نفحت فى الامة المصرية معنى الحياة ومعنى الحرية فهبت من سباتها العميق وحطمت السلاسل والقيود

انك ياسعد لم تكن زعيما للأمة المصرية فحسب بل زعيما لجميع الامم الناطقه بالضاد . لان مبادئك أثرت فى نفوسها وجعلتها تثور كالبراكين المشتعلة وأخذت

من الضعف قوة وابتـدأت تقف امام خصمها وحاكمها وجهاً لوجـه تطالبه بحقوقها وبحريتها .

لقد اخطأوا شبهك ياسعد بنابليون . وشكسبير . وواشنطون . فنابليون لم يصل إلى ذروة المجد إلا بميادين الطعن والضرب ولم يأخذ الشهرة إلا بقتل النفوس وسلب الامم حريتها وتمزيق شملها . ولـكنك ياسعد وصلت إلى ذورة المجد بالدفاع عن المظلوم ومواساتك المرضى والاخذبيد الضعيف والنهوض بأمة حكم عليها الغرب بالخمول . اخذت الشهرة باخلاصـك وتفانيك بخدمة أمتك وسهرك على مصالحها . وعدم مبالاتك فى ذلك بالنفى والمتاعب

واذا اشتهر شكسبير بتآليفه وأشعاره التى كان يجنى من ورائها نفعاً فأنك ياسعد اشتهرت بقوة بيانك ولسانك وخطبتك التى كانت تنزل على سامعيها آيات بينات

واذا قدس الامريكيون واشنطن لانه خلصهم من نير الانجليز بالوسائل الحربية فالمصريون يقدسـونك لانك خلصتهم من تحكم انجلـترا بلسانك وقوة بيانك واخلاصهم فى العمل وثباتك

ولم تـكن الامة الامريكية بأجمعها ياسـعد ملتفة حول وشنطن بل انشق قسم غير قليل منها وحاربها فى صفوف أعدائها ، ولـكن أمتك المصرية باطفالها ونسائها وفلاحيها وملاكها وغنيها وفقيرها تخرج من أفواههم كلمة واحدة هى سعد يقسمون بها ولا يحنثون

انك لم تمت بل انت حى فى قبرك وروحك التى كانت محصورة فى جسمك تجزأت وأصبحت فى جسم كل فرد من الامم الشرقية تعلم الاخلاص والثبات فى مطالبته .

فسلام عليك ياسعد يوم ولدت ويوم نبغت وخاصمت أقوى أمة فى الارض وسلام عليك يوم مت وأدميت القلوب برحيلك وسلام على اليوم الذى تصل فيه مصر الى استقلالها التام ويتحرر الشرق من عبوديته

سعد فقيدنا الخالد

للكاتب المسرحى محمد على حماد

رزىء الوطن بفقد زعيمه وملجأه الحصين وقت المحن ، وقائده فى المعركة ، ورافع لواء عزته ، والمطالب باستقلاله

مات سعد فانطفأ سراج وهاج طالما سطع نوره فبهر العالمين وخلب بريقه العيون ، وخمدت تلك الجذرة المستعرة التى ملأت الكون ضياء ، وخفت ذلك الصوت الجوهرى الذى دوى فى أركان الارض يذكرها بمصر وحق مصر ، وانتهى الزعيم وقد عطر الدنيا بمفاخره وشغل العالم بترداد مآثره

ان رجلا يجمع الشعب على محبته ، ويدين له الشرق بزعامتـه ، وتقر الدنيا بأسرها بعظمته لهو رجل فذ خالد وانه لنور من عند الله انتشر فى جميع الارجاء واسم رفعه الله فوق سائر الاسماء

أحقاً قد انتهيت أيها الزعيم ؟ يالقدر .. لقد نعيت نفسك الى نفسك والى العالم قبل أن ينعاك النعاة وقبل أن يتناقل خبرك الرواة . أما جزعت لفراقنا كما جزعنا لفراقك أما أحسست بثقل العبء ووحشة البعاد ؟ أما أشفقت على أبنائك أيها الاب البار وعلى بلادك أيها الرئيس الجليل ؟ أنها لرحلة الابد لا رجعة منها

نم هادئا مطمئناً ، فقد تنبه الشعب بعد طول السبات قد أيقظته ورقدت وأحييته ومت وانه اليوم على آثارك لسائر ولخطواتك مقتف وسينال ما يشاء وعندها ستلتئم حولك جموعه وتقف بين يديك وفوده تنقل اليك الخبر لتشاطرها سراءها .

ان الدهر طوى بوفاة الزعيم صفحة من صفحات تاريخ مصر وانه ليطالع فى الغداة الصفحة التالية . فما الذى سيطالعه فيها يا ترى انه سر الغد وانه لسر رهيب

الساعة الرهيبة

للفتاة النابهة رتيبه م . ح . بمعلمات شبرا

عقد الحزن الالسن وأسدل عليها حجابا كثيفا من الصمت المؤلم لاننا لم نصدق أن سعدنا رحل الرحلة الاخيرة التى لا عودة بعدها ولا أوبة . أجل نصدق اننا لم نعد نرى تلك الشخصية القوية النبيلة التى وقفت فى حياتها فى سبيل الجدال والكفاح لوطنها العزيز . كان اليقين أمامنا ماثلا ولكن نفوسنا الحائرة وقلوبنا المكلومة أبت الا أن تجعل الشك يتخلل ثنايا اليقين . ولكن واحسرتاه اليوم أفك عقالنا وهطلت دموعنا ولمسنا المصيبة بأيدينا . اننا الآن سائرون فى ظلام حالك على غير هدى . فى سكون مؤلم أمام ذلك الخطب الجسيم والرزء العظيم نعانى من جرائه فى قلوبنا ألماً أليما

ياله من خطب له الجماد يميد . وياله من مصاب يدمى فؤاد كل جبار عنيد وياله من يوم مجلل بالسواد لم تشهد مصر له مثل شمسه مصفرة مكتئبة مالى أراها لم تشرق صباح اليوم ؟ وما بال النسيم يهب متثاقلا متشبعاً بالدموع

أيتها الطبيعة ؟ . هل انت حزينة تشاركيننا فى مصابنا الأليم

لقد كنت زاهية زاهرة فى كبد السماء يوم ان عاد الرئيس من منفاه منصورا واليوم أراك تتوارين وتحتجبين فى وحدتك تذرفين الدمع السخين . نخبرينى ماذا دهاك ؟

أيتها الطبيعة ؟ انظرى الى تلك الضجة القائمة والجلبة الصاخبة وهذا الصوت الرهيب الذى يدوى فى سكون الليل البهيم انه يقول مات سعد لا لا لم يمت سعد وانما ذهب ليستريح فى السماء ويخلد فى دار الخلود . وما تلك الضجة الهائلة التى تنفطر لها القلوب الا من تأثير حلم مزعج مرعب

أيتها الامة الحزينة أفيقي من هول المصاب . أفيقي من ذهولك وتنبهي من غشيانك . أفيقي فانظري سعدك وانظري آمالك . انظري من رفع لك راية نهضتك وأحيا لك ساعة مجدك . انظري سعداً . انه راحل عنك الى دار الابدية . امنعيه حولي بينه و بين تلك الرحلة آه مالي أراك ساكنة ماذا دهاك ايتها المسكينة وقفت مقيدة اليدين وما فعلت ذلك أبداً .

ما هذا الشبح الذي أخافك وأرعبك إنه أقوى قوة فى الوجود انه شبح الموت الرهيب جاء يخطف الآمال

تمهل أيها الموت تمهل انك تمس بطل الشرق بأجمعه انك تمس أمة تطلب الحياة إنك تمس سعدنا الخالد أيها الموت دع سعدا فنحن أحوج الناس الى شخصه النبيل وحكمته العالية وتضحيته السامية وصوته القوى وقلبه الحنون

الى أين أنت ذاهب ياسعد الى الملأ الاعلى ؟ أذاهب لتحل مشكلتنا وتحقق آمالنا فى السماء ان قلوبنا معك آتية وهي بك راجعه لانها لا يمكنها العيش بعدك والصبر على بعدك آه هاهى السماء تبكيك ياسعد وقلوب تندبك . فعزاء وصبرا على فاجعتنا الاليمه

رثاء المقتبس

للاديب الفاضل رشيد الملوحي

مات سعد !

أحق أن سعداً يموت ؟ !

أحق أن سعداً — الذى ملأ الارض والفضاء ضجة وحركة — غالته المنون ؟

أحق أن سعداً — الذى أفرغ فى الافئدة الضعيفة الهلوعة روح القوة والايمان

بأنْ (الحق فوق القوة) فارتدت ثوب شبابها ، ومطارف فتوتها ونهضت للجهاد واسترداد الحرية السليبة . والحق المضيم لاترهبها فى طلاب هذا الحق أى قوة مهما عظمت ومهما بلغ من عتوها وجبروتها — قد بات جثة هامدة لاحراك فيها ؟

أحق أن سعداً — روح الشباب الثائر الطموح متدافعا تدافع الامواج ، صاخباً اصطخاب الخضم العظيم عاصفا عصف الرياح السافية مضطرما كالنار مشتعلا كالهشيم باذلا النفس فرحاً طروباً فى سبيل الحرية والكرامة هاتفاً بحياة مصر وحياة سعد — قد انتقل من عالم الفناء الى عالم الخلود ؟

أحق أن سعداً — الذى غضب للشعوب تصبح كالسلعة تباع فى سوق المطامع الاشعبية وللحرية تغدو فى هذا الشرق الفسيح حيرى تائهة لا معاذ تعوذ به ولا حصن تأوى اليه فزأر زأرة الليث الهصور هائجا مغيظاً ، فدوت صرخته فى أنحاء هذا الشرق وأرجائه ونبهت شعوبه ، وأيقظت أممه وهزت خامله وحركت ساكنه ، فمشوا جميعا ينشدون الحياة ويتراكضون وراء الحرية وهبوا يقلقون الغاصب الجائر ويزحزحونه عن حماهم ويقلقونه عن مرابعهم ليكونوا فى مواطنهم أحراراً وفى أرضهم أسياداً هاجرين حياة العبدان محطمين قيود الاسر والهوان ؟ يستولى عليه صمت الابد ؟

أحق ان سعداً — الذى أعاد لمصر حريتها وكرامتها ومكانتها بين الاقطار والامصار ، وصان استقلالها من العبث ووطد دعائم دستورها وبعث فيها روح الحياة والطموح والتضحية والبذل — قد فجعت فيه مصر

أحق ان سعداً — الذى اكتسب قلب الناشىء الصغير وروح الشباب النضير — واخلاص الشيخ الكبير ، وملأ قلب الاعداء خوفاً ورعباً — قد اعتزم الرحيل ؟

أحق ان سعداً يموت ؟

لا ، لا ، ان سعداً خالداً خلود الابد باق بقاء الدهر ثابت ثبات الشم شامخ شموخ

الاطواد لا يدركه فناء ولا تحل به منون

لقد استولى الصمت العميق على هـذا الشرق وعلى مصر فوجما فى أشـد أوقات الجهاد خطراً ! وما كان ليدركهما هذا الوجوم ولظى الـكفاح مستعرة متأججة بين العبودية والحرية ! والحق والاستبداد ! لو لا أن سعداً ، حصنهما الحصين وركنهما الركين ، وقائدهما الباسل ، وزعيمهما المفدى المحبوب ، بطل الشرق سعد قد خر صريعاً فى حومة الوغى !

وما كان سعد هلـكه هلك واحد * ولـكنه بنيان قوم تهدما

فلتبك مصر ، وليتفجع الشرق ولتذرف الحرية الدموع دماً ، ولترق العيون ماءها ، حزنا على سعد وأسى ولوعه !

***

مصر لك أن تأسى وأن تحزنى ، وأن تندبى وأن تلتاعى فلقد انهد ركنك الركين ، وفل صارمك الصقيل ، وصمت مقولك الذرب ، وذهب الفكر الثاقب والرأى الراجح ، والعقل الرصين ، جامع الشمل ، وسلك العقد

ولـكن اذكرى أن الاوان أوان جهاد ، وان الاستسلام لليأس والبكاء والحزن ليس من شيم المجاهدين

فضمى الجهود ، ووحدى الاهواء ووفقى الميول ، واستعدى للـكفاح والنضال حتى تؤوبى مكللة الهام بتاج الفوز والظفر هذا الذى يرضى سعداً فى مثواه ويسره

***

ياشرق كم ذا تتحمل من أرزاء وكروب تغرب شمسك عن خطب فادح جليل وتشرق على ما هو أفـدح وأجل ، حتى ابت مهـدود القوى والعزمات ، مقصوم الظهر مما تعانيه من نـكبات وملمات

ان الخطب فى سعد لعظيم فأرض سعداً فى ثراه بالمثابرة على الـكفاح ، واتمام ما به شرع وبدأ ، وحاذر اليأس فاليأس سم ناقع

وأنت أيها الغرب المتغطرس الطامع

احن الهام أمام جثة سعد ، واذرف الدمع عليه مدراراً ، فقد كان لك عدواً خصيما ، ولكنه خصم شريف وعدو نبيل ، والنبلاء والاشراف نبلاء النفوس والمبادئ وأشرافها فى الدنيا قليل

رحمك الله سعداً ، عداد حسناتك ، فما نقدر أن نفى صفحة من صفحات جهادك الطويل حقها من الوصف ولا أن نصور عاطفة من عواطفك الكريمة الفاضلة

ولكننا نعالج الكلام ، ونفسر اليراع فما نطيق كلاما ولا تسيل براع . وماذا تقول والقول فى سعد فضول

قم يازعيم الزعماء وبطل الابطال ناعماً هادئاً فى ثراك بعد طول الجهاد والنصب فى سبيل الحرية المضيمة والحق المغلوب

نم ياشهيداً تزدان به قائمة الشهداء المخلصين والمجاهدين الابرار

العزاء العزاء للمبدأ الشريف ، وللجهاد النبيل ، وللحريه والكرم ، وللحق والشرف ، العزاء لمصر وللشرق وللانسانية المتألمة

رثاء صوت الشعب

للاديب عيسى بندك بفلسطين

تنطفئ اليوم شمس البطولة والزعامة والاقدام والعبقرية فى سماء الشرق التعس وتخيم فى أجوائه دياجير الحزن والاسى ، وتنفجر من ماقيه مدامع الكآبة سخينة منهمرة بل تقام اليوم المآتم فى جميع الشرق العربى وتتهدج نفوس بنيه بالنواح وتتنفس القلوب بزفرات الاحزان المحرقة الموجعة

كيف لا وقد مات سعد باشا زغلول زعيم وادى النيل الاكبر وزعيم النهضات

القومية فى جميع أنحاء العالم العربى وموقظ الشرق من غفلته وضارب الاستعمار فى صميمه والعبودية فى نحرها .

لقد انهد بوفاة سعد صرح مشمخر وطود عنيد منيع كان يرد عاديات الظلم فى اباء وجرأة وكرامة فعبده المصريون وكان حقاً عليهم ان يعبدوه وقدسه الشرقيون وكان واجبا ان يقدسوه وكانوا يستظهرون كل كلمة تخرج من فمه ذلك الفم الذى كان ينثر حكمة المثل الاعلى فى التضحيه والوطنية والصدق والاباء والاخلاص .

ان خسارة الشرق بوفاة سعد لاتعوض لان سعداً أمة بنفسه ، جيش باسل بجرأته ، سياسى محنك عبقرى ، خطيب لايجارى ، تقع كلماته من الامة موقع الآيات المنزلة وكان يلمس المستعمر فى كل حرف من الفاظه الخالدة ماهو شر من القنابل والمدمرات وقد تحمل النفى والابعاد والاضطهاد فى سبيل استقلال مصر وقد وصل بسفينة الحركة المصرية شاطئ السلامة أو كاد .

ليست هذه المصيبة العظيمة بمقتصرة على الامة المصرية الكريمة فانما هى مصيبة العالم العربى برمته فليس هناك من يعزى أو يعزى فكلنا مكلوم وكلنا محزون وكلنا يبكى بكاء مراً شديداً

اننا نسأل الله أن يقيض لهذا الشرق التعس زعيما يملأ الفراغ الذى أحدثته وفاة سعد وهيهات ان تجود الاقدار بمثل سعد !

نعم مات سعد ولكن مبادئه لن تموت وستعيش عظاته الوطنية ، وأقواله الخالدة ، ونفسه الابية مادام فى الكون حياة ووجود وسيظل ذكر سعد خالداً مادام فى الشرق قلوب تخفق للاستقلال والحرية ، ومادام فى الوجود أمم تقاتل الظلم وتذب عن حياض الحق والعدل ولذلك فاسم سعد سيبقى مسجلا بأحرف من نور فى جبين الاجيال وفى عداد أنبياء الوطنية والاستقلال ومنقذى الامم من براثن العبودية الا رحمك الله ياسعد وأسكنك فسيح جناته والهم الشرق الحزين صبرا جميلا وعزاء طويلا

رثاء الف باء

للاديب المحترم ناجى أديب

حملت الاسلاك البرقيــة أمس لجميع العالم نعى سعــد زغلول ذلك الوطنى الــكبير الذى لم يبق رجل فى الغرب ولا فى الشرق لم يعرف من هو فـكان لذلك الخبر وقع اليم فى النفوس و بات النـاس فى مصر وسوريا والحجاز والعراق وسائر الاقطار العربية وفى بيت كل منهم مأتم وفى قلب كل حزن وأسف عميق على ذلك الرجل العظيم الذى خدم وطنه وأمته باخلاص حتى النفس الاخير من حياته بل خدم الشرق بأجمعه بما ألقى عليه من دروس الوطنية والتضحيةفى سبيلها مع الجرأة والاخلاص الذى كان الفقيد مثله الاعلى . وقد رأينا الناس يعزى بعضهم بعضاً وحق لهم أن يتبادلوا التعزية فالفقيد فقيد العرب بل فقيــد الشرق لافقيد مصر وحدها وليس بامكان العالم العربى ولا بامكان الشرق ان ينجب كثيراً من أمثال سعد فان الزمان بمثله لضنين .

أجل ان سعداً هو فقيد الشرق لانه كان القدوةالحسنة لجميع شعوبه المهضومة المتطلعة الى الحرية والاستقلال وقد جرى على اثره واستن بسنته كثير ممن يحبون امتهــم و يفضلون الموت فى سبيلها على الحياة واستضاء بنبراسه عظماء كثيرون فـكان خير هاد ودليل لهم فى هــذه السبيل . وسيبقى اسم سعد رمزاً واضحاً للوطنية ومضربا للامثال فيها .

لهذا تساءلنا عن موت سعــد بل جزمنا بانه لم يمت ولن يمت فان الشهداء لايموتون (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء)

وكلنا يعلم أن سعداً جاهد فى سبيل وطنه جهاد الابطال وما انفك عن جهاده وخدمة بلاده رغم ضعفه وشيخوخته حتى أتاه اليقين وهو برأس مجلس امته ويقوم

بأعظم خدمة وطنية لهـا بل كان بيته بيتها وماله مالها وكل ما آتاه الله من فضل ونعمة فهو لها ولا شك ان مثل هذا الحب والتفانى فى سبيل الامة هو من سبيل الله لان سبيل الله تعالى لم تنحصر فى الذين يموتون فى ساحة الحرب

والخلاصة ان سـعداً قد مات بجسمه ولـكنه قـد حيي بروحه وجميل ذكره حياة أبدية يغبطه عليها كثيرمن هؤلاء الاحياء الذين هم أشباح بلا أرواح

فاذا بكينا اليوم سـعداً فانما نبكى ذلك الانس الذى لم يكن يفارق مجلسه والابتسامة التيلم تزايل شفتيه . وسيبكيه بيت الامة الذى كان بوجود الفقيد كعبة الآمال ومحط الرجال وتبكيه المنابر التى كان يلقى عنها فقيـدنا المرحوم جواهر الحـكم وآيات الوطنية فيردد العالم صداها وقد تعطلت اليوم وستبقى معطلة حتى يقيض الله لها من يقوم مقامه عليها فلا غرو إذا حنت وأنت عليـه كما حن ذلك الجزع الذى كان يخطب عليه الرسول لفراقه فعليك ياسعد فلتبك البواكى



الزعيم الاكبر

فى حياته الخاصة (١)

للكاتب القدير عبد القادر بك حمزه

قد يجد الانسان من الصعوبه فى محاولته تصوير الحياة البيتية لزعيم سياسى لان الصفات التى تستلزمها الزعامة تغلب دائما على غيرها من الصفات . وبقدر ما تكون الزعامة قوية بقدر ما تكون من صفاتها متغلبة . وهى بطبيعتها غليان فكرى فى حين ان الحياة البيتية بطبيعتها هدوء وسكون . فاذا قويت الزعامة وتغلبت فان صفاتها هى التى تبرز دائما امام العيون وحينئذ لا يكون من السهل ان يتبين الانسان حقيقة الصفات الاخرى التى هى من نوع هادئ

ولكن هذه الصفات موجودة مع ذلك وقلما تقوم وتثبت زعامة صادقة الا على أساس منها . فاذا نحن قلنا ان زعامة سعد باشا ثابتة ، وقد ثبتت أصناف شتى من الحوادث ، فكأنما نقول ان لها أساسا قويا من صفاته التى تظهر فى حياته البيتية وأنا محاول هنا ان أرسم بعض الصفات على الاجمال لا على التفصيل وبالقدر الذى أستطيعه لا بالقدر الذى تستحقه

***

اظهر ما يلاحظه الانسان فى سعد باشا شخصيته القوية التى يملك بها محدثه والتى هى فى كثير من زعامته . تحدثه لحظة وأنت لم تعرفه من قبل فترى فيه مثالا مجسما من عظمة النفس وقوة العقل . بنفسه العظيمة يعطيك كل معانى النبل ومتانة

(١) كتب هذا البحث التحليلى فى أيام حياته ونشر بالبلاغ اليومى فى ٦ اغسطس سنة ١٩٢٥

الخلق واستقامة الضمير، و بعقله القوى يعطيك كل ما تستطيع أن تدركه من بعد الفهم واصالة الرأى وسلامة المنطق . وانما اقول «كل ما تستطيع» لانك تدرك ما تدرك بالغا ما بلغ ثم لا زلت تشعر بانك عاجز عن أن تصل الى غور هذا العقل العميق الواسع

فعلى هذا العقل وهذه النفس ترتكز، أول ما ترتكز، شخصية زعيمنا الجليل . وهما أصلان صحيحان ثابتان فلاعجب ان كانت زعامته التى هى ثمرة من ثمار شخصيته صحيحة ثابتة

وأثر هذا العقل وهذه النفس يظهر ان دائما فى كل عمل من اعماله . ظهرا فى اشتغاله بالمحاماة وهى طارئة مع القضاء الطارئ والقانون الطارئ فابرزاه بسرعة مصباحا يضئ للمحامين طريقهم الجديد . وظهرا فى اشتغاله بالقضاء فجعلا من اسمه معادلا للعدل تحترمه النفوس لانه العدل فى ذاته لانه الحكم تنفذه القوة وظهرا فى تقلده وزارة المعارف ووزارة الحقانية فى وقت لم يكن الوزير المصرى فيه الا شبيها بالآلة المسخرة بين تيارات مختلفة، فجعلا منه قوة فى وجه التيارات . ثم ظهرا فى الجمعية التشريعية ، والانتخاب لها كان معيبا ورأيها لم يكن الا استشاريا فجعلا من قبله الشعب وجعلا من الجمعية مجلسا استكمل بسلطانه الروحى ما ينقصه من سلطان القانون وأخيراً ظهرا فى الحركة الوطنية فجعلا منه قائدها غير مدافع وجعلا منها مجدا خالدا لمصر فى صفحات التاريخ

***

لم يقدر لسعد باشا ان يكون أبا فهل هو مع ذلك يعرف شعور الابوة أولا ؟

هنا على ما أظن مسألة يجب حلها قبل الاجابة على هذا السؤال . وهذه المسالة هى شعور الابوة وهل هو طبيعى لادخل للصناعة فيه أو هو بالعكس صناعى ينشأ و ينمو بالمران والعادة ؟

والجواب على هذا ، الجواب الذى يظهر ان العلم والاستقراء يؤيدانه هو ان هذا الشعور صناعى لا طبيعى . ولكن هذا الجواب جاف قل أن تميل النفس الى قبوله فلندعه ولندع معه التحليل العميق الذى يخرج النفس مجردة من جمال الخيالات ولنتوسط فنقول اننا اذا اشترطنا المران والعادة فى إنشاء شعور الابوة فالمران والعادة قد يكونان بالعمل الذاتى كما قد يكونان بالمشاهدة أو ان شئت فقل بالعدوى . ومن هنا تخلص لنا قضية هى ان شعور الابوة وهو مشاهد دائما قد لا يحتاج الى مران ذاتى وعادة ذاتية كى ينشأ وينمو . فاذا أنت أخذته من هذه الناحية وأردت أن تقول انه طبيعى فلك ذلك ولكن بهذا المقدار

ومتى تقرر ان المشاهدة نوع من أنواع المران وانها قد تنشئ الشعور فليس من الضرورى أن يكون الانسان أبا لكى يعرف شعور الابوة إذ هو قد يعرفه متى بلغ درجة معينة من دقة الاحساس . ومعنى ذلك ان الرجل الساذج يبقى جاهلا شعوراً لم يحركه فى نفسه محرك . ثم اذا رزق ولداً تحرك الشعور فى نفسه بقوة وجود الولد بين يديه . أما الرجل الذى بلغ من دقة الاحساس ما هو غير محتاج معه الى مثل هذا المحرك فان مران المشاهدة كاف لان ينشئ فيه هذا الشعور

وهذه الحالة الاخيرة هى حالة سعد باشا فهو غير أب فى الواقع ولكنه أب فى شعوره كأحنى الآباء على بنيه . وقد تجلى شعوره هذا على غير واحد من ذوى قرباه وخاصته وكان منهم المرحوم سعيد بك زغلول فكان لهم أبا وكانوا له أبناء

***

وامتاز سعد باشا فى جميع أدوار حياته بانه من « رجال التقدم » الذين يسيرون امام جيلهم ويدفعون الى الامام بكل جيل يعاشرونه رأى وهو شاب فى أواخر حكم اسماعيل وبعد زمن امضاه الافغانى المشهور فى مصر حركة فكرية يراد منها كسر جمود التقليد فانضم اليها وسمع فى عام ١٨٨١ مناديا ينادى بالحرية ومقاومة الاستبداد الجنسى فهفا قلبه ولم يبال أن يصيبه رشاش من حوادث تلك الايام

وخاض بعد ذلك غمار الحياة محاميا فقاضيا فوزيراً فنائبا فكان فى كل هذه الادوار يمثل فكرة النهوض بنفسه وبجيله معه . وطرقت أذنه فى أثناء ذلك صرخة المرحوم قاسم امين يطلب بها للمرأة ان تتحرر من قيود الجهل والحجاب فاعطاه قلبه ويده والآن وقد نيف على السبعين او تزيد هو مع ذلك يحمل علم النهضة لأبناء الثلاثين والعشرين وما منحى من مناحى الحياة الاجتماعية او السياسية الا ورأيه فيه بالنسبة للجيل الفتى رأى تقدم وتجديد

***

وسعد باشا من الذين يثقون ثقة تامة بالعناية الالهية ويخلصون لها فى السر والعلن ويعتمدون عليها اعتماد الصدق والتقوى

وليس يخفى أن الزعماء فى هذا الباب فريقان فريق ينظر فيرى ان الكلمة ينطق بها لسانه هى أمر يطيعه أنصاره بلا تردد ولا تفكير فيأخذه الزهو ويعتقد فى نفسه الكمال والقدرة وتصير الامور فى نظره تدبيراً يدبره فلا تشذ عنه فى صدر ولا عجز. وفريق لا تنسيه الطاعة التى يجدها من أنصاره ولو انهم شعب كامل ان فوق إرادته إرادة عليا وان الانسان مهما استقوى ليس بجانب هذه الارادة شيئا فليس له ان يغتر وينساها وسعد باشا من هذا الفريق الاخير فريق الذين يجمعون بين اقدام العزيمة والاخلاص للعناية الربانية فهم ليسوا أتكاليين ولكنهم فى الوقت نفسه ليسوا جاحدين أى انهم يعملون ويتوكلون على حد القول المأثور : أعقلها وتوكل

اسمعه وهو يقول لوفد جاء من المحلة الكبرى: « فلنبشر انفسنا باننا على الحق ونسعى الى الحق ونعمل بالطرق المشروعة فى سبيل الحق والله لا يخيب عمل العاملين » ثم يقول بعد ذلك : « لقد عودنا الله الاخذ بيدنا وتعهدنا فى الشدائد بحسن رعايته وكلما اشتد الامر اقتربنا من هذه الغاية فعلينا ان نستمر فى التمسك بحقوقنا وان نتحمل الشدائد بالجأش الرابط والصبر الجميل والله ولى الصابرين » اسمعه فى

هذا كله تعلم انه يصدر فيه عن قلب يخفق بالثقة في العناية الالهية وان هذه الثقة فى الشدة مثلها فى الرخاء .

واقول انها فى الشـدة مثلها فى الرخاء لان كل الذين اختلطوا بسعد باشا من قرب او من بعد يعرفون ان هذه الثقة لا تفارقه البته وانها تظهر فيه اليوم وهو بعيد عن الحـكم ، والبرلمان معطل ، والبلاد تطحنها محنة اخلاقية قاسية ، كما كانت تظهر فيه بعد عودته من جبل طارق ، وقد أعطته الانتخابات أغلبية تقرب من الاجماع ، والبرلمان موشك ان يجتمع ، والحـكم ساع اليه ، وليس فى طريقه الا أزهار فوقها أزهار

***

وهو شغوف بالقراءة وبالحديث معا يقرأ ليستفيد أى لانه يضن على شئ من وقتـه أن يضيع بغير فائدة . وكثيرا ما تعجبه القراءة و يدخل عليـه فى اثنائها داخل من خاصته فيقرأ له ليشترك معه فيما اعجبه . شأنه فى ذلك شأن من يأبى ان يستأثر بفائدة او ينفرد بلقية

اما الحديث فليس إلا ان تسمعه من فيه لتعلم انه محدث يعطيك دائما جديدا من اللذة والفائدة . وهو فى حـديثه هادئ مرتب القضايا واضح العبارة غير سريع ولا بطئ . واذا كان فى الموضوع ما يهمه فانك ترى عينيه تلمعان وتحس كأن قلبه هو الذى يتكلم بينما عقله المنطقى يرتب قضايا الـكلام

وهو يحب كثيراً ان يكون محدثه فى المستوى الذى يستطيع معه ان يأخـذ ويعطى فاذا لم يكن كذلك فانه يتمعض وقد يكلف نفسه حينئذ ان يتحمله ولـكن الصعوبة فى هذا التـكليف لا تلبث أن تظهر

ومن الفضول على ما أظن ان احاول تصوير سعد باشا كاتبا وخطيبا فان خطبه و بياناته تملأ اسماع مصر والشرق والناطقين بالضـاد جميعا . والغربيون الذين لا يقرأون هـذه الخطب والبيانات الا منقولة الى لغاتهم بعد أن تـكون قد فقدت أسلوبها و بلاغتها يشهدون لصاحبها بأنه يملك زمام قارئيه وسامعيه . ولـكننى أحب

ان اقول هنا شيئا يقوله سعد باشا نفسه عن نفسه وهو انه لا يقول اذا قال ولا يكتب اذا كتب الا بدافع من عقيدته ووجدانه . فهذا هو على ما أظن سبب كبير من أسباب نجاحه فى كل خطبه وكتاباته .

وا كثر ميله حين يكتب الى الاملاء اما حين يخطب فانه لا يحب الا الارتجال وقد يلجأ الى الالقاء حينما تقضى المواقف السياسية بتقييد الالفاظ ولكن ذلك يكون حينئذ عبئا على نفسه حتى انه ليهجر الورق بعد قليل ليطلق لسانه من غلة الثقيل

وطريقته هى انه يعنى بالمعنى قبل كل شئ فيهتم بأن يكون قويا وجليلا . فاذا استوى له أخرجه فى لفظ قوى جليل حريصا دائما على ان يكون السياق منطقيا غير زائد عن المعنى ولا ناقص . كذلك هو فى كتابته أو خطابته أو حديثه فاذا انت قرأته او سمعته خلت انه ينهض بك الى مستوى رفيع

واذا كان ذهنه متجها دائما الى قوة المعنى ودقة التعبير فكثيراً ما تجد له حتى فى خطبه الارتجالية ، وخاصة حينما يكون منفعلا ، كلمات تنطبع فى ذهنك فتمثل لك صوراً حيـة تشعر كأنك تراها بعينك وتلمسها بيدك . مثل ذلك قوله فى مشروع ملنر حينما اختلف الناس فى هل هو حماية او استقلال : « انه حماية بالثلث » ثم قوله فى إحدى المفاوضات : « جورج الخامس يفاوض جورج الخامس » . ولا يكاد يخلو خطاب له او بيان من كلمة او كلمات من هذا الطراز

***

ويعرف سعد باشا من اللغات الاجنبية الفرنسية والانجليزية والالمانية . فأما الفرنسية فانه يجيدها كتابة وكلاما أما الانجليزية والالمانية فانه يعرف منهما ما يستطيع به الفهم والتفهيم . ولقد تدرك مقدار حبه للاستفادة ومقدار صبره على طلبها اذا انت علمت انه لم يتعلم هذه اللغات فى مدرسة وانما تعلمها بعد عصارى سنه بنفسه، وقد يصح ان تقول : وعلى نفسه . ومنها الانجليزية تعلمها أخيراً اثناء نفيه فى عدن

وسيشل وجبل طارق والالمانية تعلمها بعد ذلك على أستاذين هما قاموس فرنسى والمانى وخادم المانية

* * *

وهو ينهض من فراشه فى الصباح قريبا من الساعة الخامسة فيستحم ويتناول طعام الفطور ثم يأخذ فى القراءة غالباوفى الكتابة قليلا.وقريبامن منتصف الساعة العاشرة ينزل الى مكتبه فيشتغل فيه الى الظهر ويقابل زائريه . وقد يخرج حينئذ فى سيارته وحده او مع أحد زواره للتريض قليلا فى الجيزة او فى الزمالك . وفيما بين الساعتين الاولى والثانية يتناول الغداء مع بعض زواره . ومائدته معدة دائما لكل الذين يتفق ان يوجدوا عنده سواء كانوا واحداً او ثلاثة او خمسة او عشرة ثم يقضى ساعة فى الحديث ثم يستريح الى قريب من الساعة الخامسة ثم يعود الى مكتبه فيمكث فيه ساعة ثم يخرج فى سيارته للرياضة نحو ساعة أو أقل ثم يعود فيقرأ أو يستقبل وفيما بين الساعتين الثامنة والتاسعة يتناول طعام العشاء مع بعض زائريه ثم يجلس للحديث ساعة أو أكثر ثم يفرغ للقراءة فلايزال يقرأ حتى يدخل فراشه . فاذا نام لاينام الا غراراً وقد يكفيه أن ينام فى الليلة أربع ساعات

وأخيرا ، فان أحد الباحثين فى الاخلاق « صمويل سميلز » يقول :

ليس فى الاستعداد العقلى ولا التفوق الذهنى نادرين فى العالم . فهل يعتمد على الاستقلال العقلى وحده ؟ وهل يؤتمن التفوق الذهنى كلا ، اللهم الا اذا وافقهما الحق : إذ الحق أساس كل فضيلة . فهو الاستقامة . وهو الاخلاص فى العمل وهو الباعث للمرء على ان يثق بنفسه وللناس أن يثقوا به والمرء ذو المكانة فى العالم هو الذى يصح الاعتماد عليه لانه اذا قال إن له علما بشئ كان عالما به حقا ، واذا قال انى فاعل شيئا فعله حقا . وهكذا يحصل الواثق بنفسه على ثقة الناس به واعترافهم بقيمته »

فانى اذ أقرأذلك اعتقد انالذين يعنون به كما يعنى به سعد باشا ليسوا كثيرين

ووصف مستر غلادستون مناقب لورد بلمرستون فقال :

« انى لعلى يقين من أن قوة ارادته وإدراكه لمعنى الواجب وعزمه على الا يستكين للشدائد ولا ينهزم أمام المصاعب هى الخلال التى ساعدته على أن يكون قدوة لنا معشر الحاذين حذوه فى أداء مافى عنقنا من الواجب ولم تقف ارادته عند ضعف الهرم بل صدت هذا الضعف ونحته بعيدا »

فانى اذ أقرأ ذلك أخال كأن الامر اشتبه على مستر غلادستون فاراد زعيم انجلترة وأراد الله بكلماته زعيم مصر

شخصية سعد

للكاتب الاجتماعى عباس حافظ

نبئونى أيها الناس ، وخبرنى ياشعب مصر الذى شهد آباؤه مجد رعمسيس ، وخرجوا خلفه للغزوة والغارة فى الجحفل الجرار وكتائب الخميس ، كيف كان لقاؤكم سعداً يوم العود من صخرة طارق ، بعد المقام فى جزيرة متواضعة مجهولة طار ذكرها مع سعد فى المغارب والمشارق . ولماذا لقيتموه يومئذ لقاء القائد المغوار . واستقبلتموه استقبال رومة فيما غير من العصور والادهار ، صاحب مجدها « قيصر » الفاتح الجبار ، عند منقلبه من المعركة متوجا بأكاليل الغار ، ولماذا خرجتم من دياركم على مطالع اليوم الموعود ، واحتشدتم طيلة نهاركم حشداً هائلا غير محصور ولا معدود ، وصبرتم على وقدة الشمس الساعات الطوال ، ورضيتم لوافح الهجير غير حافلين بجوع ولا ظمأ ولا كلال ، لهفة الشوق الى البطل الغائب . وحر التوق الى طلعة النازح الآيب فلما بدا فى موكبه ، بين صفوة من صحبه ، ذهب هتافكم يريد السماء وزخر موجكم كما يزخر اليم ، . ومشيتم اليه بجموعكم مهللين مكبرين

نبئونى أيها الناس لماذا تلقيتم أمس نبأ موته مذهولين مروعين ، كأنكم كنتم قبل أمس تحسبونه فى هذه الفانية من الخالدين المعمرين ، وان له من الموت عن اليمين وعن الشمال عزين ، وان دعواتكم ليل نهار بحياته ضمان للحياة وأمان من الموت المحتوم الرهين . ولماذا خرجتم أمس لتشييعه خروجكم قبل أمس للقائه هذا هتاف وشوق وحنين ، وذاك بكاء ولوعة وأنين . بل لماذا تيتم شباب هذا البلد الامين ، وبكاه الشيوخ الفانون جازعين ، وهم مشارفون المنون بعد حين ، ولماذا لبس الكون على أعينكم ثوب الحداد ، وتقطعت يوم منعاه الفلذات والاكباد ، وكدتم تتخطفون نعشه صارخين ناشجين معولين

لقد كانت لهفتكم على مقدمه حارة وهو فى منفاه ، فما مبلغ شوقكم أيها الناس اليوم وهو فى مسكنه الاخير ومثواه . وكنتم يوم غيبته عن البلاد إلى حين ، على جمر الغضا للقائه إذ كنتم بلقاء زعيمكم مؤمنين موقنين . فماذا لديكم اليوم له من حنين ، ولا أمل عندكم فى رجعاه بعد اليوم ولا يقين

أيها الناس ان كانت هناك بقية دمع خلف العيون ، وان كان ثمة مدخر من زفرات وشؤون ، فاسكبوا العبرات وأطيلوا عليه المناحات وصعدوا فى أثره الزفرات والأنات . بان سعداً فى هذه المرة الاخيرة لم يحمل الى تلك الجزيرة الصغيرة ولم يخف للرحلة القصيرة وانما سعد قد مات ولن تروه بعد اليوم قبلة المجامع وزين الحلقات . وأنتم يتامى فلتسعفكم الدموع على الأب الراحل الطعين

ولكن خبرونى لم أصاب سعد فى حياته ومماته عندكم كل هذه المكانة . ولماذا عمركم الله حملتموه فى الجهاد الأمانة وسكنتم الى اخلاصه وعرفتم له فى الحق فؤاده وجنانه ومشيتم خلفه صفاً صفاً للدفاع عن الكنانة . وكنتم وستظلون لتعاليمه ومبادئه السامية . أوفياء أمناء صادقين

ذلك لان سعداً كان أمة للوطن قانتاً وكان فى الذود عن مصر طوداً ثابتاً ولم يكن انسانا على ما ألف الناس من خلق الناس لكنه كان قطعة بارزة من التاريخ الحديث

للدفاع عن التاريخ القديم الجليل النفيس وكان سراً من الاسرار الالهية لا تدرى كيف جاءنا وكيف ذهبنا به الى مساكن الأبدية وكان صورة رائعة حية من صور البطولة والعظمة وجلال الشخصية وكان عظيما فى رأس العظماء وقديماً كانت الشعوب والجماهير لجلال العظمة تذعن وتنقاد وتدين

فنبئونى ان كنتم على النبأ قادرين ما سر هـذه الشخصية التى تفعل بالنفوس فعل السحر المبين وترسل من عينيها الرهيبتين الى قلوب الجماهير والجموع الحاشدين فيضاً زاخراً وعبابا صاخباً يجيش فى أعماقهم فيردهم صورا صغيرة منه ويحيلهم أمثلة ونماذج من قطعه وغراره وقالبه بل خبرونى ما سلطان تلك العظمة التى تطبع الناس بطابعها وتوحى اليهم خواطرها وتلونهم جميعاً بلونها وتجعل من مصر على طراز سعد ألف ألف سـعد صغير وما تلك المعجزة الخارقة للمألوف التى تحيل البطل عنـد الناس عدسة بلورية يرون من خلالها آمالهم وعلالات أرواحهم وخافيات نفوسهم وخبيئات اذهانهم ويشهدون انفسهم على زجاجتها الشفافة الاديم مرتسمين مصورين

نبئونى ما هـذا اللغز العجيب الذى يرد البطل المحبوب ملـكا على القلوب بغير تاج ولا صولجان ويرسل انفاسه الطاهرة فيما حوله فيطهر بهـا الزمان والمـكان ويحيي بلهيبها وحرها موت الشعور وسواكن الوجدان وتتصل نفسه المطهرة القوية بالحق والصـدق والعدل والايمان اتصال ابرة المغناطيس بالقطب مع مدار العوالم والاكوان وتجعله يقف من جمـاهيره موقف جسم شفاف قائم بينهم وبين الشمس من تطلع منهم اليها رآه ومن اجتاز ببصره الفضاء ومسراه مر بوهج ذلك الضياء وسناه وتجعله عنـد أمته وقبيله الضمير الذى به تشعر والوجـدان الذى به تحس والنبع الذى منـه يفيض فيضها وينبجس وتضع فى لهـاته ذلك الصوت الرهيب الذى يوقظ الناس من رقدتهم المستطيلة فيهبون على النداء واثبين متحمسين

ليت شعرى أيها الناس ما سر تلك الروحانية التى كنا غافلين فنبهتنا وكنا من قبلهـا فقراء من الوطنيـة فأغنتنا وكنا عن قوة الحق عمياً فبصرتنا وعجزة

ضعفاء عن مناضلة خصمنا العنيد فقوتنا ورفعتنا فوق انفسنا وهذبتنا وكنا من قبلها نخشى الموت ونخاف الردى فهل شهدتم كيف كان الشباب عام الثورة القومية يترامون فى أحضان المنية وكيف كان الغلمان والولدان والأصبية يصمدون للمدافع والقذائف صمدة الاستهتار والحمية وكيف كان الشهداء يستشهدون فى حب مصر الناهضة الفتية ضاحكين جاذلين باسمين وهم يغمغمون بتلك الكلمة الجليلة التى أبى علينا نصفها الدهر وأراد نصفها القدر وهى « ليحى سعد ولتحى مصر » ثم يطفئ الموت بريق تلك الابتسامة فيسقطون صرعى مجندلين هامدين

ايها الناس ان سر سعد الالهى وباعث جلاله الدقيق الخفى لا يدركه فى الارض ولا فى السماء غير الله فهو الذى على تلك الصورة ركبه وسواه ولحق مصر ناداه ودعاه وعرفنا اثره وسلطانه ومغزاه ومرماه فاصطفيناه الزعيم الاكبر واجتبيناه وسنظل آخر الدهر لذكراه ذاكرين وبه مؤمنين وعلى سننه حتى نلحق به سائرين متتابعين

سعد زغلول فكرة قومية

للاستاذ الكبير عبد الحميد حمدى

فى مصر ، وفى الشرق كله ، وفى أوربا ، نوحة تتجاوب الاجواء صداها ، تصدر من أعماق قلوب أوجعها أن يموت سعد . وما بكى لموت سعد اصدقاؤه فحسب ولكن بكى سعد خصومه كما بكاه الاصدقاء . وما كان سعد ليخاصم الا الشرفاء ، وهل يستطيع الشريف ألا يبكى الشريف ؟

وما فجعت بموت سعد طائفة من الطوائف المصرية ، ولا حزب من أحزاب مصر ، انما فجعت فى سعد مصر كلها : طوائفها وأحزابها ، أفرادها ، وجماعاتها ،

رجالها والنساء ، وهل فى مصر قلب لم يبك سعداً .

لا ، بل ليست مصر وحـدها التى فجعت فى سعد انما فجع فيه الشرق كله ، فقد كان سعد للشرق بطلا بل لقد فجع فى سعد عشاق البطولة حيثما وجد للبطولة عشاق

هذه النوحة العامة ، وهذا الحزن الشامل، يرفرف على ربوع الاصدقاء ، والخصوم هو المظهر الصحيح لمكانة سعد

ألا تقرأ ما يقول أصدقاء سعد اذ يتفقدونه فلا يجدون ، ساعة ينتظرون كلمته تنير لهم الطريق فيما يفعلون ؟!

ألا تقرأ ما يقول خصوم سعد اذ يتفقدونه فلا يجدونه ، ساعة يرجون أن ينهوا على يديه القـديرتين ما بينهم و بين مصر من خصومة ، محترمين لمصر حقها ، وقد وجدوا من مصر كتلة على رأسها سعد تدافع عن ذلك وتفديه بالارواح

هؤلاء هم أصدقاء سعد ، وهؤلاء هم خصوم سعد وما خاصمهم سعد فى غير حق مصر يشتركون فى البكاء على سعد .

فسعد بهـذا التقدير من جميع النواحى ، ومن كل الهيئات والاحزاب لم يعد رجلا كغيره من الرجال طواه الردى فلا يحفل بذكراه غير من يمت اليه بصلة اذ كان له من ورائه نفع ، ولـكنه أصبح فكرة قومية ، وذكرى خالدة يلتف حولها المصريون جميعا ، على اختلاف احزابهم ونزعاتهم يتغنون بها فى مصر وفى غير مصر كما يتغنى الاميركان بذكرى وشنجطن ، وكما يتغنى الطليان بذكرى جاريبالدى ، وكما يتغنى البريطانيون بذكرى كرمويل

ولقد بكينا سعداً وما كنا لنستطيع حبس البكاء ، ولـكن سعدا لم يكن ليحب أن ينوح عليه انسان ، و بذلك أوصى أقرب الناس اليه قبل أن يموت ، وهى صفة من صفات الابطال ، ولـكن الرجل الذى لم يستطع أن يحبس دمعه وهو يودع صديقه قاسما فبكى مجهشا فى البكاء ، لم يكن ليستطيع أن يمنع من البكاء عليه أمة كانت ترى فيه أملها المجسم ، وهى أجزع ما تـكون على هذا الامل أن تعبث به بين يد الفناء

ولقد تسع بطولة سعد كل شئ الا أن تحول بين الناس و بين هذا البكاء .

ولو كان لى ان أعلم قومى كيف يحسنون البكاء ، لنصحت لهم أن يبكوا كما كان سعد يبكى ، وما كان بكاء سعد الا عملا ، فكان اذ أدلهم خطب ، أو تعقد أمر ، انصرف الى التفكير والعمل ، وما رأيت كسعد جباراً فى التفكير وفى العمل ، وما أنسى يوما زرته فيه على أثر مرض نزل به فهد قواه ، واذا هو يبحث فى أمر قانونى قل أن بحث فيه رجال القانون لقلة مايعرض مثيله فى قضايا الناس واذا هو يكلفنى أن أخرج له من مكتبته بضع نسخ من مؤلفات فرنسية سمى لى أسماءها وأرقام مجلداتها حتى اذا أخرجتها بعد جهد ، اذا به يسألنى أن أبحث عن مواد كيت وكيت ، وأضع على صفحاتها علامات ، حتى اذا انتهيت وقد تعبت ، اذا به يأمر خادمه أن يحمل هذه المجلدات الضخمه الى حجرة نومه بالطابق العلوى ، واذا يسير متثاقلا من ضعف المرض لاتكاد تحمله قدماه وانا واقف باهت أتساءل فى حيرة أينا الفتى سعد أم أنا . ووالله لقد كان سعد فتى فى شبابه ، فتى فى كهولته ، فتى فى شيخوخته وستبقى ذكراه فتية لاتدركها الشيخوخة ولا يفنيها الفناء .

لقد كان هذا العمل المجهد نوعا بكاء سعد ، فقد استعصى ذلك البحث على غيره من فتيان المحاماه وكان هو يرى فيه لقضية مصر خيرا ، فلم يقعد به المرض ولم يثنه الضعف عن أن يقوم عن الفتيان بما اعجز الفتيان .

ولو كان سعد يبكى كما يبكى غيره من الناس . لما كان هو سعدا الذى نبكيه اليوم والذى انصح لقومى ان يبكوه كما كان هو يبكى عند ما يعرض له من مشاكلهم التى كان كلما ازداد غيره من حلها يأساً ازداد هو فى تفريجها رجاء وأملا .

لقد ودع سعد الحياة ، ومصر أشد ما تكون اليه حاجة ليبقى على وحدتها و يحفظ ائتلافها وقد آن ان تجنى من وراء الوحدة والائتلاف أينع الجنى واطيب الثمرات . واذا نحن نفكر اليوم فى تخليد ذكرى سعد فليكن أول مانضع من قواعد هذه الذكرى الحرص على ما كان هو عليه جد حريص من تأليف البلاد كتلة

تتحطم على جنباتها الثابتـة المتينة مطامع الطامعين وأهواء العابثين ويرفرف من فوقها علم خط عليه باحرف من نور : مصر للمصريين

صفحة الديموقراطية

فى حياة سعد

للمؤرخ الاديب الدكتور محمد ابو طائلة

نتخذ لـكلمة « الديموقراطية » أولا ذلك المعنى السهل الذى يفهمه منهـا سواد الشعب إذ يفسرها دون تحديد بانها التواضع ومنع الـكلفة والـكبرياء ، أو بانها المساواة وإزالة الفروق بين الطبقات . وعلى هذا المعنى كان الزعيم المغفور له إمام الديموقراطيين وقائدهم ، وقد بدت ديموقراطيته فى شعوره الشخصى الصادق وفى طريقة معاملته للناس

لم يكن سعد ينظر الى الدرجة الرفيعة التى بلغها والطبقة العالية التى ينتسب اليها ، ولم يكن يتخذ منهما ومن ألقابه الرسمية أو أوسمته حجابا بينه وبين السواد والعامة ، بل كان يشعر دائما أنه « سعد » بشخصه قبل أن يكون بمركزه أو لقبه فيجمع هـذا الشعور بينه وبين غيره ممن لم يحوزوا مركزاً أو لقباً ، ويجعله يقدر كل انسان وفق صفاته وشخصيته ووفق اخلاصه للمصلحة العامة وعمله فى سبيلها ، دون أن يعتد فى ذلك بأى شئ آخر مثل الغنى والفقر ، أو المركز والوظيفة

وقد عرف سعد بذلك وهو لا يزال فى مناصب الحـكومة ومن قبل أن تقوم الحركة الوطنية ، نخالف به « النظار » والـكبراء الذين كانوا يحسبون من لوازم مراكزهم ودواعى هيبتها أن يحتجبوا عن الناس فلا يعرفوهم الا حاكمين آمرين ، ولا يبصروهم الا شامخى الانوف متكبرين أو متألهين

ولعل الذى بث فى (سعد) هذه الديموقراطية أنه نشأ عصامياً فاقتحم ميدان الحياة بجده وهمته وصار يرتفع على سلمها درجة بعد أخرى حتى بلغ ذروتها فعلم أن مراكز الوزارة وأمثالها التى دعت غيره الى كبريائهم الجارحة ليست بالامر المحال ولا هى بالعسيرة على أصحاب الهمم العالية ، وما دام الشئ فى حيز الاستطاعة للغير فانه لا يدعو صاحبه الى الكبرياء والغرور . ولا ننسين أن الرجل ذا النفس السامية حقاً لا يغتر بنفسه مهما حاز من السلطان أو المكانة والثروة بل انه يزيد تواضعاً كلما زاد رفعة ، وكذلك كان سعد فى جميع أدوار حياته . ويصح أن يضاف الى هذا السبب ان سعداً دخل فى جميع الطبقات فى مراحل عمره فكان فقيراً ثم حسنت حاله ثم صار موسراً فمثريا وبذلك أحس احساس كل طبقة حتى اذا وصل الى أعلى الطبقات لم يحتقر ما دونها بل احترمها وعطف عليها

وقد تجلت ديموقراطية سعد فى الحركة الوطنية فكان يخطب الناس من كل فئة ويستقبل فى بيته الكبير والصغير ولا يميز بين الاثنين فى المعاملة . وكان يجتمع فى مكتبه الاثرى كبراء وتلاميذ وعمال فى آن واحد فيناقشهم جميعاً ويستمع الى الرأى ويقدره دون أن ينظر إلى مكانة صاحبه . بل كثيراً ما كان الزعيم يحترم طالباً أو عاملا ويرحب بهما أكبر ترحيب لانهما ضحيا فى سبيل الوطن ، بينما كان يحتقر كبيراً من ذوى الالقاب والاموال فيرفض مقابلته لانه دل على ضعة مبدئه . وحدث أن وفد عليه ذات يوم جمهور من الفلاحين وغصت بهم ساحة البيت فخرج اليهم وجلس معهم على الارض وهو يقول : « أنا فلاح مثلكم » ! وقد اخترعت السياسة الانجليزية لفظ « أصحاب المصالح الحقيقية » وقصدت به أرباب الاموال فى مصر وزعمت انهم فى صفها ، فقال سعد فى خطبة مأثورة له : « أنا زعيم الرعاع » . وكان سعد بلا جدال أصل الحركة الوطنية فى مصر ومشعل نيرانها وقائد المصريين الى الحرية والاستقلال ، ولكنه كان لا يفتأ يقول أنه أخذ الوطنية عن الامة وتعلمها من الطلبة وأنه « ليس خالقاً للحركة الوطنية

ولكنه ابنها وثمرتها »

ومن قبل سعد كانت مناصب الوزارة وما يتبعها محصورة فى فريق من الاغنياء أبناء الوزراء الاقدمين أو المقربين السابقين حتى كادت تعد ميراثا لهم ووقفاً عليهم وذريتهم دون اعتداد بمبلغهم من الكفاءة والوطنية . فلما ولى سعد رياسة الوزارة فى سنة ١٩٢٤ قضى على ذلك العرف السقيم وسن سنة ديموقراطية ستبقى ولا شك من بعده اذ اختار أعضاء وزارته ممن عهد فيهم الكفاءة والاخلاص للبلاد فجمع فيها بين ذوى الالقاب و بين المعدمين منها وسمع الناس لاول مرة فى مصر ان « افنديا » يصبح وزيراً وهلل أنصار الديموقراطيــة لذلك وأيقنوا انه بداءة عهد جديد

ثم كان سعد ديموقراطياً فى مماته كما كان فى حياته فان حرمه أم المصريين أبت أن توضع أوسمته على نعشه المكرم ورأت فى العلم المصرى فخراً كافياً وفى تعلق الشعب بالفقيد منزلة تفوق منازل الاوسمة والالقاب

***

اما اذا اتخذنا لكلمة « الديموقراطية » معناها الاصلى فى اللغة اليونانية وفهمنا منها « حكم الشعب » فقد كان سعد أيضا أكبر نصرائها وحامل لوائها فى مصر ، فمن قبل قيامه كان الشعب كمية مهملة لا نفوذ له ولا رأى فى شأن عام . ولكنه اتخذ من الجمعية التشريعية على وهنها وضيق دائرتها ، اداة لرفع صوت الشعب واظهار قوته وسلطته ، ولا تزال ترن فى آذاننا كلمته للنظار فى ذلك العهد اذا قال : (ان حق الجمعية فى التشريع حق ضعيف جداً كما يقولون ولهذا نحن نسترحمكم يا حضرات النظار ان لا تزيدوه بقوتكم ضعفا على ضعفه)

ثم علا بسلطة الشعب فى الحركة الوطنية وكون لمصر رأيا عاما يهز الجبابرة المستبدين ، فكانت البلاد محرومة الدستور الذى يكفل حقوقها ، والبرلمان الذى يحاسب حكامها وكان سيف الاحكام العرفية معلقا فوق رقابها ، ولكنها مع ذلك

كانت بقوة الرأى العام وحده تسقط وزارة أثر أخرى وتضطر كل وزارة جديدة الى أن تعرض برنامجها على الامة كافة فاما ان تؤيدها فتبقى واما أن تضن عليها بتأييدها فتهوى فى يوم او بعض يوم ، وكذلك أنفذ سعد كلمته « الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة » من قبل ان يصدر الدستور ويقرر سيادة الشعب ويقول أن الامة مصدر السلطات جميعا !

ولما صدر الدستور لم يكن له من واق سوى قوة الرأى العام التى تعهدها سعد بعنايته ، ثم لم يسترده من أيدى العتاة المستبدين سوى مبدأ « السيادة الشعبية » الذى بثه سعد فى النفوس .

لقد كان جهاده فى سبيل الدستور وسلطة الشعب بقدر جهاده فى سبيل الاستقلال التام ، فانه أيقن أن الاثنين صنوان متلازمان وأن لا أمان لاحدهما دون الآخر . وكم له فى هذا المجال من وقفات خالدات هز بها صرح الاستبداد ، وصد فيها الرجعية فاخضعها وأذلها ، وصار الشعب رافع الرأس وكلمته النافذة ورأيه الاعلى وهل ينسى المصريون موقف سعد باشا فى وزارته اذ هدد بالاستقالة لكى تحترم سلطة مجلس الوزراء عند تعيين موظفى الديوان الملكى والوزراء المفوضين ثم موقفه حين عقد البرلمان فى فندق الكونتنتال رغم أنف الرجعيين ثم موقفه حين ألف بين الاحزاب وجمع المؤتمر الوطنى وانتزع حقوق الشعب من مخالب المستبدين ؟ وهل ينسون اباءه كل تعديل فى قانون الانتخابات يقرر نصابا ماليا ويجعل لاحد الطبقات ميزة على غيرها او يجعل الانتخاب على درجتين تضيع بينهما سلطة الشعب ؟

كلا لا ينسى المصريون شيئا لسعد ، ولا ينسون على الاخص صفحة الديموقراطية فى حياته الخالدة

سعد والصحافة

للكاتب الفاضل ا . ط . المحرر بالبلاغ

كثيرون من العظماء والساسة فى العصر الحديث بدأوا حياتهم فى الصحافة فكانت لهم سلما ارتقوا فوقه الى أعلى مكانة. ولعل اصل ذلك أن الصحافة صناعة عامة تظهر فيها للناس كفاءة الانسان وتبدو شخصيته دون واسطة . والكاتب فى الواقع يعلن عن نفسه ويطلع الناس على قدره فى كل مايكتبه سواء اراد ذلك من كتابته او لم يرد فاذا نجح الصحفى فى صناعته وصار له اسم معروف أصبح الطريق امامه ممهدا لمراكز النيابة اوالزعامة اولمناصب الحكم ، وهذا ان كانت له الصفات المؤهلة الاخرى مثل التبريز فى الخطابة وغيرها .

وكذلك كان زعيم مصر و الشرق سعد باشا زغلول صحفيا فى بداءة حياته العامة المباركة فانه ما لبث ان أنس من نفسه البلاغة وحسن البيان وهو طالب فى الازهر حتى شرع يكتب مقالات قيمة فى صحف البرهان والحق ومصر والمحروسة وغيرها من صحف ذلك العهد . واتصل رحمه الله بالامام محمد عبده قائد الحركة الفكرية فى مصر وأعجب به الامام وأفاده كثيرا من علمه و بيانه وكان دليل اعجابه انه اختاره محررا بالوقائع المصرية وكان الامام رئيس تحريرها ، ولم تكن الوقائع المصرية اذ ذاك مجرد صحيفة رسمية تنشر بها قرارات الحكومة وقوانينها وحدها وانما كانت « جريدة » بمعنى الكلمة تنشر بها المقالات والابحاث .

وقد وجد بها الشاب سعد متسعا لابداء آرائه الحرة وافكاره الحديثة وعنى عناية خاصة بنقد أحكام المجالس الملغاة وكان بعض أحكامها القضائية وصمة فى جبين العدالة . غير انه لم يكن صحفيا فحسب يسير على اثر سلفه وكبار رجال الصناعة ولكنه كان « مجددا » اتخذ له اسلوبا سهلا غير اساليب السجع والتكلف الذى كان

سابقاً ولا زلنا نقرأ مقالاته التى كتبها فى ذلك الحين فلا نجدها تختلف فى لغتها عما يكتب اليوم وهذا فوق ماحوته من رأى سديد ونقد بليغ وسعى صادق فى الاصلاح والتجديد .

ثم مضى زمن طويل لم يعمل فيه سعد فى الصحافة عملا مباشراً حتى أنشئت الجمعية التشريعية فى سنة ١٩١٣ فكانت له فيها وقفات عظيمة كان لها صداها فى الصحف ، وكانت هذه تتسابق الى نشر خطبه البليغة التي تفيض جراة وحماسة فيقبل الشعب على قراءتها . وبذلك مد الصحافة المصرية بمادة جديدة وسهل لها سبيل الانتشار كما مد الجمعية التشريعية بقوته وارادته فصارت رغم نفوذها الضيق تشابه البرلمانات الحقيقية فى الدول الدستورية .

ثم قامت الحركة الوطنية فاحدثت نهضة سريعة فى صحافة مصر وهيأت لها مورداً للكتابة لا ينضب . وبفضلها انشئت صحف عديدة واتخذت نظاما غير ما كان يتبع فكثرت صفحاتها وتنوعت ابوابها وعلا أسلوبها وصارت تعنى بالمادة والفكرة بعد ان كانت تقف عنايتها على الانشاء واللفظ . واذا قارنا بين احدى الصحف المصرية فى العصر الحاضر وبينها قبل الحركة الوطنية علمنا مقدار الخطوات الواسعة التى تقدمتها الصحافة المصرية فى سنوات قلائل حتى صارت لا تقل عن الصحف الغربية .

وقد كانت خطب سعد ونداءاته خير غذاء للصحافة المصرية واكبر سبب لانتشارها . ومن قبلها لم تكن صحيفة مصرية تحلم باصدار نصف العدد الذى صارت تصدره فى ابان الحركة الوطنية وحين كانت تنشر تلك الخطب والنداءات .

وكذلك اشترك سعد اشتراكا فعليا فى التحرير فنشر فى جريدة « البلاغ » عدة مقالات بتوقيع مستعار واقربها الى الذهن تلك المقالات المتسلسلة القيمة التى كان يبعث بها الى « البلاغ » بعنوان « ثورة الوزارة على الدستور » وبامضاء « س . ا » وكانت مثالا لدقة البحث وسهولة الاسلوب .

وكان سعد قدوة لاتباعه من رجال الوفد فجعلوا هم ايضا يكتبون المقالات فى فى الصحف وانتفعت الصحافة واللغة باقلام بليغة كانت محتجبة من قبل .

ثم كان البرلمان وجلساته وكانت خطب سعد فيه ومناقشاته للنواب وحيا جديدا للكتابة ومصدرا تستمد منه الصحف مادة وموضوعا

وقد اتيح لى أن اتحدث الى الزعيم الكبير فى امر الصحافة اذ زرته فى اواخر رمضان الماضى لاقدم له طبيبا من اصدقائى عاد حديثا من المانيا وآخر المانيا مكاتبا للصحف فدار الحديث حول الصحافة فى مصر والغرب وابدى لى المغفور له رضاءه عن تقدم الصحف المصرية وعدم « اختصاص المحررين » بمعنى ان يكون بكل جريدة محرر للسياسة الداخلية وثان للخارجية وثالث للقسم الاقتصادى ورابع للشذرات الخ الخ وكان رحمه الله يقصد ان تنسج الصحف المصرية نسج الغربية فى ذلك . ولكنه تدارك فقدر صعوبة ذلك فى الوقت الحاضر وارتاح اذ شرعت الصحف المصرية تسير فى هذا السبيل . وكذلك ابدى ارتياحه الى لغة الصحف فى العهد الاخير ولكنه اظهر لى بهذه المناسبة عدم ارتياحه الى كلمة « اخصائى » التى يستعملها بعض الكتاب وقال انه لم يعثر عليها فى مراجع اللغة وان الكلمة الموافقة هى « اختصاصى » او (مختص) . وقد كان حديثه دالا على عظم اهتمامه بالصحافة ووقوفه على دقائقها .

ولا يذكر سعد فى الصحافة الا ذكرت معه كلمته الخالدة : (الصحافة حرة تقول فى حدود القانون ما تشاء وتنتقد ما تريد . فليس من الراى ان نسالها لم تنتقدنا بل الواجب ان نسأل انفسنا لم نفعل ما تنتقدنا عليه)

سعد والرأى العام

للمؤرخ الاجتماعى الدكتور محمد ابو طائلة

اذا قلنا ان سعداً هو باعث الحركة الوطنية الاستقلالية فى مصر فمعنى ذلك انه خالق الرأى العام فيها فقد كانت الحركة شعبية بطبيعة الحال لا تستند الى غير ارادة الشعب وقوة عزيمته واتحاد فكرته . ومن قبل سعد لم يكن لمصر رأى عام يعتد به ولم يكن يعنى بشئونها العامة غير فريق محدود من أبنائها

وقد عمل سعد على ايجاد الرأى العام فى مصر منذ زمن بعيد ومنذ دخوله فى عالم الصحافة أيام شبابه . ومن أفضاله انه كان أول وزير مصرى عنى بالامة وارادتها فأدلى بحديث الى بعض الصحف وهو وزير المعارف وكان الوزراء أو « النظار » فى ذلك لا « ينزلون » للتحدث الى الصحف ولا يهمهم أن ترضى الامة عنهم أو تسخط عليهم ماداموا لا يستمدون سلطتهم من سلطتها ولا يستندون فى مراكزهم الى رغبتها

وجاءت الجمعية التشريعية بعد ذلك وانتخب سعد نائباً فيها ثم وكيلا عن الامة فكان أرفع النواب صوتا وأظهرهم شخصية وجعل للجمعية على ضيق اختصاصها مقاماً عالياً كمقام البرلمانات الكبرى وما بلغ ذلك الا بارتكازه على رأى عام خارج الجمعية كان يردد صوته ويؤيده أصدق التأييد فى دفاعه عن الامة وحقوقها وقد كانت خطبه فى الجمعية ومواقفه العظيمة بها هى المحور الذى التف حوله الرأى العام بل النواة التى تكون منها أحسن تكوين

ولما قام سعد قومته فى نوفمبر سنة ١٩١٨ حرك الرأى العام من مرقده وجمع ذراته فصيره جسما متجانساً وجعله حقيقة ذات آثار ملموسة بارزة . وبعد أن كانت اجزاء الرأى العام مختلفة متعادية يقاتل بعضها بعضاً بسبب اختلاف الدين أو غيره

وحد سعد بينها ووجهها جميعا وجهة واحدة هى وجبة الاستقلال والدستور

وقد انصف السير تشيرول الصحفى الانجليزى الذى عرف بدرسه القضية المصرية حين قارن بين الحركة الوطنية فى مصر و بينها فى تركيا فقال ان الاولى تمتاز على الاخرى « بالتنظيم » فالحق أن سعداً لم يقنع بتكوينه رأيا عاماً قويا بل نظم هذا الرأى العام على أسس حكيمة ثابتة ، و بدأ تنظيمه بتوقيعات « العرائض » المعروفة فى بداءة الحركة الوطنية وفيها وكلت الامة سعداً ورجال الوفد فى السعى لاستقلالها التام و بذلك أمكن سعداً أن يجابه كل معترض ويثبت انه حقاً وكيل الامة المصرية المعبر عن طلباتها ورغباتها . ثم نظم الوفد وصارت له لجنة مركزية بالقاهرة ولجان فرعيــة عديدة بعواصم الاقاليم والمراكز والبلاد بل صارت له لجنة فرعية للسيدات وحدهن . وكانت هذه اللجان بمثابة برلمان عام و برلمانات محليــة يظهر فيها الرأى العام ويتمثل الشعب بجميع هيئاته وطبقاته . وتولدت من ذلك حركة تأليف النقابات لارباب المهن والصناعات ولا تزال سائرة فى طريقها النافع المأمون . و بلغ من دقة سعد فى تنظيم الوفد انه لما اعتقل ورفاقه قامت هيئة اخرى من الوفــد تحمل عــلم الجهاد ، فلما قبض على أعضائها وزجوا فى السجون وحكم عليهم بعد ذلك بالاعدام ، قامت فى الحال هيئة ثانية ولما اعتقل اعضاؤها ايضاً حلت محلها هيئة ثالثة ، وكان سعد قد احتاط للامر من قبل اعتقاله ورتب هذه الهيئات وعين أسماء أفرادها

وهذا الرأى العام الوليد الذى تمثل فى الوفد ولجانه وفى الصحف والمجتمعات هو الذى أجبر انجلترا القوية الظافرة على التراجع أمام مصر الضعيفة العزلاء . وهو الذى اضطر الوزارات المصرية التى تعاقبت فى سنى الحركة الوطنية على اعلان برنامجها للامة ثم على الاستقالة اذا كان برنامجهــا غير كاف أو لم تستطع تحقيقه ، وذلك من قبل ان يكون لمصر دستور و برلمان بل فى اشد أوقات الاحكام العرفية . والرأى العام أخيراً هو الذى ارغم الانجليز على فك أسار سعد فى مالطة ومفاوضتهم

ايام ، ثم على الافراج عنه ثانية فى جبل طارق واعادته الى وطنه مكرما

وقد اتضح بعد ان استقرت الامور فى مصر أن الدستور لا وقاية له مع كل الضمانات التى نص عليها ، وانما سياجه القوى الصحيح هو الرأى العام وارادة الشعب ، فبهما استرد سعد الدستور من مخالب الرجعيين ، ورفع سلطة الامة فوق كل سلطة اخرى ودفع عن حقوقها عدوان المعتدين

وكان سعد يعنى بالرأى العام الذى كونه ويتعهده بعطفه ورعايته ، وكان يخضع له فى ظروف كثيرة وهو الذى كانت كلمته للامة أمراً مطاعاً ينزل منزلة الاحترام والتقديس . ومن ذلك انه كان لا يرشح الشيوخ والنواب الا بعد أن تطلب دوائرهم ترشيحهم وتبدى هذه الرغبة لجنة الوفد فى الدائرة او وفد ينوب عن اهلها لدى الرئيس

ومن دلائل اهتمامه بالرأى العام انه كان رحمه الله يقرأ جميع الصحف حتى المعارضة التى يعرف انها غير محقة فى معارضتها ، وكان يقرأ حتى الصفحات المتأخرة منها وما يكتبه كتاب غير معروفين . وكان فى بيت الامة يستقبل الزائرين من كل طبقة ولا يأنف ان يناقش اى فرد يبدى رأياً يستحق المناقشة . ونذكر ان زاره وفد من العمال ذات يوم وطلبوا اليه ان يخطبهم فاعتذر بضعف صحته وتعبه واذ ذاك وقف واحد منهم والقى خطبة باللغة العامية قال فيها مما نذكره « ان كانت انجلترا تحكمنا لانها تديننا فاذن يجب ان تستعمرها امريكا وان كانت تحتل بلادنا لانها فى طريقها الى الهند فيجب ان تحتل فرنسا واسبانيا وايطاليا وغيرها لانها ايضاً فى ذلك الطريق » . فأعجب سعد بهذا الكلام وقدر صاحبه وخطب الوفد عقبه خطبة ضافية

كذلك كوّن سعد الرأى العام فى مصر ومده من روحه القوية فلا عجب ان يحزن هذا الرأى العام على سعد حزنا باقيا وأن يخلد ذكراه الطاهرة الى الابد

عصامية سعد

للاديب المحترم محرر الكوكب

العصامية كالعبقرية وسائر الاصطلاحات المشابهة لا يمكن تحديدها تحديداً جامعاً مانعاً كما يقول السادة العلماء

يثب الرجل من مكانة الرجل العادى الى مصاف ذوى الخطر والاهمية معتمداً على نفسه لا على حسبه أو نسبه و بدون أية مساعدة أجنبية فيقال هذا رجل «عصامى» ويسمى عمله « عصامية »

مثل هذا الرجل لا يمكن أن يكون عاديا فى كفاياته ومواهبه وقدرته على العمل كلا ولا يمكن أن يكون عاديا فى مطامعه و رغباته وأمانيه ولا يمكن أن يكون مخدوعا فى نفسه واستعداده مغروراً مفتونا بما لم تهيئه له الطبيعة

على انك ملاق رجالا ذوى رغبات جامحة ومطالع بعيدة المنال واحلاما غريبة مدهشة ومثلا عليا شاهقة الا انهم لم يخلقوا لتحقيق ما يصبون اليه اذ هناك فارق بين الرغبة و بين القدرة على تحقيقها و بين الامنية والسعى للحصول عليها بل هناك من الناس من يسعى سعياً متواصلا ويكدح كدحا يستحق الاعجاب لتحقيق رغباته والوصول الى غاياته فلا يوفق ويخيب خيبة تامة أو يصيب خطا يسيراً مما طمح اليه . ويرجع عدم توفيقه الى ان كفاياته ومواهبه لا تؤهله لتحقيق رغباته وأمانيه مهما أجهد نفسه ومهما تجشم من نصب وعانى من متاعب

وغير صحيح ان الاخفاق فى مثل هذه الاحوال يعزى الى الحظ والى الفرص السانحة يحيا بها أناس ويحرم منها أناس .

هذه حجة العجزة وقصار النظر والمتواكلين لان الحظ السعيد لا يصادف غير أهله فيما يتعلق بالعصامية وانما يصادف الناس فيما يتعلق بالغنى أو ما الى ذلك

من الشئون التى لا صلة لها بالكفايات والمواهب . ولم يحدثنا التاريخ أن رجلا اسعده الحظ فصار قائداً كسب المعارك أو صار زعيما عظيما التفت حوله الجماهير وسارت خلفه الى اقتحام الاهوال والمنايا نفسها

هذا عن الحظ أما عن الفرص السانحة فان جميع الناس تعرض لهم الفرص وتعرض فى كل حين ولكن العليلين منهم هم الذين يتنهزوها لان هؤلاء القليلين امتازوا بصفات نادرة من شأنها أن تهتدى الى الفرص فتنتهزها

الامر اذن راجع الى تكوين الشخص وكفاياته واستعداده . و بعبارة أخرى ان مرد العصامية الى طبيعة الشخص نفسه قبل كل شئ

وقد كان سعد ولا نكران على صفات ومواهب وكفايات نادرة والا فماذا تفسر نزوح فلاح القاهرة مع ان أقرانه اكتفوا بقليل من العلم تلقوه فى المعهد الدسوقى و رجعوا الى قراهم لمزاولة أعمال الفلاحة أو تسلم منصب العمدية أو مشيخة البلاد او الخفر ؟ ليس لانه آنس من نفسه عقلا راجحا ورغبة فى الاستزادة من مناهل العلم وقدرته على تحصيله والتوفق فيه ؟

ستجيب بالايجاب ولا شك

ثم نسأل بعد ذلك لماذا هجر سعد الازهر الى المحاماة ؟ اليس لانه شعر انه كفء للمحاماة ؟

وقد كان كذلك فانه أصبح بين عشية وضحاها شيخ المحامين وكبيرهم لم يخسر الاقضية واحدة كما حدثنا فى خطبة القاها عقب عودته من مفاوضاته مع المستر مكدونالد . بل لماذا اشتغل عن علوم الازهر الشرعية بالكتابة والصحافة فالتحق بقلم تحرير الوقائع المصرية ؟ اليس لانه كاتب بطبيعته ؟

فعصامية سعد هى التى جعلته يطلب العلم فى معهد دسوق وهى التى جعلته يفد على الازهر الشريف وهى التى جعلته يترك الازهر الى تحرير الوقائع المصرية متنقلا الى سلك المحامين

ولم تقف به عصاميته عند حد المحاماة مع انه أصاب منها شهرة وغنى وجاها .
وكيف تقنع عصامية سعد بالغنى والشهرة والجاه ؟ انها تشرئب الى مرتبة اسمى من منصب مستشار ومن منصب وزير ومن مكانة رجل يعمل لبلاده فى دائرة الحياة العامة كأن يشترك فى انشاء الجامعة

وما زالت عصامية سعد تصعد به مرتقية حتى وصل الى مركز الزعامة . وعلم الله انه كان زعيما بكل معنى الكلمة ثم تطلبت الظروف رجلا آخر أكبر من الزعيم تطلبت سياسياً ماهراً وتطلبت رأساً مدبرة تسير دفة الحكم النيابى فحفزت العصامية سعداً الى أن يسد الفراغ الهائل فنصب نفسه لاحتمال سائر هذه الاعباء الجسيمة . فكان عظيما بعصاميته

وانك لواجد فى هذه العصامية سر تعلق الجماهير به وحبهم له حباً يقرب من العبادة لان العصامية ينشدها الناس جميعاً ويقعدهم عنها استعدادهم فكل فرد يحب أن يعتمد على نفسه ويعرف لها حقها من الكرامة ويحب أن يغتصب المجد اغتصابا ويحب ان يكون الفضل فيما يتمتع به راجع اليه هولا الى سواه . تلك حقيقة يبرهن عليها ادعاء أكثر الناس انهم عملوا كذا ونجحوا فى كذا بينما هم لم يعملوا شيئا مما يدعونه لانفسهم . على أن العصامية الحقيقية تتحدث بالاعمال لا بالكلام

فانظر بالله مبلغ تأثير تلك العصامية السعدية فى جمهور الفلاحين والطبقات العاملة وانظر الى مفعول أعمالها الموفقة ومساعيها الجليلة

أعرف قرى فى الريف كثيرة غير حالها نبوغ فرد من أفرادها وارتقاؤه الى منصب حكومى كبير وحيازته لقباً ضخماً . فبلدة « زاوية البقلى » فى مديرية المنوفية اقامها وأقعدها نبوغ « الدكتور محمد على البقلى باشا » فأرسل الفلاحون فيها ابناءهم الى المدارس . حتى لتجد نصف أهلها بين دكتور ومهندس ومحام وقاض وموظف كبير وكذلك الحال فى بلدة كفر المصيلحة بمركز شبين حرض نبوغ المرحوم « احمد حشمت باشا » أهلها على ارسال ابنائهم الى المدارس فنبغ منهم غير واحد

وهناك قرى كثيرة حدث فيها مثل ذلك فكيف بالله يمكن ان يكون مبلغ تأثير نبوغ العصامى فى القرى وفى أهل الاحياء الوطنية ممن يتأثرون بالامثلة البارزة وممن يفهمون الرجال بأعمالهم الظاهرة الملموسة لحرمانهم من القراءة والكتابة أن التأثير ولا ريب لا يمكن تحديد مداه وانما يمكن التأكيد بان القريب العاجل سيشهد طائفة من العصاميين فى دوائر عديدة تتناول سائر النشاط الحيوى وسيكون هؤلاء العصاميون من أفراد الشعب الفقير أكثر من أى طبقة أخرى ولن يأبه هؤلاء بالحكومة ومناصبها ولن يقنعوا من طلب العلم ومزاولة الصناعات والاعمال بالمال فالمجد هو الذى تصبو اليه العصامية والمجد لا يقدس المال والمنصب وكل شئ عرضى . وكفى سعد فخراً وكفاه خلوداً أن تغير حياته اتجاه الجهود بين الفلاحين وتحول انظار الكثيرين الى طلب المجد فى مختلف الشئون

الحق أن تأثير سعد من هذه الجهة عظيم بالنسبة لمستقبل مصر وبالنسبة لاعتمادها على نفسها وتحررها من العبودية للاجنبى سواء أكانت هذه العبودية سياسية أم ادارية أم فنية أم اقتصادية أم ثقافية . فالجيل القادم وما يحققه ويصل اليه ويبرع فيه مدين لسعد محسوب بين اعماله الخالدة

سعد كمشرع

للاديب المحترم محرر الكوكب

لوكانت العبقرية مسألة وراثية فحسب لقلنا أن سعداً وأخاه المرحوم فتحى زغلول قد ورثا عن نبع واحد كفاءة المشرع وموهبة رجل القانون . فلقد كانا علمين من أعلام التشريع والقانون فى الوقت الذى بدأت فيه مصر تنظم القضاء الاهلى مستعيرة القانون الفرنسى — وقد اشتغلا بالمحاماة ثم القضاء فكانا من النوابغ الافذاذ .

ولما كان القانون الفرنسي لا يمكن تطبيقه على مصر لاختلاف العادات والتقاليد والاخلاق والثقافة وتقدم حالة المدنية فى فرنسا عنها فى مصر ، فقد اقتضت الحال وجود أشخاص يفهمون روح القانون ويدركون سر التشريع حتى يستطيعون أن يسدوا نقص هذا القانون الجليب ويجعلونه يطابق روح المجتمع المصرى

وتلك مسألة لا ينفع معها اطلاع أو غزارة مادة ، ولا يفيده فيها البحث فى المراجع والموضوعات القانونية الفرنسية ، ولا جدوى بالنسبة لها من وراء تلقى العلوم القانونية فى جامعات أوروبا والتبحر فيها الى درجة الاستاذيه لان المسألة ترجع الى استعداد ذاتى ومواهب خاصة يهديها وينميها الدرس والتحصيل ، وطول الخبرة والمران وشدة الذكاء والصبر على موازنة الدقائق والمعضلات وتحليلها ، وادراك كنهها ولكى تقنع نفسك بأن المواهب والكفاءات الطبيعية مقدمة على الاطلاع والدرس واحراز الاجازات العلمية ، أنك تجد بين العامة وفى القبائل المتجولة أناسا على استعداد فطرى لسن القوانين والفصل فى قضايا دقيقة على نور العقل والذوق السليم

ولقد أصبح معلوما أن الفلاحين المصريين على قدرة عجيبة فى فهم القانون فان لبعضهم أجابات وتأويلات لا تخطر فى بال الحاصلين على الاجازات والالقاب العلمية الرسمية من أكبر الجامعات، ويحدثك المحامون فى جميع انحاء القطر المصرى عن أصحاب القضايا من الفلاحين أحاديث تشهد بانهم لا يقلون عن أكبر المحامين حذقا وتصرفاً وتفسيراً لمواد القانون والاجراءات التنفيذية فى المحاكم .

نخرج من هذا كله على ان سعداً وأخاه قد ورثا عن الشعب المصرى ـ والشعب هنا هو جمهور الفلاحين ـ تلك الموهبة ، ونعنى بها التشريعية القانونية ، وأنهما لذلك بذا أقرانهما وتفوقا عليهم على أن سعداً كان أبعد غوراً من أخيه وأعظم استقلالا فى الرأى ، وأهدى الى وجه الصواب ، وأكثر ابتكاراً وتوليداً ، وأفهم

لروح القانون ، وأوسع نظرة الى الحياة وأبصر بمواطن الهدى والرشاد ، وأشد تعلقا بالحق للحق ذاته . فلقد كان رحمة الله « العدالة مجسمة »

ولسعد باشا نظريات قانونية وآراء معتبرة الحقته بالثقات وأعلام القانون وله مشاريع اصلاحية تلحقه بأكبر المصلحين القانونيين . وكل من يعلم عن سيرته فى المحاماة والقضاء ورياسة وزارة الحقانية ، لا يتردد فى الاعتراف بأنه اشترك فى توطيد العدالة فى مصر ، وعمل على حماية الحق والمحافظة عليه جهد طاقته

وأن ذكرت المحاكم الشرعية واصلاحها فاذكر محمد عبده وسعد زغلول . ولو مد الله فى عمره لحقق اصلاحها واصلاح قوانينها . على انه بعد يرجع له فضل أى اصلاح يتناول هذه المحاكم

ثم لا تنس رأيه الاعلى الذى استمد منـه القائلون بالغاء الاوقاف آراءهم ، فالمعروف عن الفقيد العظيم انه كان يرى إلغاءها ، وان له لموقفا خالداً ازاء تحويل ديوان الاوقاف الى وزارة

ولقد كان سعد بفضل موهبته القانونية وكفاءته التشريعية خير من فهم القضية المصرية من وجوهها القانونية ، وخير من تلمس مواطن الضعف فى سائر المشروعات الانجليزية : فهو ولا فخر ، أول من هاجم مشروع برونيات ودلل على جوره وسخفه فى اجتماع عقد فى سـنة ١٩١٩ بالجمعيـة الملـكية للتشريع والاقتصاد وهو الذى فند مشروع ملنر تفنيداً غاية فى الابداع ، وكانت له اليد الطولى فى رفض الامة له بالرغم مما بذل لترويجه وحمل الامة على قبوله ولا حاجة الى اقامة الدليل على هذا وكيف تقيم الدليل على شروق الشمس وغروبها

ومشروع كرزون ومشروع ٢٨ فبراير قد تحطما على صخرة كفاءته القانونيـة وما زالت خطبه فى تفنيد هذين المشروعين من اخلد مخلفاته وأنبل ما تركه لهذه الامة فى جهادها

ولقد نقد سـعد الدستور المصرى القائم نقـداً لا مثيل له باعتراف أكبر

رجالات القانون

وما مقالاته التى نشرها تحت عنوان « ثورة الوزارة على الدستور » الا نفحات قانونية ووحى تشريعى واذا انت تتبعت مضابط مجلس النواب فى الدورين الاول والاخير برزت لك شخصية سعد مشرعاً ومقننا قل ان تنجب مصر أو غير مصر مثله . ويمكننا ان نسوق براهين عديدة على رأينا هـذا ولـكنا نجنح الى الاكتفاء بتقرير وجهة نظرنا تاركين للقراء استعراض أهم جلسات مجلس النواب ولا سيما تلك التى عرضت فيها قضايا قانونية

على ان سعد باشا لم يكن موهوباً فى التشريع فحسب بل انه درس العلوم التشريعية الاسلامية ودرس التشريع الفرنسى ونال اجازة الليسانس فيه وكان رحمه الله واسع الاطلاع وتعتبر مكتبته القانونية من أكبر المكاتب المماثلة لها فى البلاد ثم انه قد عالج التشريع والقضاء معالجة جدية وأقبل عليها اقبال المخلص المتلذذ بالانكباب عليها . ومن اجل هـذا كان من أكبر رجال القانون فى مصر ان لم نقل أكبرهم

سعد والانظمة البرلمانية

للصحفى الكبير محرر المقطم

أتفق معظم الباحثين فى نظام الحكم البرلمانى وتاريخ الهيئات النيابية ولا سيما الانجلوسكسون منهم على أن هذا النظام ينمو نمواً ولا يخلق كاملا مهما برع الذين يتولون وضعه ومهما أفرغوا من العناية فى سن الدساتير والقوانين وهـذا النمو يتم بانقضاء الزمان وممارسة العمل البرلمانى فتوضع الأصول والقواعد فى أثناء السير وتصبح عرفا أو سابقة يرجع اليها ويعول عليها والذى ينعم النظر فى الدستور

البريطانى والنظام البرلمانى فيها يتبين له أن غير المكتوب منها يربو جداً على المكتوب ولكن التقاليد البرلمانية مرعية عندهم وهم يختارون رئيس مجلس النواب لاعتبارات شتى منها حسن أحاطته بهذا العرف وتلك التقاليد واجادة تطبيقها .

والبريطانيون وهم أعرق أمم الارض فى الانظمة النيابية والأحكام الدستوريه وأشدهم تمسكا بهاواحتراماً لها يجدون فى مدارسهم وجامعاتهم ومجالسهم المحلية ومجالس المديريات والبلديات مدارس برلمانية يتأهب فيها من يريد دخول البرلمان الاكبر فيما بعد ففى جامعتى اكسفورد وكمبردج ومعظم جامعاتهم الأخرى جمعيات تدور فيها المناقشات السياسية والأدبية والاجتماعية على القواعد البرلمانية ولم يكتف حزب المحافظين البريطانين بذلك كله فانشأوا مدرسة خاصة يتدرب فيها الذين يطمحون الى الترشيح للنيابة البرلمانية فيدخلون مجلس النواب وهم عالمون بقوانينه وقواعده فلا يضيعون جانباً من وقتهم بعد انتخابهم فى درسها واقتباسها لكثرتها .

وقد أنشىء الحكم النيابى عندنا وليس لنا شيء من هذه الوسائل فكان من الضرورى أن نحسن الابتداء بالعمل ونعنى بوضع القواعد والسوابق تسهيلا له وحرصاً على حسن السير فى المستقبل بعد الذى شهدناه من اختيار غيرنا . نعم انه كان لنا مجلس شورى وجمعية تشريعية ولكن البون بين هاتين الهيئتين والهيئة النيابية الحالية شاسع فى مايتعلق بالاختصاص واتساع مدى المهام واهتمام الشعب والصحف . وزد على ذلك أن عيون العالم باسره اتجهت الينا لترى مبلغ نجاح أمة شريفة فى استعمال هذه الأداة التى تعد أداة غربية بحته ولم يكن فى الطاقة الاستعانة بالعارفين من الأجانب كما يصنع فى المصالح الفنية لأسباب لا تخفى

فلما تولى سعد باشا رئاسة مجلس النواب مؤثراً لها على رئاسة الوزارة أخذ الناس يتكهنون فى مايتم على يديه فى عمل لم يسبق أن مارسه إلا ما كان من

اشتراكه بقصير المدة فى الجمعية التشريعية قبل الحرب ولـكن لم ينفض قليل من الزمن حتى تجلت مواهب سعد فى هـذه الحلبة كما تجلت فى سواها وأيقن الجميع أن العناية اختارته لهذا المنصب لتوطيد أساس النظام النيابى وحسن إدارة الاعمال ولم يقتصر هذا الايقان على المصريين الذين عرفوا بحب سعد والاعجاب به بل شمل معظم مكاتبى الصحف الأجنبية حتى الذين لم يشتهروا بالميل الى زعيم مصر وشمل أيضاً الذين كانوا يزورون المجلس من الأجانب ولاسيما الذين يفهمون العربية منهم.

وما كان نجاح سعد فى هذه المهمة لنفوذه الشخصى وهيبته الخاصة فقط بل لأسباب اخرى هى التى بعثت على طرق باب هذا البحث لليوم فقد شهد الذين تتبعوا أعمال البرلمان كيف كان سـعد باشا يشرف على المناقشات ويحسن إدارتها ويستوعب كل مايقال وقد حدث غير مرة ان أسند متكلم الى متكلم سابق قولا فـكان رئيس المجلس يصحح الاسناد ويعيد ماقاله المتكلم الاول بما يكاد يكون كلامه بحروفه وكانت حافظته غريبة فلا ينسى شيئاً يتعلق بعمله ولاسيما الجزء القانونى منه

وعلى ذكر قوة حافظته نروى هنا ما شهده كاتب هذه السطور فى سنة ١٩٢١ حينما استقر القرار على محاكمة سلامه بك ميخائيل وكان قاضياً فى مجلس تأديب فى محكمة الاستئناف وخلاصة ذلك اننا كنا ساهرين فى مكتب سعد باشا الـكبير وبين الحاضرين نقيب المحامين حينئذ وجماعة من المشتغلين بالقانون والمتصلين بالوفد وقد عهد الى بعض منهم فى مهمة الدفاع فى مجلس التأديب والظاهر ان سعد باشا كان قد أفتى لهم فى اثناء النهار فى مسألة تتعلق بهذه المحاكمة فقال أحـدهم يا معالى الباشا لم نجد فى القوانين ما يؤيد الرأى الذى تفضلت به اليوم فى موضوعنا فرفع سعد باشا رأسه وقال « لم تجدوا ؟ » ثم دعا مصطفى النحاس باشا وقال ائتنى بالـكتاب الفلانى فـذهب الى المـكتبة المجاورة وجاء به فقال اطلب باب كذا

فيه ففتح الكتاب وبحث فى الباب فقال سعد باشا اقرأ المادة كذا فقرأها فاذا هى مطابقة لفتواه ثم التفت الى الحاضرين وقال هذا نظام وضع لمجلس تأديب القضاة لما كنت مستشاراً فى محكمة الاستئناف

ويذكر الذين طالعوا محاضر جلسات مجلس النواب ان سعد باشا ابتكر قواعد شتى فى ذلك المجلس لاختصار الوقت وادارة المناقشات وتأليف اللجان وتقديم تقاريرها مما لا يسهل احصاؤه هنا لكثرته وسيجنى البرلمان والبلاد فائدة هذه القواعد والسوابق التى صارت فى حكم العرف المرعى لمطابقتها لمقتضى الحال . وقد كان موضوع استغراب المستغربين كيف ان سعداً وليس هو بذى خبرة برلمانية استطاع ان يصنع كل ما صنع من هذا القبيل فأفاد فوائد عظيمة ستذكر له فى العمل البرلمانى ويرجع النواب فى مستقبل الايام الى احكامه ونظرياته الصائبة

ومع ما كان عليه سعد من قوة الشكيمة والهيبة والنفوذ ما حاول يوماً من أيام رئاسته ان يسير المجلس فى طريق ما مكرهاً بل كان يدير المناقشات بحنق وبراعة ولا يفتأ يظهر احترامه للمجلس بالقول والفعل فاذا تبين له ان الجد لا يصلح لموقف من المواقف عمد إلى نكتة من نكاته الرائعة فيبدد « تكهرب » الجو فترتاح النفوس ويجلو ما فى الصدور

اضف الى هذا همته الغريبة وعظم نشاطه فى العمل وتقديسه للواجب فكان مثالا حياً لما يجب ان يكون عليه من ينوب عن الامة ويمثلها فى هذه المهمة الشاقة ولا يستثنى من ذلك سوى اضطراره الى التبكير فى عقد جلسات المجلس فى أثناء البرد عملا بمشورة اطبائه وقد حظروا عليه البقاء فى خارج داره بعد ساعة معينة خوفا من فعل البرد فى صحته ومع ذلك فانه كان يخالف هذه المشورة فى كثير من الاحيان عندما تقتضى طبيعة العمل اطالة مدة الجلسة

فسعد بما قيض له من اسباب النجاح فى هذا المنصب رفع مرتبة العمل البرلمانى الى مقام سام وارهق من يخلفه على هذه الرئاسة غير ان المأمول أن ابواب

الابتكار التى فتحها تظل مفتوحة وان الاصول والقواعد والسوابق التى وضعها بيعد نظره وصدق حكمته تظل مرعية وتكون مثالا يحتذى فى ما نحن مقبلون عليه من اعوام العمل البرلمانى واذا اسف المرء على شئ فهو ان الله لم يطل فى عمره ليواصل السير فى هذا الطريق ويزيد مجموعة أعماله النافعة فى هذا الميدان لاننا ونحن فى مطلع الحياة البرلمانية فى اشد حاجة الى دعم قواعدها وتوطيد اصولها وأسسها بكل ما يكفل لها الدوام وقضاء الارب واكتساب احترام الشعب لهذا النظام وتعلقه به واعتبار الذين كانوا يرتابون فى مقدرة أمة شرقية على النهوض بعبء الحكم النيابى والعمل البرلمانى

سعد وكفاءته الخطابية

للاديب محمد الكوكب

لم يخطئ من قال أن اكبر خطباء العصر الحاضر ثلاثة بريان ولويد جورج وسعد زغلول . وعندنا أن سعداً يفضل زميليه . لا نقول ذلك تعصبا لزعيمنا واتباعا للعاطفة وممالأة لقوميتنا وانما نقول هذا عن تدبر وروية ومقارنة

الكلام على سعد كخطيب لا يقتصر على وصف صوته وحركاته ، وبيانه وبلاغته بل يتعدى كل ذلك الى شخصيته ، والى فهمه الظرف ، وعرفانه مراطن التأثير على الجماعات وفى الوقت نفسه قصده الى أن تكون خطبه وافية بالمرام متمشية مع الحوادث اذ خطيب كسعد كان يخطب للشعب المصرى والعالم من خصوم وأصدقاء ومحايدين .

صرح سكرتير اللورد ملنر منذ أيام بأن الشخصية الوحيدة التى أجلها واكبرها تعد « جوزف تشمبرلين » السياسى الانجليزى الكبير ، ورئيس الوزارة البريطانية

هى شخصية سعد باشا . ومعنى ذلك هو أن شخصية سعد تفوق شخصية اللورد ملنر وشخصية أى رجل سياسى انجليزى،واذا عرفنا ان سكرتير لورد ملنر صحبه الى باريس وبقى هناك طوال انعقاد مؤتمر الصلح محتكا باقطاب السياسة الاوربية فلم يتأثر بشخصية واحد منهم أيقنا أن سعداً يفوق زميليه بريان ولويد جورج (وقد حضرا كلاهما مؤتمر الصلح) بشخصيته . وقد قدمنا أن للشخصية حسابا كثيراً ودخلا عظيما فى خطب الخطيب . واذن يكون سعد اخطب من بريان ولويد جورج

على اننا بقطع النظر عن تصرح سكرتير اللورد ملنر مع انه الصدق ومع انه الواقع دون تحيز فان موقف سعد يخالف موقف زميله . فزعيمنا الجليل كانت خطبه دستوراً للوطنية المصرية وخطة للجهاد ووسيلة من وسائل الدفاع والهجوم اذا قال انصت امة باسرها وانصت بريطانية وامبراطوريتها ، وانصت معها العالم

اما خطب بريان ولويد جورج فجدل سياسى ينطوى على الحذق واللف ، والدوران والتأويل والتهرب فخطبها على ذلك صادرة عن الدهاء اما خطب سعد فصادرة عن شعور فياض والخطيب يستوحى شعوره لانه يخاطب مشاعر الجماهير ويسوق عواطفهم. ومايخطب بريان ولويد جورج فى الجماهير الافى المعارك الانتخابية ، وجل خطبهما بين جدران البرلمانات والمؤتمرات . اما سعد فخطب فى مواقف شعبية فالقى فى الهواء الطلق خطبا تاريخية خطيرة ، وخطب كذلك فى الحملات الانتخابية وفى الجمعية العمومية والجمعية التشريعية والبرلمان المصرى

وقد بلغ من تأثير اشاراته وحركاته ، ومطاوعة صوته لخلجات فؤاده وحسن تعبيره عن قبضات قلبه الكبير، واشراق وقفته ونبل شخصيته ان خطبه اذا حضرها اعجمى لا يعرف العربية انفعل لها كأنه يفهمها حرفا حرفا . وهذا نهاية ما يمكن أن يسمو اليه خطيب ذلك بأن خطبته تكون كالقطع الموسيقية يتأثر

لها كل انسان

على انك تعجب لبلاغة هذه الخطب وحسن تنسيها ونخامة عباراتها أو رقتها مع انها قيلت عفو الساعة ونسجتها بديهة لا ينضب معينها ولا تكل حدتها ومضاؤها

هذا الى جانب قوة خارقة للعادة تفسح المجال لسعد وتمكنه من ان يخطب الساعات العديدة اياما عديدة . وكلنا يذكر كيف ان سعداً اعتمد على قدرته الخطابية فى مكافحة الوفد الرسمى حين حورب صحفه واغلق معظمها و بات ولا لسان حال له : فكان رحمه الله يخطب الوفودتلو الوفود من الصباح الى المساء و بعد المساء أحيانا واستمر على ذلك أشهراً كلما تقادم به العهد ازداد ابداعا واشتد تأثيراً

واذكر اننى شهدت حفلا عظيما خطبه قبل سفر الوفد الرسمى فخلت اننى جوار بركان ينفجر حمما ويرسل النقم والصواعق او فى سفح حصن شامخ يقذف القنابل من كل صوب فتصيب الهدف . كانت تلك الخطبة كالقضاء المحتوم هولا ورعبا

وأذكر أننى شهدته يخطب جمعاً من الشباب فاذا الحرارة تسرى فى عروق والحمية تدب فى جسمى دبيب البرء فى السقم واذا بالآما ل فى المستقبل والثقة بالنجاح تملأ خاطرى وجنانى

لقد كان سعد يقاتل القوة بعمدات كثيرة من أنجعها الخطب وقد دمرت النفوذ البريطانى فى مصر وفى الشرق تدميراً ودكت للاستعمار صروحا لا تشاد بعد ذلك مطلقا

الحرية والاعتماد على النفس والاحتفاظ بالكرامة والوقوف الى جانب الحق مهما كانت النتيجة والكدح واطراح اليأس واستشعار الطمأنينة فى أحرج الاوقات وأعصب المحن — هذه بعض المبادئ التى رددها سعد فى خطبه

وأنا لنأسف الآن أن بقيت خطب الزعيم الجليل فى بطون الكتب والصحف ولم نحتفظ بصوته العجيب الذى كان كالقيثارة توقع مختلف النغمات ارتفاعا وانخفاضاً وقوة وخفوتا وكان فى مكنتنا أن نحتفظ بها بواسطة « الحاكى » وقد قدر ذلك الغربيون فدونوا خطب مشاهير خطبائهم فى اسطوانات حفظوها وأنت تستطيع أن تسمع للمستر لويد جورج وسواه من خطباء أوروبا اذا ابتعت الاسطوانات التى دونت فيها خطبه

سعد خطيب الثورتين

للاستاذ المجرد احمد خيرى سعيد

هناك تناسب بين حظ سعد من الثورة العرابية وغرض هذه الثورة ودائرتها

كانت الثورة العرابية محلية وكانت غايتها تمتيع مصر بالحكم الدستورى واصلاح الحكومة بجعل الوزارة مسئولة أمام نواب البلاد . والذى استحث الثوار الى العمل هو غبن المصريين الصميمين واستئثار المستجلبين الشركس والألبانيين بالوظائف الكبرى فى الجيش وفى الحكومة . لكن لا يجب اغفال تأثير انتشار الآراء الحرة والتعاليم الدستورية التى طلع بها جمال الدين الافغانى وتلاميذه ونخص بالذكر منهم المرحوم الأمام محمد عبده وقد ساعد على نشر هذه المبادىء وتلك الآراء طائفة من الشبان التفوا حول محمد عبده وجمال الدين لعل سعداً كان أنجبهم

وكان من الضرورى أن يتولى زعامة ثورة سنة ١٨٨٢ جندى . وكان من الضرورى أن يكون حظ الملكين من الثورة قاصراً على الكتابة والخطابة وبث الآراء وابداء وجهة النظر والمشورة على زعماء الثورة بما يتبعونه انجاحا للمسعى وقد كان سعد زغلول من خطباء وكتاب هذه الثورة مع أنه كان موظفا فى الحكومة

لكن سعداً ليس من ذلك النفر الذى مازال موجوداً بيننا ، وأصحاب الكفايات يعتمدون على أنفسهم وأن لهم لجرأة وعندهم شجاعة على المجاهرة برأيهم رضى أولياء الامور أم سخطوا . لا تستخفهم انتقامات الرفت وغير الرفت من صنوف التنكيل التى يطعنها الحكم الاستبدادى المطلق اذا فسد أمره وارتبكت آلته واختل نظامه . ولهذا لم يحفل سعد بفصله عن وظيفته والتحق بالمحاماة وصار زعيمها

كان مركز سعد زغلول اذن ثانويا بين زعماء الثورة لكنه نهض بواجبه فى الكفاح ضد الاستبداد المحلى

الا أن اشتغاله بالثورة العرابية اشتغالا جديا واتصاله بزعمائها من أصحاب الآراء الحرة والتعاليم الدستورية أكسبه خبرة وألقى عليه درسا لا ينسى فى نفسية الجماهير وفى الاساليب التى تتبع لاستثارتها واستنفارها وقيادتها وعلمه بالمشاهدة والاختبار أن الجماهير تتبع الخطيب وتتعشق الجرىء المقدام وتثق بمن يناضل عنها لوجه الوطن ولاسعاد بنيه

***

وظهر سعد فى الميدان الثورى بعد مرور أكثر من سبعة وثلاثين سنة ـ ونحن نستثنى هنا مواقفه فى الجمعية التشريعية لأنها لم تكن شعبية ذات اتصال مباشر بالجماهير ـ وعاد الثائر بطبيعته الى تأدية مهمته الاصلية والقيام بدوره المقسوم . . . وعاد شيخ الارهاب شاب القلب قوى العزيمة خطيباً اريباً بصيراً بأخلاق الناس داهية واسع الحيلة حسن التدبير قد شرب روح النظام ووقف على مفاسد حكم الفرد وشاهد خلل الحكومة وتداعيها من الداخل وعرف أن البلاد ينقصها كل شىء

وقد كان لخطب سعد أكبر أثر فى تكوين الموقف المصرى على النحو المشاهد كما كان لها الاثر فى احيان كثيرة فى رفع صوت مصر والمناداة بمطالبها المشروعة ولعل قدرته الخطابية الفائقة كانت أظهر صفاته فانه كان لا يعيبه الموقف فى حراجته

وضيق الظرف ومباغتته عن ارتجال أبلغ الخطب وأدائها احسن أداء . وكان موفقاً فى اختيار الالفاظ وانتقاء العبارات وسوقها فى سلك متسق وصبها فى قالب طى وحدة كاملة متماسكة الاجزاء معقولة المقدمات صحيحة النتائج ينتظمها منطق متين

وكان رحمه الله موفقاً فى الاسلوب فكان يخاطب الشيوخ بلغة الشيوخ يفرغ عليهم الوقار والترزن ويخاطب الشبان بلغتهم النارية الجريئة وكان اذا هاجم خصومه قذفهم بالصواعق

ولعل أنشط جانب فى شخصيته هو الجانب الخطابى وان كانت حياته فى العهد الاخير قبضة من النشاط . فلقد ألقى الخطيب سعد آلاف الخطب فى غضون السنوات الثمانية الاخيرة على كل فئة وكل طبقة وكل طائفة نساء ورجال

على ان الخطب التاريخية البليغة لا يمكن ان يكون لها مثل أثرها ساعة ألقاها الخطيب ولا جدال فى هذا فان الخطيب يستعين على اداء ما يجيش بخاطره بألفاظ وبأشياء أخرى بحنجرته واشاراته وحركاته وانفعالاته . فاذا كان فى المكنة تدوين نص الخطب والاحتفاظ بها فكيف يمكن اسماع من يقرءونها صوت الخطيب وكيف السبيل الى امتاع آذانهم فاشاراته وحركاته تحيي النفوس وتقويها

بالطبع هناك وقع لما نقرأه من خطب ديموستين وشيشيرون وبرك وما كولى ودانتون ومصطفى كامل وخطب لويد جوج وكليمنصو وبريان ومصطفى كال وسعد زغلول ولكن أثرها الكامل لا يتم الا إذا شاهدناهم وسمعنا خطبهم من أفواههم

موقد كان فى وسعنا ان نحتفظ ببعض هذه الخطب السعدية كما احتفظنا بمخلفاته جميعاً على نحو ما هو معمول به فى بلاد الغرب . فأنت تستطيع ان تنصت « للحاكى » ساعة يلقى عليك لويد جورج أو هلتر خطيب ألمانيا خطبة والرأى الآن متجه الى تدوين الخطب التاريخية فى اسطوانات والاحتفاظ بها فى دور الاحتفاظ بالمخلفات والوثائق ؟ ؟

ولله صوت سعد الذى كان فى طوعه كالقيثارة فى يد العازف الماهر تحكى

الغضب والرحمة والتمرد والايناس وكل عاطفة واحساس بما يوافقها ويحملها اليك فتحسها وكانت اشاراته تؤكد معانى عباراته وتزيد فى وقع ما تحمله من مشاعر . بل كان بجرد وقوفه خطبة صامتة

البطولة

على ذكر سعد

للكاتب الاديب عباس محمود العقاد

من هو البطل ؟ لا نريد أن نستوحى جواب هذا السؤال من أقوال المؤرخين وعلماء النفس ورجال المعرفة والادب وانما نريد أن نستمع الى اقوال العامة الذين يحسون البطولة ويؤمنون بها ولا يقرءون الكتب او يبحثون فى موضوعاتها ، فاذا سألت هؤلاء : من هو البطل ؟ فيغلب ان تسمع منهم جوابا واحداً هو أشيع الاجوبة وأخطؤها أو هو خطأ لانه يصف لك البطولة من ناحية بارزة فيها كدأب العامة ومن لا يتكلفون النقد والمقابلة ، ثم هو يدع نواحيها الاخرى ومراميها فلا يلقى لها بالا ولا يظن ان لها شأنا فى تقدير البطولة و « تكوين » الابطال ، ذلك الجواب الشائع الخاطئ هو ان البطل من لا يخاف ، وفلان بطل عندهم أى انه مقتحم هجام لا يبالى العواقب ولا يرتدع عند خطر ، وتلك هى الصفة الغالبة للبطولة فى رأى الاكثرين

أما ان البطل شجاع فهذا صحيح لاغبار عليه واما انه لايخاف فهنا موضع النظر والتأمل ، لأن الشجاعة ليست هى عدم الخوف وانما هى التغلب على الخوف وليست هى نقيض العقل والحكمة وانما هى نقيض الجبن والضعف ، فرب رجل لا يبالى الخطر يكون اقتحامه جهلا بالخطر وغفلة عن العواقب ويشبه فى هجومه الامور

يثب على فريسته كما يندفع الحجر القت به يد قوية فهو لا يملك الجمود فى مكانه »
لـكنها الشجاعة الانسانية التى تشرف الانسان وترفعه الى مقام البطولة هى أن تعرف الخوف ثم تكون انت أكبر منه وأقوى من ان تستكين له وتنكل عن قصدك لاجله ، فالبطل يخاف ولـكنه لا يستسلم لخوفه ، وربما كان فى اقدامه ضرب من الخوف أعلى من هذا الذى يفهمه السواد ، كخوف الضمير أو خوف الصغر فى نظر نفسه أو خوف العار على الاقل وهو ضرب نبيل شائع بين الناس أكثر من شيوع خوف الضمير أو خوف حساب الانسان لنفسه

قد تسمع جوابا آخر عن سؤالك من سواد الناس وأشباه السواد ، فيقولون لك ان البطل هو من يغلب منازليه ويقوى على خصومه ويكونون أيضاً على صواب فى هذا الجواب من ناحية واحدة وعلى خطأ كثير من نواحى عدة . اذ البطل قد ينهزم كثيراً فى ميدان جهاده بل هو قد يؤثر الهزيمة احيانا على الظفر لانه لا يحارب بكل سلاح ولا ينشد كل غاية ، وليس من النادر بين الابطال من ماتوا مهزومين فى عصرهم وغلبهم اناس دونهم فى العظمة والبطولة أو ليسوا من العظمة والبطولة على شىء ، وكأى من هزيمة هى أشرف من نصر يجىء بذميم الوسائل وحقيرها ويكون محصوراً موقوتا لا نفع فيه لا حد ولا أثر له بعد حينه ، ولعل الأصح هنا ان يقال ان البطل من يغلب نفسه ويقوى على شهواته لا من يغلب منازليه ويقوى على خصومه ، فاذا وقف البطل بين فتنة الطمع والغواية وفتنة الحرب والسطوة فخطر الاولى عليه أكبر من خطر الثانية وحاجته الى البطولة التى يقمع بها قوة نفسه أعظم من حاجته الى البطولة التى يصرع بها قوة خصمه ، فليست الغلبة فى كل حال هى شأن البطل وانما تطلب منه الغلبة على النفس احيانا كما تطلب منه الغلبة على الخصوم

أوسع من هؤلاء نظراً وأرفع نفوساً من يصفون البطولة بصفة غير الاقتحام والغلبة وهى صفة الايثار وقلة الحرص والانانية ، ولـكننا نحب ان نقول هنا ان

الاثرة والايثار خلتان تلتقيان كثيراً فى اجواء العظمة وميادين « المصالح الكبيرة » فمن الايثار فى هذه الاجواء والميادين ما هو اثرة بارزة ومن الاثرة ما هو ايثار محمود. وصاحب الشريعة الذى يفرض على الانسان ان يؤمن بشرعه او لا يرى له حقا فى الحياة ماذا تسمى فريضته تلك الا أنانية لا أنانية بعدها وأثرة تفوق كل اثرة ؟ تسميها أنانية وأثرة بلا مراء ولكنك لا يسعك ان تفرق بينها وبين الايثار فى سبيلها ولا تدرى كيف يكون هذا الرجل مؤثراً أو غير مستأثر إذا هو أراد ان يكون ، والعظيم مذ كان عمله يتناول الامة بأسرها او يتناول الدنيا بجملتها يخدم الناس ويبرهم ويؤثرهم على نفسه حين يخدم وطنه ويحرص على انجاز عمله ، فالانانية هنا قوة تلهب الغيرة فى قلب العظيم لمنفعة الناس لا لمنفعته هو وخديعة طبيعية تخدعه بها الفطرة كما تخدع الاحياء باللذة التى يجدونها فى تخليد النوع وحفظه من الفناء ، ولو انك فرضت على العظيم الذى هذا خلقه ان يصبح انانيا بغير هذه الانانية النافعة لما استطاع ولا قدر على ان ينصف نفسه من تلك القوة التى تسخره وتوهمه انها تأجره على ما يعمل ولا اجر له على كل هذا العناء ، ولو جردته من هذا الخلق لجردته من شئ يتعبه هو وينفع الآخرين وبلغته الراحة التى كانت تعز عليه وحرمت الناس جهده ونصبه الذين كانوا ينعمون به ، ولسنا نقول ان الفرق معدوم بين الانانية والايثار فى الابطال والعظماء فان من هؤلاء اناسا يوصفون بهذه الخلة واناسا يوصفون بتلك ومنهم اناس اذا تعارضت الدوافع الذاتية والدوافع الغيرية اختلفت المسالك بينهما على حسب اختلافهم فى الطبائع والميول ، ولكننا نقول ان الانانية لا تحرم البطل بطولته اذا نزل بها فى ميدان العمل الكبير ومستبق الهمم الجسام

وربما قيل بعد هذا ان البطولة إذن هى العمل الكبير الذى يغير صفحة التاريخ ويحول مجرى الحوادث ويكون له دوى على رأى أبى الطيب كتداول الانامل المشر فى الآذان ، نقول « لا » مرة اخرى لان هذا خلط بين العظمة

والبطولة وهما غير سواء فى المعالم والسمات ، فقد يكون الرجل عظيما وليس هو ببطل وقد يكون بطلا صغيراً لا ينعت بالعظيم . وتيمور لنك قد غير صفحة التاريخ وحول مجرى الحوادث ، بل نعتقد نحن ان له فضلا على حضارة اليوم لعلنا كنا فاقديه لو لم يظهر لغاراته اثر فى الوجود ، فهو الذى اجلى الترك عن بلادهم وهو الذى جر بذلك الى فتح القسطنطينية فانتشار النهضة فالتماس المسالك الى الهند حول افريقية فتسابق الامم فى العلم والسياحة وفنون الحرب والسلام ، فهو ذو حصة فى حضاره اليوم ترجح على حصص الكثيرين من ذوى الشهرة بالخير والسمعة بالتعمير . ولكن هل ننظم تيمور لنك فى ابطال الانسانية لانه عظيم الجهود أو عظيم الأثر فى الدنيا ؟ كلا . فقد يعد الرجل فى العظماء ولكنه لا يعد فى الابطال ولا خطر لاحد أن يعده فى هؤلاء

وها نحن قد رأينا ان الشجاعة وحدها لاتهم فى تكميل البطولة وانما الذى يهم هو غرض الشجاعة ، وان الغلبة كذلك لا تشهد بالبطولة وانما الذى يشهد لها الميدان الذى تحرز فيه الغلبة ، وان الانانية لاتنقض البطولة لانك قد تجعل الخير مطلبا انانيا فانت اذن خادم نفسك وخادم الناس من طريق نفسك ، وان العظمة ليست هى البطولة لان العظمة صفة مشاعة بين الخير والشر والنفع والايذاء ، فخلاصة ماتقدم ان للبطولة سبيلا هو ذاك الذى يعنينا منها وذاك الذى يميزها من العظمة والايثار والغلبة والشجاعة ، وكاننا نقول بعد هذا ان البطولة هى التضحية ثم انها هى التضحية فى سبيل الآخرين

ان البطولة والاستشهاد بمعنى واحد . فاذا قيل لك ان فلانا بطل فاسأل هل هو شهيد ، فاذا سمعت نعم فهو البطل عظم او صغر والا اختر له صفة غيرها لان الشهادة عنصر لاتقوم بطولة بغيره . وليست البطولة على هذا بالشئ النادر بين الناس فان كل انسان بطل فى صفة من صفاته وفى ساعة من ساعاته ، والام التى تسهر الليل وتضنى وتهلك وتصبر على الشظف والهوان من اجل ذلك المخلوق الضعيف الذى

تسميه ابنها والذى يجهلها ولا يجزيها ولا يدفع عنها ولا عن نفسه هى آية بطولة كريمة ومثل تخر له الجباه وتسخو له النفوس بالعطف والتنزيه ، ولكنه بعد مثل كبير مشترك بين جميع الناس بل مشترك بين جميع الاحياء لافضل فيه لمخلوق على مخلوق ولا لامرأة على امرأة الا فى العوارض والنوافل ، والمحب الذى يشقى ليسعد حبيبه وينصب ليعلم ان فى النصب راحة لمعشوقه ويستطيب العذاب فى عاطفته ومشادة فى خلوص طويته هو آية اخرى ولكنه كذلك آية مشتركة لاينذر مثلها ولا تخشى الانسانية من نفاذها ، والحارس الذى يستهدف للموت لينقذ قطاراً يوشك ان يتردى فى العطب او مدينة توشك ان يدهمها العدو او غريقا يوشك ان يلتهمه الماء هو آية اخرى اندر من ذينك المثلين ولكنك بعد لاتندر ان تشاهد فى بعض الحيوانات الوفية او بعض النفوس التى لا يرجى منها خير كبير للانسانية ، والطيار الذى يغامر بالحياة فى الجو العصى يذلل صعابه ويفتح فجاجه بطل يجور على نفسه ويوسع للناس آفاق الحياة ، ولكنه لايسمو الى افق عال من البطولة لانه انما يغلب خوفا مألوفا فى قلبه وليس هذا الخوف بأغرب ما يتقى ولا بأهول مايخاف على الابطال ، فانت ترى ان البطولة على هذا ليست من الندرة بحيث يظنها السواد ولكنما البطولة العظيمة هى تلك المنحة النادرة بين هذه الخلائق كندرة كل شئ عظيم . ولو لم يكن فى الدنيا الا الابطال العظماء لما أجدوا عليها شيئا وليس من حولهم من يلبى بطولتهم ويجاوب اريحيتهم وينجذب الى ذلك العنصر فيها كما ينجذب الجرم الصغير الى الجرم الكبير . فهذه البطولة فى كل انسان هى التى تستجيب الدعوة اذا اهيب بها وتنهض للفداء اذا اصابت من ينسيها صغائرها ، ومن ثم تلك الفوارات العجيبة فى الشعوب تثور فى ايام وتخمدها فى ايام اخرى فلايثيرها الخطر ولا المبدأ ولا الحض ولا التأنيب ، لانها انما تنتظر البطولة التى تخاطبها بلسانها فتهب من قرارات الصدور

فالابطال درجات والابطال ضروب وشكول ، وكما يوجد البطل الصغير والبطل

الكبير يوجد كذلك البطل الوطني والبطل الديني والبطل العالم والبطل المستكشف وهذا الذي يعيش بين الجماهير وذاك الذي يعكف على العزلة وذلك الذي يجوب الارض ولا يستقر له قرار واولئك الذين يتباينون في خصال شتى ويختلفون بينهم اختلاف النقيض من النقيض ولا تجمعهم كلهم الا جامعة البطولة ، فلا تصدق من يقول لك ان البطل لن يكون الاجهما عسوفا ولا من يقول انه لن يكون الا بشوشاً صبورا او جادا صعيبا او فكها مداعبا أو غازيا او مؤاسيا او غرا أو داهيا او غير ذلك من الشرائط التي يتحملها بعض وصاف البطولة وحاصري حدودها ومزاياها. فالحق من كل هذا أن البطولة هي الفداء وان البطوله العظيمة هي الفداء العظيم ، وأن عنصر التضحية هو أن يكون الانسان مفطوراً في خلائقه وسجاياه الى غيره فكلما كان ذلك الغير عددا وأشرف قدرا وابقى أثراً كان عنصر التضحية اجل وا كرم واغلى وأقوم ، وكان هذا هو مناط التفاضل بين الابطال من جميع الدرجات والشكول .

والتضحية مقياس آخر في باطن النفس غير ذلك المقياس الذي في خارجها ويرجع فيه الى الناس وما يصيبون من بطولة البطل وجهاد الشهيد ، ذلك المقياس نعرفه حين نعرف التضحية ونتفق على معناها ، فهي كما نفهمها نحن الغلبة على الخوف او الغلبة على الامل والمقياس الذي يفرق بين درجاتها وشكولها هو — على هذا — المقياس الذي يفرق ضروب المخاوف وضروب الآمال ، فمن الخوف مايغلبه المرء ببادرة واحدة تثب الى رأسه فاذا ذلك الخوف صارع أو صريع وانتهت الوقعة بهذه الوثبة الواحدة فليس لها عليه كرة تعود ، وان الذي يبخع نفسه ليستطيع أن يثب هذه الوثبة فلا يدل على كبير شيء ولا يكون له قسط من دعوى البطولة ، وان شبيهاً بهذا لمن يغلب خوف الموت مرة واحدة او مرات متعددة بوثبة من تلكم الوثبات الفجائية أيا كان باعثها والامل الذي وراءها . فتلك هي بطولة النواب او بطولة الفداء الطارىء يساور القلب في الفينة بعد الفينة ولا يشف عن

قدرة دائمة وخلق اصيل ، ومن الخوف ما يطول امده ولكنه لا يحتاج الى قدرة عظيمة لجهاده وقهره . فهذا الخوف او ذاك دليل على عنصر البطولة التى تغلبه او تروضه على الطاعة والسكوت

وقد يعرض على الانسان مبلغ من المال ليبيع وطنا أو عرضا أو حقا فيجمع قوة نفسه ويقهر غواية المال وفتنة السرور واللذة ويقول كلمته الرافضة وكانه مغمض العينين أو فى غيبوبة السكر والحمية . ففضيلة هذه القوة لا تنكر ولكنها مع هذا فضيلة لها حدها وقيمتها وتعلوها ولاشك درجات كثيرة من الفضائل وقوى النفوس تعلوها مثلا تلك القوة التى تصر على الاباء والاغواء ملح عليها والحوادث تتقلب حولها والفاقة والغنى يعتورانها واللين والشدة يتناوبانها ، وتعلوها كل قوة مطمئنة تقهر التجارب التى تطيف بها ابدا عليها تجد عندها غرة للتطلع او موطنا ضعيفا للتسليم .

ان الرجال الذين يخافون على امهم الذل ويرجون لها العزة ، او الذين يخافون على العالم قاطبة ان يرين عليه الرجس ويرجعون له الخلاص والرفعة ، أو يخافون عليه الظلام والجهالة ويرجون له النور والمعرفة ان هؤلاء الذين يخافون ذلك الخوف ويرجون ذلك الرجاء ثم يثبتون على محنة المطامع والآلام أعواما طوالا لايلوى بهم جاه ولاتقعد بهم رهبة ولاينسون الأمة والعالم فى مآزق الهول ومدارج الغواية — اولئك هم عظماء الابطال فى تاريخ بنى الانسان واولئك هم شرف الآدمية وعزاء الحياة والمعنى الذى تطيب من أجله الارض وتنظر من صوبه السماء .

ومن هؤلاء كان سعد زغلول .

بساطة سعد وتواضعه

ميزة يمتاز بها العظماء

للكاتب الاجتماعى محرر الكوكب

لك أن تسمى بساطة سعد ديموقراطية ولك أن تسميها سذاجة . ولك أن تسميها ما شئت مما تحمل هذا المعنى

جميع العظماء يشتركون فى هذه الميزة . وما كانت لتعتبر ميزة قط لولا أنها احدى صفات العظماء فان السذاجة موجودة فى الاطفال وفى سواد الناس وفى الكهول والعجائز وهنا لا تعتبر ميزة وانما تضاف الى قائمة الصفات العادية : هى ميزة فى العظيم لان جلال شخصيته يفهم منه الناس أنه ارتفع عن •صاف البشر وانفصل عن عامتهم وذهبت منه تلك الصفات الأولية الساذجة ، لكن العظيم يجمع فى شخصه كل الصفات الانسانية معبراً عن الطبيعة البشرية فى كل عصر وكل أوان ولكل صفة فيه عشاق ولكل خلة معجبون . وهذا هو السبب فى التفاف الناس حول العظيم حين حياته والاعجاب به وتقديره أو تمجيده بعد وفات . وسواء فى ذلك أهل وطنه ولغته وأهل جنسه وأهل جيله ممن لا يشتركون معه لافى وطن او جنس أو ديانة أو لغة ، اللهم الا الانتساب الى الجنس البشرى . وكلما كانت صفات الزعيم وخلاله متعددة ، كلما كان الاعجاب أعظم وأكبر.

فمثلا كان الشعب الانجليزى معجباً بنابوليون مع أنه كان يكرهه ، ومع أن نابوليون كان يعمل بلا هوادة على سحق هذا الشعب ، ويقول المؤرخون أن (وليم بت) وسائر ساسة الانجليز أبوا على نابوليون أن يعيش منفيا عن فرنسا فى انجلترا — أو بالاحرى لندن — خشية أن يحول اعجاب الشعب الانجليزى به

وتقريرهم له وهتافهم لبطولته دون الانتقام منه

ومثل هذا شاهدناه من نفس الشعب الانجليزى عقب وفاة سعد: فان الصحف وكبار الساسة الانجليز راحت ترثيه أبلغ رثاء، وذهبت تشيد بعظمته، وما صدها عن ذلك فى حياته الا اساليب الكياسة الدبلوماتية

فاما وقد انقطعت صلة سعد بالحياة وسوى الموت حسابه مع الانجليز وصفى مركزه معهم فقد صار من المحتم البوح بالمكتوم واطلاق ما كان محتجزاً فى النفوس من تقديره والاعتراف بمواهبه الفذة، وكفاياته الخارقة

يجمع الذين كتبوا سير عظماء الرجال ان صفة مشتركة توجد فى كل عظيم وهى البساطة، حتى ليقولون ان العظيم تبقى فيه من الطفولة تلك الخلة الطاهرة. ويعللون ذلك باسم العظيم لا يتلوث بالغرور ولا يلحقه من الزهو دون. فمهما اصاب من نجاح، ومهما كانت مساعيه بالظفر ومهما بلغ من اجلال الناس له فانه لا ينخدع، ولا ينى دائبا يرجوا نجاحا اعظم وظفرا اكبر

فالعظيم يقيس نفسه بمثله الاعلى لا بما اصابه من نجاح وظفر ولا باجلال الناس له وقد عرف عن بيتهوفن اعظم موسيقى العالم انه كان يقول فى اخريات حياته انه لم يصنع ما يريد ان يصنعه على جهابذة الفن الموسيقى يقولون ان ما صنعه هو المثل الاعلى والغاية التى ما بعدها غاية لكنهم انما يقيسونه الى مثلهم الاعلى اما هو فيقيس نفسه الى مثله الاعلى وشتان بينهم وبينه وبين مثله الاعلى ومثلهم الاعلى.

وقد كان سعد باشا اذا خطب الجماهير شعروا أنه واحد منهم، مع انهم يتأهبون لشهود خطبته مستشعرين الرهبة، ومتوقعين ان يطالعهم جبار يشرف عليهم من عليائه. ويظلون هكذا حتى يقفوا منه وجها لوجه، فاذا بهم يستشعرون بدل الرهبة ايناسا، وبدل الانكماش تبسطا وبدل الخشية الفة. وما ذلك الا لان المواجهة تقضى على التوهم، وتظهر حقيقة النفس البشرية

لكن اذا احتدم سعد فى عباراته وقذف بالمهلكات على خصومه ، وتفجر بركان غضبه ، عند ذاك يعود الجمهور الى حاله الاول من الرهبة والاجلال ، لان الموقف تغير ، ولان البطل قد دخل غمار المعركة ونفض عنه خلال الماديين ، وأقبل على الخطب بكلياته وبما يملك من قوة

وعلم الله ان سعداً كان اذا استقبل وفود الفلاحين عاد ساذجا مثلهم ، لا كلفة ولا تعمد ولا تظاهر ، بل يلقاهم على سجيته ويلاطفهم مبتسما مستبشراً

وما برحنا نذكر كلمته الخالدة : « اخجلتم تواضعى » نعم لقد كان متواضعاً ، ولقد كان مثالا للتواضع وكان يفتخر بأنه من الفلاحين . وبأنه زعيم الطبقات العاملة المعبر عن آمالها

كان العامة اذا التمسوه وجدوه بينهم . واذا عناهم أمر لم يحجبهم عنه شئ كان فى مستطاعهم أن يخاطبوه كما يخاطبون بعض رفاقهم . وكانوا يدركون ويثقون أن عظمته عظمة متواضعة

وقبل سعد كان الباشا أو الوزير ملكا غير متوج . وكان من المستحيل أن يتنازل واحد من هؤلاء عن كبريائه فيتدلى الى مخاطبة أحد أفراد الشعب فماذا عساك تستشعر عند ما تعلم أن أفراد الشعب هؤلاء قد انهدمت الحواجز بينهم وبين سيد تلك الطبقة من «الباشوات» والوزراء أليس لمخالطة سعد لافراد الشعب وتفاهمه معهم كل حين .معنى يدلك على عظمته من جهة.ويدلك على مبلغ أثر العظمة فى الجماهير من جهة أخرى ، ثم اليس هذا التواضع رفعة ، وذلك النزول الى صفوف الشعب عين العظمة لان هم العظيم انما يكون عظيما بأهل جيله يسوسهم ويقوده عن حب وعن رضا وعن طيب خاطر . هم جنودهم المتطوعون الذين يتقدمون لنصرته ومظاهرته من تلقاء أنفسهم . لانه قد امتلك نفوسهم بساطته وتواضعه ولا أبغض من الكبرياء والعنجهية الى الجماهير . وأفراد الشعب يحبون من العظيم أن يكون كاملا فى اخلاقه ومثلا أعلى فى كل شئ وبالاخص فى

الصفات الشائعة بينهم. والخصال التى تدل على أنه انسان بمعنى الكلمة : إنسان كامل

صفحة القومية

فى حياة سعد

للمؤرخ الاجتماعى الدكتور محمد ابو طائل

ليست حياة سعد إلا كتابا يقرأ ، وفى كل صفحة من صفحاته مجد ماثل ، وأمثولة بالغة ، وفى كل كلمة منه درس يعيه الخلف ! وعلم يسير بهدايته المفلحون

ومن أنصع الصفحات وأبقاها فى حياة سعدصفحة القومية ، لعلها الصفحة التي بنى عليها كتاب مجده ولولاها لما كان سعد زعيم مصر وقائدها فى الجهاد .

خرج سعد من صميم الشعب وكان ابن فلاح وحفيد فلاح ، ولم تخالطه ذرة من دم أجنبى ، فكان مصريا قحا ومثالا للقومية المصرية فى شكله وطباعه . والتفت عارفوه من الاجانب الى هذه الصفة فيه فكانوا يفرقون بينه وبين غيره من الكبراء والبارزين الذين تمثلت فيهم جنسية أجنبية الى جانب الجنسية المصرية، وكانوا يتخذونه دليلا على ان المصرى الصميم أهل للارتقاء والعبقرية مثل أجداده من العرب أو من المصريين القدماء .

وسعد فى مصريته الخالصة ثانى زعيمين برزا فى وادى النيل ، وكان أولهما « عرابى » الذى خرج أيضاً من صلب أسرة مصرية بحتة ومن طبقة الفلاحين المحافظين على قوميتهم ، غير ان سبيلى الاثنين مختلفان ، وكذلك اختلف نصيبهما من الكفاءة وحظهما من النجاح .

وظهرت الروح القومية المتغلغلة فى قلب سعد فى بداءة حياته فدفعته الى

الانضمام للحركة العرابية التي كانت تقاوم نفوذ الجراكسة والاتراك والدخلاء والتي جعلت شعارها كلمة « مصر للمصريين » . وسجن سعد في هذه الحركة فكان سجنه بداءة تضحيته في سبيل القومية المصرية وكان مقدمة لدوره الاكبر القادم .

وربما سأل البعض لم لم ينضم سعد بعد ذلك الى الحركة الوطنية الحديثة التي حمل لواءها المغفور له مصطفى كامل باشا ، وهى كالحركة العرابية كانت ترمى الى رفعة القومية المصرية التي يدين سعد بمبدئها ؟ في ظننا ان الذي منعه من ذلك ان تلك الحركة لم تكن وطنية خالصة او لم تكن قومية بالقدر الذي أراده فانه بينما كانت تقاوم الانجليز وتكافح الاحتلال ، كانت ترغب في ابقاء السيادة العثمانية اسميا على مصر فهذا الذي نفر سعداً منها او بعده عنها على الاقل فانه لم يقبل ان تكون فوق مصر سيادة غير سيادة الامة المصرية ولم يرض السيطرة العثمانية وان كانت اسمية واهية كما لم يرض أية سيطرة أخرى . ثم كانت تلك الحركة تمزج الوطنية بالدين وتعتمد على الخلافة وتسعى الى الجامعة الاسلامية ولكن سعدا كان يرغبها حركة قومية خالصة ويرى الاقرب الى العمل ان تستقل مصر قبل أن تتحقق فكرة الجامعة الاسلامية

وما قصد بما تقدم أن تنقد الحركة الوطنيه في الزمن السابق او نؤاخذ زعيمها مصطفى ونحن ممن يبجلونه ويقدسون ذكراه ، بل نحسب انه كانت ثمة من ظروف ذلك العهد مبررات للصبغة التي اصطبغت بها الحركة ، غير انها فيما نظن مبررات لم تكف سعدا الذي تقدم أمته سنوات عديدة ولم يرض الا الاستقلال التام عن تركيا وعن كل دولة أخرى .

بيد ان سعدا رفع القومية المصرية في ذلك الحين ايضا بمظاهره وأعماله . اذ كان في الوزارة الوزير الذي يمثل العنصر المصرى خير تمثيل والذي يحفظ كرامة المصريين أمام الانجليز أصحاب القوة والسلطان . وحوادثه في ذلك كثيرة تروى . ثم دفع سعد القومية المصرية في سنة ١٩١٩ دفعة علت بها الى السماكين فصار

المصريون يعرفون وطنهم مصر وحدها ، لاتركيا او « الدولة العلية » . وقد حرص سعد حين قيامه على ذلك ، واعتبر السيادة التركية زائلة ، كما اعتبر الحماية البريطانية باطلة . وبذلك صارت الحركة الوطنية فى مصر حركة قومية حقاً وانتشر فى مصر مبدأ « الجنسية » الذى انتشر فى أوروبا وغيرها فى القرن التاسع عشر فكان سبب الحركة الاستقلالية فى دول البلقان وايطاليا وامريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية .

وايقن سعد انه لاسبيل له الى بث روح القومية المصرية الخالصة فى نفوس أمته الااذا جعلهاوحدة متجانسة وقضى على الفروق بين طبقاتها وطوائفها ، ولذلك جعل بداءة سعيه ازالة كل خلاف بين المسلمين والاقباط وجعلهم مصريين قبل كل شئ ، وكذلك منع كل تفريق حاولته السياسية الانجليزية بين الاغنياء « أصحاب المصالح الحقيقية » وبين سواد الناس . وكلامه فى ذلك مأثور قد نقش فوق القلوب . ومنه قوله فى خطبة ألقاها فى سنة ١٩٢١ : « لا أثر عندنا مطلقا لاختلاف الاديان . فمن يوم ان ظهر فجر النهضة الحاضرة رأينا فى أفق مصر الصليب يعانق الهلال ، رأينا التعانق رمزاً للسلام والاخاء » ومنه قوله فى خطبة أخرى ألقاها فى سنة ١٩٢٣ « اعلموا انه ليس هناك اقباط ومسلمون . ليس هناك الا مصريون فقط » وهذا المبدأ الذى نادى به سعد لاول مرة فى مصر هو أساس الحركة الوطنية ولولاه ما كانت نهضة « قومية » ولابلغت مابلغته من الفوز حتى اليوم .

وكان سعد يفخر بمصريته فى خطبه ونداءاته وأحاديثه فدعا بذلك تفاخر المصرى بجنسيته وهو أصل الوطنية الصحيحة . ومن أقواله الخالدة فى ذلك : « افتخر بان أكون على رأس أمة حية شاعرة مفكرة ذات آمال قوية فى الاستقلال التام » وهكذا كان يبث فى الامة روح الثقة بالنفس ، ويملأ نفس كل مصرى فخراً بوطنه .

ومن دلائل تقدير سعد للقومية المصرية مقاومته للدعوة التى قام بها البعض فى

أواخر سـنة ١٩٢٦ لنبـذ الطربوش ولبس القبعة ، ومادعاه الى مقاومتها كراهـة للتجديد ولـكن رغبـة صادقة فى حفظ القومية المصرية واحترام جميـع مظاهرها ومميزاتها

سعد وترقية مستوى التعليم

للاديب المحترم محرر السكوكب

ان سعداً الذى نشأ فلاحا فى الريف والذى طلب العلم فى معهد دسوق ، ثم فى الازهر ثم درس الحقوق بالفرنسية ونال الليسانس فى باريس

ان سعداً الذى هذا شأنه ، والذى كان به تعطش الى المعرفة والاستزادة فى المعلومات العامة والخاصـة ، ادرك انحطاط مستوى التعليم من جهة ضرورة تعميم التعليم الأولى ومن جهة اخرى . أدرك الى جانب هـذا ضرورة اصلاح الازهر والمعاهد الدينية وبقائها منهلا عذبا ومورداً سائغاً لارتشاف العلوم العربية والشرعية مع ما يناسب فى العلوم الاخرى

ولقد أبلى فى كل هذه بلاء حسناً وحقق الـكثير من امانيه بالنسبة لها جميعا فحركة اصلاح الازهر مدينة له بعد « الامام محمد عبده » وتاريخ هذه المعاهد وتقدمها واصلاحها المنتظر يقترن دائما باسم سعد العظيم

وحين أنشأ مدرسة القضاء الشرعى فتح الباب أمام طلبة الازهر بما يريده لهم ، وابتغى فى هـذه المدرسة ان تكون امتداداً للازهر وحلقة التعليم فيه رضى المـكابرون أم ابوا

وتلك الجامعة المصرية من عمله . وما انشئت إلا بمجهوده الموفق لمـا كان مستشارا ، ولسنا نذيع سرا اذا قلنا ان مساعيه ونفوذه حملا الاغنياء على التبرع

بالمال ووقف الاطيان على الجامعة المصرية الاهلية التى تولى رياسة مجلس ادارتها فى خلال الحرب وفى احرج الاوقات ، فحافظ على كيانها وحماها وأنقذها من البوار والتلاشى

وكان رحمة الله عليه صاحب فكرة ضمها الى وزارة المعارف ، وقد شهد اتحاد الجامعة له بذلك فى عزائهم الذى امضاه الدكتور طه حسين بما معناه « ان الجامعة المصرية مدينة لها بميلادها وحياتها وبلوغها هذا الشأن »

ولم يكد الزعيم العظيم يضع اساس الجامعة المصرية الاهلية حتى اختير لوزارة المعارف . وهنا انصرف بكلياته الى ترقية مستوى التعليم ، وغل يد دنلوب والسهر على تنظيم تلك الوزارة . ولو أن سعداً كان قد عين وزيرا للمعارف منذ ان احتل الانجليز البلاد ودسوا مستشاريهم فى الوزارات يأمرون فيطاعون ، ويبتون فى المسائل ولا من رجل يقف فى طريقهم أو يناقشهم الحساب لما تمادى دنلوب فى خطته ، ولكان للتعليم شأن آخر ، ولما كانت المدارس معامل لتخريج الموظفين فحسب

على انه لم يطل عهده فى هذه الوزارة ، وبالرغم من ذلك فقد تركها والعلوم تدرس باللغة العربية فى المدارس الثانوية وحركة التعريب والترجمة على قدم وساق والمعلمون ورجال التعليم قد انفتح أمامهم باب الحلول لخلو محل الانجليز الذين لم يعد اليهم فى حاجة

وله غير هذا أعمال مجيدة فسعى لاكثار المدارس الثانوية والابتدائية ومراقبة الكتاتيب والاشراف عليها . ولقد انصف خريجى دار العلوم الذين ظلمهم دنلوب فرفع من مرتباتهم ووظائفهم

ولا جدال فى ان وزارة سعد التى وليت الحكم فى سنة ١٩٢٤ قد شرعت فى تنفيذ برنامج تعميم التعليم ، وجدت فيه ونجحت نجاحا له شأنه ووضعت نواة عهد جديد يقضى فيه على الامية ، وتتمتع مصر وشعبها لاول مرة فى التاريخ

بالتعليم الالزامى . وعبث ان يسهب فى أهمية تعليم افراد الشعب القراءة والـكتابة ومبادئ العـلوم الضرورية التى لاغنى عنها لمتحضر فى عصر النور والحرية . فالشعب المصرى قد اتجه منذ سنة ١٩٢٤ اتجاها مجيدا سيكفل باذن الله التحرر من موبقات الجهالة وسيسلحه بسلاح العلم والمعرفة

ولا جدال فى ان جهل الشعب كان له أثر موبق فى استعباده واسـتغلاله . أما اليوم . و بعد اليوم . فلن يستنزل هذا الشعب ولن يخضع قط

فهاهو بطل الاصـلاح فلقد خضـد فى شوكة دنلوب وحطم النفوذ البريطانى فى وزارة المعارف . وضرب مثلا لمن بعـده من الوزراء المصريين أن لا يكونوا ألعوبة فى يد المستشار . وأن يحتفظوا بكرامتهـم . ففى الاحتفاظ بها احتفاظ بكرامة مصر

وأحسبك أيقنت ان رفع مستوى التعليم العالى ووضع أساس التخصص فى الاداب والعلوم والفنون راجع الى سعد بوضعه «هو وأصدقاء له كانوا معه مساعدين ومعاونين وكان هو الـكل فى الـكل» أساس الجامعة الاهلية المصرية أو تفـكيره فى الحاقها بوزارة المعارف

وحسب سعد أن يكون أول من شرع فى تحقيق تعميم التعليم الالزامى . ان هذا وحده فتح مبين ونصر يظفر فيه النور بالظلام والعلم بالجهل وانه والله لاول العهد بنفض الوطن عنه غبار العصور الوسطى وأطراحه اكفان الجهالة التى لفت فيها مع الموميات وترك فى مثل القبور يغط فى نومه ويتحكم فيـه حتى الارقاء فى المماليك بل حتى مثلا كافور عبد (بنى اخشيد)

حسب سعد وهو أبو الشعب أن يكون قـد قام لاولاده بما يكفل لهم تغذية نفوسهم وتثقيف عقولهم واعطائهـم خير سلاح للنضال فى هـذه الحياة فى هذا القرن المنير

أثر سعد

فى ترقية الطلبة

للشاب الاديب عبد الحليم رافع الطالب بكلية الحقوق

اننا لو نظرنا الى الطوائف فى مصر على اختلاف طبقاتها قبل النهضة التى قام بها زعيمنا الاكبر وبعدها لوجدنا انقلاباً محسوساً فى نفسية تلك الطوائف ونشاطها وسنشرح هنا التأثير العميق الذى أثره الرئيس الجليل فى نفوس الطلبة ونزعاتهم وقيمة هذا التأثير تظهر اذا علمنا أن نجاح تلك الطبقة يرتكز عليه تقدم الامة ومستقبلها

اذا اختلج قلب الانسان بشعور يجعله يعتقد فى مقدوره الوصول الى ما يريد يتوقف على مقدار هذا الشعور نجاحه فى أعماله ومقاصده فاذا كان هذا الشعور قوياً كان النجاح قوياً واذا كان ضعيفاً كان ضعيفاً واذا انعدم كان النجاح معدوماً ولعقلية الانسان تأثير أيضاً فى نجاحه فعلى حسب عقلية الانسان وشعوره يكون نجاحه . ومهما كانت السبل التى يتخذ بها معلوماته نافعة والمنافع التي يستقى منها تعاليمه عظيمة فان تلك السبل وهذه المنابع لا يكون لها كبير أثر فى نجاحه مالم تقترن بشعور يحفزها ويستثير قواها الكامنة فاننا نرى أناساً كثيرين قد تلقوا معارفهم فى أكبر الجامعات وحصلوا منها على أعظم الالقاب وأضخمها وكنا نظن أنهم سيتركون لنا آثاراً خالدة فى العلوم والفنون التى تخصصوا فيها ولكنهم لم يتركوا لنا سوى أجسامهم نحملها الى القبر وتركوا ميدان الحياة وهو خال من أعمال تخلد ذكراهم بينما نرى أناسا آخرين كانت سبل تعليمهم ومناهجهم عقيمة وضئيلة وذلك لفقرهم ولكنهم بروا أصحاب الالقاب العلمية الضخمة . والسبب فى إخفاق الطائفة الاولى ونجاح الطائفة الثانية هو الفرق فى الشعور وفى النفسية

لقد كان سعد ذا نفسية عظيمة وشعور قوى نشيط وكان ذلك هو السبب الوحيد الذى جعله يبلغ إلى قمة المجد والعظمة ولم يقنع بذلك بل أراد أمته على أن تبلغ معه إلى تلك القمة ولذلك جاهد وتحمل مشقة النفى ولم يخضع للقوة الغاشمة فى عنفها عند ما أرادت أن تسطو على الحق فى مأمنه فقال لها مخاطباً « وبما انى موكل من قبل الامة للسعى لاستقلالها فليس لغيرها سلطة تخلينى من القيام بهذا الواجب لهذا سأبقى فى مركزى مخلصاً لواجبى وللقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفراداً وجماعات فانا جميعاً مستعدون للقاء ما تأتى بجنان ثابت وضمير هادئ علماً بأن كل عنف تستعمله ضد مساعينا المشروعة انما يساعد البلاد على تحقيق أمانيها فى الاستقلال التام »

طالما ذهبنا اليه نحن الطلبة وكان اليأس يكاد يأكل أكبادنا ويقطع نياط قلوبنا فلا نلبث عند ما ندخل اليه حتى نجد ان الامل يملأ نفوسنا والنشاط يزخر فى صدورنا فقد كانت نصائحه النارية ورنة صوته القوية يبعثان فينا روحاً جديداً ونفسية نشيطة وكانت اللهجة التى يخاطبنا بها لهجة أبوية فكانت كلماته وحركاته وسكناته وشخصيته وعظمته وشعوره تجعلنا نتحدث دائماً بها ونحاول أن نقلدها وكان مفعولها يرسخ فى قلوبنا رسوخا جعله سوف لا يخرج منها مطلقاً

لقد كنا نفخر ببنوتنا له وبأبوته لنا وبجنديتنا له وبقيادته لنا وكنا نتشوق كثيراً لان نسمع من فيه كلمة « أبنائى » فهل لنا بعد اليوم أن نتشوق لسماعها ؟ أخفت ذلك الصوت الذى كان تأثيره فينا لا يعادله تأثير أى مدرس مهما كان بليغاً أو أى ناظر مهما كان عظيما أو أى كتاب مهما كان شيقاً ؟

لقد ذهبنا إلى قبرك ياسعد فكما كنا نكثر الذهاب إلى بيتك بيت الامة فسوف نكثر الذهاب إلى ضريحك ، ذهبنا إلى ضريحك وكنا نعتقد ان التأثير الذى سنتأثر به سيقل عن التأثير الذى عودتنا أن نتأثر به فى بيت الامة ولكننا ألفينا

الحال غير الحال ووجدنا أن تأثيرك فينا فى الحالة الثانية أبلغ وأفصح منه فى الحالة الاولى

وقد قيل فى وقت أن زغلولا أفسد الطلبة فرد المغفور له سعد باشا على ذلك القول الواهن وبرهن على أن الطلبة يذهبون اليه لتلقى المبادئ القويمة والاخلاق الصادقة والحكم البليغة والوطنية الشريفة فليس اكتساب العلم بالمسألة الهينة ولا مجرد جلوس الطالب أمام مدرسه وسماعه الدرس من فيه وانما يجب أن يكون الى جانب ذلك أمور أخرى أهمها وأعظمها إيجاد الشعور بحب العلم فى نفس الطالب وهل هناك وسيلة لايجاد هذا الشعور فى الطالب أحسن من ترغيبه فى حب الوطن والمناضلة عنه واستخدام مواهبه لمنفعته ؟ وهل يتأتى للانسان ذلك مالم يكن عالماً وقديراً وهذا يجعله يحاول أن يكون كذلك وهل هناك إنسان يمكنه أن يبث تلك الروح « حب الوطن » فى نفوس الناشئه أقدر من سعد باشا

أن الشعور الذى بثه فينا سعد هو الذى جعل الطالب منا ينظر إلى الاعمال التى يمكن أن يشتغل بها فى مستقبل حياته وصلة تلك الاعمال بالمنفعة الوطنية ومعرفة أيها أصلح لذلك فيختارها ويقبل عليها باشتياق وغبطة . وقوة الخطابة والكتابة مظهران يدلان على صحة هذا القول فان الطلبة فيهما بعد النهضة أحسن منهم فيهما قبلها

أن مفعول خطبة سعد التى سمعناها منه فى نادى سيروس فى ٢٣ ديسمبر سنة ٩٢٣ ستمكث فى قلوبنا إلى أن تقف حركة تلك القلوب فهو بعد أن شرح الصعوبات التى لاقاها فى منفاه فى سيشيل والمعاملة التى عومل بها والمشاق التى صادفها والعزم والجلد اللذين قابل بهما كل هذا أشرق وجهه بنور الوطنية ولمعت عيناه بضياء الحرية وقال بصوت رهيب يتسلط على جنان كل انسان وفؤاده قال وهو يستخف بالآلام التى قاساها ويهزأ بها « أى شرف أكبر من الشرف الذى يحرزه من عرض نفسه لفداء وطنه بل أى لذة أشهى للنفس وأحلى من اللذة التى يجدها الوطنى فى

تهذيبه لمصلحة بلده »

ان نهضة سعد جعلت الكثيرين من الطلبة ينزحون الى الخارج ليتشبعوا بروح الحرية والعلم وجعلتهم يكونون الجمعيات كى يتمكنوا من ان يخدموا امتهم لان ما تقوم به الجماعة يفوق مايقوم به الفرد وجعلت الفرد منهم يحاول دائما المحافظة على عزته وقوميته لدرجة لم يكن يحاولها من قبل وذلك ليرى الاوربيين والامريكيين ان المصريين لايقلون عنهم تمدناً ورقياً . كذلك جعلت الآباء يرسلون ابناءهم الى المدارس حتى يمكنهم ان يرقوا الوطن

وجعلت كذلك الطلبة فى مصر يحاولون نشر الدعاية بين الاجانب بجميع الطرق

اننا ياسعد نذكر لك تلك المآثر التى أسبغتها علينا وتلك المشاعر التى نفثتها فينا وهذا النور نور الوطنية الذى أحييته فى قلوبنا وتلك البذور بذور الحرية التى غرستها فى صدورنا ، نذكر لك كل ذلك وهذا يجعلنا نتألم كثيراً لفقدك لاننا كنا نود لك الخلود فى تلك الحياة ولكن أبى لنا ذلك « والانسان ضعيف والقضاء غالب وكلناذاهبون »

هاهى دموعنا تجرى مدراراً فاذاحاولنا تخفيفها وجدنا القلوب تسكب دماً فاذا حاولنا منع الدموع وحبس الدماء وجدنا عقولنا توحى الينا فتقول اتركوا عواطفكم تفعل ما تشاء وما تريد فعنـد ذلك يرتج علينا الامر ونترك العاطفة تفعل ماتريد ونصبح قائلين سنتبع مبادئك ياسعد الا فى شئ واحد الاوهوالحزن ، وسنخالفك فيه لا لاننا نريد أن نخالفك أو لاننا نريد البكاء وانما لاننا مجبورون عليه فالعقل والضمير والعاطفة والوجدان والقلب والجنان يأمرنا جميعها بالبكاء وهل يمكن لانسان مهما كان جلداً ان يقاوم شعوراً فياضاً تؤيده كل تلك المشاعر . . . ؟!

تطرف سعد واعتداله

مثله الأعلى بين الزعماء

للكاتب الفاضل حامد محمد المليجي الاسكندري

ما يزال الناس جميعاً فى حزن على سعد . وهم كلما شعروا بالفراغ العظيم الذى أحدثته وفاته بينهم . ازدادوا حزنا على حزن . ومصابا على مصاب . ولا نحسبهم قادرين على ترك أحزانهم والاستشفاء من آلامهم . مادامت قضية استقلال الوطن معلقة بيننا و بين خصومنا أو غاصبي حقوقنا القومية . بل وما دامت هـذه القضيه الـكبرى فى حاجة الى التضحية والى أفذاذ الرجال يهبونها جهودهم وحياتهم غير طامعين فى جزاء ولا شكور :

ولقد كان سعد رأس هذه الافذاذ العظام فى الشعب المصرى . وقـد ملأ الله هذا الرأس علماً وحكمة ودهاء ورهبة . ثم جعله الله كذلك ينبوع الخلود بين الناس يستقون منه ما يخلدون به دنيا . ويجزون عليه أخرى ، وما نحسب قارئا أو كاتباً ، ولا نحسب فاهماً ولا عاقلا ولا مدركا من العلم أو الحس شيئا . الا و يذكر لسعد كثيراً من الفضائل والافضـال . وهؤلاء خصومه الشرفاء الاوفياء الذين اختلفوا معه رحمه الله فى الوسائل المؤدية الى الغاية القومية هؤلاء خصومه الشرفاء الاوفياء قد بكوه اكثر من بكاء أنصاره عليه . وقد مجدوه كذلك ودعوا الناس كافة الى تمجيده باعتباره مثلا أعلى للزعامـة الوطنية . وباعتباره دعامة قوميـة فى حياته ومماته ، بل ثروة شعبية لا ينضب لهـا معين ولا يفنيها كر الليالى والايام . وهؤلاء اعداؤه أيضاً الذين حقدوا عليه فى حياته الدنيا طمعاً وحسداً . ما وسعهم أن يشهدوا دموع الامة الملتهبة وأن يحسوا بأنينها المؤلم لعظيم مصابها فيـه حتى راحوا يعترفون بأفضاله العظيمة وقد كانوا — الى زمن قريب — ينكرونها عليه !

الحق ان سعداً عظيم خالد الاثر ، والحق أنه لم يكن لفريق فى الامة المصرية بل وفى كل أمة نزاعة الى الاستقلال والحرية دون فريق آخر . وانما كان سعد قوة حارة تسربت الى قلوب أبناء مصر كافة وأبناء الشرق عامة . فأيقظت هذه القوة القلوب . وقد كانت غافلة أو مستنيمة

فسعد والحالة هـذه هو الشعب المصرى فى قوته المعنوية الوثابة المتفانية فى العظمة والسمو سبيلا الى المجد . فاذا ما بكاه الشعب المصرى ، أو إذا ما بكاه الشرق والغرب فانما يبكى الباكون عامة حاضراً مجيـدا و يبكى المصريون منهم خاصـة مستقبلهم أيضاً خوفا من أن تصاب قضية استقلالهم بسوء من أثر هـذا الفراغ العظيم الذى أحـدثته وفاة سعد . وقد كان رحمه الله أشد العاملين جهاداً لدفع مثل هـذا السوء المتوقع . فى حالة الغفلة او الاستنامة الى ما يطلبه خصوم الاستقلال المصرى . وخصوم الدستور المصرى

لقد قالوا ان سعداً كان معتدلا ، وقالوا انه كان متطرفا . ولقد وصفوا سعداً بالاعتدال تارة والتطرف أخرى دون ان يقدروا غير ما تمليه عليهم شهواتهم ، وغير ما تصوره لهم مخيلاتهم . ولو أنصف هؤلاء قليلا لو زنوا سعداً وأعمال سعد بموازين الحكمة التى لا يوجـدها الا العقل الراجح الذى يقـدر نتائج كل رأى . كذلك يقدر نتائج كل حكم يصدره زعيم أو تقضى به هيئة يعمل على رأسها هذا الزعيم

و إذا كان لسعد ميزة عرفته الى الناس . أو عرفت الناس اليه . بل و إذا كان لسعد ميزة رفعته الى أعلى درجات الزعامة . فهذه الميزة هى تقديره رحمه الله قدر كل شئ على حقيقته التى يفهمها القاضى النزيه والمهندس الفنى القدير الذى يبنى بناءه على حساب الارقام الصحيحة المتفقة مع الواقع

ومع هذا . فليس شك فى ان القدرة على الموازنة الصحيحة فى الزعيم الوطنى الذى يعمل لانهاض بلاد كمصر ، ليس شك فى أن القدرة على الموازنة فى هـذا الزعيم ميزة للتطرف المحمود العاقبة وميزة للاعتدال المرغوب الناحية . فى كل حالة .

سواء أكانت قومية أم كانت خاصة والزعيم الذى لا تتوافر فيه الميزة لا يستطيع الاحتفاظ بمقام الزعامة الذى وصل اليه بين الشعب . وعلى الأخص اذا كان هذا الشعب لم ينضج بعد نضوجاً علمياً صحيحا

ومن أمثلة تطرف سعد ما نرويه معجبين لا لكونه غاية فى التطرف المحمود فحسب ولكن لكونه كذلك غاية فى الاعتدال المرغوب . فقد ذهب اليه رحمه الله نفر من طلبة الاسكندرية . قبيل سفره عام ١٩٢٣ الى لوندرا لمفاوضة رئيس الوزارة الانجليزية « مستررمزى ما كدونالد » . ذهبوا اليه على أثر محاولة احد الطائشين الاغرار اغتيال حياته فأخذ خطيب منهم يبرأ الى الله من هذا المعتدى الآثم ومن ثم قال الخطيب : « ستقصدون الى لوندرا للمفاوضة فى أمر استقلالنا الصحيح وإذا كان للشباب أن يسمع دولتكم كلمته . فليس عند هذا الشباب مايقوله غير أن يضع أمنيته فى منطوق معنى هذا البيت الشعرى

ونحن اناس لا توسط بيننا * لنا الصدر دون العالمين أو القبر

ثم جلس

أما سعد فقد سمع هذا منشرح الصدر ثم نهض على الفور يقول لهؤلاء الشبان المتحمسين : « سأطلب لكم الصدر . فاذا لم أفز به لكم دعوتكم الى مواصلة الجهاد . ولن أطلب لكم القبر بأى حال »

هذا مثل تطرف سعد . وهذا مثل اعتداله وليس عسير على كل زعيم ان يتخذ هذا المثل من بعد سعد قاعدة له فى جهاده للوطن . انما يطلب الصدر أولا فاذا لم يدركه . وقد بذل كل ما استطاع من جهد . طلب سبيلا من سبل الجهاد . وما اكثر هذه السبل وما أفعلها فى غاية الشعب أو غاية الفرد

***

والآن قد بكينا سعداً وسنعمل على تخليد ذكرى سعد

فلئن كنا نود أن نحيي سعداً حياة خلود . فليس اقرب الى ما نوده من العمل

على قياس ما كان يعمله سعد للوطن . وإلا فاننا نكون قد أسأنا الى هذا الذى نمجده من قلوبنا اليوم

أيها المصريون اتحدوا حول ميثاق قومى واحد . على ان تطلبوا حقوقكم كافة. وإذا أعوزكم للوصول الى هذه الحقوق المقدسة جهاد فجاهدوا . ولا تهنوا ولا تفرقوا

أيها المصريون : ان أردتم حياة سعد الخالدة . فهذه لا تكون فى المراثى ولا فى البكاء وانما تكون فى تتبع خطواته القويمة طلباً لاستقلالكم الصحيح وحريتكم الكاملة فليكن مبدؤنا الاول : إما الى الصدر وأما مواصلة الجهاد

كيف كان سعد عظيما

للكاتب المجيد احمد خيرى سعيد المحرر بالاخبار

يبنى العظيم مجده من النجوم ويمضى الى أربته صعداً فوق اشلاء الكوارث والمحن كأنما يضرب بالنصر ويرمى عن قوس القدر

بيان الشاعر والكاتب فى القصيدة الرائعة وفى القصة البارعة و بيان العظيم فى أعماله ومساعيه واذا كان الشاعر والكاتب يمتاز كل منهما بأسلوبه تسطع فيه شخصيته فان العظيم يمتاز عن العاديين بشخصيته تتجلى فى أسلوب حياته ونمط تدابيرد وخطته للوصول الى طيته

حياة العظيم أشبه الاشياء بالنهر يجرى من حيث ينبع الى حيث يتدفق فى الآذى اللجب لايبغى فى مجراه عوجاً . وتعبر السنون وهذا النهر فى متجهه الفرد . والعظيم تغلب نزعة لا ارادية إلهيــة تتصرف فى مواهبه وتوجهها صوب الغاية التى أصطفاها الله . فمن غالب العظيم كان كمن يتحدى ارادة الخالق . اللهم الا اذا تحرز العظيم برهة من الارادة العليا . وقــد يجتاز العظيم فترات يكون فيها رجــلا

عادياً . وهذا هو تعليل الخصومات التي يلقاها العظيم وهذا أيضاً هو تعليل الجلالة حياً وميتاً لان الوجه الخالد فيه هو البارز وماهنات العظيم الا كالفجوات الضحلة فى التمثال الضخم لاتحيل جماله قبحاً ولا تذهب باتساق أجزائه ولا تزرى بلطف ابداعه ونصاعة فنه

هذا الجثمان الكثيف وما يلازمه من ضعف ازاء مغريات الحياة وهذا الجانب الارضى من كينونة العظيم وهذا الظلام الذى ينبعث من المادة الصفيقة بطبيعتها . كل هذه هى التى تجعل العظيم مهما نفحته السماء و زودته بوحياتها وحاطته بعنايتها فرداً من بنى آدم . ولولا هذا لكان العظيم إلهاً أو على الاقل نبياً

وان الناس فى اكبارهم العظمة انما يعبدون القدسى من صفات العظيم فاكبار العظماء من عبادة الله

وانه كلما ابعد العهد بالعظيم كلما أضفى المجهول على شخصيته وعلى أعماله جمالا وسحراً . فذكرى العظيم أبداً يزداد بهاؤها وأبداً يتضاعف جلالها كصورة أبدعها فن روفائيل أو رمبران كلما بعدت عنها أمعنت المسافة فى حسنها فأن أنت مثلتها بالوهم كانت أجمل وأروع

***

ولقد كان سعد زغلول عظيما حلقت به همته فوق الجيل وأشرفت شخصيته الجبارة على عصر من عصور الانتقال فاستحث سيره فعاد خبباً طلعه وما مات حتى قطعت مصر مفازة هذا العصر المضطرب القلب وأوفت قوميتها على مقام نعمت فيه بالنضوج واكتمال القوى

كان سعد يسبق هذا الجيل . كان هدية المستقبل المجيد للحاضر السعيد . كان كلمة القومية المصرية الفاصلة وعزيمتها الملتهبة . كان يطوى فى شخصه احساسات لحظات الانتقال وحقائق المرحلة الاخيرة من مراحل التطور . . . والتطور حالة ثابتة تسوخ جذورها فى أعماق الازل . لكنه كان للمستقبل أكثر مما كان للحاضر

أما الماضى فقد أنبتت صلته به وتلاشت أواصره فى نفسه ومن ثم التف حول شخصيته المتعددة النواحى جميع المصريين على أن عناده وارادته المسيطرة وخلابة جاذبيته كانت تسوق المتثاقلين عن السير فى موكب التقدم رغم أهوائهم وستظل ذكراه تسوقهم

وان ماهيء لسعدمن الاعمال في حياته تنوء تحت عبئه الثقيل عشرات الالوف من الافذاذ والمتهمين ذلك بأن شخصية العظيم جمهرة من الشخصيات اندمجت فصارت كلا متعدد النواحى بقدر تلك الشخصيات الصغرى ولقد جمع سعد فى شخصيته الكبرى شخصية الخطيب وشخصية المجاهد وشخصية المجدد وشخصية المصلح وشخصية الظامئ الى المعرفة وشخصية الزعيم وشخصية القاضى العادل والمشرع الحصيف وجمع الى جانب هذه الشخصيات شخصيات أخرى من جوهر لين ولكنه خير ركبت فيه لحكمة مجهولة ولعلها هى التى أعانته فى احيان عدة على الخروج من الهزيمة الموقوتة مظفراً

فأى صفاته أعلى شأنا حين نباشر تقديره ؟!

هل هى قذفه العدل على القوة فاذا هى زاهقة ؟! أم هى تسلحه بالحق الاعزل فى صراعه الباطل ؟! أم هى كدحه المتسق المتلاصق عاكفا على العمل ملتذاً بالمتاعب والنصب ؟! ام هى جرأته العاتية ام شجاعته المستمرة ؟ ام صلابته المتكبرة ؟ ام أمله المضئ على الدوام وفى احلك ساعات الفجيعة ؟ ام سخريته بالحوائل والموانع والقيود ؟ ام نفاذ بصيرته الى لباب الامور كأنما يقرأ كتاب الغيب ؟ ام رقته الوادعة ؟ ام سلاسة عطفه ؟ ام تفجعه للمصيبة تسحق المنكودين ؟!

الحق ان صفاته كآلهة اليونان اختص كل منها بميزة من مزايا الفضيلة والخير والقوة ولكل منها معنى ولكل منها مذاق مستطاب

لقد مات سعد وسط المعمعة مثل نلسون ولكنه أدى الواجب وأداه عن امة بأسرها

وان العظمة لتأبى ان تكون المصيبة فى القطر كالمصيبة العادية — هى تصر على ان تكون المصيبة فيه عظيمة وغير عادية وخارجة عن الحزن والألم والفجيعة . وما المصيبة فى العظيم إلا عبرة تلهم فهمها القلوب ودرس ينتظم معانى الحياة وهكذا كانت المصيبة فى سعد عبرة مستفادة ودرساً بالغاً

عظمة سعد (١)

الاستاذ الكبير مكرم بك عبيد سكرتير الوفد المصرى

الوطنية والحب

منطق القلب ياسادة هو الحب . والحب اس الفضائل جميعها . وهو واحد وان تعددت انواعه . وأسماؤه . فحب الله هو الدين — وحب الفضيلة هو الادب وحب الوطن هو الوطنية وحب العشيرة هو القرابة والحب الجنسى هو الذى اصطلح الناس على تسميته حباً أو عشقا — وحب الصديق هو الصداقة — وهكذا كل العواطف يجمعها شعور واحد هو الحب — ومصدرها واحد هو القلب — والقلب من الله والله محبة كما جاء فى التوراة

ان عاطفة الحب فى أساسها عبارة عن تمازج الارواح فقد يكون شخصا ويدخل فى ذلك الحب العائلى والصداقة أو عاما وهو المحبة الوطنية — أو الدينية وغيرهما — ولا تظنوا ياسادتى ان المحبة العامة مجرد عاطفة خيالية — كلا بل هى فى بعض الاوقات خصوصا فى أوقات الحماسة أشد وقعا على القلب وأكبر أثرا فى النفس من المحبة الخاصة — بل أن الانسان كثيرا ما يضحى بالمحبة الخاصة فى

---

(١) مقتطفة من الخطبة البليغة التى القاها الاستاذ فى حفلة الطلبة بالاسكندرية فى ١٣ ديسمبر ١٩٢٣

سبيل المحبة العامة فيضحى بمصالحه وأولاده ونفسه فى سبيل حب بلاده ـ أو فكرة سامية ـ أخذت بقياده

ولست أحتاج الى الذهاب بعيداً للتدليل على هذا الحب العجيب ـ والدرجة القصوى التى قد يصل اليها فالمثل الحى قريب منا فى بلادنا ونفوسنا . وان شاؤا دليلا ماديا فليبحثوا عنه فى قبورنا وسجوننا

والواقع ان حب المصرى لاخيه المصرى فى تلك السنوات الاخيرة ليس مجرد عاطفة وطنية بل هو حب المؤمن لاخيه المؤمن (انما المؤمنون اخوة) وحب الجندى لاخيه الجندى فهو اذن حب قوى تجمعه فكرة واحدة وجيش واحد وقائد واحد وقد ذهب هذا الحب بأبنائنا فسفكوا فى سبيله دماءهم وضحوا من أجله بحريتهم

وان شئتم مثلا آخر يدلكم على مقدار هذا الحب العام فها كم ما جرى لنا فى (ممباسة) عند عودتنا . فكلكم تعلمون ان الهنود على اختلاف طوائفهم اكرمونا اكراما عظيما وأضافونا فى بيوتهم بعد أن رفض الانجليز أن يقبلونا فى فنادقهم (لاننا شرقيون محتقرون) وعند ما سافرنا من ممباسة ودعنا اولئك الاخوان . وكانوا يبكون وكنا نبكى دموعا حاره كانما تركنا اعزا احبابنا . والواقع اننا أحببناهم وأحبونا لانه جمعتنا واياهم جامعة عامة جامعة الشرق الواحد وجامعة الظلم الواحد

ان احسن وصف لهذا الحب العام هو ما جاء فى الكتب المنزلة من أن أصحاب الايمان الواحد أو الفكرة الواحدة . هم اخوة وأقرباء . وكنت قبل الآن أحس بكثير من الدهشة عند ما كنت أقرأ فى الانجيل الشريف انه قيل للسيد المسيح أن امك واخوتك بالباب يطلبونك . فأجاب بلهجة شديدة قائلا ما معناه . ان أمه واخوته . وأقرباءه هم الذين يتفقون معه فى الرأى والعمل الصالح . نعم . هم الاقرباء الحقيقيون تجمعهم صلة النفوس لا الاجساد

والحب كما تعلمون عاطفة متبادلة لانه يستلزم تمازج الارواح . ولاريب

أن السبب كل السبب فى أن الامة لا تحب العدليين هو انهم لا يحبونها كما أنها تحب الوطنيين لانهم يحبونها

ولا يغرنكم قولهم ان الحب أعمى وأن الامة قد أعماها حب سعد . كلا فلا يعمى البصائر الا الكره والحسد الواقع ان كره سعد هو الذى أعمى بصائرهم ولا يعرف الصفات أو الفضائل الاساسية فى انسان الا من كان صديقا صدوقا وأمكنه أن يطلع على دخائل قلبه . ومكامن نفسه ـ أما العدو فلا يرى فى عدوه الا عكس هذه الصفات ـ كما ان من يعرفك معرفة سطحية لا يرى فيك الا الصفات السطحية فالحب اذا بصير لا تخفى عليه خافية من خفايا الناس ولو أنه لا يهتم لتفصيلات السطحية التافهة

عظمة سعد

لعلكم سمعتم انشودة البعض ضد سعد زغلول أنشدها خطباء القوم أخيراً على كل النغمات الهادئة والهائجة والمحزنة والمضحكة ولو كان لاقوال العدليين قيمة ذاتية أو وطنية لتمسكنا بما قالوه فى اطرائه قبيل حضوره وعند عودته فكم قالوا عنه انه الرجل والزعيم والحكيم (كما مدحونا نحن ايضا قبيل عودتنا من سيشل ليكسبوا تعضيدنا ضد اعضاء الوفد فى مصر !) ولما لم ينالوا من الرئيس مأربهم ولم تجز عليه خديعتهم قلبوا له ظهر المجن وذموه بغير ما مدحوه استغفر الله بل بعكس ما مدحوه فكانوا فى هذا الامر كما فى غيره من الامور على أتم التناقض مع أقوالهم وعلى أتم الاتفاق من طبائعهم وميولهم

غير انى اربأ بسعد ان انزله الى ميدان الجدل فى وصف عظمة نفسه أو المناقشة فى عظمة عمله كلا فلسنا نمدحه لانهم كرهوه بل لاننا نحبه

فاسمعوا اذاً كلمة الحب فى سعد فانها ان طالت لا تخرج عن انشودتكم القصيرة الحلوة بحياة سعد أنشودة طاهرة لا ريب فيها لانها أنشودة القلب والقلب

لا يداجي ولا يحابي

قد يتهموننا بالتحيز ويقولون كما قالوا ان الحب أعمى وان الأمة مفتونة بهذا الحب ولكنه قول مردود ومنقوض من أساسه ان الدليل الذى يأخذونه علينا هو الدليل كل الدليل لنا .

ان عظمة سعد زغلول قائمة فى ان الامة أحبته ولو لم ينجح سعد باشا الا فى إكتساب هذا الحب الاجتماعى لكفاه ذلك عظمة ومجداً . ان الحب الحقيقى لا يأتى جزافاً ولا مصادفة انما هو شعور قوى صادر من أعماق النفس ولا تزيده الايام الا تغلغلا وتوطداً ولو كان حب الامة لسعد شهوة سطحية أو (فتنة) عارضيه كما ادعوا لاكتسحته أول عاصفة وهدمته أول محنة سيما أن الجماهير أسرع تقلباً فى ميولها . وشهواتها من الافراد . ولكن الامر على الضد من ذلك فقد بلغ حب هذه الامة لهذا الرجل حداً هو الاعجاز بعينه فلم يترك الخصم او الخصمان وسيلة او حيلة او قوة الا استخدماها لاستئصال ذلك الحب من جذوره . او على الاقل للتلطيف من حدته وتأثيره ، فما كان منه الا ان زادته الايام استطرادا ، والشدائد قوة وعناداً . والتضحية تفانيا واستشهاداً فربطتنا بالرئيس رابطة الدم بعد رابطة الشعور فأصبح لنا والدا وأصبحنا له أولاداً

اذن فالامة تحب سعداً حباً حقيقاً مطرداً وطيداً ولا ينكر ذلك الا كل مكابر تعمد أهمال الحقائق فأهملته . أما الارتباط بين حب المجموع وعظمة الافراد . فتلك حقيقة علمية خالية . لان العظيم هو من أمكنه أن يمثل روح أمته أو عنصره أحسن تمثيل . والحب هو عبارة عن تمازج الارواح وتجانسها . فاذا كانت الامة قد أحبت سعداً فلأنها رأت فى روحه أحسن ممثل لروحها . وفى هذا التمثيل معنى العظمة . والعبقرية

والواقع أنه لا يوجد مقياس للعظمة أو العبقرية الا ذلك الحب أو التقدير العام الذى لابد أن يكسبه العظماء ، ان عاجلا او آجلا فالكاتب العظيم مثلا هو من

اجمع الجمهور على استحسان كتبه ، ولو استهجنها كثير من ناقديه ، والواقع ان كثيرين من عظماء الكتاب والعبقريين كانوا هدفاً لاشد الانتقادات وأمرّها ، ولو ركن الناس الى نقد الناقدين وحسد الحاسدين لما عرفت الدنيا عظيما ، ولما اعترفت بفضل الفاضل ولكن للجماهير ادراك عام وتفكير مستقل سليم ، وهذا هو الرجل الوحيد الذى اصطلح عليه العلم والعرف للفصل بين الرجل وناقديه ، والعظيم وحاسديه

نعم ان الجمهور قد يخدع ولكن خديعته لاتطول لانهم ان خدعوه مرة فى أدراكه فان له شعوره الطاهر رقيباً على أدراكه ، هذه حقائق مسلم بها وان انكرنا وجود الرأى العام فى الادب ، والسياسة ، والدين وقد تطورت الحوادث وتقلبت تقلبات مدهشة فى ظرف خمس سنوات طويلة ومع ذلك فالرأى العام المصرى لا يزداد الا استمساكا بسعد وحبه واستهجانا للعدليين وكرها فيهم

اذن فلا مناص من الاعتراف بان سعدا مصرى عظيم لان الامة المصرية احبته وثبتت على حبه وتفانت فيه

ولكن قد يسأل ماهى الاسباب التى جذبت الأمة الى حب سعد أو بعبارة أخرى ما هى العناصر التى تتكون منها عظمة ذلك الرجل الفذ ان لعظمة سعد اسبابا عامة وخاصة ولكنها مرتبطة بعضها ببعض

أما الاسباب العامة التى تتكون منها عظمة سعد السياسية فأولها ، واظهرها تلك المقدرة العجيبه المزدوجة التى اختص بها وهى قياده العام من جهة وتمثيله فى نفسه وتصويره تصويرا صحيحا من الجهة الاخرى وبعبارة أخرى هو من اقدر الناس على حث الرأى العام اذا توانى وعلى التقدم معه اذا تقدم كلاهما تابع ومتبوع قائد ومقود

فاذا كان القائد يقود بعقله كان فى الواقع مقودا من الجنود بشعوره فان احس الجنود بحاجة كان القائد أول من يحس بها لانه جندى مثلهم

ينتج عن ذلك التبادل فى الشعور ان لنا نحن الشعب المصرى نصيبا كبيراً فى عظمة سعد لاننا اشتركنا فى تكوينها . وبالتالى فعظمته من عظمة الامة التى يقودها فهى التى نفثت فيه من روحها كما نفث فيها من روحه . فاذا شئتم أن تزيدوا سعدا قوة وعظمة وايمانا وتضحية فاعظموا ثم اعظموا الى ان ترتفعوا الى ذروة السماء فيرتفع اليكم وثقوا ان سعدا لم تبدأ عظمته الحقيقية الا منذ بدأت عظمتكم انتم . فقد كان سعد رجلا كبيراً قبل سنة ١٩١٨ م فأصبح رجلا عظيما بعدها لانه منذ ذلك الوقت استحقت امتنا أن تدعى عظمة بين الامم كما استحق سعد ان يدعى عظيما بين الرجال . وقد كان لسعد الفخر كل الفخر فى انه أول من اوحى الى الامة جميعها — لا الى فريق منها — روح الحرية والنهضة فما كان من الامة الا أن كالت له الكيل كيلين وعظمته فعظم معها

وها كم مثلا من أمثلة عديدة نفهم منه بطريق المقارنة سر عظمة سعد . ففى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ تقدم الى ميدان الجهاد الوطنى ثلاثة رجال معرفون سعد زغلول. وعبد العزيز بك فهمى . وعلى شعراوى باشا . سعى مشكور ولكل منهم نصيب فيه . وكان كل من الثلاثة محل عطف الجمهور على التساوى . بل ان مجرى الحديث دفع المرحوم شعراوى باشا الى التفوه بالفاظ جميلة (١) تناقلها الناس وأعجبوا بها أيما اعجاب . تساوت اذن شهرة الثلاثة . وتساوى الاحتمال فى ان واحدا منهم يتولى قيادة الحركة الوطنية فما هو السبب فى أن سعدا تولى زعامة الامه وأصبحت الحركة الوطنية مقرونة باسمه . اشتهر اسمه فى الخافقين . بل أن المرحوم شعراوى باشا عاش ومات رجلا لا يعرفه الا بعض مواطنيه أين عبد العزيز بك فهمى سنة ١٩١٨ ؟ ؟ وأين هو من سعد زغلول . ها كم حكم التاريخ ياسادتى لا حكم الصدفة لان الصدفة كما قلت لا يطول عمرها ولا قوة لها على مصادفة الحوادث

---

(١) للقارىء الكريم ان يراجع محادثات الوفد ومناقشاته للسير ونجت فى سجلات الوفد المصرى وفى حوليات مصر لشفيق باشا ح ١ ص ١٣٧ — ١٤٣ « م »

وليس الامر قاصراً على عبد العزيز بك فهى بل يشتمل اشباهه من أمثال وزراء الحماية وجماعة المنشقين.

ولا يمكننا أن نفترض ان الزعامة لم تأتهم لانهم لم يسعوا اليها بل هم قدسعوا اليها فعلا وتصدروا لها جهاراً — وظهروا على مسرح السياسة المصرية اياما بمظهر خلاب وما هى الاعشية أو ضحاها حتى انزل الستار عليهم وظهر أنهم لم يكونوا الا ممثلين يلعبون دوراً معيناً ، وزعامة كهذا لم تدم بل انقلبت الى ضدها ، زعامة ثبتت وازدادت ولا تزال فى ازدياد ، ها كم النتيجة بعد مرور خمس سنوات بغض النظر عن الاسباب ، سعد فى ذروة المجد وهم فى هوته ، سعد يكرم من الامة ، وهم فيها يهانون ، ويهان من الانجليز ، وهم منهم يكرمون ، قسمة عادلة (انى لاأتعب من القول أيها السادة) أن السبب فى هذا الفارق بين سعد وعدلى هو أن سعداً أمكنه بماله من عبقرية ان يستشف روح الامة و يمثلها أحسن تمثيل و يتطور معها كلما تطورت بينما جماعة العدليين تراهم على الدوام متأخرين عن الامة بمراحل ؟

فلما نفرت الامة من الحماية . كانوا الراضين عنها بل الساعين اليها ، ولما طالبت بالاستقلال طالبوا بالاستقلال الذاتى ولما رفضت مشروع ملنر قبلوه وهاهى الآن ترفض بكبرياء وشمم ذلك الاستقلال المهين المبنى على تصريح ٢٨ فبراير وهم يقبلونه و يفتخرون به . هذا عن مبادئهم اما عن اساليبهم فحدث ما شئت ! . . .

اذا افهمنا تبادل الشعور بين الامة وسعد وانقطاعه بيننا و بين العدليين فهمنا لماذا يلذ للامة ان تعتبر سعداً وكيلها وممثلها وأباها و رئيسها ورمز امانيها . وكهذه الالفاظ الحلوة العظيمة الدلالة . بينما هى تدعوا هؤلاء المساكين بالمنشقين والخوارج وغير الوطنيين وما شاكل ذلك من الاسماء غير الحسنى وفهمنا أيضا لماذا يسخط العدليون فى دورهم على الامة فيرمون الشبيبة بالطيش والنزق والجماهير . بالغوغاء وفساد الاخلاق . ومجموع الامة بالفتنة وعدم النضوج فيهزءون من اجتماعاتها وهتافها

وانتخاباتها وجميع مظاهر وطنيتها بينما سعد زغلول يعتبر نفسه انه فتى فى هذه الامة كما قال فى مجال رهيب أو (انه فى الامةوالامة فيه) كما قال لنا فى سيشل وهو بعيدعن الامة بعد اساحقاً لقد تكاسفت عليه الطبيعة و يد الظلم القاسية. اذا فهمنا كل ذلك امكننا ان نفهم لماذا أصبح سعد رجلا عظيما . وزعيما كبيراً بينما المنشقين ليسوا عظماء ولا زعماء. كانتكلم عن السبب الرئيسى فى عظمة سعد السياسية الا وهو تبادل الشعور والقيادة بينه و بين الامة غيران هناك اسبابا أخرى (مثل ايمانه الثابت وتضحيته العظيمة وكلاهما معروف للامة) وهى فى الواقع متفرعة من السبب الاول لانه كلما ازداد تبادل الشعور بين القائد وجيشه ازداد ايمانا بالنصر وضحى كل شئ فى سبيله وهذا الايمان وهذه التضحية هما فى ذاتهما من عوامل العظمة

خطب سعد

وهكذا قل عن مقدرته الخارقة للعادة فى اثارة الحماسة بين الجماهير الخاصة منهم والعامة على السواء — بواسطة تلك الخطب التى تتدفق تدفقا. من منا لم تلهه تلك الفصاحة النارية ولم يخترق قلبه ذلك الصوت المتهدج صوت ذهبى جار ذو رنين ورجفةهى رجفة الحماسة الفتية لا الشيخوخة الواهنة صوت تشترك كل أعضاء الجسم فى اخراجه من مكمنه فتكاد تسمع فيه أزيز نفسه وخفقان قلبه وغليان دمه وتساقط دموعه . ونصيحتى لأهل الشك الذين شاخت قلوبهم فتجلت خمر الحياة فى عروقهم واطفئت نار الحماسة فى عيونهم ـ نصيحتى لهم أن يروا ذلك الشيخ يتحمس فيخطب و يتأثر فيبكى و يطرب فيضحك . من منكم رأى «سعد باشا» يضحك؟ عينيه وكل اسارير وجهه تشترك مع نفسه الطروبة فى ذلك السرور الظاهر الصريح . واذا بكى وكثيراً ماتفيض دموعه ليفيض شعوره ـ حرك القلوب والأشجان واذا تحمس رأيت الحماسة تصعد الى وجهه دماوتنبعث من عينيه ناراً . ورأيته كالاسد المصور يشير برأسه و يهدد بقبضة يده و يبرز صدره وا كتافه الى

الامام وتفخر فمه الفاظا جارحة قويةواضحة صريحة حازمة قاطعة رنين التنوين فيها كرنين لهجة القائد الذى تعود أن ينتصر وخطابه فصل الخطاب

غير أن خطب سعد مظهر من مظاهر عظيمة فلا تتجلى فيها روحه فقط بل روح الجمهور الذى يسمعه فلذلك هو أيضا خطيب عظيم أذا خطب فيهم وبالتالى فالشرط الاساسى والاول فى الخطيب أن يستمد الروح من سامعيه ويبادل الشعور معهم ويندمج فيهم حتى يند مجوا فيه

ولم أر فى حياتى أقدر من سعد زغلول على التشرب بروح الجمهور واستكشاف شعور سامعيه أو سامعه بقوة غريزيه

ولذلك نرى كثيراً من خطبه العظيمة يخطبها على البديهة وقد قال لى الرئيس مصداقا لهذا ان أجمل عباراته جاءت بداهة أثناء الخطابة

عظمة سعد الشخصية

كلمتكم عن عظمة سعد السياسية . بقى على أن أشرح ببعض الايجاز عظمته الشخصية أوالفرديه . بطبيعة الحال مرتبطة تمام الارتباط بعظمته السياسية . لمابين الصفات القامه والخاصة . من التفاعل والصفة المشركة . وعندى أن أظهر الصفات الشخصية التى تتكون منها عظمة سعد هى قوة خلقه ورقة قلبه .وصراحته وحماسته المتناهيات وشجاعتـه وقت الخطر ، وشجاعتـه الادبية فى الاعتراف بالخطأ ، او اعتماده على نفسه وميله الغريزى الى الحرية . وتراه يكره الخضوع لاستبداد مستبد سواء كان المستبد شخصا ام عادة أم تقليدا

وأنى أذ كر أنه قبل نزولنا من السفينة الى عدن جاءنا أحد الضباط وكلم سعد باشا بلهجة الا مر انه يجب عليه أن لايحادث أى واحد من الاهالى على ظهر السفينة فلما شعر الرئيس بهذا القيد على حريته تأثرت نفسه واحتج على ذلك الضابط بلهجة الا مر للمامور فسقط فى يد الضابط وكانه شعر بعظمة أسيره فاضطر هو ورئيسه

الى الاعتذار لسعد باشا ، وغير ذلك كثير من الحوادث حدثت فى اثناء منفانا وكان الرئيس لايحتمل الضيم فيها و يحتج لاقل اهانة تقع علينا

أما عن رقة قلبه فانى والله لاأدرى كيف جاز لاولئك المنشقين أن يقولوا عنه ماقالوا فقد كان الرئيس والدا لكل منا يحن علينا فى امراضنا و يبكى لبكائنا وكان كل من عرف سعد باشا من الاجانب يحدثنا عن رقة شعوره وسحر حديثه حتى ان الضباط فى السويس كانوا يصرحون ان لسعد باشا اخلاقا ساحره

اما صراحته فمعروفة للعام والخاص والامثلة انعامة منها (مثل حادثته الشهيرة مع ملنر) معروفة للجميع تدل على نفسه وكذلك يعرف الاخصاء تلك الصراحة فى حديثه ، و يكره فى محدثه الغموض والابهام فيما اذا كان الابهام مقصوراعندئذ ترى الغضب يصعد الى عينيه و يقول (كن صريحا فانى احب الصراحة) وا كثر ما يكرهه الرئيس هو حديث أولئك الاشخاص (المتحذلقين) المتفلفسين الذين يدعون العلم و يشكون فى كل شئ ولا يجزمون بشئ . أما شجاعته فى وقت الخطر فهى من أعجب الصفات فيه. فاذا حل الخطر رأيت الرجل يرتفع الى مستوى الخطر بل يعلو عنه فتبرق عيناه . وتحمر خداه كانه على اهبة المصارعة وقد خبرنا بأنفسنا تلك الصفة النادرة فى سعد باشا وعرفنا شيئا من سر عظمة الرجل فمنذ ما أعلنوه بأمر السفر من السويس ومن عدن ومن سيشل كان رابط الجأش للدرجة القصوى. وعند سفره من عدن . كنا جميعا متأثرين جدا وكان يطيب خاطرنا بكلمات هادئة لطيفة و يذكرنا بقول الشاعر

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وكان يتكلم بثبات عظيم كانه الطود الراسخ هذه بعض صفات سعد التى تتكون منها عظمته وحاشا لى أن أقول انه معصوم من الخطأ اذ كان خطؤه شريفا وفى هذا كل الفرق بين عظيم النفس وحقيرها . كلاهما يخطئ ولكن خطأ العظيم زلة ، وخطأ الحقير خسة

سعد زغلول (١)

هيكل مصر المقدس ورمز البطولة

للكاتب الاجتماعي الكبير سيد محمد خليل بالزيتون

مسكينة مصر، ومسكين شعب مصر. وما زال الزمن الجائر يعبث بها ، مات (مصطفى كامل) ، فانصرم عقد الامة وخمد لهيب الوطنية ، ووقف حزبه عن السير بنفسه ، ذلك الحزب الذى تخشاه انجلترا ، وتحرك الفلك فشتت ما بقى فلول الامة ، وليس من شأنى أن أتعرض لما يدين به الحزب الوطنى والاسباب التى انتهت به الى هذه الحالة والتطورات التى حاقت بالحزب ، أو الهدف الذى سعى نحوه ولكن الحقيقة التى اريد ايضاحها واثباتها ، قد قضى (مصطفى) وبكاه أبناء الامة ما شاءت نفوسهم الحزينة وقلوبهم المكلومة ، وبين عشية ليلة وضحاها خفت صوت الوطنية التى دقت نواقيسها فى البلاد ، وبقى النفس الاخير من أنفاسها يتردد فى وناء وضعف ، وانتظرنا وانتظرت الامة طويلا حتى طفرت الامة وتمخضت الايام البصيرة فولدت (سعدا) وحتى آذن الله لمصر أن يرفض عنها الوهن ، وأن تسرى فيها شعلة الوطنيه فهبت الامم المستعمرة كبركان هائل أو اتون محرق اندلع لهيبه ليكسر قيود الاستعباد ، واندفعت تيارات الشعوب الجارفة أمام من استعبدها وسطا على حريتها لتكون ضحية لاستقلالها المغتصب فاستعرت نيران الوطنية فى جنوب أفراد كل امة واشتدت نيرانها وسعيرها تريد تحطيم الاغلال تريد تقرير مصيرها تريد أن تحكم بلادها تريد أن تجتاح أصل بلائها ومن هضم حقوقها ، لتبزغ شمس الحرية زاهية فوق كل شعب فتتبدد وحشة الاستعباد التى خلقتها دناءة

(١) مقتطف من مقال طويل نشره الكاتب بصحيفة الكوكب الغراء

الاستعمار وفى هذا الوقت أشرقت حياة جديدة على ربوع النيل معقل الشرق ، بلاد الفراعة ومن شخصية سعد كان ملاذها وعنايتها ومن مبادئه كان بقاؤها وأنبعاثها فتكاتف الشعب المصرى بعد أن دب فى شرايينه دبيب الحياة ونهض نهضة مباركة أفاض عليها وسقاها بعزيمته ليقودها نحوما يريد لها من كمال. سينقش اسم سعد وسيسجل حياته الدهر فى صحائف نشوء وارتقاء مصر الذهبية الخالدة ، سيتغنى بها تاريخ الشرق الذى ردد صدى نهضة مصر ، فأيقظت ما بقى من شعور أبنائه الخامد ودفعت نفوس شعوبه الخاضعة لتصفع الاستعمار وتغضب غضبة لم يسجلها التاريخ من قبل ، لطلب الحرية ، وتطاولت أعناق الشرق إلى نهضة مصر ، وتجمعت قلوب العالم اجمع حول (سعد) واتجهت العقول لدرس تطورات مصر ، وترسم خطوات (سعد) وأى شعب مصر الذى يريد الحياة الحرة .

***

وصرخت الامة اليوم وهو على فراش الموت تتناوبه حمته القاسية صرخة من أعماق أربع عشرة مليون نفس رنت فى الفضاء وحملها الاثير الى عنان السماء . فعجزت الامة وعجز الطب الحديث عن ان يهب سعدا حياته ويعيد اليه روحه عجزت المعجزات من انتشاله من يد الموت القاسية . ولم تبلغ قلبه الجاحد صرخة أمة مسكينة وأنه شعب بائس . تراكمت عليه مصائب الدهر حلوها ومرها . فاقشعرت أبداننا ورجفت فرائصنا واذا بروحه تصعد الى خالقها . واذا بالموت يكسبه منا .

انا لله وانا اليه راجعون مات (سعد) . مات زعيم مصر . مات ابو البطولة مات رمز الوطنية . قطر بأجمعه يبكيه ويندبه ولو شاء الموت لاشترينا منه حياة (سعد) بثمن غال . لاشتريناه بمليون نفس ، لاشتريناه بأموالنا ، بدمائنا ، باعز ما لدينا .

ايه أيها الدهر ، وايه أيها الموت ، لقد عرفت حقيقة معنى الانتصار أهذه النهاية ، يمتص الموت حياة أبى الشعب وحارس الوطن وعماد الامة يفجعنا فى حياة أثمن ما نتحلى به صدر مصر ، وأعز ما نفخر به ونفاخر اذا أصابتها ملمة أو انتابها نكبة ، أهذه الفاجعة هى رمز الحياة المظلمة ، والدهر القلب ، والدنيا الغادرة ، والقضاء الماكر . اهكذا تتلاعب بنا الايام ، فتهدم موضع آمال الملايين من النفوس

عهدنا بسعد قويا أمام ملمات الحوادث ، عهدنا به راسخا أمام داهمات الكوارث ، ولكنك زعزعته أيها الموت وضعضعته أيها القدر ألم تجدا من تختطفاه سوى زعيمنا الجليل أحقنا بالحياة ، ألم تجدا سوى قبسنا الوضاء تطفئان نوره ، وتبا للحياة ما أقساها وما أرداها ، ورفقا أيها الدهر ، ماذا تخبئه لشعب مصر فى صفحاتك المقبلة ، وماذا تخفيه لنا فى صفحات القدر بعد أن رقد (سعد) رقدته الابدية . . . .

حقا لقد قسوت علينا ، أيها الموت وسلبت مصر اعز بنيها : وسخرت منا وخدمتنا ولكن أهلا بك . أيها الموت خيم على قوتنا باجنحتك ، وانشر أشباحك فوق مصر . اقدم بصواعقك ، وانقض على من تشاء من أهل مصر ، فلم نعد نخشى بأسك ولم يعد بيننا من نخشى عليه ، ففى كل بيت مأتم ، وفى كل كوخ مناحه ، وفى كل قصر جنازة وفى كل طرق صراخ وعويل و بكاء ونحيب

ابك سعدا أيها الشعب . فهل يا ترى سنذوق الامرين ، اندبيه أيتها الامة صغيرك وكبيرك حضريك وصعيديك ، وهل يا ترى سنذوق بعده كاس كل هوان ، ابكوا ماشئتم ، نكسوا الاعلام والبسوا السواد وجللوا منازلكم بسواد الحداد عسى أن تخف لوعتنا ، وهل فى مصر من نهبه ثقتنا الغالية بعد سعد ؟ اقيموا المآتم وانصبوا الجنازات واملأوا بيوتكم بالمناحات ، وافتحوا القبور عسى تزول تلك الوحشة وعسى ان ينطق مافى القلب من حزن وألم وأى قلب لم ينكسر بعد أن

نفذ للسهم بابن مصر الرئبال وأى عين لم تجـد دمعاً غزيراً جمدته الاحزان وسط المحاجر ؟؟

ولـكن ماذا أعـد خلفاؤه للمستقبل لتطمئن هـذه القلوب الـكثيرة وهـذه العيون الدامعة وهـذه الافئدة المتحسرة التى نكبت فى سعد التى نكبت فى اسمه . شخصية رفضت طعم الهناء وارتمت بين أشد حالات الآلام لاتمام الواجب فظفرت بأكليل النصر ومجيد الذكر ، والى ماذا نحن صائرون والى أى طريق نحن مساقون ؟؟ أفى طريق متوعر المسالك أم فى طريق ترفرف فوقه روح سعد !! تأملوا أيها القادة فهل تترسمون خطوات الفقيد وتقتفون آثاره لتجسنوا ادارة الدفة وقد استودعكم السفينة باحمالها فترسى حيث أراد لها سعد . .

افرغوا فى سبيل ذلك جهدكم فهى وصية سعد فأنتم بعض آمالنا الباقية ، لقد خيم الظلام علينا (يافتح الله وسقطت دموعنا مدراراً ، لقد انقطعت نياط قلوبنا (ياصفية) حزنا وأسفا أيها الشعب ان فى كل بيت نائحة ، تبكيه الاطفال وتندبه السيدات وتنوح عليه الرجال . والشباب يموت على فراش الحزن ، قل لاصحاب سـعد أنتم امال الامة لتجنى ثمار ما غرس « سـعد » فتحلى رءوسكم باكاليل الانتصار كما مات سعد وفوق رأسه أكاليل الغار ، قل لهم اذكروا أن سعدا قضى فى فترة تحيط بنا خلالها مؤامرات استعمارية عجزت عن هدم الامة فى حياته ، قل لهم ولا تخش لومة لائم حذار من مواقفها الرهيبة . حذار من مسالكها السياسة اذكروا أن عيون الغرب خافقة اليكم وعيون كثيرة من عيون أعداء الامة ترمقكم محذرا ، تنتظر أن تراكم بعد دفن (سـعد) ساقطين من درك التأخر مستعبدين وأنت يا أم المصريين ، أريهم أنه لو مات سعد فعقيدته باقية متغلغلة فى النفوس ومبادئه خالدة باقية ، ما دامت الحياة تنبض فينا ، برهنى لهم أنه لو مات (سعد) عاش ايمان سعد ، الذى يرقبنا فى جنته من وراء حجاب ، فحققوا أمانيه ليستقر

فى قبره فى هدوء وسلام . فى سعادة وغبطة ، ليعلم أنه خلف بعده من ينهض بالشعب من يغذى نهضة الامة من يرد حسادها خاسئين ، من يقطع يد اليأس الحديدية التى تريد الفتك بنا وسعد فى غيبته الابدية

أما أنت أيها الشعب فاقسم بحق سعد ، على مذبح الدماء الجارية ، على قبور الشهداء على الارواح الطاهرة ارواح الابرياء وأقسم مرة أخرى بمبادئ سعد ، أمام القوة الكامنة قوة الدموع الجارية ، قوة الاحزان الماثلة قوة القلوب الكسيرة ، قوة النفوس الحزينة واقسم مرة ثالثة بروح سعد ، بنفسه النبيلة ، بإيمانه الراسخ ، بمبادئه الخالدة ، أن تكون خير خلف لخير سلف ، ولتكن حليفتنا الشجاعة لدى البلية ، والحزم لدى الرزية

فى ذمة الله ياسعد ، انا لله وانا اليه راجعون

ماأوجع الذكرى للقلوب

للكاتب الفاضل حسين شفيق المصرى

جرى القضاء ونكد الدنيا بان نعيش بعد سعد اربعين يوما ولا حاجة للبلاد فينا وحاجتها اليه شديدة وانا ليحزننا ويحزن اكبادنا ان نذكره ذكر الحى للميت وقد تعودنا ان نذكره ذكر المشتاقين الى القادم من السفر ونتلقاه كما يتلقى الابناء اباءهم وهيهات اليوم ان يكون لنا منه ذلك وليس سعد الذى ينسى فننساه او تصبر عنه النفوس فنسلوه فنحن نبكى سعدا بكاء الايتام ومن اين ليتيم ان يشعر بفقده كما تشعر مصر بفقد سعد

ما أوجع الذكرى للقلوب

انى لاذكر سعدا وقد اشرف على الناس بوجهه السمح و ثغره البسام وقد

ازدحم بهم الرحب ليسمعوا منه ففاض منه مثل البحر العجاج من الخطبة التى تسبح النفوس فى معانيها وقد اقتبسوا من روحه حماسة وقوة ثم انصرفوا وفى ثياب كل واحد منهم سعد زغلول بقوة يقينه وصدق عزيمته واقدامه وغيرته على البلاد

• اذكر سعدا وهو يخطب فيقفه الشجاع ويشجع الجبان وتنزع الخيانة من صدر الخائن ويطهر قلب المخادع ولا يسكت حتى يؤاخى بين العدو وعدوه ويجعل الجمهور الكبير كالفرد الواحد باتحاد النفوس والعقول والميول

• اذكر سعدا وهو يمر فى مركبته فيجتذب الابصار وتشعر به القلوب حتى من وراء الجدران فتزدحم بين يديه الطرق والنوافذ وليس للالوف المؤلفه من تلك الجموع مأرب الا ان تراه

اذكر سعدا وهو فى اوربا وقد علت مصر سحب الكآبة وتمشى فى مسالكها الخمول وخمدت الحركة كما يخمد بدن المريض الذى فارقته العافيه

واذكر سعدا وهو عائد من اوربا وقد انتفضت الامة من الطرب وقامت لاستقباله رجالا ونساء واطفالا واهتزت الارض تحت اقدام الموكب

وادور بعينى فلا أرى سعدا ولا من يقول سيجىء سعد ولا يقع بصرى على غير الباكين على سعد فتتقصف الاضلاع من الحسرة وتنشق الكبد من هول الحزن وتسيل النفوس دموعا تبلل الثياب

هذا اليوم الاربعون وكأنه اليوم الأول فى شدة ما نلقى من الجزع وكأنه العام الاربعون من طول ما نلقى من الشوق (واوجع) الشوق للقلوب الشوق الى راحل لا يعود !!

مات لنا ميتون من ذوى القربى والاحباب فلا والله ما حزنا عليهم حزننا عليك ياسعد وما هو الا ان جزعنا حتى وجدنا العوض وانت لا تعوض وليس منك بديل فحزننا عليك متصل بآخر اعمارنا وبكاؤنا عليك مستمر مع انفاسنا حتى تخمد هذه الانفاس . . .

ولم لا نبكى على سعد وقد كان سعد يبكى علينا كلما اصابتنا مصيبة ولا يمسح دمعه بيده الا ليتناول بيده الاخرى قلما يكشف به الغمة وينقذ الامة ،

لا والله لا ننسى هذا ويعز علينا ان نذكره بعد ان حيل بيننا وبينه وكل المنى لو ينفع التمنى ان يكون بيننا نملأ منه الابصار والأسماع . .

هاتوا كحلونى من تراب المدفن . .

هاتوا داووا اذنى برجع صدى الباكين فى القرافة وهل فى هذا غنى عن سعد ولا بد من سعد ولا وصول الى سعد وما هو الا الفراق الى الابد ولا يفيد التأوه ولا الانين

ومن الذى لا يبكى والرزء رزء البلاد كلها والمصاب مصاب الكبير والصغير والبلية بلية الجليل والحقير والداهية داهية البدو والحضر والريف والمدن

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

اجل . . بناء تهدم ونعمة زالت ونقمة حلت فارتفع اللوم عن الاشمط الاشيب اذا بكى بكاء المرأة او الصبي وهو يضاعف الحزن ويزيد اللوعة والحسرة ان الخطب الكبير يعتقل الالسنة فتضج بالبكاء ولا تقدر على النطق بالرثاء

الذكرى

للاديب التقى الاخ احمد طاهر الطناحى

خمسة أيام مضت على فراقك أيها الراحل العظيم الذى أخلى من الدنيا مكانا تمضى القرون بعد القرون ولا يشغله فى الحياة سواه ، وتمر الاجيال بعد الاجيال ولا تنجب من يبلغ مجده وعلاه ، ويتفانى طلاب الأمانى ولا ينالون ما حاز من عظمة وجاه

خمسة أيام مضت على غروب شمسك التى كانت للابصار نوراً وجمالاً ، وللقلوب

وشاداً وجلالا ، وللنفوس حياة وآمالا ، ولمصر فخراً وكمالا ، وللشرق ضياء بدد جيوش ظلامه ، وأعاد له مجده فى سالف أيامه ، و برهن للغربيين على أن الشرق انتبه من رقدته ، وصحا من غفلته ، وحيي شعوره وانتصر على الظلام نوره ، وانه هو الذى ملزال مطلع الكواكب النيرة والشموس الساطعة التى ملأت الارجاء نوراً ومجداً وعمت الدنيا فضلا ورشداً

خمسة أيام مضت على اختفاء سحابك الصيب أيها الزعيم الذى كان نعم الفرج عند الشدة ونعم الغيث عند الجدب ، ونعم الامل عند اليأس ، ونعم القوة التى يستعان بها فى مدلهمات الكوارث ووثبات الخطوب

خمسة أيام مضت على صمتك الرهيب الذى استسلمت فيه للقدر الغالب والقضاء المحتوم ، وما كنا نعهدك صامتاً أيها الزعيم الجليل الذى ملأ الدنيا دوياً بحججه البالغة فى مجال الكفاح ، وطالما جاد بنفسه وماله فى سبيل نجاة أمته من قيود الذل ودركات الهوان ، وطالما سعى سعيه العظيم رغبة فى حرية وادى النيل واستقلاله ، وحباً فى مجده وارتقائه ، وأملا فى بلوغه غاية الرقى ونهاية الكمال

خمسة أيام مضت عليك ياسعد وأنت فى مضجعك الاخير فهل سمعت أمتك ترفع بالنحيب أصواتها بعد ما ترفعها الا بالهتاف لك بالحياة والدعاء لك بالبقاء الطويل ، وهل دريت بمهجها الوارية ،وعيونها الدامية ، وصدورها الزافرة ،و نفوسها الهالعة وأكبادها التى عسفت بها الحسرات والاحزان ، وفؤادها الذى سكن نبضه بسكونك ، وضاع أمله عند اليأس من بقائك . وهل علمت ان الامة التى كان يشغلها سماع صوتك العذب فى المحافل الجامعة والنوادى الزاخرة قد أصبح يشغلها الانين ، والذكرى الحارة ، والاسف البالغ والحزن الدائم ، والبكاء الطويل

خمسة أيام مضت على بعادك ياسعد والناس هالعون تائهون ما بين بيت الامة الذى خلفت فيه أنوار آثارك الخالدة ، وبين قبرك الذى ضم جثمانك الطاهر ، ورفاتك الكريم يذهبون الى الاول فيحجبهم الاسى والحزن العميق عن رؤيته

فيرجعون بالحسرات القاتلة والعيون الدامية ، يذهبون الى الثانى فيشتد هولهم ، وتعظم عبراتهم وترتفع أصواتهم بالانين والنحيب ، ويودون لو سمح المقدار بإيابك فاختلطوك من مرقدك ورجوعك الى بيتك تسمعهم من حكم قولك ما كانوا يستمدون منه نعيم الحياة ، وهناءة العيش ، ويهتدون فى ظلام الامور

خمسة أيام مضت على حمل جثمانك الطاهر أيها الرئيس الجليل بين الجموع الزافرة التى طأطأت الرؤس لوفاتك ، وأسبلت الدموع الساخنة لمصابك وأرسلت الزفرات الحارة لفراقك وتقطعت أنفاسها أسى وحزنا ، وذابت نفوسها كمداً ووجداً وتفتتت أفئدتها حسرة ووجيبا ، وبحت أصواتها أنينا ونحيبا

خمسة أيام مضت عليك يامصر فى هذا الخطب الفادح ، والحديث الجلل ، والمصاب العظيم فكم دموع سكبت . وكم عبرة أرسلت ، وكم حسرات أصابت ، وكم زفرات صعدت من أعماق فؤادك إلى السماء تشكو فداحة الخطب ، والمصاب وكم أصوات ارتفعت منك بالنشيج والنحيب ، وكم عيون لا يرقأ دمعها دهاها القذى وعسفت بها القروح . .

وأى خطب فادح تقذى به العيون مثل خطبك ياسعد ، وأى حادث جلل تجرى له الشؤون مثل حادثك يا سعد ، وأى رزء عظيم تهلع له النفوس مثل رزئك يا سعد ، وأى مصاب تأسى عليه القلوب مثل مصابك يا سعد — . . أجل أى خطب فادح ، وأى حادث جلل نزل بك يامصر وأنت أحوج ما تكونين الى زعيمك الاكبر ، وقائدك العظيم ، لقد اختطفته منك يد القضاء القاهر فلست اليوم بقادرة على رجوعه ، ولقد حالت بينك و بينه أستار المنون فليس لك إلا بقية من نوره ، ولقد والله كاد ينال منك اليأس منالا لولا ما خلفه لك من مآثر جليلة وآثار باقية تستمدين منها النور فى حياتك ، وتستعينين بها على صلاح مستقبلك ، وتتزودين منها فى ميادين الجهاد ومجال الكفاح

أجل لولا مآثر جليلة تفنى الدهور وهى حية خالدة ، وتذبل الايام وهى

.زاهرة ناضرة ولولا أشبال من صحبه الكرام ساروا على سننه لكان لليأس منا مكان . . .

وقد تغرب الشمس المنيرة للورى * ويبقى سناها فى الكواكب والبدر

فالحمد لله الذى نفعنا بسعد حياً وميتاً

ذكرى سعد

للكاتب الحزين البائس محمد السيد محمد

فيما بين يوم وليلة صوب الموت الى الكنانة يده فاختطف سعداً فأذهل العقول فراقه ، وروع القلوب اختطافه ، وأضحى الرزء فادحا والمصاب جسيما . وفيما بين يوم وليلة نعى النعاة الزعيم فتهدمت آمال الامة لفقد رمز الامانى ، وباعث النهضة ، ورسول الحرية ، واللسان الناطق ، والقلب الحى

التحق بالرفيق الاعلى « زعيمنا » ونعم فى فسيح جناته فلنا معشر الشبان فى « تاريخ الزعيم » عبرة وذكرى لنا ان نترسم خطة الزعيم وأن نسير على مبدئه فالاشباح تموت ، والاشخاص تفنى . ولكن المبادئ تبقى ما بقى الدهر

***

كان « سعد » يناضل أكبر دولة فما أرهبته المدافع ولا أقنعه قذف البنادق وانما أثاره شئ واحد هو « دم الشهداء » فلقد أسال دموعه وأدمى قلبه ولكنه شد من عزيمته فوهب روحه « لمصر » وحباها قلبه فأوذى فى سبيل وطنه ونفى من أجله وشرد . ولحقه من ظلم الغاصبين وقهر المستعبدين ما يقف القلم عن وصفه

أما بيانه الساحر ، وأسلوبه الرائق الفذ ، وبلاغته النادرة فكانت تحيي ميت الشعور وتقوى روح الشباب وكان لصداها فى الشرق أكبر أثر وحسبك « بالزعيم الراحل » انه المثل الاعلى « للوطنية والحرية »

فيامصر اندبى حظك ، وارثى شقاءك ، وطوفى حول قبر الزعيم واهتفى بذكراه واعملى على مبادئه ففى مبادئه حياة مصر وفى ذكره آمالها وأمانيها

ابكى يامصر مضاء العزيمة والنظر البعيد

ابكى الدعابة الحلوة المهذبة والحكمة السياسية

ابكى زعيما قل ان يجود الدهر بمثله

ابكى الديموقراطية الحقة ، والعصامية الفذة

اندبيه « يامصر » فهو الذى ما عاش لنفسه وانما عاش لك ومات فى حبك

***

آه لقد مات سعد ونحن أحوج ما نكون الى شخصيته البارزة وعقله الراجح ونبله الذكى وتجاريبه الحكيمة وعواطفه الكبيرة وشجاعته الفائقة ونزاهته البالغة وبطولته الفذة

مات سعد فاذكروه فى صبح اليوم وضحوته

مات سعد فويل لنا بعدك يا أبا الشعب

مات سعد فواحسرة الشباب عليك

آه توارى سعد ذلك الذى ملأ الزمان وعم المكان فلقد امتلأت بطلعته النفوس ووسعته على الرحب القلوب وانتهجت بلقياه الارواح

مات سعد وترك عالم المظاهر واللجب الى عالم الخلود والبقاء

رحم الله ساعات قضيناها بين يديك أيها الرئيس تسمعنا دررك الغوالى وخطبك النارية فكنت حقاً خطيب المشاعر والقلوب وكان لصوتك الشجى المهوب روح وقوة للوجدانات والمشاعر . وكان لفظك الرصين البليغ مذكى حرارة

الحماسة فى نفوسنا

آه رحمك الله أيها القائد

لقد كنت شيخاً بعزيمة الشباب وقوة الجبابرة وكنت « فتى الشيوخ » مسلحاً بقوة الحق وتأييد الله. وكنت شجاعا ثوريا تثور على الباطل ولا تخشاه وتنصر الحق أينما كان فالحق عندك فوق القوة

كنت حمالا لهمومنا تحمل العبء وحدك فلا تئن ولا تشكو ولا تتبرم

كنت عدة لمحن الدهر ونوازله فغدرنا الدهر فيك وثأرنا الزمن باختطافك اذ الدهر قاس و « الموت جبار لا يرحم »

***

والآن وقد ذهب القائد . ذهب الطبيب المؤاسى ذهب العصامى الفذ ذهب رجل مصر . ذهب أمل الامة

الى أين ذهب ؟ ! الى لقاء الله . . .

الآن يا مولاى ذهبت لحل « المعضلة » . ذهبت الى من بيده تصريف الامور فأبسط له مسألة مصر وأعرض عليه ظلاماتها « فهو بها خبير » بثه شكاية مصر وحزنها وخبره بان مصر الاسيفة تحب الحرية ونعيمها والاستقلال وجماله

قل لربك يامولاى « ان فى مصر شعبا لا يملك غير قوتين قوة القلب وقوة الايمان فارحم هذا الشعب الراسف فى الاغلال وازح عنه ظلم العناه ، حتى يذوق طعم الاستقلال والحريه

ولكن خبرونى هل سعد بعد مفاوضاته يعود ؟؟

آه : ليس لعودته من سبيل . . . فالى قلوبنا الدامية والى نكبتنا الفادحة عزاء

***

يابنى الشرق

نوحوا على سعد ففى النواح اثارة الوجدان

ابكوا عليه ففى البكاء طهارة الضمير

اسيلوا عبراتكم ففى العبرات اذكاء الوطنية

اندبوا سعدا وارثوه فهو فى « منازل التقديس »

لاتنسوا سعدا واذكروه فان الذكرى تنفع المؤمنين

اذكروا سعدا فى حلكم وترحالكم . فى مقامكم وقعودكم فى نومكم ويقظتكم

اذكروا سعدا فذكراه تثير الحمية وتهز القلوب وتقوى الارواح

اذكروا سعد وتتبعوا خطاه وسيروا على مبدئه

اذكروا سعدا واحفظوا تاريخه ولقنوه لابنائكم واحفادكم ففيه المثل الاعلى للتضحية وحب الوطن وانكار الذات

يا أبا الشعب

هذه أرواحنا قد وهبناها فداء للوطن وللغاية التى تنشدها . وهبنا ارواحنا « لحياة مصر » فلا حياة الا بحياتها ولا امل لنا الا بنجاتها

اى مولاى الماجد

لقد برك ابناؤك فسرت الى طريق الخلود تجتاز عبابا زاخرا من الدموع والعبرات وحول جسمانك الطاهر جفون باكية ، وعيون ، مقرحة ، وافئدة موجوعة ، وقلوب مكلومة ، ونفوس حزينة ، ورءوس مطرقة ، وقد تصاعدت من هاتيك الصدور تنهدات وتأوهات

يامولاى : سيقوم لك التاريخ بواجبة الاسمى وستكون آلامك وتضحيتك ونفيك وتشريدك . ستكون حصاتتك وحنكتك . ونضوجك السياسى ومرانك العملى أكبر مثل « لخلفائك » والناهجين على مبدئك

يامولاى . لئن حجبك الردى عنا فان مبادئك وتعاليمك امامنا وبين طيات قلوبنا سأذكرك يامولاى ما حييت . وستذكرك مصر الحزينة وسيذكرك التاريخ مثلا حيا للمستقبل وذكرا خالدا للماضى المجيد

أحرى بمن وهب الحياة لقومه   ألا تمس حياته بزوال

الخطب

خطبة معالى مصطفى النحاس باشا

رئيس الوفد المصرى

فى حفلة التأبين الكبرى

بسم الله الرحمن الرحيم افتتح الحفلة

حضرات أصحاب السمو . حضرات أصحاب الدولة والمعالى

سيداتى . سادتى

أتقدم والخشوع يملأ جوانحى . والاجلال يفعم قلبى . باطيب التحيات المباركات الزاكيات لروح سعد فى جوار ربها تنعم فى رضوانه ، وتتقلب فى احسانه وتنعطف عليها ملائكته ، وتستقبل من صالح العمل ما قدمته . وأستلهم منها الحكمة وفصل الخطاب

سيداتى . سادتى

يطوى الموت اعمار الرجال ، ويغيبهم فى اطباق الثرى ، ويبقى لهم فى مضمر القلب ود ، وحب ، ولوعة وادكار فتقام الحفلات تنويها بشأنهم واشادة بذكرهم يذاع فيها ما كان كامنا ، وفاء لهم ، وبقياً على آثارهم . لكن اجتماع اليوم لم يكن لاذاعة محمدة فمحامد سعد ذائعة ، ولا لاشهار نقيبه فنقائب سعد حديث كل انسان ، وماذا عسى ان يقال فى سعد والدنيا تهتف باسمه ، ويكتب الخلود اسطار تاريخه . انما اجتماع اليوم — فى الحق — وفاء لانفسنا وغذاء لارواحنا وادكار لفضائل سامية وغرائز نامية تهفو لها النفوس وتقبس من سنائها . وتعنو لها الوجوه وتطرق فى حضرتها ثم تحفظ منها وتنقل عنها

سيداتى . سادتى

اننا الان فى ذكرى سعد الكبير القلب . العبقرى العقل . العظيم النفس . ولست أمثله الا كالطود الشامخ ترتد امامه الاحداث متكسرة متداعية وفى ثناياه عيون يفيض سلسالها ، ويزلزل هديرها ما استحجر من بغى وطغيانْ وفى جنباته مروج ناضرة وجنات الفاف . فسعد من كل نواحيه روعة النفوس وسكينة القلوب باعث للرهبة والجلال

خرج سعد من صميم الامة المصرية.وتدرج فى بيئاتها وتعرف مواطن ادوائها ، وا كبر الحيف النازل بها فافنى نفسه فى حبها واعظامها مفتخرا بها ممجدا حقوقها متشرفا بزعامتها

ثم قدر ما يتطلبه الدفاع عنها من جهود مضنية وهموم ناصبة واحتملها باصطبار وجلد . . .

ما روعه خطب ولا زحزحه وعيد . ولا انساه السرور المفاجئ عظم التبعات ولا شدة المسئوليات

سمع وهو فى مالطه نبأ الافراج فاستبشر هنيهة كما حدثنا ، ثم تمثلت امامه الغاية الكبرى والامانة العظمى فاغرق فى التفكير محصنا بالعقيدة الوثيقة معلنا ان حق مصر غالب على كل امر وانها لا تخلد الى ضيم يراد بها . فاشهد العالم اجمع على جلال الوطنية المصرية وحمله على الاعجاب بالحكمة والحزم اللذين كانا وما زالا شعار الامة لتحررها . وها هو موته أبان عن قوة الايمان الوطنى وتكشف عن عقيدة سعدية جمعت الامة حول قبره تؤدى شعائر الاخلاص ونسك الوفاء ، جزاء وفاقا وتقطع على نفسها العهود ، والمواثيق لتصبرن على ما ابتلاها ، ولتعملن لاتمام مبتغاها

سيداتى . سادتى

لقد رأينا قلوب الامة تتحرق يوم منتهاه وزفراتها تتصعد امام مثواه ولا تزال

تمجد ذكراه . وأشهد الله ان سعدا وهب امته من نفسه وعقله وقلبه وصحته وصدق جهاده مالا قبل لها بشكره . انما جزاؤه الاوفى عنـد ربه الاعلى ولسوف يرضى ...

ان سعدا صدق ماعاهد الامة عليه فكان امينا فى رسالتها بليغا فى التعبير عنها يخشى خديعتها ويحذر الشر ان يحيق بها ويقنع نفسه . يجيرها اولا ثم يقنعها بقبوله آخراً .

تجلت تلك الحقائق فى اسلوبه السياسى الصريح يوم قام مدافعا عنها فى بلاد الانجليز فكانت حقائق مهيبة عظيمة تصدر من ممثل الامة الذى التفت حوله القلوب وحفت بروحه الارواح ومتى شعر سعد بروح الجماعة او تمثلها فقم ما شئت من قوة ورهبة وعظمة

لقد كانت أرواح الجماهير تجد فى نفس سعد مجتمع آمالها ومستقر سعادتها . وملتقى ماتصبو اليه من سمو وكمال

وسعد تتسع نفسه لتلك الارواح ثم تغمرها وتتأثر منها ثم تكبرها . وما زال سعد يتطلب روح الجماعة ويسائل عنها

جاءه رجل حج بيت الله فسأله سعد : اى اثر شديد احسست به فى الحج فسكت الرجل فقال له . لعله مشهد عرفة . فقال الرجل نعم . فسأله لماذا : فما استطاع كلاما . فقال له سعد انها روح الجماعة تهز النفس وتثير كل المعانى الكامنة فيها .

نعم هى المعانى التى اختصت بها نفسه وانطوت عليها جوانحه حتى ليضحى بكل عزيز بالراحة ، بالمال ، بالصحة ، بالنفس ، ليحقق لبلاده استقلالا ندبته الاقدار له وشغلت قلبه به متذوقا قسوة الآلام ، صابرا على فداحة الخطوب

تلك التضحية من فضائله المتأصلة فطرة الله التى فطر سعدا عليها . فلقد آذنت الهدنة ان تعقد والجو اكلف والسماء تبرق وترعد وحقوق البلاد نهب مقسم

فكنا نحن الشبان نفكر فى رجل يتقدم الصفوف ويؤدى رسالة الامة ويلفت العالم الى مصر . مصر المكبلة فى الاصفاد المأسورة فى حدود البلادفهدانا التفكير الى سعد ورأينا مفاتحته فى الامر الجلل . لكنا رأينا سعدا يسير على فطرته ويعد مع جماعة من رفاقه للامر عدته سياقا الى الغاية . فما نبهنا غافلا ، ولا ذكرنا ناسياً ؛ ولكنا اتبعناه ، واقتدينا بتفانيه فى الفكرة الوطنية

سيداتى . سادتى

لقد بهرنا هذا التفانى فى خدمة البلاد من شيخ تكافحه الامراض وتتعقبه الاحداث . لقد كان يحدثنا فى سيشل : سأموت هنا رضى البال وتعودون انتم ولكن موتى بعيدا عن مصر سيذكى نار الوطنية فى قلب الامة ويقفها صفا واحدا تدافع عن حقوقها

ان سعدا فى تفانيه كذلك الجندى يستقبل الموت فى سفر مر تذهب نفسه معه اشلاء واوصالا ليحيي امته ويدفع عنها عدوها

نلمح ذلك المعنى السامى فى نفس سعد من قبل . يوم خيروه بين امرين احلاهما مر :

اما ان يدفع هو عن مشروع القنال فى مقابل ان يكون رأى الجمعية العمومية فيه قطعيا ، واما ان يابى ذلك ويضيع ذلك الحق . فما تردد فى ان يكسب امته ذلك الحق النيابى مستهدفا للنقد الخاطئ . والعالمون بدخائل الامور يعلمون علم اليقين ان سعدا بهذا الفناء فى خدمة بلاده انالها اختصاصا جديدا واقطع لها حقا عزيزا وصار رأيها فى الامر قطعيا

سيداتى . سادتى

ما كانت عظمة سعد وليدة السنين الاخيرة لكنها صحبته ناشئا ولازمته شابا وقارنته شيخا جليلا

من اظهر صفات تلك العظمة التى بدت مخائلها على سعد وهو طالب فى الازهر

حبه للحرية الفكرية ونقمته على سالبها

كان سعد فى حداثته ممتازا بالفطرة السليمة له نفس حرة كريمة وذهن خصيب وهو بين اقوام يحافظون على تقاليدهم ، ويتوارثون طريقة تفكيرهم ، كره سعد تلك الحالة فجمع اخوانا على شاكلته ، وطلب اليهم ان يعاونوه على نبذ تلك الطرق الدراسية الملتوية التى تفنى الاعمار وتعوق النفوس عن كمالها ، كتبوا تلك الدعوة فى منشورات خطتها ايديهم ورفعوها على اعمدة الازهر ليلا فكانت اول صيحة فيه هتفت لحرية الرأى واحدثت ثورة فكرية هادئة ما كان لغير سعد الشاب العظيم ان يهب بها لان الحكام قساة والعقاب فادح والناس احباء ما الفوا ، اعداء ما جهلوا . . .

سيداتى . سادتى

لقد ادك سعد مرارة الاسر فى نفسه يوم سجنوه عقب الثورة العرابية ، واجدر بمن ذاق تلك المرارة ان يستشعرها فى غيره ، ويستبشعها فى الامم والشعوب ، وتجد للحرية فى اعماق نفسه قداسة ، وحياطة ، ووقاية ، اشد ما يزعجه العدوان عليها وانتهاك حرمتها

كنا ونحن محوطون برجال الحفظ فى منفانا . نلمح على سعد الالم الموهن والمرارة اللاذعة عند ما يعتلج فى نفسه معنى الاسر فيتمثل تلك الحقيقة القاسية : سعد مأسور سعد يتبعه جندى !

سيداتى . سادتى

لقد صحبنا سعدا وشاركناه فى حلوه ومره وبلغنا من نفسه منزلة الابناء وبلغ بنا مرتبة أبر الاباء كان يتوسطنا ويستمع الينا ويصغى لحججنا فيستجلى صوابها ويمضى الى لبابها كارها للمنطق المعقد والحديث المهوش لان له ذهنا كالمرآة المصقولة ترسم عليها الصور ناصعة جلية وترتد عنها القطع الداكنة المبهمة يحضرك ما غاب منك ويظهرك على ما خفى عنك ويتتبع البرهان الواهى فاما قويته واما تركته

ثم لا يدعك الا مقتنعا راضيا واشد ما يعجز به خصمه ان يتخذ من حجته دليلاً عليه . وسنارا لرأيه فشدد سعد عند مناقشة لورد ملنر فى ان ينص على الغاء الحماية فقال له اللورد لماذا هذا التمسك بالالفاظ والاستقلال نفسه منصوص عليه . فبدهه سعد : ولماذا لا تريحنا بلفظ لا يضركم ولكنه ينفعنا . فانقطعت الحجة وانتهى الكلام .

لقد كان سعد فى رهبته وقوة عارضته له قلب رحيم . طبع على الخير فاختاره الله مجالا للحب والرحمة والاشفاق والبر . يمرض الواحد منا او تلم به نائبة فلا والله ما الوالد الشفيق بابر قلبا ولا احنى عاطفة امام وحيده من سعد امامنا يواسينا ويتعجل شفاءنا ويتعهد راحتنا ويفيض علينا احسانه العميم

تلك المودة والرحمة أكبرت عنده الحياة الزوجية وحاطها بالاجلال العظيم ووجد من أم المصريين مصابرة على الشدائد ومدافعة للخطوب ومشاركة فى بأساء الحياة فكانا معا مثالا أعلى لانبل العواطف وصور الملائكة الاطهار

سيداتى . سادتى

تلك الملائكة التى تجلت فى سعد أرتنا كيف كان يترفع عن النقائص وينفر من الصغائر واذا كان فى حقوق بلاده شديدا رائعاً فهو فى حقوقه الشخصية مسامحاً كريما فمتى سكنت الفتن وثاب الرشد وتعرضت الشؤون العامة للاخطار رأيت فى سعد العظمه المتطامنة تفيض وتخفض جناحها متوسعةً بالفضل متطولة بالعفو تستل الضغائن وتنشر الائتلاف نصرة للحرية وعصمة للدستور

سيداتى . سادتى

لقد كانت الرقة القلبية والعاطفة الرحيمة التى امتاز بها سعد من فضل الله الذى يسبغه على افذاذ الرجال وقادة الامم ثم يمدهم بالايمان العميق فيدركون من قدرة الله أعمها وأشملها ويسلمون النفس فى الشدائد لله الواحد القهار فما رأيت سعدا الا وجلال الايمان يلوح على وجهه وأسرار الطمأنينة تبدو فى كل مظاهره

سيداتى . سادتى

تلك اثارة حضرتنى من بوارع سعه والفكر مشرد والقلب حائر والنفس تنوء بالتبعات اتقدم الى بها حضرات الخطباء والشعراء ثم ادع لهم مجالا هم احق به . واهل له .

يا سعد !

فقد عشت لخير الانسانية وندبك الوطن لاشرف غاياته فافنيت فى طلب الكمال حياة ما كان اطيبها واغلاها وانزلتك امتك منزلة ما تطلعت لمنزلة سواها واحاطت بك فى اشد الازمات فصدمت عنها عيوفا كريما وقلتها كلمة خالدة رافعة لا ابغى باستقلال بلادى بديلا

يا سعد !

لقد شهرك ربك بفضلك واسبغ على ذكراك رداء مجدك فهنيئا لمن كان الله ناشر فضله وناسج مجده

اللهم رب سعد الثاوى فى رحمتك ، النازل فى جنتك ، ادخل عليه روحا منك وسلاما منا .



خطبة دولة عبد الخالق باشا ثروت

رئيس الوزارة المصرية

فى حفلة التأبين الكبرى

أيها السادة

فى هذا الجمع الحاشد الذى يريد كل فرد فيه ان يؤدى حق فقيدنا العظيم عليه وعلى البلاد اما باللوعة الصامتة والذكرى الباقية واما بالزفرات يرسلها كلمات وبحياة الفقيد يحملها مناقب وعظات، اردت ان يكون لى نصيب فى الوداع الناطق للراحل الكريم

ولكن سعداً ليس كغيره من الرجال فلكل عظيم ناحية من العظمة ولسعد منها نواح متعددة ، والعظيم يملأ فراغا فى جانب من الحياة وسعد قد شغل الحياة المصرية عامة ، فقد اجتمع فيه تاريخ مصر الحديث وانتهت اليه نهضتها الكبرى فلا غرو اذا جلت مصيبتنا فى فقده وكثرت وجوه القول وتعددت شعاب الذكرى فيه

لذلك لست ادرى ايها السادة فيم احدثكم عن سعد . أأحدثكم عنه محاميا وقد كان فى المحاماة رحمه الله علما ظاهرا وكان من غير مثال يحتذيه نابغ ذلك الفن الخطابى الجديد واحد كبار مؤسسى تقاليد تلك المهنة الشريفة وكان فوق ذلك سباقا الى اغاثة الملهوف ونصرة المظلوم

أم احدثكم عن سعد قاضيا وقد كان التماس الحقيقة وتوخى العدالة عنده غاية هان عليه فى سبيلها بالرغم من اكمال رجولته وسلامة سليقته وتفوقه على غيره من القضاة ان يعود طالبا يأخذ بأسباب الطلب والتحصيل

أم احدثكم باثره فى القضاء وعالم القانون وقد كان فيه حجة ومرجعا تشهد له احكامه وبحوثه باصالة الرأى ومتانة العلم

أم احدثكم عنه وزيرا قبل قيام الحرب وتاريخه ناطق بفضله بما ادخل من الاصلاح فى وزارتى المعارف والحقانية حافل بما لقى من العنت فى سبيل استقلاله فى الرأى وشجاعته فى الحق . وليس اوجب على الوزير . و بلاده تتطلب شتى وجوه الاصلاح وهو ادري الناس بحاجياتها من سواه واعلمهم بموضع الداء وطب الدواء من ان يكون محترم الشخصية مستقل الفكر حر الارادة اللهم الا فيما يحددها من سلطان دستور البلاد

أم احدثكم عنه مصلحا فى الشئون الاجتماعيه وقد اقترن اسمه باسماء كبار المصلحين فى عهد مصر الحديث سائرا فى الطليعة او مؤيدا وظهيرا

أم احدثكم عنه خطيبا وكيف بلغ من الخطابة غاية تتقطع دونها الاعناق وليس فيكم من لم يسمعه ويعلم ما اجتمع له من صوت ممتع آخذ بمجامع الحواس نافذ الى النفس ومن سهولة وترسل وفيض فى الفكر والقول وبراعة فى السياق وقدرة على التصوير الى غير ذلك مما جعله يجر عواطف سامعيه ويصرف عقولهم من حيث يشاء والى حيث يريد

أم احدثكم بمواهبه الفكريه ومناقبه العامة والخاصة مما سمعتم وستسمعون ؟ وانى لاعلم ان الحديث فى سعد محبب وان التكرار فيه لا يمل اذ يكتسب من ذكراه روعة وطلاوة ، ولكن الوقت ضيق والخطباء كثيرون ويكفينى ان احدثكم عنه صديقا وزعيما سياسيا

اما الصديق وعهدى بصداقته طويل ، فقد الفيت منه طول هذه المدة خير ما يجد الصديق لدى الصديق ، طيب اخاء ، وصدق عهد فى المشهد والمغيب ، ووفاء على القرب والبعد ، وصراحة فى غير جفاء ، واخلاص نصح وسداد رأى فى المشورة وان أنس لا أنس سعدا محدثا فقد كان متاعا لا يمل ، وذخرا لا يسلى ، فما

شئت من حسن محاضرة ، وحلو فكاهة ، ولطف مدخل . وبراعة تنقل . وسحر حديث فاذا جادل او ساجل فهو البحر تدفقا واندفاعا. هذا الى خصوبة فى الفكر ومتانة فى التدليل كان فيها لايجارى

واذا كان الدهر قد ضرب بيننا بضرباته حينا من الزمن ، فان احب سلوة وأفضل عزاء على ما القاه من الحزن على فقده ، اننا عدنا كما بدأنا و نسينا تلك المحنة وطابت الصداقة بيننا وصفا الاخلاص

وانى لاذكر فى اعجاب لاحد له ، ولكنه اعجاب ملؤه الحزن والاسى لقاءنا بعد ان توحدت كلة الامة واجتمعت احزابها بفضل حكمة الفقيد العظيم وما اظهره من تفان فى المصلحة العامة ، فقد كان سعد يومئذ كما عرفته دائما كان رقيق القلب وفيا للاصدقاء حريصا على مصلحة مصر

ولن انسى تلك الساعة العذبة التى لقيت فيها سعداً فى ذلك الظرف من ظروف حياتنا السياسية — لقدجد سعد فى محو الخصومات وازالة الفرقة وحمل الامة كلها على الائتلاف واتحاد الكلمة حول المصلحة الوطنية المقدسة فوفق الى ما أراد التوفيق كله

وان قلبى لينفطر لوعة حين اذكر اللحظة التى لقيت فيها سعدا منذ اشهر قليلة أودعه قبيل سفرى الى اوروبا بعد ان لقيت من معونته وتأييده ما يملأنى اعجابا به واكباراً له ، وتقديرا لفضله على امته وحرصه على فوزها ففى هذه اللحظة ايها السادة كان زعيم مصر يقدر حق القدر ان قضية مصر تقطع طريقا من أصعب الطرق وأشقها وكان يقدر العبء الذى يحتمله بحكم زعامته كما كان يقدر العبء الذى احتمله بحكم رياستي للحكومة ولكنه كان يضحى بكل شيء فى سبيل قضية البلاد فانطلقت من عينيه حينئذ دموع تمثل هذه العواطف كلها تمثل هذه عظمة الرجل الذى يلقى المصاعب فى غير ضعف ولا وهن

أما سعد زعيما سياسياً فكأنى بسعد إنما خلق لذلك والواقع ان الزعامة فى

في سعد ليست جديدة فقد كان زعيما فى المحاماة والقضاء والوزارة مقدما فى كلها ذا أثر بعيد وطابع خاص وشخصية بارزة فيها جميعاً ولكن الله لم يرد أن يقبضه اليه حتى تتم له كبرى الزعامات زعامة فى نهضتها الى الحياة وتقرير حقها في الوجود والاستقلال ولكن كيف تهيأت له تلك الزعامة

ليس من ينكر ما كان لسعد من المهابة والجلال ، وليس من يجهل ما كان له من المقدرة على استثارة الهمم واستنهاض النفوس طوراً بحديثه الآخذ وطوراً بخطبه الفياضة بحرارة الشعور وشدة الايمان بالوطنية ولكن سعداً جمع الى ذلك قوة روحية خصه الله بها

ولقد كان للمواهب النادرة التى حباها الله فقيدنا العظيم أثرها البالغ فى نهضتنا الحاضرة من تنبيه الشعور القومى وقيام البلاد على بكرة أبيها للمطالبة باستقلالها

ثم رأينا الزعيم الراحل رئيساً لمجلس نواب مصر المستقلة فكان فى عدل القدر درساً آخر عظيما لكل مضح بنفسه فى سبيل امته فكأنما أراد القدر أن تكون تربية البلاد تربية دستورية وتأسيس التقاليد البرلمانية فيها على يديه ولقد شهدتم جميعاً كيف كان يدير جلسات مجلس النواب بحكمة ولباقة واصالة رأى شهد له بها القريب والبعيد معطياً لكل متكلم قسطه من حرية الرأى وحرية القول في حكمة واعتدال وتبصرة وسداد فلنذكر نعمة الله عليه وعلى مصر شاكرين

أيها السادة

ان ذلك الجسم الذى غالب الامراض فغلبها الى ان اختطفه الموت وأخذه غيلة قد أصبح معنى لن يفتأ يطالعكم من وراء السنين والحقب هو معنى الوطنية العاملة التى تقضى على كل فرد أن يقوم بواجبه ساعيا فى سبيل الكمال ، وان ذلك الخطيب الذى سحر عقولكم بيانه مدى حياته ، يلقى عليكم بموته أبلغ خطبة . خطبة الفناء فى سبيل خدمة الوطن و نصره وقضيته

ان حزننا على فقيدنا عظيم ، ولكن يجب الا يكون عقيما ، وخير مايلد هذا

الحزن هو حسن التأسي ، فلنتأس بسعد فى جهاده للحق وصبره على المكاره ودعوته الى ضم الصفوف وإيثار المصلحة العامة

وانى لأعلم انى لا انبه غافلا ولا أوقظ نائما فان سيرتكم منذ مات سعد ناطقة بان روحه لا تزال معكم ، ولا اشك انكم لن تزالوا سالكى هذا الطريق فى توفيق من الله وتأييد من صاحب العرش وأوقن انه ليس شئ احب الى سعد فى قبره من ان تثابروا على المضى فى هذا الطريق الحكيم حتى نبلغ غايتنا جميعا

***

وأنت ايها الراحل الكريم

نم هادئا مطمئنا فان البذر الذى بذرته من خلال حسنة ودعوة صالحة سيؤتى ثمره ان شاء الله وستحفظ لك مصر اكبر الذكرى واذا كان لمحزون ان يتعزى فان هذه الجموع التى تنوه برزئك الكبير بعض العزاء لشريكتك فى الحياة، التى شاطرتك المتاعب والالام ، والتى جمعت الى صفاتها الممتازة انها كانت خير مثال للحب والوفاء ، كما ان فى الروح التى بعثتها فى الامة بعض العزاء للصديق الذى فقد بموتك العضد البار الوفى الامين

فرحمة الله ورضوانه عليك

خطبة دولة رشدى باشا

رئيس مجلس الشيوخ

فى حفلة التأبين الكبرى

لا استطيع ان ادع هذه الحفلة الشعبية تختم من غير ان القى فيها كلمى

لقد كانت خسارتى فى سعد مزدوجة ومصابى فيه مضاعفا . فانا أبكيه بصفتى مصريا وابكيه بصفتى صديقا حميما اذ كانت صلة الود والصداقة بيننا متينة قديمة يرجع عهدها الى أول مرة تقابلنا فيها وكانت تلك الصداقة قائمة على الاحترام والثقة المتبادلين ولهذا فانها كانت ثابتة كالصخر

وكان من شأن التقلبات السياسية لاسيما ابان المفاوضات الرسمية ان اوجدت سحابة فى جو تلك الصداقه ولكن هذه السحابة ما لبثت ان تبددت . وكان مما أثر فى نفسى تأثيراً عميقاً قول سعد لى « لقد اذرفت العبرات يوم علمت بنبأ مرضك فى لندره »

نعم لقد اذرف عبراته سخينة لان الخلاف السياسى لم يكن ليؤثر فيما كان بيننا من الصداقة والاحترام ولاننا نحن الاثنين كنا نتجه بكل مافى نفوسنا من قوة ويقين الى غرض مقدس واحد الاوهو استقلال مصر التام . وكان من الطبيعى ان يقوم بيننا الخلاف على احسن الوسائل والسبل المؤدية الى تحقيق تلك الغاية السامية اما الغاية نفسها فهى هى لاتتغير

لم يولد سعد مجازفا . ولكن حب الوطن جعل من هذا الرجل الحريص بفطرته ليثا كاسرا فصار فى اتم استعداد لتضحية ماله وحريته بل لتضحية حياته فى سبيل وطنه وقد رحل هذا الرجل العظيم عنا قبل ان يرى بعينيه ولكن روحه لتهتز فرحا

وهو فى مرقده الابدى يوم تتحقق هذه الامنية وهى ستحقق فى القريب العاجل

وانا رشدى الواقف بين ايديكم اؤكد لكم هذا بقوة اليقين ومتى اكدت لكم شيئا فلكم ان تصدقوه

واذا كان سعد قد رحل عنا بجثمانه فانه خلف وراءه زوجة نبيلة شريفة وزملاء اكفاء ممتازين وحكومة دستورية جديرة بكل الثقة وأمة متماسكة متضامنة تشبعت روحها بالوطنية الصادقة وبرلمانا ممثلا للامة احسن تمثيل يعمل بوحيها ويشعر بشعورها وسيجاهد الجميع بكل قواهم فى ايام عهد العظيم فى ظل ورعاية مليكنا الدستورى صاحب الجلالة فؤاد الاول حفظه الله

قم ياسعد هانئا هادئا وثق ان كل من خلفتهم وراءك سيعملون على تحقيق الغرض الذى وقفت عليه كل ايام حياتك وكل قوى نفسك الكبيرة

خطبة معالى محمد محمود باشا

وزير المالية ووكيل حزب الاحرار الدستوريين

فى حفلة التأبين الكبرى

سيداتى وسادتى

أقف بينكم والاسى يملأ جوانحى والحزن يملك مشاعرى لهذا المصاب الجلل الذى دهى الامة بفقد زعيمها ورمز نهضتها والذى حرمها من تلك الرأس التى كانت تفيض حكمة وذلك القلب الذى كان يفيض اخلاصاً لمصر وتلك النفس التى بعثت روح الوطنية فى البلاد وأججت نارها ورفعت علمها . وتلك الشخصية الفذة التى كانت عنواناً لمجد مصر وفخارها ومحطا لآمالها ودعامة لحريتها واستقلالها

سيداتى وسادتى :

ان مصاب الكنانة فى زعيمها وهى فى اشد الحاجة الى جرأته الحكيمة والى آرائه الموفقة لما يعز معه العزاء لولا ان ذكراه قائمة فى نفوسنا تشحذ منا العزائم وترشدنا الى معالم الوطنية الحقة فاذا كان سعد قد قاد هذه الامة فى حياته الى مواطن النجاح والفلاح فى جهادها الوطنى فان ذكراه اليوم بعد مماته تكسبنا قوة على قوة وايمانا على ايمان فباسمه ، وقد غيب اللحد رسمه تجتمع اليوم احزابنا السياسية وهى اشد وفاقا من كل عهد مضى . و بمناسبة ذكراه الطيبة وقد اصبح رهين رمسه تتعاهد جماعات هذه الامة وطوائفها على التمسك بائتلافها واتحادها وقد ادركت جميعها حق الادراك انها بفضل هذا الائتلاف وحده واصلة ان شاء الله الى تحقيق الامانى القومية القائمة على صيانة الحياة الدستورية والوصول الى استقلالنا التام

ومامثولى ايها السادة فى هذا المحفل الموقر الذى ضم شيوخ الامة ونوابها وحكامها واعيانها واهل الرأى والمكانة فيها الا لتوكيد هذا الاتحاد باسم الاحرار الدستوريين ودعم ذلك الائتلاف الذى كان من اجل آثار سعد فى حياته وهو اليوم انتصار جديد وارضاء لروحه الطاهرة بعد مماته رحمة الله عليه

ولا يخفى ان النصر فى بعض المعارك السلمية قد يكون اصعب منالا من النصر فى المواقع الحربية فالاول يقتضى رجاحة فى العقل وسموا فى القلب وتضحية بالعواطف فى حين انه يكفى فى الثانى قوة الساعد وشدة المراس والتضحية ببعض مئات من الجنود فالبطولة فى معارك السلم أسمى واشرف منها فى معارك الحرب

وانكم لتعلمون جميعا ان سعدا كان ذلك البطل الحكيم والثائر الهادئ بل قد يكون الزعيم الاوحد الذى قامت زعامته ، فى امة عزلاء ، على قوة اليقين ومضاء الحجة والاستمساك بالحق فى حين أن الزعامة فى الشرق والغرب قديما وحديثا من معاوية الى مصطفى كمال ومن يوليوس قيصر الى موسولينى استندت كلها الى القوة المسلحة فقامت وتوطدت بها

تمهدت طريق الزعامة لفقيدنا الجليل بفضل ما أغدق الله عليه من شخصية بارزة ومواهب عالية وقفها على خدمة قومه و بلاده وقد انقادت له تلك الزعامة تارة باختيار الامة اياه زعيما ورئيسا وتارة بدافع من نفسه كان يوقفه موقف الزعيم كلما تحرجت الحالة وادلهمت الخطوب

كان سعد زعيما بدافع من نفسه يوم نهض فى جمعية التشريع والاقتصاد السياسى يناضل عن حقوق هـذا البلد الامين ، كما كان زعيما يوم ندبته الامة جمعاء للدفاع عن تلك الحقوق

كان زعيما يوم سار الى دار الحماية (اذ ذاك) مع صديقيه الكريمين المرحوم على شعراوى باشا والاستاذ عبدالعزيز فهمى باشا رافعاً صوت مصر — كما كان زعيما يوم اجتمعت حوله الجموع تنادى باسمه و باسم الوطن

كان زعيما فى الجمعية التشريعية الضيقة الرحاب كما كان زعيما يوم انتخب لرئاسة مجلس النواب — وهكذا كان الزعيم تدعوه الحوادث الآخذة بناصية الزعامة مدفوعا بعامل الوطنية كما كان الزعيم يوم يهتف كل مصرى باسمه و يعترف الشرق طرا بزعامته .

أما أثر تلك الزعامة فلم يكن سوى الاثر الطيب الخالد — تجلى ذلك الاثر أولا فى إيقاظ الامة من رقدتها وانهاضها من سكونها ثم فى جمع كلمتها وضم صفوفها على المطالبة بحقوقها — وأخيرا فى تدعيم حياتها الدستورية وتوطيدها ولو لم يكن لزعامة سعد مايحمل الاحرار الدستوريين على تمجيد تلك الزعامة والاشادة بفضلها العظيم —

بدأت هذه الزعامة بما يلازم كل نهضة من فيضان للعواطف وثورات فى الشعور حتى اذا جاء دور تنظيم الامور ومايقتضيه من حكمة وتؤدة واصالة فى الرأى تجلت جميع تلك الصفات بمظهريها فى سعد زعيما للثورة وفى سعد رئيساً للحكومة و رئيساً لمجلس النواب — فكانت ثورتنا بفضل زعيمنا من أجل الثورات حماسة واندفاعا

وكان برلمانناوهو أحدث البرلمانات عهداً يسير بفضل رئيسه فى سبيل الحكمة والسداد.

أيها السادة

هذه بعض آثار زعامة سعد فى حياته اما آثارها بعد مماته فحسبنا ان نتبينها فى فى هـذا الاجتماع وقد تمثلت الامة بمختلف عناصرها وطبقاتها تندب مصابها فى الفقيد العظيم الذى لا تعوض خسارته على ان ذكراه تزيد القلوب ارتباطا والمساعى اتحادا للذود عن الوطن العزيز وحقوقه المقدسة

أحسن الله ثواب من أحسن إلى قومه حياً وميتا .

***

والآن أيها السادة وقد قلت كلمتى عن الاحرار الدستوريين فى الزعيم العظيم بقدر ما يسمح به المقام لا يسعنى الا ان اشير بكلمة عن علاقتى الشخصية به

وقد شرفنى بصداقته عشرين سنة كان لى فيها أباً عطوفاً وصديقاً ودوداً واذا كانت قد هبت علينا عاصفة السياسة الهوجاء فدفعتنا حيناً من الزمن فى طريقين مختلفين فاننا ما لبثنا ان التقينا حيث افترقنا على ثابت الود وسالف الوفاء والاخلاص

ان عهد تلك الصداقة حافل بالذكريات العذبة تمر بخاطرى فتزيد فى حزنى على كل ما فقدته فى شخص الراحل العظيم — فقد كان رحمه الله صادقا فى وده وافيا فى إخائه عظيما فى صداقته شأنه فى كل صفاته

وكان رحمه الله يتذوق الشعر ويطرب له كل الطرب وكان لشعر البارودى أثر بليغ فى نفسه أذكر أنه كان يردد منه بنوع خاص هذه الابيات

خلقت عيوفا لا أرى لابن حرة * على يدا أغضى لها حين يغضب

وانى اذا ما الشك أظلم ليله * وأمست به الاوهام حيرى تقلب

ضربت حفافى طرتية بكوكب * من الرأى لا يخفى عليه المغلب

ان هذه الأبيات التى كان رحمه الله يرددها انما هى فى الواقع صورة حقيقية

لنفسية سعد فالبيت الاول صورة لما تجسم فيه من الاباء والشمم وعزة النفس — والبيتان الآخران صورة لما تحلى به من سداد رأى و بعد نظر وحكمة حلالة للمعضلات وإذا ذكرنا سعداً ومآثر سعد فلا يسعنا الا التنويه بفضل من كانت شريكة له فى جميع أطوار حياته ورفيقة صادقة له فى جهاده — وقد وضع مصابها به اليوم إكليلا على مفرقها تنحنى له الرؤوس اجلالا واحتراماً — فالى تلك السيدة الجليلة الفاضلة أوجه كلمة العزاء وهى كلمة تختلج بها جميع الشفاه وأتوجه اليها بعاطفة الحزن والاسى وهى بحمد الله عاطفة ممزوجة بعزم صادق على ان نسير سيرة سعد لنكمل بنيان ما وضعه من أساس لعظمة مصر ومجدها

رحم الله سعداً عداد مآثره وخدماته لهذه الامة الاسيفة بفقده ووفقها الى تحقيق آماله وآمالها وأجمل لها فيه العزاء

خطبة الاستاذ مكرم بك عبيد

سكرتير الوفد المصرى

فى حفلة التأبين الكبرى

واذن قد مات سعد . . . وهذه الحفلة الحافلة هى حفلة الزعيم فى موته ، أى وربى وحفلته الاولى . . . وهذه الجموع الحاشدة قد جاءت لتسمعه خطيباً محدثاً — لاوربى ، بل حديثا يروى . . . وهذه العيون اللوامع قد ألهبها بريق ناظريه — لاوربى بل حرقة الذكرى . . . وهذا السكون وهذا الخشوع ، وهذا الجلال إن هى الامظاهر العزة والعظمه للعزيز العظيم فينا — لاوربى ، بل ضريبة الموت فرض على كل مصرى أن يؤديها مرة بعد أخرى . . .

فقد مات من كان حيا فى كل قلب وأصبحت حياته شيئاً يبلى . . . وقد

سكت من كان ناطقاً فى كل لسان ، وأصبح الـكلام فيه دمعاً يسجى . » .

مات سعد

سيداتى وسادتى

لقد دارت دورة الشؤم فشاءت أن أرثى سعداً باكياً نائحاً وقد اعتاد لسانى ألا يذكره إلا شادياً صادحاً فسامحونا اذا ألح بنا الألم فضاقت عنه ماقينا فقد حرمنا حتى سلوة البكاء عليه فى منيته وحتى نظرة الوداع الى جثته وحتى خطوة التشييع فى رحلته . وقدكان والله يحنو على أشخاصنافى محبته و يبكى على أمراضنا فى رحمته ولا يبغى بنا بديلا فى غربته

ولـكن قضى الله ان يموت سعد فلم يبق لنا من حياته الـكثيرة الغزيرة المنهمرة سوى قطرة ماء تجود بها العيون فتسكب حتى تبل بها الاكف فتحجب

إذن قد وقعت الواقعة التى طالما هادنا عليها القدر وانتزع الموت فى لحظة من ضنت به الاجيال متعاقبة وتعبت فى صنعه وصوغه العظائم والعبر فـكان لها عوناً على الدهر وكان هو المدخر

إذن قد نفذ السهم وحم القدر فى ذلك الذى كنا الى الامس نتادى أنه اذا انطلق اليه السهم رد وانـكسر واذا التطم الموج بصخره عج وانحسر واذا إمتدت اليه يد الحوادث ارتد القدر

عجباً هل تطاول القبر الى من كان فوق هامات البشر أم أن تلك العظمة الشامخة لما لم تجد علواً ترتفع اليه قد تواضعت فتدانت حتى ذاك المستقر سبحانك ربى ، بل قد أردت فقدرت ، فمنك الوجود واليك المفر

كيف يرثى سعد

أيها السادة

ان أبلغ مايرثى به ميت دمعة كريمة تبدى له خفية لا كلمة منمقة تبذل للناس جهرة فتلك للميت العزيز وحده وهذه للاحياء من بعده ولكن جرت عادة الاحياء والحياة لا تعرف يأساً — أن يغالبوا الموت حتى بعد ظفره، عسى أن ينتزعوا بعض الحياة من الميت العزيز ولو فى قبره فاذا لم يظفروا ولن يظفروا بحياة فقيدهم ظفروا بحياة ذكره . وبهذا تنتقم الحياة لنفسها وتسترد بعض حقها وفى هذا رحمة من الله الذى يميت ويحيى ويفجع ويعزى

لذلك لايليق أن يؤبن فى سعد الا مافقدناه فيه، وهو شخصه أما عمله أما ذكره أما أثره فهذه أمور ليس للموت سلطان عليها ولايصح أن تكون محل تأبين أو رثاء بل هى من عناصر الحياة والبقاء وكلما عظم الميت عظم ذكره وضرب بسهم فى الحياة بعد موته بهذا يمتاز العظماء حتى فى موتهم فان العظيم هو الذى يولد من عناصر الفناء فى شخصه عوامل البقاء فى بيئته فاذا مات لنفسه عاش لغيره

عظمة شخصه

وأعجب مافى عظمة سعد أن عظمة شخصه امتزجت بعظمة المجموع إلى حد أصبح من المتعذر معه على بعض الناس أن يدركوا هل هو يعطى أم يأخذ وهل يوحى أم يوحى اليه غير ان الواقع الذى لامرية فيه والذى يتمشى مع طبيعة الاشياء انه كان يتبادل العظمة، مع أمته، فكانت، تعطيه ويعطيها، وتنميه فينميها

غير ان العظمة قتالة لشخص العظيم وان كانت مصدر حياة لبيئته إذ العظيم من عظمت تضحيته وفنيت فى سعادة المجموع سعادته ولقد كان سعد عظيما فاختصته

العظمة ببلواها كما اختصته بمزاياها واجتمعت فيه آلام أمه كما اجتمعت فيه آمالها

ولم يكن الرئيس بغافل عن تكاليف تلك العظمة وثمنها الباهظ فقد كان والله يدفع ذاك الثمن مقسطاً على سنى شيخوخته ومحتسباً على منيته فكانت لا تمضى سنة إلا ويؤدى ما فى ذمته من تضحية لبلاده ، مقاسياً آلام النفس والجسم من اساءة وامتهان وتشهير إلى اضطهاد ونفى ومرض إلى أن حانت منيته فسقط فى حومة الوغى دون أن يسقط علم الجهاد من يده

ولا أرانى فى حاجة إلى التدليل على عظمة سعد فقد أحنى الخصوم قبل الاصدقاء رؤوسهم لها ، واعترفوا له ميتاً بما أنكروه عليه حياً ولا بدع فالموت ميزان الحقائق لان حقيقته هى الحقيقة البشرية الوحيدة التى يصح أن تسمى مطلقة لا تشوبها ريبة ولا تحوطها شهوة

وليس أبعد عن قصدى من أن أحاول تحليل عظمته فالعظمة لا تحلل إلى عناصر أولية كالمادة إذ من مقتضيات التحليل أن نرجع الامور إلى نصاب مشترك ومستوى واحد بينما العظمة هى التفرد والنبوغ والخروج عن نطاق المألوف والتسامى عن مستواه

ثم ان العظمة قبس من نور الله لا يفترض لانه يوجد ولا يفهم بل يرى ولا يفكر فيه بل يحس به وقد كان يكفى أن نرى سعداً ونسمعه لنحس إحساساً يكاد يكون ماديا بتلك الشخصية العظيمة المنبعثة من كل حاسه فيه فتارة يبرق بها نور عينيه وأخرى تسكن بها كبرياء ملامحه وتارة يهدر بها صوته ويثور بها غضبه وأخرى يجل بها صمته ويلين بها عذب ابتسامته وتارة تتدفق بها حماسته وأخرى تضن بها وداعته وتارة يجيش بها قلبه وينطلق بها خياله وأخرى يدق بها منطقة ويستوى بها اعتداله وتارة يجللها مشيب رأسه وأخرى يزينها شباب قلبه وصفوة القول فقد كانت عظمته ناراً ونوراً وفكراً وشعوراً وقوة فى وداعة وسكوناً فى حماسة

هذه مظاهر عظمته أما العظمة فى لبها وجوهرها فهى سر الهى إذا تكشفت لأعين الناس جميعاً لم تعد سراً وإذا كانت فى متناول كل انسان لم تعد عظيمه

ولكن إذا لم يكن كل إنسان عظيما ففى مقدوره ومن واجبه ان يكون أميناً واذا لم يكن نبيا فمؤمناً وإذا لم يكن قائداً فمجاهداً وإذا لم يكن كل مصرى سعداً فمن الشرف ان يكون مصريا

قوة الخلق وقوة العاطفة

أيها السادة لا يتسع وقتكم ولا يمتد بى بفكرى الى الالمام بشخصية سعد فى جميع نواحيها ولكنى اقتصر على سرد بعض صفاته البارزة التى كان لها الاثر الفعال فى حياته العامة شعبيه كانت أم حكومية

ان أظهر مافى سعد انه جمع بين قوة الخلق وحماسة العاطفة إلى حد يكاد يكون معجزاً مع ان الذى الفه الناس فى الحياة انها تضن بهاتين الصفتين النادرتين ولا تجمع بين قوتين هما فى حكم المتعارضتين فاذا ما حبت الحياة شخصا بقوة العاطفة لم تعطه من قوة الخلق ما يعدل القوه الاخرى بل ترجح الواحدة على الاخرى حتى لا تصطدما. فتتلاشيا هذه قسمة الحياة .وقد اجتزأ الناس بهاوقنعوا بنصيبهم منها فاعتبروا عظيما من اختص بقوة العاطفةوسمو الخيال .أو من اختص بقوة الشكيمة ورجاحة الرأى

ولكن سعداً جمع بين العظمتين ووازن بين القوتين المتعارضتين فكانت عاطفته تثور وعقله ينظم وخياله يصور وفكره يدبر وحماسته تبذر وسياسته تحصد

واننا اذا نظرنا الى أى صفة من صفات سعد ، وتتبعنا تطوراتها رأينا هاتين القوتين المتعارضتين فى غيره متساندتين فى شخصه ، يشد بعضهما بعضاً

شجاعة قلبه

خذوا مثلا شجاعته لقد كان شجاعا فى عاطفته شجاعا فى رأيه

أما شجاعة عاطفته أو شجاعة قلبه فلم تكن الشجاعة الشعرية التى يولدها الخيال شعراً فتحسبها النفوس شعوراً ولا تلك الشجاعة الموسيقيه الطروبة التى لا تستحث

الا اذا دق لها المطبلون وتحمس حولها المتحمسون

كلا بل كانت شجاعته هادئة ، مطمئنة بصيرة بعواقب الامور تقدر الخطر قبل وقوعه ، وتقدم عليه مفتوحة العينين ، ثابتة القدمين من غير ماخلاء ولا حذر، فاذا ماوقع الخطر فعلا تسامت فوق الخطر

وانى لاضرب لحضراتكم مثلين من أمثلة عديدة ، تصور لكم تلك الشجاعة التى بلغت حد البطولة

عند تكوين الوفد كانت الحركة فى عنفوان قوتها ، وكان الوفد على رأس الحركة ، وسعد على رأس الوفد فكان إذن موضع الشرف والخطر ، و بين الصدر والقبر، ولم يكن سعد ليجهل هذا الخطر القريب إذ لم يكن خافياً على أحد ، فتقدم الى زوجته وشريكة حياته ، وعلى شفتيه ابتسامة تلوح هازئة لولا جد عينيه ، وقال لها « انى باقدامى على ما أنا مقدم عليه قد وضعت رأسى فى يمينى » فأجابته : « وضع رأسى أنا فى شمالك »

منذ ذلك اليوم الذى تعاهد فيه الزوجان الحبيبان على حب مصر والموت من اجل أبنائها منذ ذلك اليوم الذى تحركت فيه أحشاؤهما لذلك الحب المقدس أصبح الزوج أبا والزوجة أماً فكان هو ابو الشعب وكانت هى أم المصريين

أما المثل الثانى الذى تجلت فيه بطولة سعد وشاركته فيه أيضاً شريكة مجده وآلامه فكلكم تعرفونه وقد قرأتم وسمعتم عنه . أعنى به نفيه الى سيشل وقد كنا

كلنا متحمسين للرفض وللنفى من بعده أما هو فكان يسمع ويفكر ويزن ولا عجب فقد كان النفى بالنسبة لنا نحن الشبان أول خطوة الى المجد أما بالنسبة له فقد كان آخر خطوة الى القبر وكان يعتقد وكنا نعتقد معه انه لن يرجع من نفيه حياً وبالرغم من كل ذلك قبل سعد طائعاً مختاراً أن يتحمل النفى وما يأتى به النفى وما أن قيل حتى انطلقت حماسته يغذوها قلبه ويحدوها فكره وأملى على التاريخ تلك الكلمات الخالدة « سأبقى فى مركزى مخلصاً لواجبى وللقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفراداً وجماعات »

ثم نقلنا المعسكر البريطانى فى السويس فوجدنا الرئيس فيه ثابتاً كالصخر ضاحكا كالقدر ، بينما كنا هناك جاءه خطاب من حرمه المصون وتصادف أن كنت واقفاً بجواره ورأيته يقرأ خطاباً والدمع يترقرق من عينيه فغادرت مكانى احتراما لحزنه ، ولكنه استوقفنى وقال : « أتعرف ما تقول انها ترى واجبها نحوى ونحو مصر يقضى عليها أن تبقى فى مكانى لتواصل عملى وتحتفظ باسمى وتسعى الى غسل الاهانة التى لحقت البلاد بنفيى فما قولك فى هذا » ولكنى لم أجبه مباشرة بل تخيلت تلك الزوجة المحبة التى كانت تدفع الجنود عن زوجها وترجو فى لهفة أن يأخذوها معه ، ثم تخيلتها تكتب ذلك الخطاب لزوجها وهى تقطع بيدها نياط قلبها وتشرب الكأس حتى ثمالتها حباً فى زوجها وأملا فى تقريب عودته واستبقاء مجده . . .

أحسست بكل ذلك فأكبرت تلك التضحية التى لا تقدر عليها سوى المرأة وأجبت بدون تردد محبذاً قرارها مكبراً تضحيتها ولا زلت أذكر الى الآن ذلك النور الذى شعت به عيناه الدامعتان وقوله فى حزم وشجاعة « نعم حسناً فعلت وسأكتب لها محبذاً رأيها »

مرحى أيها البطل فقد كنت أهلا لها وكانت أهلا لك

انتقل بكم الى سيشل واذكر لكم مثلا ثالثاً وان وعدتكم أن لا أعدو المثلين

ولكن الحديث ذو شجون وان لنا فى الذكرى عزاء وإن كان عزاء مراً . كنا فى ليلة من ليالى يولية سنة ١٩٢٢ وكان الرئيس متعباً مريضاً منذ أيام وكانت قلوبنا هلوعة عليه فتركنا بعد طعام العشاء على أن ينام مبدراً عسى أن يختلس لنفسه ساعة من الراحة إذا كان لا ينام أكثر من نصف ساعة طول ليله و بينما نحن نتأهب لدخول مخادعنا اذا بالرئيس يخرج الينا فاقد النطق محتبس التنفس وهو يكاد يشرف على الموت . ولا تسل كيف قضيناها ليلة سوداء نغالب الموت فيها ويغالبنا حتى انجلى وجه الصباح و بدأ الرئيس يسترد بعض قواه فاذا به يطمئننا على نفسه و يؤكد لنا انه لا يخشى الموت فى سبيل بلاده ، وأن فى موته فى منفاه حياة لامته ولم تكن هذه مجرد ألفاظ ، إذ ما لبثنا أياما حتى وزنت الفاظه بميزان الحوادث وامتحنت شجاعته امتحاناً ما كان أقساه لولا انه لاقى صخرة لا يلين جامدها . . . .

فقد كان سعد لا يزال مريضاً وقد جاءه تلغراف يعرض عليه أن يتنازل عن الاشتغال بالسياسة فى مقابل نقله الى فيشى بأوروبا فى أقرب فرصة

صوروا لانفسكم ما كنا فيه وما كنا نعانيه وتخيلوا شيخاً مريضاً فى منفاه يرى فى هذا النبأ باب الفرج بل باب الحياة ثم تأملوا جوابه فقد كان جوابه أخيرا جوابه أولا ، وهو الرفض بإباء وكبرياء

ان للقوة أن تفعل به ما تشاء وقد فعلت وللمنية أن تهدد حياته وقد هددت ولكن للامة كرامة وقد حفظت وديوناً وقد أديت

شجاعة رأيه

بقى لى أن احدثكم عن شجاعة رأيه وهى أيضاً ظاهرة من قوة اخلاقه وحماسة عاطفته وقد تجلت هذه الظاهرة فى صراحته وصلابته وهما صفتان متلازمتان لسعد فى جميع أدوار حياته وعليهما بنيت أسس مجده

لقد كان رحمه الله حراً فى رأيه حراً فى ميوله حراً فى كل شئ فيه كأن الحرية جزء من طبعه وكان يكره التصنع فى الحديث والتكلف فيه يكره أن يتقيد بنظرية دون العمل بها أو بعمل دون النظر ، بل كان يتخير من النظر والعمل ما تمليه عليه حرية رأيه وما يراه صالحاً لخطته

ولا أحدثكم عن تلك الصراحة المتدفقة فى أحاديثه وخطبه وأعماله فقد كانت تتدفق فى كل شئ حتى فى ضحكته وفى نظراته وكنت تحس أنه يحب الصراحة ولا يخشاها أى انه صريح لأنه حر ولأنه شجاع

ولقد كان صراحته وحرية رأيه وصلابته فى الحق من الهبات التى حباه الله إياه فوهبها لأمته خالصة لوجهها ولذلك إذا تتبعتم سعداً فى حياته العامة وجدتم أن الشاب الذى قادته صراحته إلى السجن فى الثورة العرابية هو الوزير الذى كان يقف بالموظفين من الانجليز وقفه الرجل الشاعر بكرامته حتى قال عنه اللورد كرومر تلك الكلمة الكبيرة « ان سعد باشا علمنى كيف أحترمه » وهو الزعيم الوطنى الذى وقف فى جمعية الاقتصاد والتشريع تلك الوقفة الرهيبة معلناً فى صراحة الحق بطلان الحماية المفروضة على مصر وهو هو الرجل المسئول الذى كان فى مفاوضاته مع الانجليز يخاطبهم مخاطبة الند للند والحر للحر

ولا حاجة بى لأن أعدد مواقفه فى ذلك الصدد فهى تجل عن الحصر وأغلبها منقوش على قلوبكم ولكنى أذكر لحضراتكم موقفه الاخير مع المستر ماكدونالد مما قد لا يكون معروفا للجمهور ومما يصح اعلانه وقد أصبح فى حوزة التاريخ . . .

ذهب سعد الى لندن مدعواً للمفاوضة معه وقبل الميعاد المحدد بيوم واحد وصله خطاب من المستر مكدونالد يشير فيه إلى أن المفاوضات ستدور بين الطرفين على أساس تصريح ٢٨ فبراير وانه من الواجب ان لا تتعدى النقط المحتفظ بها فى ذلك التصريح فما كان من الرئيس إلا أن رد عليه بصراحة وشمم أنه يرفض أن

يدخل أى مفاوضة مقيد اليدين وأنه يجب أن تكون المفاوضات حرة من كل قيد أو شرط فانتهى الامر بقبول المستر ماكدونالد ذلك المطلب العادل ودارت المفاوضات بالطريقة التى عرفتموها

أما عن بقية صفاته وأخصها قوة ايمانه وثباته ونزاهته وأمانته فى القول والعمل ووفائه لاخوانه وغفرانه لخصومه ودماثه أخلاقه وجميع ما اتصف به الراحل العزيز من فضائل فهى كلها أو جلهامتفرعة من الصفتين البارزتين فيه أى قوة خلقه وقوة عاطفته وليس فى الوقت متسع لتفصيلها

مقدرته السياسية

ولكنى استميحكم عذراً فى الكلام عن مسألة وضعها بعض الباحثين من الاجانب موضع البحث وهى مقدرته السياسية

هل كان سعد رجلا سياسياً أم كان مجرد زعيم شعبى أو وطنى . . وبعبارة أخرى هل كان سعد قديراً فى السياسة كما كان قديراً فى غيرها

أما عن السياسة الكبرى فنعم وأما السياسة الصغرى فلا

لقد كان سعد رجلاحكيمامدبراً و زاناً للامور بصيراً بعواقبها وكان ككل رجل قوى يسيطر على الحوادث ولا سيطرة لها عليه وفى هذا كان سياسياً كبيراً ولكنه كما قال عن نفسه لم يكن رجل دس ممن يعملون فى الظلام ولا رجلا متقلباً ممن يميلون مع كل ريح ولا رجلا خنوعا مما ينحنون أمام الامر الواقع ويستسلمون لحكم الحوادث ولا رجلا هلوعاً ممن تنحصر مهارتهم فى مجانبة الصدمات دون ملاقاتها وجهاً لوجه ، وفى هذا كله لم يكن سعد سياسياً صغيراً ، فكان لايقيم وزناً لامر وجب ، ولم يكن لينتظر الحوادث بل كان سباقاً اليها ، ولم يكن ميالامع كل ريح ، بل كان هو العاصفة التى تكتسح ما فى طريقها ، ولم يكن رجلا مخاتلا ، بل كان يحارب خصمه وجها لوجه ولا يأنف أن يمد اليه يد الود

اذا أنس منه وفاء

هذا هو سعد السياسى الكبير الذى اعترفت له الصحافة الانجليزية بالفضل الاكبر فيما نالته مصر الى الآن من حرية ودستور ، والذى أدار دفة البرلمان والحكومة بحكمة ومهارة فائقتين ، وكانت كل كلمة تصدر منه فى بيت الامة يرن صداها فى الدارين وتخترق البحرين

فهل لا يعد سياسياً كبيراً ذلك الذى تحطمت منذ ثمان سنين على صخره كل سياسة فكان اذا تكلم يقول « انا الامة والامة أنا »

الائتلاف

غير أن أشهى ثمرة من ثمار سياسته هى ثمرة الائتلاف ، ان تاريخ الائتلاف لم يكتب بعد ، ولكن مما لا ريب فيه أن سعداً كان مركز الدائرة فيه ، وان كان الفضل فيه موزعا على المؤتلفين جميعاً

ولقد عرف سعد بحكمته وسياسته ، التى اتفقت فى ذلك مع سياسة الاحزاب الاخرى ، أن يجمع بين الاحزاب دون المساس بمركزه ومركز حلفائه من الوجهتين الشعبية والسياسية

والمعروف فى كل ائتلاف انه يبنى على التوفيق بين المصالح المتناقضة وعلى شىء من المساومة فى المبادىء أما ائتلافنا فقد بنى على المصلحة المشتركة بين الاحزاب التى لا تحتمل مساومة أو مناقشة ، وهذه المصلحة هى التى لا حياة للامة من دونها وهى الدستور

لست أغلو ، فانه اذا كان الاستقلال هو مظهر وجودنا أمام الاجانب ، فالدستور هو مظهر وجودنا أمام أنفسنا ، واذا جاز لنا من باب التجوز أن نسكت على عدم احترام الناس لنا ، فلا يجوز مطلقا أن نجرد من احترامنا لانفسنا . . .

كيف بكى الناس سعدا

أيها السادة: مات سعد فبكيتموه أحر بكاء، وبلغتم فى أحزانكم الى أعماق لم تصل اليها أفراحكم، فأى شئ عجيب هذا الذى تضيفونه الى سجل عجائبكم؟...

ليس عجيباً أن يبكى سعداً أولئك الذين اتصلوا به صلة القرابة والود، فقد بكوا فيه أباً رحيما وصديقاً حميما، ولكن سعداً لم يبكه أصدقاؤه فقط بل بكته أمة بأسرها فكيف أولئك الذين لم يتصلوا به ولم يعرفوه حتى ولم يروه رأى العين،... ماالذى أوجع هؤلاء الاطفال الصغار وهم بعد فى مرح الحياة فأبكاهم. ومن ذا الذى لقنهم انهم فقدوا أباهم... وما ذا دهى أولئك المارة الوالعين فاندفعوا الى نعش سعد يحتضنونه ويختطفونه، وما الذى أوحى اليهم أنهم يحبونه وقد كانوا من قبل لايعرفونه...

لعلهم بكوه لانه كان عظيما فى أمته؟ كلا، فالعظيم يعجب به، ويصفق له وقد يؤسف له اذا مات ولكن لايبكى عليه، بل لا يبكى الناس الا حبيباً أو قريباً

اذن لامناص من القول بان الناس بكوا سعداً لانه كان لهم حبيباً، ولكن كيف أحبوه؟

انما أحب المصريون سعداً لانه فكرة سامية هى فكرة الوطنية المقدسة قد تغلغلت فيهم ورسخت فى اذهانهم، فصارت حبيبة إلى قلوبهم، ثم تماثلت الفكرة فى سعد، وانتهى الامر بان أصبحت الفكرة شخصاً يحب فى حياته ويبكى عليه فى مماته

ان الامة التى بلغت بها الوطنية مبلغ الحب فبكت على الفكرة فى شخص ممثلها، لهى أمة عظيمة حقاً، كما أن الشخص الذى رؤى أهلا لتمثيل تلك الفكرة السامية هو عظيم حقاً، فاذا مات ممثل تلك الفكرة بقيت حية فى الامة التى أوجدتها

ان سعدا لم يمت

ولكن ما ذا أقول ؟ أن لوعتنا على الانسان فى سعد قد انستنا سعداً فى خلوده وهو الذى احببتموه وجاهدتم تحت لوائه

ان سعداً هذا لم يمت ، بل قد بدأت لانهايته ، ان سعداً هذا لم يمت ولن يموت الا اذا قتلتموه بأيديكم

فلا تسفكوا الدمع ياسادتى ، ان سعداً الذى احببتموه حى فى قلوبكم لانكم لا زلتم تحبونه ، وحى فى ذاكرتكم لانكم مافتئتم تذكرونه ، ولكنه يموت حقاً فى اليوم الذى يموت فيه حبه وذكره فى نفوسكم حينئذ — وياويلنا ان حان هذا الحين — حينئذ غطوا وجوهكم واندبوا سعداً واندبوا معه انفسكم ، فقد قتلتموه وقتلتم الخلود فيكم

ولكن قد يقال ان المصريين احبوا سعداً وسيحبونه دائماً فلا محل للتخوف من موت ذكراه بعد ان بكاه افرادهم ، ورثته جرائدهم ، وأبنه خطباؤهم ، وخلد اسمه تاريخهم . . فأى دليل أبلغ من هذه الادلة على مبلغ حبهم له . فاذا كان هذا مبلغ حبكم لسعد فدعونى اطمئنكم بانه فى غنى عن مثل هذا الحب الهين الذى لا يكلفكم سوى دمعة تسفكونها وكلمة تقولونها ونصب تقيمونها ، دعونى أصارحكم بأنكم بمثل هذا الحب لاتحبون سعداً بل تحبون زهوكم فيه ولا يبكيكم فقده فقد سلوتكم فيه

تخيلوا رجلا له صبية صغار يتضورون جوعا وعريا ، وبدلا من ان يسعى لكسب قوتهم لايجد برهانا على محبته لهم الا أن يقعدمعهم ويبكى بينما الاولاد يجوعون ، انه يبكى وغداً يموتون

لا ياسادتى ان المحب الحقيقى يبكى ولا يعرف فقلا ، ويتألم ولا يفقد أملا ، ويذكر فيحيى بالذكرى عملا ، فمن أحب سعداً فليتمم عمله ، بهذا يخلد سعد فى

ذكره ، وبهذا تطمئن عظامه فى قبره

ان الوطنية الحقة هى الوطنية العاملة ، ولقد قيل لكم قولا كريما ان الاعمال بالنيات وهذا هو حق ، ولكن من الحق أيضا أن تقول ان النيات بالاعمال ، فالحياة جهاد لا يعيش فيها إلا الباقون الى العمل ، فمن نوى وعمل عاش وتضاعفت همته ، ومن نوى ولم يعمل مات واحتسبت عليه نيته

الى العمل

أيها السادة : ان وطنيتكم ، بل ورجولتكم فى ميزان القدر . لقد مات سعد فهل مات رجل فى الامة أم ماتت الامة فى رجل ، وهل أصبحتم بعد موته حيارى ، فرادى ، لا يستقر لكم أمر ، ولا يجمعكم شمل . . وهل بلغت نكبتكم فى سعد مبلغا نكبتم معه فى أنفسكم وهل كنتم به عظماء أم كان عظيما بكم ؟

تلك أسئلة يرددها خصومكم بل وأصدقاؤكم وينصت التاريخ ليسمع بشأنها جوابكم . ولقد أجبتم اجابة الانفة والكبرياء بلسان وفدكم فكانت اجابته حازمة بجدكم ، رصينة بحكمتكم مطمئنة بثباتكم ، فالى العمل ، إلى العمل ولتكن حماستكم عملا لا كلاما وليكن شعاركم سلاما لا استسلاما .

. . . مات سعد فعزاء لك ياسيدتى (مخاطباً حرم الرئيس) فقد عوضك الله عن زوجك بأولادك ، وعزاء لك أيتها الامة الكريمة ، فان نهضتك التى سرت اليها ماء الحياة من عروق الصغار من شهدائك ، لن تزداد إلا حياة فى موت شهيد ، هو أعظم الشهداء فخراً ، وأصفاهم طهراً ، وأكبرهم أجراً

سلام على سعد فى قبره ، سلام عليه فى ذكره ، سلام عليه فى شريكته ، سلام عليه فى خليفته ، سلام عليه فى أمته

خطبة الاستاذ عبد الحميد بك سعيد

وكيل الحزب الوطني

فى حفلة التأبين الكبرى

قضى سعد ولا مراد لقضاء الله ، قضى الزعيم الكبير ، قضى القائد العظيم قضى فقيد مصر والشرق فصبر جميل وانا لله وانا اليه راجعون . « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم » مضى رجل الكفاح مضى الخطيب الذى طالما هز أعواد المنابر وتملك القلوب ببلاغته وسحر بيانه فجزعت مصر بل جزعت شعوب الشرق المظلومة من هول المصاب . فقد كانت نهضتنا القومية موقظة الشعور منبهة للوحدة القوميـة فى كل بلد مهضوم حقه مغلوب على أمره فانا لله وانا اليه راجعون ؛

لقد اجتمعت فى الفقيد العظيم صفات يندر أن تتوفر فى زعماء الامم وقادتها لذلك كان رزء مصر عظيما ومصابها جللا . فقد كان رحمة الله عليه خطيبا لا يبارى متوقد الذكاء قوى الارادة جبارها كبير النفس مهيباً صبوراً على الشدائد قوى التأثير جذابا

ابتدأ الفقيد العظيم جهاده العنيف فى سبيل قضيتنا المقدسة من يوم أن وضعت الحرب أوزارها واستمر يكافح ويناضل بعزيمة لا تعرف الكلال ولا يتسرب اليها اليأس حتى اختاره بارىء السموات الى جواره ورجعت نفسه المطمئنة الى ربها راضية مرضية

هبت مصر على بكرة أبيها بعد الحرب العامة تلك الحرب الضروس التى أكلت الاخضر واليابس . هبت تنادى بحقها المغصوب لما ان يئست من عدل خصومها

فاصبحت الامة بركانا يقذف بالحمم . تقدم سعد فنظم الصفوف وجمع القوى وكدنا نصل الى غايتنا وندرك غرضنا لولا فتنة أيقظها خصومنا فلما تحققوا أن الامة جادة لاهازلة وان الحملة صادقة والرمية مسددة أخذوا يعالجون الامر باللين طورا وبالشدة أحيانا . وقد نال سعداً من الاذى شيء كثير ولكنه تحمل ذلك بكل شجاعة وصبر فلم يهن ولم يضعف وتكللت جهود النهضة الوطنيـة بكثير من النجاح تلك النهضة التى أنبتها مصطفى وتعهدها فريد وغذاها سعد فكانت سلسلة حلقات متصلة بعضها ببعض وستمتد بمشيئة الله قوية متينة الى أن تظفر الامة بكامل حقوقها وتمام حريتها

انتخب سعد لرئاسة المجلس فكان رئيسا حازما خبيرا بتصريف الامور وقد ضرب المثل الاعلى فى المثابرة على العمل بقوة تفل الحديد . ورغما من اعتلال صحته وكبر سنه كان يبدى من النشاط فى الجلسات خصوصا جلسات الصيف الطويلة المملة مايستحق الاعجاب ويبعث الهمة والعزيمة فى نفوس النواب

لقد فقدت مصر سعدا وهى أحوج ماتكون الى آرائه الثاقبة السديدة وهمته الوثابة وخطبه التى كانت تزكى نار الوطنية فى القلوب وأن ننس لاننس نداءه الذى يقول فيه

« يحاول الاقوياء بجميع الوسائل أن يأخذوا منكم رضاء بحمايتهم ليزدادوا قوة الى قوة ويزيدوكم ضعفا فلا تنخدعوا اذا خدعوكم ولا تخافوا اذا هددوكم واثبتوا على التمسك بحقكم فى الاستقلال التام فهو أمضى سلاح فى أيديكم وأقوى حجة لكم »

« انكم متأكدون ان حقكم سيعلو على باطل خصومكم وانكم ستفوزون باستقلال بلادكم وسيكون فوزكم فوزا كريما وما دام هذا المصير مصيركم فكل تعب راحة وكل ألم لذة وكل فداء رخيص »

« انكم أنبل الوارثين لاقدم مدنية فى العالم وقد حلفتم أن تعيشوا أحرارا

أو تموتوا كراما فلا تدعوا التاريخ يقول يوما فيكم اقسموا ولم يبروا بالقسم فلنسر اذاً بقلوب كلها اطمئنان ونفوس ملؤها استبشار . شعارنا الاستقلال التام أو الموت الزؤام »

سادتى

لقد كان الحزب الوطنى متفقا مع الوفد تمام الاتفاق فى الغاية ولم يكن هناك خلاف الا فى الوسائل اما ما كان يقع من المشادة بيننا أحيانا فلم يكن مطلقاً أساسه العداوة والكراهية ولكنها المصلحة العامة والدليل على ذلك انه كان ينصر سعداً كلما وقع عليه اضطهاد، كما انه أيده بكل قوة يوم رشح نفسه للجمعية التشريعية وأعلنت عليه السلطات حربا عوانا ولما رأى الحزب الوطنى اعتداء الحكومة على الدستور وعلى حقوق الامة المقدسة مد يده الى باقى الاحزاب للدفاع عن تلك الحقوق وعن كرامة الامة

سادتى

ان الساعة رهيبة وجو السياسة مكفهر وان الخصم لقوى عنيد وسيعجم عودكم عن قريب مرة أخرى فحذار من أن يجد فيه مغمزاً انه لاسبيل للفوز فى جهادنا المقدس الا بتوحيد الكلمة وضم الصفوف ونبذ كل خلاف شخصى « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وليكن شعارنا ماوصى به الزعماء الراحلون: الاستقلال التام لمصر والسودان

وان الحزب الوطنى ليقدم خالص العزاء لاسرة الفقيد العظيم ولاخوانه السعديين. ويشاطرهم الحزن والاسى فان المصاب مصاب الامة جميعها . وفى الختام ابتهل الى المولى سبحانه وتعالى ان يتغمد الفقيد العظيم برحمته الواسعة وأن يجزيه عن الامة المصرية خير الجزاء انه هو السميع المجيب

خطبة الاستاذ ابراهيم بك الهلباوى

فى حفلة تأبين الفقيد العظيم فى الجيزة

نسألك اللهم يامن اقتضت حكمته أن يجعل لكل أجل كتابا وكتب على كل نفس الموت اذا جاء أجلها أن تمد برحمتك روح فقيد مصر وزعيمها وأن توفق خلفاءه الى السير فى الطريق الذى اختطه لوصول هذه البلاد الى تحقيق غايتها

أيها السادة

تشعر نفوس الاحياء عند ما تمر بمقابر الموتى بين تلك الخلائق الصامتة بجو مملوء بالرهبة والجلال ونحن اليوم وان كنا مجتمعين فى بقعة من الارض على بعد من ضريح الفقيد نحس جميعاً باننا محاطون بهذا الجو المملوء رهبة وجلالا

وفى ظنى أن هذا الجلال مخيم على رؤس جميع الذين يجتمعون فى هذه الساعة فى بقع مختلفة من أرجاء القطر لتخليد ذكرى الفقيد والتوجع على فقدانه

وليس غريباً أن نرى أنفسنا محاطين بهذا الجلال ننا وان بعدنا عن ضريحه المؤلف من بضعة الاحجار نحس كأن قلب كل منا تحول الى قبر استقرت فيه نفس الفقيد بطهرها وجلالها فمهما كنا وأينما سرنا نبق متصلين بهذه الروح واذا طلبنا لها مرة الرحمة والرضوان نلتمس منها الف مرة أن تمدنا بتلك القوة التى كانت عونا لكل مصرى على تحمل مشاق الجهاد فى خدمة الوطن والاستعداد لتضحية كل غال فى تحقيق مطالبه

أيها السادة

وصلنى نعى الفقيد بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٤ أغسطس وانا فى بلاد نائية (نيويورك) وقد وجدت القوم هناك من صحفيين وسياسيين يذكرون فى صحفهم ومجامعهم سيرة الفقيد بما يستحق من التعظيم واعتباره من عظماء رجال هذا

العصر حتى أن نحو المائتى صحيفة من صحف الولايات المتحدة الكبرى خصصت مقالها الافتتاحى بطبع صورة الفقيد ونشر ملخص من حياته وقد بعث لى فى اليوم التالى صديق الفقيد المستر كرين سفير الولايات المتحدة فى الصين سابقاً ومن محبى علماء الشرق وأدبائه و بالاخص السيد جمال الدين الافغانى وتلاميذه بقصاصات من معظم تلك الجرائد

كذلك كان عندى دعوة للشاى لبعض أصحابى من نيويورك ومحدداً لها الساعة الخامسة من يوم الاربعاء ٢٤ اغسطس قبل أن يصلنا نبأ المصاب فاعتذروا عن الحضور حداداً على الفقيد وحضرت سيدة واحدة من بين المدعوين فى الموعد المحدد لاخذ الشاى وعبرة تقيمها وعبرة تقعدها . وقالت أتيت لاعزى فى شخصكم الامة المصرية على نكبتها بوفاة زعيمها ولاعتذر بعدم امكانى أخذ شاى اليوم أولا حداداً على الفقيد . وثانياً لانى فى حاجة إلى العودة عاجلا الى منزلى لا كمل قصيدة بدأت فيها رثاء للفقيد كى أتمكن من نشرها فى جرائد المساء

هذه السيدة هى ابنة رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق المستر روزفيلت . شكرت لها هذه العواطف وقبلت عذرها وتحولت حفلة الشاى التى كانت مقامة منى ومن أصحابى هناك الى حفلة عزاء اجتمع فيها النفر القليل من المصريين فى نيويورك ومنهم قنصل مصر فى هذه المدينة وموظفوا القنصلية

أيها السادة

ان حياة فقيدنا جديرة بان ترسم على قلب كل مصرى كصحيفة يهتدى بهديها و يستضاء بنورها . .

وان أبناء الجيل الحاضر وان طارت قلوبهم جزعاً وحزناً على أفول هذا الكوكب الساطع فلن يستطيعوا الوفاء بما عليهم نحو روح الفقيد إلا اذا عملوا على اتباع سيرته والاستمرار فى الجهاد على تحقيق غاية الوطن التى كانت غاية الفقيد

أيها السادة

سار سعد باشا بهذه الامة شوطا كبيراً فى طريق تحقيق رغباتها ولو لم تصب هذه الامة بفقد قائدها أثناء الطريق وخصوصاً فى صيف سنة ١٩٢٧ لتم على يديه بعد مدة قليلة من الزمن . ور بما كان قبل انقضاء هذا العام. كثير من آمالها المحققة لتمام استقلالها وحريتها . ولولا ان شرح النتائج السيئة التى قد تصيب هذه الامة بسبب تلك الخسارة قد يشجع خصومها على الاستخفاف بخلفاء سعد السياسيين وأصحابه لاسهبت فى بيان مقدار هذه الخساره

خسارة الرجال السياسيين فى كل عصر وعنـد كل أمة تقضى الحـكمة بعدم استعظامها بل وعدم كثرة التحدث بها الا بقـدر معلوم وفى ظروف خاصة ولذلك الفت الناس فى كل عصر انه عند مايموت ملك أو عظيم من عظماء الرجال يقترن الاعلان عن موته بالنداء بحياة خليفته

أيها السادة

فقيد مصر تولى زعامتها من أواخر سنة ١٩١٨ و بقى يجاهد من ذلك العهد هو وأصحابه بكل ما أعطى من قوة فى الجسم وحكمة فى الرأس و بلاغة فى اللسان حتى انتقل الى دار النعيم فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧

والناظر الى هذا البلد من جهة الحالة السياسية عند مايقارن ما كانت عليه فى أواخر سنة ١٩١٨ وما سارت اليه فى أغسطس سنة ١٩٢٧ يرى الفرق شاسعاً والترقى واضحاً جداً

نعم بدأت حركة سنة ١٩١٨ وجيش الانجليز يحتل البـلاد وانتهت حياة الزعيم ولا يزال هذا الجيش رابضا فى بعض حصونها ولـكن أوجـه الرقى ودعائم الاصلاح التى تأسست فى هذا العهد القصير أمست سلماً ثابتاً لازالة العقبات الباقية فى طريق الغاية الاخيرة .

أيها السادة

ان هذا المقام لايسمح بتفصيل مانالته مصر فى عهد هذه الزعامة ويكفى أن أشير الى الاصلاح الروحى الاجتماعى الذى تشرب نفوس المصريين أفرادا وجماعات وكان بدونه يتعذر الوصول الى تحقيق الامة واستقلالها

أيها السادة

أرض الشرق معتبرة منذ عصور طويلة مهد التعصبات الجنسية والدينية وأرض الفراعنة كان لها نصيب من هذا الداء الدفين لاتزال بلاد الشرق ملعباً لهذا الصراع الجنسى والدينى فبحكمة سعد وحسن سياسته اقتلعت هذه الشجرة الخبيثة من ارض مصر من نوفمبر سنة ١٩١٨ وأمسى سكان مصر على اختلاف نزعاتهم ومعتقداتهم الدينية اخوة يعملون تحت لواء وطن واحد يحمل رايته سعد زغلول باشا

ولاول مرة فى تاريخ مصر فتحت المساجد والكنائس لابناء الطوائف المؤتلفة لتلقى على منابرها كلمة طالب تحرير مصر واستقلالها

جرت عادة الناس أن ما يشكون منه من العلل ويستعظمونه بعد البرء منه يستصغرون قيمته : فالنزاع الذى اشتد سعيره بين أبناء مصر من الجهة الدينية خصوصاً من سنة ٩١٠ الى سنة ٩١٨ أو شك أن يكتسح امامه كل مادة من مواد التعمير التى تصلح لاقامة بناء استقلال مصر وحريتها ولكن بفضل حكمة الزعيم الكبير تطهرت البلاد من أدران هذه العلة فى مدة وجيزة ورفعت الاعلام منقوشاً عليها الصليب معانقاً للهلال

كرستوف كلومب لما اكتشف قارة أمريكا وبين للناس كيف اهتدى اليها قامت طائفة كبيرة تصغر من هذا الاكتشاف وتزعم انه كان فى مقدور كل راغب فيه أن يصل الى ما وصل اليه كرستوف كلومب ولكن أهل الانصاف لا يزالون يقدرون هذه اليد الحكيمة التى أضاءت أمام البشر قارة يشترك فى التنعم بخيراتها

معتد قد يبلغ عاجلا أو آجلا ربع سكان المعمورة

كذلك أزال سعد بحكمته تلك العلة التى تعاصت فى كل العصور السابقة على رجال الاصلاح من أهل العلم والسياسة وتلك يد لسعد يجب أن نخلد ذكراها . ولو كنت من أهل الرأى فى الصفة البارزة التى يرمز بها فى تكييف تمثال سعد لاشرت بأن يوضع متمماً لهذا التمثال شيخان متعانقان وبيد أحدهما الهلال والآخر الصليب والراية المصرية بيد سعد تظلهما وتبارك فى تآخيهما

أيها السادة

هذه الوحدة أثارت فى نفس المصرى روح المعزة والكرامة فجعلته يستخف بالآلام فى سبيل تحقيق هذه المعزة وهذا الشرف الوطنى . والاجانب الموجودون هنا وفى الخارج ابتدءوا يؤمنون بأن وقت استعباد هذا البلد قد انقضى وان تركهم وشأنهم فى طريق حكم أنفسهم أمرآت لا ريب فيه ان عاجلا أو آجلا

كذلك أيها السادة مما يجب أن يخلد فى سيرة سعد السياسية تلك الروح السامية التى قضت على الاختلافات والمنازعات الحزبية وضمت تلك الاحزاب المؤتلفة الى جماعة واحدة مؤتلفة تحت زعامة سعد ورياسته فاذا ذكرنا لسعد فى أول حياته السياسية توحيد المصريين على اختلاف معتقداتهم الدينية فيجب أن نخلد له تلك الحسنة الثانية وهى توحيد الاحزاب السياسية واقامة صرح شامخ منها للوصول به الى ذروة استقلال مصر ومجدها وان يوم ١٣ فبراير سنة ١٩٢٦ يوم اجتمعت الاحزاب بدار محمد باشا محمود بأعضائها ورؤسائها تحت رياسة زعيمنا الجليل لمن الحوادث الكبرى التى تقلده تاجا ويبقى سناه ساطعاً كلما تذوقت مصر طعم الشرف وطعم الحكم النيابى

أيها السادة

أما حياة سعد وهو صبى وحياته وهو شاب فى معاهد التعليم وحياته وهو موظف أو محام أو قاض أو وزير فتحتاج الى مجلدات

سعد باشا لم يرزق من صلبه لا بذكر ولا أنثى ولكن ما قدمه من التضحية لمصلحة الامة وما أسداه من المعروف لبنيها وبناتها وما أثاره فى قلوب شيوخها وناشئتها من الحماسة والغيرة والاستعداد للتضحية صير ملكا له قلوب الجميع ذكوراً وأناثا وشيوخا وشبانا وصار حنوّهم اليه وتعلقهم بذاته أشد من ارتباطهم بآبائهم وأمهاتهم الحقيقيين وان ما شاهدتموه من الحوادث العديدة التى ظهر فيها الولد بجانب سعد ضد ارادة والده التى سارت فيها البنت أو الزوجة من جنود سعد وأنصار سعد على خلاف ارادة أمها أو أبيها أو زوجها لا كبر شاهد على ان سعدا ملك قلوب الجميع وكان الاعتزاز به يشبه اعتزاز الولد بأبيه والزوج بزوجها

واليوم وأنا أختم كلمتى فى هذه الحفلة أشير وأنا أشكر رجال اللجنة التى قامت بها بأنهم صنعوا خيراً خصوصاً وأن لهم نصيباً خاصاً فى شطر قليل من أيام حياة الفقيد فقد جاء الى مديريتهم وهو فى شرخ شبابه فى أوائل سنة ١٨٨٢ رئيساً لقلم قضايا المديرية ويخال لى ان روح الفقيد وهى ترفرف علينا الآن فى هذا المجتمع تحن الى تلك الايام التى طالما مرت بها فى هذا الطريق ذاهبة وعائدة من القاهرة الى مديرية الجيزه

ثم لا يفوتنى وانا اختم هذه الكلمة أن أتقدم بخشوع واحترام الى تلك الذات التى رافقت زعيمنا فى سرائه وضرائه مدة تربى على الخمسة وثلاثين عاما وهى ذات العصمة حرمه المصون السيدة صفيه هانم زغلول

خطبة الاستاذ جعفر بك فخرى

فى حفلة تأبين الفقيد العظيم فى الاسكندرية

حضرات أصحاب الدولة والمعالى ، سادتى اخوانى

ما ارتهبت موقفاً أرهب من موقفى هـذا لأخطبكم راثياً زعيمنا الاعظم ، بالامس كنا نحتفل بتشكريمه وتبجيله وكانت البلاد من أدناها الى أقصاها فرحة مسرورة برافع لواء نهضتها . فى كل بيت وفى كل ناد سرور وحبور . وكانت لاتمر فرصة على أبناء وادى النيل دون أن يظهروا شعورهم نحوه . فمن وفود تحج الى داره لاعتقادهم ان هناك رمز أمانيهم والمجاهدفى سبيل الدفاع عن حقوق بلادهم. ومن جماعات يحتشدون فى الطرقات وكل أملهم أن يتمتعوا بتلك الطلعة البهية . فان رؤيته كانت تبعث فىقلوبهم الآمال وتقوى عزائمهم وتجدد فيهم روح النهضة الوطنية ومن نسوة يحتشدن فى داره حتى اذا ماطلع عليهن أنشدن قول القائل :

طلع البـدر علينا   من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا   مادعى لله داع
أيها المبعوث فينا   جئت بالامر المطاع

فيؤلمنا كل الالم أن ينقلب هذا الفرح ترحاًوأن يصبح نشيدالسيدات وهتاف الشبابوالشيوخ عويلا وبكاء . ولـكن ماالحيلة وقضاءالله لابدنافذحتى اذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون

تاريخ سعد

سادتى : ان الناظر الى تاريخ سعد من مبدئه الى منتهاه يعلم انه فى كل أدوار حياته كان زعيما فى الوسط الذى كان يعيش فيه فقد دخل الازهر الشريف ومكث

فيه مدة تلقى فى خلالها العلوم الشرعية والمنطقية وكان موضع حفاوة و إعجاب الجميع من أساتذته ألا وهم رحمهم الله : الشيخ محمد عبده ، والسيد جمال الدين الافغانى أشهر فلاسفة الشرق فى عصره كما انه كان محبوبا بين زملائه كل المحبة

ثم عين محرراً بجريدة الوقائع المصرية تحت رئاسة الشيخ عبده وان مقالاته الاثرية التى كان يحررها لتدل على نبوغه وبعد نظره وبعد ذلك عين معاونا فى نظارة الداخلية فناظراً لقلم قضايا الجيزة وكان فيهما مثال الهمة والنشاط — ثم حدثته نفسه الكريمه أن يشتغل حراً فانخرط فى سلك المحاماة التى رفع رايتها وشيد أركانها والكل يعرف مواقفه المشهورة فى الدفاع عن الحق والاخذ بناصر الضعيف وفى هذه الاونة اتهم سعد بالاشتراك فى جمعية سرية (سموها الانتقام) واضطهد وسجن من أجل مبادئه السياسية كما سمعتم من حضرة الخطيب الفاضل الاستاذ الشيخ بشير الشندى

وبعد مازاول مهنة المحاماة بتلك الاستقامة التى يضرب بها المثل وتلك العبقرية النادرة عين مستشاراً فى محكمة الاستئناف العليا وكان فيها عنوان العدل وقواماً للحق بين الناس . ولا تزال احكامه الى يومنا هذا مرجع قضاة العدل والمشرعين .

ولم يلبث مده طويلة حتى ترك منصة القضاء الى مسند الوزارة فعين ناظراً للمعارف العمومية وفى عهده بلغ التعليم اوج المجد وقمة الكمال .

ثم جاءت حياته البرلمانية فكان وكيلا منتخبا للجمعية التشريعية وله فيها مواقف مشهودة يشهد بها الملوان ولايزال يثنى عليها لسان الزمان .

ولما قامت الحرب العالمية أوقفت أعمال الجمعية فاخذ رحمه الله يفكر فى مصير امته والنهوض بمصر حتى تنال مركزها بين الامم الحره . فلما اختمرت عنده الفكرة فى عام ١٩١٨ وساعده على ذلك تصريحات الرئيس ويلسون الشهيره قام سعد ينادى بالحق فى وقت كان النصر فيه للحلفاء ومع هذا لم يثنه النصر عن عزمه بل ظل يطرق أبواب المراجع السياسية والكتابة الى ممثلى الدول الاجنبية . ففزع القوم

هذا فنفوه وزملاءه الى جزيرة مالطه

ولكن ما لبث الشعب ان غضب غضبته المشهورة تلك الغضبة التى كانت سبباً فى الافراج عنه وعن رفاقه الكرام . وظل رحمه الله يجاهد جهاد الابطال فى الداخل والخارج . ولم يكد يسترح قليلا حتى قضى مع صحب كرام الى جزيره سيشل ومنها منفرداً الى جبل طارق ، فعز على الشعب ابعاد زعيمه وظل ينادى بأعلى صوته ألا راحة فى البلاد وهو بعيد عنها حتى اضطرت القوة أن تعيد لمصر رمز أمانيها

الانتخابات النيابية والوزارة

عاد سعد الى مصر وقد أعلن فى البلاد الدستور . وهنالك جرت الانتخابات النيابية وفاز مرشحو الوفد بأغلبية ساحقة فلم يكن بد من توليته رئاسة الوزاره نزولا على حكم الدستور القاضى بذلك . تولى سعد الوزاره ، وما أدراك ما وزارة سعد . انها وزارة كانت تنظر الامة اليها نظرة الجيش الى القائد لا نظرة الطير الى الصائد سار رحمه الله فى تلك الوزارة وكانت باكورة أعماله أن تمكن من إطلاق سراح المسجونين السياسيين الامر الذى أدخل السرور على نفس الامة . وظل فى دست الوزاره يدير دفتها بحكمته وحزمه المعروفين عنه الى ان اضطرت الوزاره الى التخلى عن الحكم لامر يؤسف له كل الاسف

ائتلاف الاحزاب ورياسة مجلس النواب

ثم عطلت الحياة النيابية فرأى قادة الامة وساستها انه يعد من الاجرام ان يعطل الدستور فى البلاد ففكروا فيما يحيى ذلك الدستور بعد تعطيله ورأوا أن أحسن وسيلة لاحيائه والنهوض بالامة هو تكاتف الاحزاب وتوحيد كلماتها وسرعان ما كان . . .

وعليه عقد المؤتمر التاريخى فى الكونتيننتال وخرج الجميع منه والكل مقسم على حفظ الدستور من يد العابثين به ثم جرت الانتخابات وقد فاز فيها مرشح كل حزب من احزاب الائتلاف ولما اكتمل عقد الاجتماع انتخب رحمه الله رئيساً للمجلس بالاجماع

سار سعد بالمجلس سير القائد المحنك وكنا نراه حافظاً للدستور عن ظهر قلب مواصلا العمل ليل نهار ، وكان رحمه الله متحلياً بصفات يندر اجتماعها فى رجل ، منها الحرية التامة فى الرأى ومنتهى الصراحة فى القول ، كان شديداً فى الحق، وله عزيمة وإرادة وقناة لاتلين لغامز ، وكانت آراؤه الاجتماعية والسياسية تناسب كل عصر وجيل .

وكان فوق كل ذلك أبلغ خطيب فى الشرق وقد وهبه الله عبقرية غريبة يرتجل خطبه الرنانة وهى دائما آيات فى البلاغة وسحر فى البيان

وبعد أن انتهت الدورة البرلمانية بسلام قصد الى بعض الاقاليم لترويح النفس من عناء العمل والاستعداد للدورة القادمة ولكن وافاه القدر المحتوم فاختاره المولى لجواره . فانا لله وانا اليه راجعون

موقف الوزارة

ما كاد النعى يشاع فى البلاد حتى رأيت الامة عن بكرة أبيها مجتمعة فى صعيد واحد تبكيه بدل الدمع دماً وقد شاركتها الحكومة فى أحزانها وقامت بالواجب نحو فقيد الوطن خير قيام . إذ كنت تراها سباقة الى تخليد ذكراه . ولا عجب فى ذلك فان حكومتنا هذه من الشعب والى الشعب

موقف السكندريين فى الحركة الوطنية

للسكندريين مواقف مشهودة فى الحركة الوطنية وكانوا دائما فى مقدمة القائمين

بها ولذلك أطلق على مدينتكم هذه اسم (حصن السعديين المنيع) فكانت لكم يامعشر السكندريين مكانة خاصة فى قلب رئيسنا المحبوب . بهذه المناسبة سأتلو على مسامعكم بعض مراسلات وتلغرافات كانت ترد من فقيدنا العظيم الى من يتشرف بخطابتكم

باريس فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٠

حضرة الاستاذ الفاضل جعفر بك فخرى .

وردنى كتابك المؤرخ ٦ ديسمبر ثم تلغرافكم وابتهجت بما دل عليه من شعور ووطنية صادقة وهمة عالية فاشكركم واخوانكم الذين انضموا اليكم وتناصروا على السعى فى اعلاء منار الوطنية ورفع كلمة الامة وانى على يقين بأن هذه الروح الشريفة ماداءت منبثة فى الامة فلا بد أن تصل الى تحقيق مطلبها الاسمى من الاستقلال التام . وان التلغرافات التى تردنى متتالية من جميع جهات القطر بالاحتجاج على وضع الحماية والتمسك بطلب الغائها قبل الدخول فى أية مفاوضة رسمية تملأ قلبى شجاعة واقداما على الاستمرار فى الخطة التى سار الوفد عليها لغاية الآن وأملى فى الله قوى أن تنتهى هذه المآسى بالوصول الى الاستقلال التام انشاء الله   سعد زغلول

هذا وتذكرون الحركة الوطنيــة اقتضت تشكيل لجان فرعية فى عواصم المديريات والمحافظات لمعاونة الوفد فى مهمته العظمى فكانت الاسكندريه كعادتها فى مقدمة القائمين بهذه الحركة وتشكلت فيها على الفور لجنة مكونة من رجال تعرفونهم قطعوا على أنفسهم عهدا بالقيام بكل مايتطلبه منهم الوطن من الخدمات بالطرق السلمية المشروعة . وعلى أثر ابلاغ ذلك للرئيس الجليل شرفنى رحمه الله بهذا الخطاب الذى أتلوه على مسامعكم :

مسجد وصيف فى ٣ أغسطس سنة ١٩٢١

حضرة صاحب العزة الاستاذ جعفر بك فخرى

وصلني اليوم خطاب حضرتكم المؤرخ ٣١ يوليو سنة ١٩٢١ مع كشف بيان أسماء أعضاء اللجنة التي تشكلت في مدينتكم لمساعدة الوفد فيما يطلب المساعدة فيه وتأييد مبادئه وترويجها واني أشكر جميل الشكر جميع حضرات الذين أبدوا رغبتهم في الانضمام اليها والاشتراك في مهمتها . والله أدعو أن يوفق جميعنا لخير العمل وتحقيق الامل سعد زغلول

مكانة السكندريين عند سعد

تذكرون ان المغفور له رئيس الوفد ورفاقه الكرام كانوا مقيمين في باريس يدافعون بكل ماأوتوا من قوة قضيتنا المقدسة ثم صرحت لهم السلطة في أواخر شهر مارس سنة ١٩٢١ بالعودة الى الوطن العزيز . فجاءتنا الاخبار التلغرافية بان سعداً وصحبه سيعودون الى مصر عن طريق بورسعيد . فعز علينا نحن معشر السكندريين ان يعود سعد الى الاوطان من طريق غير طريق ثغرنا الباسم وحصنه المنيع فأخذنا نرسل له التلغرافات تلو التلغرافات حتى فزنا بتغيير خطة سفره وزف الينا البرق التلغراف الآتي

باريس ٢٥ مارس سنة ١٩٢١

فخرى بك اسكندريه

انه يعد من نكران الجميل عدم تلبيتنا دعوة السكندريين الصادرة من قلوب ملؤها الحمية الوطنية والاخلاص واننا نقدر مالهم من الفضل على قضيتنا المقدسة ويسرنا جداً ان ننتهز هذه الفرصة السعيده لنجتمع بهم وهنالك نعبر لهم بأنفسنا عن عظيم اغتباطنا واعترافنا بجميل صنعهم

سعد زغلول

ثم أتانا بعد ذلك تلغراف آخر اكد لنا سفره من تريستا الى الاسكندرية هذا نصه

تريستا ٣١ مارس سنة ١٩٢١

سنركب الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم الباخرة فينا باسم الله مجريها ومرساها

سعد زغلول

ولا يمكننى أن اصف لكم ماعمل أهل الاسكندرية من الفرح والسرور وكلكم تذكرون ذلك الاحتفال الفخم الذى استقبل به رحمه الله يوم وطئت قدماه أرض مصر المباركة فكنت ترى المدينة فى ذلك اليوم كأنها قرية من قرى النمل فلا تجد فيها موضعاً لقدم من كثرة الوافدين من جميع انحاء القطر حتى يتمتعوا بطلعته البهية .

خلو رئاسة الوفد

وانتخاب مصطفى النحاس

بعد ان ارتحل زعيم البلاد الى دار الخلد شعرنا جميعا بفراغ هائل تركه لنا رحمه الله فلم نفكر من هول المصاب فيمن يحمل علم الجهاد بعده . ولما افاقت الامة من سكرتها اجتمع وفدنا الامين وأجمع كلمته على اختيار أحد أعضائه الكرام وهو معالى مصطفى النحاس باشا . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل اجتمعت الهيئة الوفدية البرلمانية ووافقت بالاجماع على ماقرره الوفد ولنعم هذا الاختيار .

ان رئيس الوفد الجديد هو عامل فى الحركة الوطنية من فجر النهضة الى يومنا هذا بصدق و إخلاص وكان ناموساً للوفد وعضد سعد الايمن فى كل آن وحين . وان من حسن حظ هذه الامة ان يشبه الراحل الكريم فى كثير من صفاته فهو شديد فى الحق قوام للعدل محافظ على الدستور ناسج على منوال الرئيس المحبوب وان أعدل شاهد على صدق تلك الصفات هو ذلك البيان المشهور الذى عاهد الامة عليه وجعله خطته التى يسير عليها . فنسأل المولى القدير أن يثبت موقفه وأن يكون ناشراً له فى الملمات وان يوفقنا جميعا الى خدمة الوطن العزيز حتى

ينال استقلاله كاملا .

وفى الختام نسأل الله من كل قلوبنا أن يلهم أم المصريين شريكة سعد فى جهاده الصبر الجميل والسلوان وأن يصب على قبر الفقيد الرحمة والرضوان . فيا روح سعد الطاهرة تمتعى فى نعيم الخلد مع الابرار « يا أيتها النفس المطمئنة إرجعى الى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى »

خطبة معالى فتح الله بركات باشا

ألقاها حضرة محمد بهى الدين بك بركات

فى حفلة التأبين الكبرى

صاحب السعادة الرئيس

أصحاب السمو الامراء

صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

صاحب الدولة رئيس مجلس الشيوخ

أصحاب المعالى الوزراء

حضرات الشيوخ والنواب

سيداتى وسادتى الاجلاء

اين ذلك الصوت الجهورى ، اين تلك النبرات الرنانة ، اين ذلك البيان الساحر بيان سعد ليقوم لهذا الحفل العظيم الممثل لجميع هيئات الامة رسمية وغير رسمية بواجب الشكر على تلك العواطف المتدفقة التى لا تترك لحظة تمر من غير ان تظهر فى كل ناحية ومكان

فالجميع سواء فى بكاء الفقيد ، فى الاشادة باسمه ، فى تمجيد ذكراه وفى تجديد

العهد على استمرار العمل الذى بدأه ، فالمصاب بفقد سعد مصاب امة ، لا مصاب اسرة . . .

ولقد كان فرضا على اسرة الفقيد ان تتقدم بواجب الشكر لحضراتكم وهى تبكى عظيمها قائما يخفف عنها هذا الواجب ان الامة باجمعها هى اسرة الفقيد الكبرى ، وان ابنه اليوم الخطباء والشعراء ورجال السياسة والصحافة والمحاماة والقضاء فلقد كان لجميع هؤلاء الضوء الذى يستضيئون به والنبراس الذى يهتدون بهديه ، وكانوا له اسرته الثانية التى اختارها لنفسه

ايها السادة : لئن كان لى اليوم شرف الوقوف بينكم لاداء واجب الشكر فذلك ان صروف المرض القاسية اضطرت والدى كبير اسرتنا ان يتخلف عن اداء هذا الواجب بنفسه فحرمته الاشتراك معكم وهو اشد ما يكون توقا اليه ليسكب نصيبه من الدمع غزيرا .

ايها السادة : لقد شهد العالم قلب مصر يخفق مرة واحدة يوم وفاة الفقيد فقامت كلها رجلا واحدا ، شعبا وحكومة مصريين ونزلاء رجالا رسميين وغير رسميين تشيع رفات الفقيد وتفضل جلالة الملك فاصدر امره الكريم بجعل الاحتفال بجنازة الفقيد احتفالا رسميا عسكريا ، والامة اليوم كلها تقوم رجلا واحدا لاحياء ذكراه فلحضراتهم جميعا اوفى الشكر على ماتفضلوا به من انواع العزاء والمؤاساة

ايها السادة : انكم اليوم باجتماعكم العظيم و بعهودكم القوية واتحادكم المتين تعملون على تحقيق الغايات السامية وتنزلون على روحه السكينة والهدوء ، ولئن قصرنا نحن فى شكركم و فى اداء الواجب نحوكم فان الله وحده قادر على ان يجزيكم خير الجزاء فاسأله جلت قدرته ان يتولى جزاءكم و يسدد خطاكم فى السير بالامة الى طريق السعادة والعلاء

خطبة الاستاذ نسيم صبيعة

فى حفلة التأبين الكبرى

الى أم المصريين الى الامة المصرية الكريمة ممثلة بوفدها وامرائها ووزرائها واحزابها وهيئاتها النيابية تبعث الامة السورية مع النسيم تحية وسلاما . وترى من الواجب فى هذا الموقف الرهيب أن نعلن على رءوس الملأ اعترافها بالجميل لذلك المحامى القدير الذى ترك قضايا الافراد ليتولى الدفاع عن حقوق الامم الشرقية المظلومه

فى أشد ليالى سوريا حلكا كان وجه سعد اول الطالعين عليها وكانت يد سعد اول يد مدت لتضميد جراحه الداميه وكان صوته الجهورى اول صارخ بان الظلم لا يصح السكوت عليه

وحيث لم يكن فى مقدورها ان تجزى هذا الاحسان بغير العرفان وحيث انها لا تملك اليوم غير أيمانها بالله وغير قلوبها المريدة المتألمة فلا اقل من دمعة سخينة تذرفها ولا اقل من كلمه صادقة اتشرف بالقائها فى هذا المقام

فى اعالى جبل لبنان وفى ظلال الارز الخالد وفى بطون الوديان وفى رياض الفيحاء والشهباء وفى نجاد شرق الاردن وفى هضبات فلسطين وفى الحواضر والبوادى وفى جوانب سوريا وكافة البلاد العربيـة ردد الناعون صدى الفاجعـة الاليمة التى اصابت الشقيقه الكبرى مصر بوفاة الزعيم العظيم والرئيس الجليل المغفور له سعد زغلول باشا . هناك قام كل « ابى من امية فيه عتق » يذكر مواقف سعد ويعدد من مناقب سعد وهناك بكى الناطقون بالضاد بكاء مراً اذ ترآى لهم سعد حاملا لواء وطنه مستقبلا ربه الكريم وقائلا للذين يسيرون وراء نعشه : هـذه هى الامانة المقدسة التى جاهدتم فى سبيلها لتكون سليمة من الاذى فاحرصوا عليها وارفعوها وحدها على ضفاف النيل

يخيل لمن يقرأ البرقيات والجرائد والرسائل التى تنهال على مصر من كل حدب وصوب ان سعد زغلول لم يعد اسما لمسمى ولكنه صار رمزا لاماني قومية وتعويذة يحملها الشرقيون فى اعناقهم بل منهم من ذهب الى ان سعد زغلول تميمة تنفع اذا أنشب الاستعمار اظفاره فى جسم امه ضعيفة تريد ان تستعيد مجدها الغابر وان تعيش حرة فى ارض ابائها واجدادها

ايها السادة — مهما كان وقع الموت شديدا فى النفوس فالمصائب البشرية لا تؤثر فى نواميس الكون والخيال لايجب ان يتعدى حد الواقع

الواقع ان زعيما عظيما فى هذا الشرق الواسع الارجاء الضيق الحيلة قد مات فكان لموته فى كل قلب شرقى رنة . وفى كل عين شرقية مدمع . والواقع انه لم يعط لشرقى لاجيال مضت ان يحرز المكانة العالية التى احرزها سعد فى قلوب معاصريه وان يتمتع بالثقة الغالية التى اولته اياها امته وان ينظر لكل كلمه قالها كانة من آيات الوطنية وان يجمع الشرق على تعظيمه ميتا كما كان يعظمه حيا وماهذه الحفلة الحافلة بكرام الامة المصرية ووجوه الجاليات الاجنبية الامظهر من مظاهر الاعتراف بالفضل لذويه . لنكرم سعدا بان ننصفه فقد كان قاضيا نزيها يحب الانصاف . ليس من الحكمة ان نضع سعدا حيث لاتتناوله الناشئة التى ينتظرها الوطن بفارغ الصبر والتى نرى فى الزعيم الراحل المثل الاعلى وليس من المصلحة الوطنية ان نحيط سعدا بهالة من المجد يرتد عنها الطرف وهو كليل بل يجب ان يراه الآخذون عنه كما هو عصاميا متفانيا فى خدمة امة عرف كيف يكتسب قلوبها وكيف يتصل بطبقات الشعب العميقة التى ماخرجت مرة الى ميدان العمل الوطنى الا وارجعت الحق الى نصابه يجب ان يؤمن كل مصرى بما يقوله وفده . ان الشجرة التى اثمرت سعدا لاتزال باسقة تؤتى اكلها كل حين باذن ربها وهى هى الشجرة الطيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء

سعد بما خصه الله من عقل وعزيمة مصرى آمن بحق بلاده فى الاستقلال

فهب للمطالبة به وسار على بركة الله تحوطه قلوب بنى عشيرته العامرة بحب الوطن وهى اشد وامنع من الصدور فرغ عليها الزرد وقد اعترضته طرق مواصلات امبراطورية فقال لاصحابها مروا ولتكن طريقكم محاذية لمصر لا مارة فوق صدرها قيل له لنا مصالح حيوية فقال لاتنكر على احد حقه ولكن هذه المصالح لن تكون بوجه من الوجوه مشروعة اذا تعارضت مع حياة مصر . قيل له تريد حماية الاقليات فقال ان مصر للمصريين بلاتمييز او فرق بين دين ودين . العدل اساس الملك ولنا كما لكم قضاء يحكم بالقسط بين المتخاصمين . قيل له كن معتدلا فقال كونوا عادلين . انا راض لقومى بما ترضون لانفسكم . تريد أن تتبوأ مكاننا تحت الشمس فلا تحجبوا عنا نورها فهو ملك مشاع وهو منحة من رب السماء

هذا كل ما اراده سعد وهذا كل ما ارادته وتريده الحكومات المصرية الرشيدة تؤيدها الامة بلسان رئيس الوفد الجديد حين يقول اننا لانحمل لامة من الامم بغضا ولا نضمر لها غدرا ولكننا نقدس عزتنا القومية ونحمى كرامتنا المصرية كرامة الامم ان تكون اوطانها لها وعزتها ان تكون هى المهيمنة على مقومات حياتها

ان ابعاد سعد عن وطنه ورجوعه اليه مرفوع الرأس موفور الكرامة وموته وهو متوسد اعلا مناصب الدولة لدليل صارخ انه كان على حق وان حقا وراءه طالب لن يموت فحياة سعد سفر جليل للشرق والشرقيين ملخصة . طالبوا بحقوقكم ثم طالبوا ثم طالبوا

هذا هو شعار الامم الشرقية قاصيها ودانيها لاادرى فى اى يوم تصل الواحدة بعد الاخرى الى غايتها ولا اتكهن عن الادوار التى ستمر عليها ولكنى اراها سائرة على الدرب وارى بعين الايمان انها واصلة . فى ذلك اليوم ، واطلب من الله ان لايكون بعيدا ، سيكتب رجال الشرق سيرة نهضتهم وسيسجلون للحقيقة والتاريخ بان لسعد فى نهضة الشرق القدح المعلى واجر المجاهد العظيم

كثيرة هى العوامل التى تعطى الامم الشرقية حقا بان تشارك الامة المصرية الكريمة فى آمالها وآلامها وكثيرة هى الاسباب القاهرة التى تحمل الامة السورية على بكرة ابيها لان ترسل الى ام المصريين والى ساكنى وادى النيل المبارك كل ما ابقت يد الزمن فى رياض الشام وهضاب لبنان من نرجس وخزامى واقحوان لتنشر مع دموعها الحارة على قبر الراحل الكريم

رحم الله سعدا واعز الكنانة بابنائها المخلصين اللهم آمين

خطبة حفنى بك محمود

فى حفلة تأبين الفقيد العظيم بالجيزة

قد كان ماخفت ان يكونا　　انا الى الله راجعونا

وما كنت اخاف على سعد . وهو الرجل الذى تحدى اشد القوى ، ووقف يدافع اهل السطوة ، وصبر على ما لون له الاقوياء من الاذى فما وهن ولا تجلجل ولا تتعتع بقول الحق بل كلما الحوا عليه بالعذاب . لج عليهم بنقد الخطاب وكلما ارسلوا اليه الانذار ، ارسل عليهم الحجة شواظا من نار . حتى اذا اهابت الجيوش المدججة والاساطيل المدرعة باسم الحديد والنار : انى ادعوك الى اعتزال السياسة : اجابها من فوره : وانى باسم مصر العزلاء لا استطيع ان اسكت الا اذا أومأت الى امتى بهذا . فان لها وحدها هذا الحق

نعم ما كنت اخاف على سعد غير الموت ، فليس من قوة من غير الموت تستطيع ان تظفر بسعد وان تسكت صوت سعد

ايها السادة

لقد سكت صوت سعد ، ولكن التاريخ بدأ يتحدث عن سعد وسيكون

حديثه فيه جليلا ، فما فى كل يوم يظفر التاريخ بمثله ، بل انه لمن اولئكم الذين تظل الاجيال تتطاول اليهم وتستشرف العصور لترقب مطالعهم ، حتى اذا آن بعثهم باهى بهم عصرهم سائر العصور ، وتتايه زمنهم على عامة الايام لان التاريخ ما كان طعاما ولا شرابا ، ولا غدوا ولا رواحا وانما التاريخ حياة العظماء

ايها السادة

لست اخطبكم اليوم لابين الكارثة العظمى فى فقد سعد ، فقد ارتجت وما برحت ترتج لها مصر ، وقد نضحت لها كل عين ، وغص بها كل حلق ، وانخلعت شعب كل قلب ، فالهم الصبر الصبر ، واللهم العزاء العزاء . وانما احدثكم عن شيء من عظمة سعد ، وهيهات للقول ان يرتفع الى تصوير تلكم العظمة التى حيرت الناس فى حياته ، وستحير التاريخ بعد مماته

عقله ولسنه

لقد اوتى سعد عقلا جبارا حقا . تأبى عليه عزته ان يخضع لما تخضع له العقول من التسليم بكل ما تواضع عليه الناس وجرى به تفكيرهم فكان اذا عرض له الامر جذبه الى عقله واراق عليه من بصيرته ذلكم الشعاع القوى الذى آثر الله به قليلا من عباده . فما هو الا ان تنكشف جميع نواحيه ويتبدى منه اخفى خافيه

وكذلكم تبذل الحقائق من نفسها لجبابرة العقول ما يتعاصى على سائر الناس — والذى وهب سعدا هذا العقل كله . قد وهبه ما يكافئه من الحجه وقوة البيان حتي يستطيع ان يبين للناس ما يرتفع على افهام الناس كان قوى الحجة فما ان دخل فى جداله انسان الا صرعه سعد عند الصولة الاولى مهما تدرع ذاك لرأيه وتمنع لحجته . وسعد هذا الذى لايغلب على رأى ولا يتجلجل بحجة . شجع الناس فى الرجوع الى الحق متى بدا له وكان بيد اضعف الخلق

شجاعته وإيمانه بالمبدأ

نجم سعد فى عصر أظهر مافيه المداراة والمصانعة طلبا للمنافع ودفعا للمكايد فكان أول من رفع كلمة الحق . وانتزع الايمان بالمبدأ من يد الهوى انتزاعا — لقد كان سعد أبلغ درس فى الشجاعة ورسوخ الايمان والجهر بالرأى . لايسأل اين يقع هذا الرأى من أهل السطوة . فكان طالبا أشجع الطلاب وكان محاميا اشجع المحامين . وكان قاضيا اشجع القضاة . وكان وزيرا اشجع الوزراء . وكان نائبا اشجع النواب . وكان زعيما اشجع الزعماء

ايها السادة .

ان هناك شيئا اصلب من الصخر ومن الحديد والفولاذ ذلكم هو قلب الشجاع وان تلكم لتتكسر وتتصدع . اما هذا فلا يتقلص ولا ينفزع وكذلكم قلب سعد زغلول

أخلاقه ولطفه

ان من يسمع باسم سعد و بزعامته ، ويطالع شدته فى الحق وسطوته على اهل الباطل ، ليظن انه رجل يأبى الطبع ، شامس الخلق لايلقى الناس الا عابسا ، ولا يطلع عليهم الا عاتيا متكبرا — لا والله ما كان أحد فى الدنيا أطيب منك ياسعد نفسا ولا اخف روحا ولا احلى مجلسا ولا اعذب حديثا

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة ولكن كبرا ان يقال به كبر

نعم سعد «متكبرا» ولكن تكبره كله كان على النقائص وسعد يرى فى كل رذيلة هوانا وسعد لايرضى الهوان ولا يطيقه — افرأيتكم ايها السادة كيف كان هذا التكبر عصمة . وكيف كان عتادا لمختلف الفضائل . لقد كان من تكبره ان يبالغ فى اكرام ضيفه ، وكان من تكبره ان يبالغ فى الترفية عن جليسه ، لانه يخشى ان سعدا تمنعه عظمته من أن يتدلى الى اكرام الضيف ومؤانسة الجليس

أطواره السياسية

كان سعد فى الفتوة يوم شبت الثورة العرابية فكان من الافذاذ القلائل الذين هدتهم بصيرتهم الى انها اذا جرت فى طريقها اتت بما لا تحمد غايته على انها اذا وجهت توجيها آخر جاءت باجل المنافع للبلاد من التمتع بالدستور وايثار ابناء مصر بمناصب الحكم ومعالجة جميع مرافق الحياة بالاصلاح حتى تصبح مصر حقيقة بحمل تاريخها العظيم . ولقد حاول هو واصحابه معالجة هذا ولكن المحنة كانت قد عمت ، والقضاء قد حم فعصفت الرياح العواتى بتلك الاصوات . وكانت هذه اولى جولات سعد فى السياسة

وجاء دور الاحتلال الانجليزى وانخذلت الطباع وتهافتت الاخلاق واصبح كل لنفسه ولا احد لمصر . فقام سعد وصحبه بالدعوة الى شد هذه الطباع المنخذلة وامساك تلك الاخلاق المنحلة . فان امة هذا شأنها هيهات ان تطمع الى عظمة ولا استقلال ، وكان شعاره فى دعوته « الصدق فى القول والاخلاص فى العمل »

وقد نجح سعد نجاحا غير قليل فى ان يعيد الى الناس الثقة بانفسهم والايمان بحق وطنهم وكان هذا ثانى اطواره فى السياسة

وقامت الحركة السياسية فى مصر وعلى رأسها المغفور له المرحوم مصطفى كامل باشا تطالب بجلاء الجيش الانجليزى فكان سعد وهو موظف حكومة « وبخاصة فى ذلكم العهد » يغذيها برأيه وبقلمه وبماله ويحمى ظهرها ويشد ازرها .

ثم كان وزيرا فكان عجبا فى تلك الوزارة العجب لم يكن للموظف المصرى يومئذ ايراد ولا صدر ولا شأن ولا خطر ولقد كان ضعف السلطان يقاس بنسبة المناصب فكلما علا المنصب انحط الشأن وتلاشى النفوذ ووجب عليه ان يكون اعمى فلا يرى واصم فلا يسمع وابكم فلا يتكلم . حتى اذا بعث فى الوزارة سعد ابى الا ان يكون على العاهل الانكليزى عاهلا . ابى سعد الا ان يكون وزيرا حقا

يقضى فى الامر كله ولا يقضى فى امر دونه وبنى فى سنة واحدة ماهدم دنلوب فى ثلاثين سنة . .

ثم كان نائبا فى الجمعية التشريعية فما زال ينتزع السلطان لها انتزاعا حتى اصبحت على قصر عهدها اشبه بمجلس نيابى منهابهيئة استشارية لاحول لهاولاقوة

ثم كان زعيما لامته يقودها كلها الى طلب حقها فى الحرية والاستقلال وكلنا شهد زعامتـه وكلنا طالع سعدا فى مواطن الجلى . وثاقة عقل و رجاحة رأى . وقوة تدبير وطلاقه بيان . يسيرها عزم تزلزل الجبال ولايتزلزل . وقلب تتحول الافلاك عن مدارها ولا يتحول

أرأيتم كيف كان سعد زعيما من يوم خلقه الله الى يوم ان اختاره لجواره ؟ اعرفتم ان سعدا لم يخلق الا للعظائم ؟

ولقد قال فيه بحق بعض كتاب العصر « لو حاول سعد بكل جهده ان لا يكون رجلا عظيما ما استطاع وهيهات لامرئ ان يملك عن نفسه ما اراد لها الله » . . .

ولقد عجب بعض الباحثين من شأن سعد اذ كان زعماء النهضات السياسية فى العالم كله لا تزيد اعمارهم على الار بعين فى حين قد اوفت سن سعد على السبعين ذلـكم ايها السادة ان الله تعالى قد ميز سعدا فى الزعماء ايضا فوصله فى شيخوخته من شدة النفس وفتوة العزم بما لا يتهيأ للشباب فـكان سعد كذلك واحدا فى الاحاد فذا فى اولئكم الافذاذ !

وخلة اخرى لم يألفها التاريخ كثيرا فيمن سلـكوا فيه من عظماء الرجال وتلـكم ان قواد الثورات قل ان يصلحوا لمعالجة المرافق الدولية فى الحياة المطمئنة المنظمة وقد رأيتم كيف ان سعدا فى السنتين الاخيرتين قد راض شئون الدولة وساس سلطتيها التنفيذية والتشريعية كامهر سياسى يقدر الظروف و يوازن بين الاحوال

الواقع أيها السادة ان سـعدا الطالب ، هو سعد المحامى ، هو سـعد القاضى

هو سعد الوزير وهو سعد الزعيم . وفى كل هؤلاء سعد لم يتغير من شأنه شئ وان تغيرت من حوله الاجواء . هو قوة عظيمة ارسلها الله فى هيكل رجل ليتم بها ما اراد الله تعالى لمصر — هو قوة عظيمة بعثها الله فى هذا البلد لتنزع به الى حياة العظمة والمجد فحيثما كانت تطلعت الى هـذا الطلاب ، وتلمست متعالجه من الاسباب . فسعد القاضى يعمل لمجد مصر من طريق القانون وتقويم الاخلاق وسعد الوزير يعمل له من طريق التعليم والتثقيف وسعد النائب يعمل له بتحقيق سلطة الامة . وسعد الزعيم يعمل له بقياده الامة الى طلب استقلالها التام

سادتى : لاتنسوا ان اكثر من اخرج التاريخ من عظماء الرجال مدينون فى نجاحهم وأسباب عظمتهم الى هؤلياء اللائى شاركتهم فى حياتهم و آنستهم فى وحدتهم وواسيتهم فى محنتهم ، ومنحنهم القوة فى ساعات ضعفهم . وحلن بينهم وبين التردد فى مواطن الاقدام فاذا ذكرتم سعدا . وأنتم ذاكروه على وجه الزمان فلا تنسوا التى استشعرت يوما ان قوما يسعون ليجيئوا بسعد من جزائر سيشل عن طريق الرجاء والاستعطاف . فاهابت بهم « ان كنتم تصنعون ذلك لان سعداً زوجى فذلك آخر ماأتمناه لسعد ، وان كنتم تعملون لحساب سعد الزعيم فخير وأبقى أن يموت هذا الزعيم فى منفاه مكرماوعزيزاً » نعم لاتنسوا أيها السادة أمكم شريكة سعد فى حياته ، ومعينته فى جهاده وآسية جروحه وعضده على الصبر كلما ازدحمت الارزاء ، ومسنده على الثبات كلما تحكم القضاء فوارحمتاه ثم وارحمتاه لنا يا أماه

أيها السادة :

لاييئسنكم موت سعد . فسعد قد أصبح فى حياته ومماته من أعظم ميراثنا القومى . قادنا الى الاستقلال حيا . وسيقودنا الى الحياة ميتا ؟ لم تكن امتنا لاعبة اذ ولت سعدا قيادها لان سعدا لم يكن رجل لعب وانما كان رجل جد شعاره فى الحياة « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » وان مصر المعناة التى قاست ماقاست فى سبيل طموحها الى عزتها وكرامتها لاترضى ولا تسلم قط بان تستغل بموت سعد

بل ان مصر لتأبى الا أن تستغل سعدا حيا وأن تتأسى بسعد ميتا

عاشت ذكرى سعد . فعاشت آمال مصر

خطبة الاستاذ احمد رمزى بك

فى حفلة تأبين الفقيد العظيم بسمنود

فدينناك لو أن الردى يقبل الفدا * وخابت لو كان الـكمال مخلدا
ولولا اتهام بالتضعضع للأسى * وقول الاعادى ماعرفنا التجلدا
ولا كفكف الدمع الهتون واضمرت * ضلوع براها الشوق حزناً مسهدا

هذه أربعون ليلة أو أكثر لم يسمع فيها العالم صوتا طالما لذ سماعه لمصر والمصريين بل للشرق أجمع والشرقيين . ذلك صوت الوطنى العظيم والزعيم الجليل والنابغة الفرد أبى الوطن وحبيب الوطن المرحوم المغفور له سعد باشازغلول ! مضى هذا الزمن نخلناه قرونا لان صوت سعد كان للنفوس التواقة للحرية غذاء وللقلوب التى تصبو الى الاستقلال شفاء . وباتت مصر فى دياجير الحيرة تتقلب على مهد الاوجاع والآلام ينازعها الشوق الى ذلك الوالد الشفيق الذى حرمته أحوج ماتكون الى نصرته وارشاده وقد تشعبت أمامها السبل فضاقت على تشعبها ، وجد ياله من وجد وأحزان يالها من أحزان وأسى فرق بين الجفن والوسن ولوعة لاتنطفىء جمرتها وان طال الزمن

اخوانى : قضت ارادة الله ولا راد لقضائه ولا اعتراض على حكمه ان يختار لجواره ويستأثر برحمته أسد العرين ومدرة الحمى ورافع علم النهضة ونخر العبقرية فانهد الركن الشامخ وماد الطود الراسخ ولا حول ولا قوة الا بالله

وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولـكنـه بنيـان قوم تهـدما

نعم مات سعد ولولا التقى وأوامر الدين بالامل والعمل لحسبنا البلاد قد قضى عليها ولولا لطف الله والامل فى وجه الله لاخذ منا اليأس كل مأخذ ولكن الدين ينهى عن القنوط من رحمة الله و روح سعد الذى علمنا مقارعة الخطوب فى حالتى بعده وقربه فى سيشل ومالطة ومصر هذا الروح يأمرنا بأن لاندع علم الجهاد يسقط من أيدينا حتى نتم مابدأه فيهدأ روحه الكريم فى جنة النعيم

أقول مات سعد . ويعز على أن أنطق بهذه الكلمة التى تحرق شفتى و ينفطر لها قلبى وقلبكم ومما يعزينا ويهون علينا بعض الشيء ان آثار سعد مبادئه وهى باقية بيننا فما كان سعد غير فكرة سامية وشعلة حامية تضطرم نار الحماسة فى الصدور وتبعث نور الهدى فى النفوس فتقودنا إلى مواطن الكرامة الوطنية والعزة القومية . وقد انغرست هذه الفكرة فينا وستنتقل من بعدنا الى ذرارينا حتى ينهض الوطن من كبوته و ينطلق فى بحبوحة الحرية والمجد ونحن فى كل هذا إنما نستهدى بمبادىء سعد فنعمل لها ونتعش بذكرى سعد فنقوى على صروف الايام والليالى ونستصغر كل عظيم كما كان يفعل رحمه الله حتى نبلغ الغاية التى ماوراءها غاية

سعد والحماية

ألا تذكرون كيف أضاء الراحل الكريم سبيلنا وأوضح نهجها . أذكروا إذ قام فى جمعية الاقتصاد والتشريع والبلد محكوم بالاحكام العرفيــة يرسف فى اسار الذل والاصوات خافتة والنفوس ترقب الموت لأهون سبب وسيف بريطانيا العظمى مصلت فوق الرؤوس وهى ثملة بنشوة النصر والفوز

فى الحرب العظمى تملى على أعدائها وأصدقائها ماتشاء وتعطى ماتشاء وتأخذ ماتشاء فوقف سعد وقد اجتمعت جمعية الاقتصاد والتشريع وعرض فيها أحــد المستشارين الانجليز بمحكمة الاستئناف الاحكام التى يجب اضافتها الى قانون العقوبات المصرى لمن يعتــدى بالقول أو الكتابة على ملك الانجليز أو يطعن فى

الحماية . وقف سعد وقال كفى يا هذا فما كانت تلك الحماية التى أعلنتموها الا حماية باطلة لم تقرها البـلاد ولم تعترف بها وقـد انقطعت علاقتنا بتركيا تلك العلاقة الضعيفة الواهية وصرنا أحراراً فى ديارنا ثم انفض المجمع وكل من فيه دهش لهذه الجرأة المتناهية والجسارة التى تتحدى العقاب وهو مطل من فوق الرقاب

فعلام كان يعتمد سعد فى هذا الموقف ؟

انه لم يكن يعتمد على الامة إذ لم يكن خبر قوتها ولا اتصل بمجموعها بل كان يعتمد على الحق ونفس كبيرة تأبى الضيم والهوان . وقد كانت هذه الحادثة أول قنبلة ألقاها سعد الجرىء على القوة الغاشمة وما كانت تصنع لتـكبيل البلاد بقيود الذل والاستعباد . ولقد أسمعت هذه القنبلة كل من لم يكن يسمع فزالت الغشاوة عن العيون ورأى الانجليز ان فى اللقمة شوكا وفى الطعم حسكا

سعد يوم ١٣ نوفمبر

ثم جاء يوم ١٣ نوفمبر سنة ٩١٨ فسار سعد الى دار الحماية ومعه اثنان من أنصاره هما على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى باشا يطلبون رد الحرية الى البلد وكان ما تعلمون بينهم و بين السير ونجت . ولـكن الانجليز قوم لا يفهمون بسهولة فظل سعد واخوانه الذين حصلوا على التوكيل من الامة يجدون للسعى الى الاستقلال التام حيثما وجدوا اليه سبيلا

• ولما طلب سعد و بعض صحبه الى دار الحماية للاقلاع عما يفعلون أبوا وكان جزاؤهم ان قبض على سعد وثلاثة من أنصاره ليلة ٩ مارس سنة ١٩١٩ لنفيهم الى مالطة فشبت الثورة مبتدئة من القاهرة ومدارسها فى صباح ذلك اليوم ثم اندلع لهيبها الى جميع انحاء البلاد بسرعة البرق واشتد أوارها . وصارت هذه الفتنة التى كان يقول فيها المستشار القضائى مستر برنيات انه يطفئها ببصقة منه تلك التى لا تقوى على اطفائها السيوف والمدافع .وكان لـكلمته أنها صادفت فى الامة قلوبا كريمة

ونفوساً هالها أن ترسف فى قيود الذل فهبت هبة رجل واحد تطلب الخلاص لتحكم نفسها بنفسها .

سعد والائتلاف

اخوانى : اذكروا ثبات سعد على مبادئه الوطنية وبالرغم مما قاسى . ولو أنى أردت أن أسرد تاريخه السياسى لوجب أن أذكر تاريخ مصر فى السنوات التسع الاخيرة فكله تاريخ سعد وهذا غير مستطاع ويكفى ان تذكروا مالطة وسيشل وجبل طارق . ثم تحول الزمن ورئاسته للوزارة وما أحاط به من المهالك ثم انقلاب الوزارة وحل مجلس النواب بعد مقتل السردار ثم محاربة سعد وأنصاره فى الانتخابات تلك المحاربة الظالمة العاتية وكيف وقفتم وقفة رجل واحد تذودون عن مبادىء ورجال سعد حتى نصركم الله على حكومة سنة ١٩٢٥ نصراً مبيناً ثم حل المجالس فما زدتم إلا ثباتاً وأحس اخواننا الدستوريون وأحسسنا نحن أيضاً بالحاجة الى الائتلاف فصفت القلوب وتعاقدت الايدى على إنفاذ الدستور والسير بالبلاد فى طريق التقدم والاستقلال وشعرنا جميعاً بما ذقناه من مرارة الخلاف وندمنا على زمن اشتغله خصومنا فى الداخل والخارج لتعطيل الدستور والاصلاح حينا وإبعاد أمد الاستقلال . ومات سعد قرير العين بما كان يشاهده فى مجلس النواب وفى كل جهة من جهات الحكم من دلائل الصفاء والنشاط فى خدمة الوطن رحمه الله ونفعنا بمبادئه الخالدة

والآن ماذا تطلبون منا ؟ نعم ماذا تطلبون من نوابكم غير ان يسيروا على منهج سعد للمحافظة على الدستور والسعى الى الاستقلال البلاد حيثما وجدوا للسعى سبيلا مقتفين أوامر الوفد المصرى فالوفد هو التراث الذى تركه لنا سعد وهو مسالك الوحدة الوطنية وجماع آمال الامة المصريه . يجب أن نبذل النفس والنفيس لنصرته والالتفاف حول لوائه حتى لا نتفرق شيعاً ونضيع فى أعاصير الحوادث فنذهب نسياً منسياً لاقدر الله

خطبة ابراهيم بك سيد احمد

رئيس نقابة موظفي الاسكندرية

في حفلة التأبين بالاسكندرية

سيداتي . سادتي :

أرجو أن تسمحوا لي بأن أشرف نفسي وأعرب في الوقت ذاته عن أساها وحزنها بافتتاح حفلة التأبين هذه التي تحييها نقابة موظفي الحكومة في الاسكندرية تكريماً لذكرى بطل مصر الخالد وعميدها الماجد ساكن الجنان المغفور له سعد زغلول باشا

أيها السادة : لم يكن فضل سعد بالفضل المحدود حتى كان يتسع لوصفه قدر من الكلم معدود غير اني لا أشك في ان مجرد ذكر اسمه يجلو لبصائركم صورة واضحة من تلكم الشخصية العظيمة وما ازدانت به من السجايا الكريمة فأذا صدق يقيني هذا ومثل لاذهانكم ما شهدتم من آثار ذلك الفضل وما سمعتم أو قرأتم من ذلك المنطق الفصل فدعو الله أن يطيب ثراه وأن يجعل الجنة مثواه أنه مجيب الدعاء . .

أيها السادة — ان ما أصاب المصريون من خير بفضل سعد ظاهر الاثر مستفيض الخير . فهو الذي نشر علم الجهاد في هذه البلاد . وأعلن الحرب على دولتي الاستعباد والاستبداد . وهو الذي الف بين الصليب والهلال وهدى التوءمين جميعا إلى سبيل الحرية والاستقلال . لهذا كانت فجعة المصريين فيه عظيمة ومصيبتهم أليمة . بيد أني لا أعدو الحقيقة حين أقول أننا معاشر الموظفين قد نكبنا بموته نكبة مزدوجة فنحن كبضعة من الامة فقدنا بفقده زعيما موفق

الخطرات مسدد الخطوات معواناً على الملمات مفرجاً للضائقات ونحن كموظفين فقدنا بفقده رئيساً صادق العزمات مبدداً للشبهات فلا غرابة أن يجل فيه مصابنا ويتفاقم خطبنا وانا الى الله راجعون

أيها السادة — فى مساء ٢٣ أغسطس الماضى فوجئت البلاد بنعى سعد فوجمت واشتد حزنها لما كان للفقيد فى نفوس أهلها من المكانة السامية ولانها فقدته فى وقت كانت فيه باشد حاجة الى حزمه وحكمته . فقد كان صاحب الدولة رئيس الوزارة ثروت باشا قد انتهز فرصة مرافقته لحضرة صاحب الجلالة الملك فى زيارة انجلترا فعجم أعواد الانجليز ووقف على آراء ولاتهم فى تسوية المسائل المعلقة بيننا وبينهم ثم اوشك أن يعود للاتفاق مع الزعيم الكبير على الخطة التى تكفل نجاح قضية البلاد وتحقق أمانيها القومية فلما نزل قضاء الله بالفقيد ريع الناس وخافوا انشقاق العصا وتصدع الصفوف وتفرق الكلمة ولو أن شيئا كهذا حدث — لا قدر الله — لكانت ضربة قاضية على جميع الآمال ولعادت هذه الامة خطوات بل مراحل طويلة بدلا من أن تتقدم فى سبيل الرقى وتصعد فى مراقى الحرية والاستقلال

على أن الله جل شأنه وقى الكنانة كل سوء فان المصيبة بفقد الزعيم الكبير قد اشعرت أهل مصر جميعاً مسيس الحاجة للاتحاد والتضامن لا بل الواقع أنها زادت القلوب تآلفاً على حد قول الشاعر الحكيم « عند الشدائد تذهب الاضغان » وناهيك بفقد سعد من شدة تضيق بها الصدور وتنوء تحت عبئها الكواهل

أيها السادة — لقد كانت حياة سعد حافلة بالعظائم التى ليس بينكم من تخفى عنه خافية منها . وها قد رأيتم كيف انه رحمه الله نفع البلاد بموته كما نفعها بحياته . وذلك هو شأن العظماء فى كل زمان ومكان . فالعظمة شعلة لا يطفئها الموت بل لعله يذكيها ويزيدها ضوءاً وضراماً وعندى أن الامة كلها قد أدركت هذه الحقيقة الراهنة ووجدت فيها شيئا من العزاء ان صح ان شيئا ما يمكن أن يعزيها فى هذا المصاب كذلك وجدت الامة شيئا من العزاء وقدراً من الطمأنينة فيما أظهره زعماء

الاحزاب المؤلفة من التضامن وعقدوا عليـه النية من المحافظة على الائتـلاف فما تـكلم احد منهم بعد انتقال الزعيم الا كبر من دار الفناء إلى دار البقاء الاحزب على هذه النغمة وأ كد هذه النية . ومن حسن الحظ أن هذا الشعور لم يقف عند حد الزعماء — فمن عـداهم من الخاصة والعامة كلهم سواء فى التشبث باهداب الائتلاف والتواصى بتقديسه كميراث للزعيم الراحل وكعدة المحافظة على الحـكم الدستورى والفوز بالحرية والاستقلال

أيها السادة : ان مجال القول ذو سعة وان شق على القائل مهما أطنب أن يفضى بالقليل مما يحسه فى هذا الخطب الجليل . ولـكنى أوثر أن أعصى هوى النفس فى الاسترسال وأرى خيراً منه ان أستأذنـكم فى وقف الحفلة عشر دقائق ايذانا باعلان الحداد ، ولـكى تطلقوا لانفسكم فى هذه الاثناء أعنة الخيال ، فتروا من محاسن سعد وما عهدتم فيه من محامد الخلال وكرائم الخصال ، ومايعجز عن وصف بعضه المقال واذا كانت لى قبل ذلك كلمة أخيرة فهى انتهاز هذه الفرصة لتعزية صاحبة الصون حرم الفقيـد فى مصابها الاليم . أسأل الله أن يلهمها الصبر وأن يسكن الراحل الـكريم فسيح الجنان فى دار المقامة والرضوان

خطبة الاستاذ حسين السيد المحامى

فى حفلة تأبين الفقيد العظيم بملوى

بينما نعيم الحياة يغمر أهل الـكنانة وبينما الامال الغالية تفيض على النفوس طمأنينة واستبشاراً اذ أيد الموت النادر تهدم آمالنا وتدكـركن حياتنا ، واذا النعاة ينعون سعد فى مثل تلك الليلة فتطيش من هول ذلك الرزء الالباب فرقا ويلبس النيل الحداد عليه ويذرف الشرق عليه الدمع دما

أى سعد

يامنقذ النيل وفخر الوجود يامنبر الحق ولسان الصدق يا أبا الامة ورجاءها فى كل ملة أكذا تغيب عنا شمسك الساطعة وطلعتك البهية فتترك فى كل قلب مأتماً وفى كل نفس لوعة وحسرة أكذا تفارقنا الى دار السكون فيخمد ذلك الصوت الذى عجزت عن اخماده النار والحديد ولم يسكنه النفى والتشريد . أكذا تترك بيت الامة مركز الجهاد والنضال ومنبر النور والحرية أكذا تصرع العظمة التى قهرت الجبروت وزلزلت الاستعباد

أى سعد

يا رسول السلام وإمام الخطباء يا علم الجهاد ومجد التاريخ أكذا يطوى صحائفك الردى فيضحى العالم ينعيك والحياة تبكيك أكذا تسكن الثرى بعد أن كنت منار الهدى فاصبحت المنابر تندبك والمحافل تندبك

أى سعد يا رمز الوئام ومعجزة العصر سننت لامتك طريق الحياة الحق وضربت لها مثل الاخلاص والصدق والفت بين الصليب والهلال وغرست فى النفوس كرم الخصال وأقمت بناء الاتحاد المتين ليكون عدة المستقبل وسلاح الشعب الاعزل . .

رزؤك ياسعد فت الحجر الصلب وأضنى النفوس وأدمى القلب رزء أصعق القلوب فاذا هى ذاهلة . وهد الاجسام فاذا هى ذابلة واقهر المهج فاذا هى ذائبة

رزء فوق جميع الارزاء ونكبة دونها النكبات رزء يعز عن كل عزاء ، ويجل عن كل رثاء

تبالك أيها الدهر الغادر أتقبض قائد نهضتنا ونحن فى اشد الحاجة اليه أتطوى علم جهادنا وسفينة استقلالنا فيما بين اعاصير الزوابع وامواج اليم الغمض. تلك العين التى كانت ترعى ذلك العلم مطلة على صرح الاستقلال انك ياموت لم ترحم شعب الكنانة فتحرمه من والده الرءوف الوقور ولم ترأف بآمال الشعب وآمانيه

فتحطم تلك الآمال فى طرفة عين ولكن لئن مت ياسعد وطوتك الخطوب فلا تزال فى الافئدة و بين الجنوب ولئن غاب عنا جسمك الطاهر فذكرك خالد عاطر ولئن حرمنا من جهادك فروحك ترفرف فوق الرءوس تفيض على الكون قوة ونوراً وتبعث الى النفوس حياة وعزما وتوحى الى الزعماء من بعدك اقداما ورشداً . . .

أنى لى أن ارثيك ياسعدوقد كنت أمير البيان.وأين ذلك العقل الذى يستطيع أن يستوعب ذلك السفر الحافل بجلائل الاعمال.ألا يكفيك أنك سكنت الصدور بدل الدور والافئدة بدل الاعمدة

يبكيك يا سعد كل شئ تبكيك مصر وسودانها . شيوخها وشبانها،نساؤها وأطفالها ، أرضهاوسماؤها .تبكيك المحاماة أبد الدهر لانك كنت مفخرتهاورافع شأنها فمن لها بمثلك حجة وسحر بيان . ومن لها بالقدوة الحسنة فى الامانة والوفاء والمحاماة من بعدك ياسعد ثكلى دامية القلب . مجروحة الفؤاد ولطالما تنعيك ما دامت الارض أرضا والسماءسماء :

٢ — تبكيك دور القضاء أمر البكاء فقد أقمت للعدالة ركنا وسننت لها مبادئ وسننا وأخذت الحق للضعيف من القوى فنلت الجزاء السرمدى

٣ — تبكيك كراسى الوزارة وتنعى استقلالك فى الرأى وقوةحجتك ونضارة قريحتك و بغضك للظلم ونشرك للعلم وصمودك صمود الجبابرة لاعداء البلاد

٤ — تنعيك ياسعد منابر الجمعية التشريعية حيث ناديت بصوتك الدوى بسلطة الامة فوق الحكومة فتدانت لك الرقاب وفزت بالوكالة عن الامة وفى الرياسة بالقدح المعلى

ألم يكن يا سعد صوتك القوى هو أول صوت طالب برد حقوق مصر المغصوبة وبحريتها المسلوبة يوم أن قام برونيات ينشر برنامج الحماية و بنود الاستعمار ألست أنت وزميلاك أول من دخل عرين الدولة المحتلة بين أسنة الحراب

ودوى المدافع مطالبين برفع الحماية الباطلة .

أنسينا ياسعد يوم أن تسلل الجندلفراشك واختطفوك أنت و زملاءك الى حيث لا تعلمون. فقابلتهم بجنان قوى وقلب ثابت وفؤاد مفعم بحب مصر

مالطة !! ما أشرف أرضك وترابك وما أعـذب ماءك وأطيب هواءك اذ كنت للزعيم مقاماً وللعظيم مضيفة وللرئيس أنيسا

عز على أمتك ياسعد ذلك الاضطهاد فى سبيل المطالبة بتحرير البلاد فقامت تفديك بالمهج وثار الشعب ثورته بشد ازر زعيمه فى غربته واستشهد الشهداء ولطخت الدماء الثرى فأسقط العدو فى يده وتقهقر امام قلب الرئيس وشدته فافسحوا له طريق الجهاد الى فرساى حيث مؤتمر السلام مشاد فلم ييأس عند ما سدت الابواب وظل يجاهد جهاد الابطال

فعزيز علينا ياسعد ان يكون اجتماعنا اليوم اجتماع حزن وأسى وقد كانت النفوس فى مثل هذا اليوم مهللة مستبشرة

عزيز علينا ان نقيم لك اليوم مراسم المآتم وقد كانت تقام لك أقواس النصر وحفلات التكريم .

عزيز علينا أن نسمع البكاء والنحيب بدل صيحات الاستقلال والجهاد التى كانت تشق الصخور وتبعث الحماس

عزيز علينا ان نعلو أعواد المنابر لرثائك وقد كنت تلقى من فوقها جواهر الحكم وآيات الوطنية فتتجاذ بها الاصداء

إيه لك أيها القلب العظيم الذى قهر قوة الحديد والنار

إيه لك أيها العقل الحكيم الذى قاد سفينة الاستقلال لبر السلامة فصد عنها زوابع المكر والخداع وقتل دونها عوامل الضعف والاستسلام

جاهدت ياسعد فاينعت الثمرات وفتحت عهد الحرية والدستور بفتح دار النيابة التى جمعت ساسة البلاد وأقطابها واستويت على عرش المجلس تحرك دفته

وتنظم حركته وترتب سياسته فأين منا تلك الايام العظيمة التى كان يملأ صوتك مجلس النواب دوياً ويفيض من منابره على النفوس جذوة وحرارة ويدفع القلوب للجهاد ويبعث الحياة فى البلاد أين منا تلك الآيات البينات والحكم الساطعات

لقد كنت يا سعد تلقى دروس الوطنية على جنودك وتبث فيهم من روحك تعاليمك النبيلة ومبادئك القوية وهاهم يا سعد من بعدك على العهد باقون وبمبادئك عاملون ولتعاليمك حافظون لقد كانت آخر كلمات فاه بها الزعيم العظيم « أنا انتهيت » نعم انتهيت من اداء أقدس واجب فى الحياة — نعم انتهيت من دفاعك فى أكبر قضية الاستقلال ولكن لم تنته يا سعد من الدنيا فان صفاتك وأعمالك لا تفنى ولا تموت .

فيا أبناء الوطن لا تتفرقوا فتذهب ريحكم والتفوا حول راية سعد ومبادئه كما كنتم حال حياته لان أعاصير السياسة قد آذنت بالهبوب فبرهنوا على انكم أحق بأن تكونوا أبناء سعد البطل العظيم رحم الله الراحل الكريم وأسكنه جنات الخلد ووهبنا نعمة الصبر والسلوان

خطبة الوطنى الفاضل على محمود المحامى

فى حفلة تأبين الفقيد العظيم ببغداد (عاصمة الرشيد)

فى ٢٣ أغسطس الماضى أفل نجم مصر الوقاد ، واندكت دعامة مجدها التى كانت تناطح كبد السماء عزة ومنعة ، وفى هذا اليوم هوى طود الاستقلال الشامخ ، وتلاشى رمز الحرية الجميل من أرض الفراعنة فجزع النيل من هول الخطب ، ألماً ، وخر ابو الهول من فداحة المصاب صعقا ، وفى هذا اليوم غاض ينبوع الوطنية من مصر فاضحت مغانيها يبابا بلقعا بعد ان كانت زاهية تتساق

اليها الحياة من ذلك الينبوع الفياض فى كل صباح ومساء ، وفى هذا اليوم هصرت يد المنون القاسية ذياك الغصن الرطيب المورق الذى يتأرج إصلاحا ويزهو شمما وإباء ، وفى هذا اليوم الاسود هتف الهاتفون بان سعداً قدمات ؟ فاصبحت مصر كأنها بحر زاخر عصفت عليه أعاصير هوج فلم تعد ترى الجماعات الوالهة المكلومة هناك وهى تحمل على الاكتاف عرقها النابض ، وقلبها الخافق ، ومجدها الخالد ، إلا وهى غرقى فى بحر الدموع وسكرى تموج ذات اليمين وذات الشمال ولكن من فرط الألم وشدة ثوران النفس

ولئن اكتأب النيل على فقيده فان دجلة قد سالت حسرات ، والفرات قد فاض زفرات ، ولئن فاضت عين مصر بالدمع السخين على سعدها فان روح العراق قد ذهبت شعاعا وقلبه قد تقطع إربا . لم يكن سعد رجل مصر وحدها وانما كان رجل الشرق بصورة عامة ، ورجل العرب بصورة خاصة . وما كانت القضية التى يناضل عنها فى مصر إلا عين القضية التي نناضل عنها ونحن فى العراق ، وما كانت القوة التى ينازلها ويقارعها على ضفاف النيل إلا القوة التى لازلنا نقارعها وننازلها ونحن على ضفاف الرافدين وما الحقوق التى كان يطلب بها ابن النيل الأبى الا الحقوق التى يطالب بها ابن العراق الحر . فلئن جزع الرافدان من مصاب النيل فانما هما يجزعان لحرمانهما تلك القوة المؤثرة التى كانت تنهض من همة العراقيين وتوقد فيهم روح التضحية والاخلاص للوطن ، وانما هما يجزعان لخسرانهما تلك الشخصية البارزة التى كانت تدافع عن نظريات يؤيدها العراقيون ويقولون بحقيقتها وانما هما يجزعان لفقدانهما تلك الشعلة المضيئة التى كان العراقيون يأنسون بسناها ويقتبسون من نورها ، فاذا ابن العراق سعداً شاطر مصر الشقيقة آلامها وأحزانها وهو يقوم بالواجب لما بين البلدين من أواصر الارتباط الوثيقة ومن مماثلة فى الوضع السياسى ، ومن تشابه فى نظريتهما فى المطالبة بحقوقهما المهضومة وكراماتهما المهانة ومن تجانس فى الألم الذى يشكومنه أبناؤهما البائسون ؟

ليس فى وسع فرد واحد ان يحيط بروح سعد السامية وما يكمن فيه من آمال وآلام أن يسبر غور ذلك العقل الكبير وما يحوى من آراء صائبة وأفكار ثاقبة ، ولا فى وسع أحد أن يلم باطراف تلك الشخصية النادرة التى يضن بها الزمان كأنه ليس من الرجاحة فى شىء أن يسبر المؤبنون حياة سعد ، وسعد شاغل كل قلب خفاق ، ومرقوب من كل عين كريمة ، ومعروف عند كل مخلص يبغى لبلاده حياة رضية واستقلالا كاملا وانما لكل منهم ان يبحث ناحية من مناحى سعد العديدة ويقرأ صفحة من صفحات حياته الحافلة بالمكرمات ؟

انى يأيها السادة . لمن المؤمنين بزعامة سعد لانها كانت زعامة حقة وانى لمن المعتقدين بمبادئه لانها كانت مبادىء سلمية نامية ، أصلها ثابت فى الارض وفرعها فى السماء ولئن كان كل مافى سعد جميلا ونبيلا ، فان زعامته الحقه هى التى بهرت العقول ، وأعجبت النفوس ، وجذبت اليه القلوب ؟

ولد سعد فى العقد الخامس من القرن التاسع عشر ومن ينعم النظر فى تاريخ حياته يستنتج منه على الفور أن سعداً قد شب فى وطن يئن من تحكم الاجانب فيه ، وتعسفهم باهله وقد سايره هذا الانين الصادر من أعماق القلوب ، فى جميع أدوار حياته ، لما كان محامياً ولما كان قاضياً ، ولما كان وزيراً ، فعضواً فى الجمعية التشريعية ولكن ريح الاستبداد قد عصفت وزئير القوة قد صم الآذان فى سنة ١٩١٤ عند ما أعلن الاجانب حمايتهم على مصر من دون حق وقد دامت هذه الريح عاصفة ، وطال أمد ذلك الزئير الى نهاية سنة ١٩١٧ فكان من المنتظر ان يتمخض هذا التحكم الاجنبى الذى دام نصف قرن تقريباً عن زعيم يأخذ بيد الأمة المظلومة وينقذها من مخالب وحوش الاستعمار فكان سعد ذلك الزعيم المنتظر ، وكانت وقفته فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ حينما طالب الانجليز برفع حمايتهم عن مصر أول مظهر من المظاهر التى خلد بها للمصريين فخراً وصيتاً فى الخافقين

لقد خلق سعد للزعامه ، وقد خلقت الزعامة لسعد وقل من الزعماء من توفرت

فيه سجاياه وفضائله فلقد كان جريئاً مقداماً وقد يلمس المتتبع لحياته أثرهما فى كل موقف من مواقفه ، فى المحاماه وفى القضاء وفى المناصب الوزارية وفى رياسة الوفد

ولو لم يكن رفضه الاذعان للاوامر التى كان قد أصدرها اليـه اللورد اللنبى فى ١٩٢١ القاضية بمنعه من الاشتغال بالسياسة وإلزامه بالسفر الى ضيعته ، واجابته له بان ليس لاية سلطة فى العالم أن تخليه من القيام بواجب الدفاع عن حقوق أمة وضعت ثقتها فيـه ، برهاناً ناطقاً على جرأته ؟ لم يرهب الموت فى حياته ، ولم يثنه عن عزيمته فى جهاده الوطنى السيوف المرهفة ولا البنادق المسددة ولا الجحافل الجرارة من الجنود المحاصرة بيته ولم يخضد من شوكة تلك الروح الوثابة التبعيد المتكرر والتسفير المتعدد لان سعداً خلق ليخدم مصر ، ولانه كان يعتقد انه انما عاش ليموت فى سبيل مصر ، فكيف يرهب الموت ؟

كان سعد جواداً كريماً لايبالى من صرف آخر دانق يحويه كيسه فى سبيل بلاده ولقـد أثبت كرمه وجوده بانفاق جميع ثروته لمصلحة مصر الوطنية وبمفارقة هذه الدار الفانية فقيراً لم يملك من حطام الدنيا سـوى بيته . . .

فسعد أيها السادة كان زعيما حقاً ولم يكن كغيره من الزعماء ، يختطف الكرسى اختطافا ويبتز أموال الامة التى حنت عليـه وأحسنت اليه ابتزازاً وينفذ سياسة الاستعمار فى بلاده من دون قيد ولاشرط !

وكان رحمه الله خطيباً مفوهاً ، إذا لمست قدماه المنابر اهتزت أعوادها جذلا واذا نطق عنت اليـه الوجوه وتـكهربت من تأثير منطقه النفوس ، وكان فصيحاً لايشق له فى ميدان الفصاحة غبار اذا تدفق آنس البحر واذا أشرق ادرك الشمس بالبـدر ، وذهب كلامه بين رقة الهواء وجزالة الصخرة الصماء كان يعتقـد ما يقول فلذلك كانت خطاباته ، وبياناته ، تلعب بالارواح كما تلعب الخندريس بالرءوس ، ولما كان زعيما لامة ، كان يحسن استهواء القلوب ، وسحر النفوس بتلك الخطابات ، والبيانات البليغة ، الموشاة بالتوكيد والمطرزة بالتـكرار والمتلألئة بالاطناب البهيج .

وهـذه كل وسائل الزعماء فى استهواء القلوب وسحر النفوس ، ان أمرحم أو خطب ادلهـم

***

من المحال أن يلمس المرء فى نفس سعد اثرا للتعصب الذميم ، لدين من الاديان أو لمذهب من المذاهب لان مبـدأه : (الدين لله والوطن للجميع) . وكان سقى الله مرقده من شآبيب غفرانه ، محباً للسلام والوئام حتى مع خصومه فى السياسة. أولم يكن سعيه فى ائتلاف الاحزاب المصرية خير شاهد على نزعته الاصلاحية هاته لقد أيقظ أبناء النيل بزئير صوته ، وأزيز روحه الوثابة ، فصحوا من سباتهم العميق ، واطلعهم على دسائس الاجانب التى فرقتهم شيعاً واحزابا واثبت لهم بحصافة رأيه وقوه عارضته أن الوطنيين مهما تنافرت قلوبهم وغلت أكبادهم بنار الحقد والبغضاء فانه من اليسير أن يأتى يوم تتقارب فيـه تلك القلوب المتنافرة وتنطفئ تلك النار الوارية فى الـكبود فتتصافح الايدى وتمتزج الارواح بالارواح ويتحد الشعور، ولـكن امتزاج الارواح الوطنية ، وتعاونهم مع الوطنيين لاسعاد الوطن لمن الامور المستحيلة التى لا يصدقها عقل ، ولا يقرها منطق . فهـذه الحقيقة التى تعامى عنها أبناء الرافدين فى هذه الايام العصيبة ، قد أبرزها سعد الى المصريين بثوب قشيب فكان على يديه الاتحاد ، وكان على يديه خير مصر الذى تنعم فيـه اليوم !

كان سعد يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه ، ويعلم انه رجل دولة قبل كل شئ فلذلك كنت تجده يعد للسياسة عدتها عندما يتقدم الى المفاوضة مع غاصبي حقوق بلاده من الاجانب . فانه يسالم من جاءه من طريق المسالمة ولـكنه لم يتوقف من أن يكيـد ويخادع لمن جاءه من طريق المـكايدة والمخادعة . يروى المؤرخون والـكتاب أن « آخيل » وغـيره من أمراء الاغارقة القدماء ، تولى أمر تدريبهم (شـيرون) وهو مخلوق نصفه انسان ونصـفه حيوان فدربهـم وهذبهم وقـد أراد الـكتاب بذلك رمزاً معناه أن رجـل الدولة محتاج الى استعمال الطبيعتين

الانسانية والحيـوانية ، وأن طبيعة دون أخرى لا نفع فيها ولا بقاء لها . فرجل الدولة قد يضطر الى أن يقلد الاسد ليتقى شر الحبائل التى تنصب حول عرينه ، وأن يقلد الثعلب ليقاوى الذئاب . واذا اغفل رجـل الدولة استعمال احـدى الطبيعتين فان مصيره الهلاك لا محالة فسعد كان يقدر موقفه وكان يجيد استعمال الطبيعتين ولـكن فى موضعيها شأن الساسة المحنكين ، ورجال الدولة المدربين . وبالجملة ان سعدا هو الزعيم الحق ، وهو ذلك الانسان الذى كان يفتش عنه « ديوجونيس » حينما كان يحمل مصباحه فى ضوء الشمس !

خطبة الاستاذ الدكتور « ادى »

فى حفلة تأبين الفقيد بالجامعة الامريكية

اجتمعنا اليوم لنحظى بشرف تخليد ذكرى رجل مصر العظيم . وقد يبدو انه ليس لاجنبى حق فى التكلم عن رمز العظمة المصرية ولـكن هذا غير صحيح فسعد باشا زغلول لم يكن البطل الوطنى لمصر فقط ولـكنه أحد عظماء الرجال فى العصور الحديثة ونحن الاجانب الذين نالنا نصيب مجهوداته نرغب فى الاشتراك فى تمجيـده . والامريكيون فى طليعة الاجانب الذين جلسوا فى حضرة زعيمكم وسمعوا باعجاب ودهشة صوته وهذا الاعجاب طبيعى لان زعيمكم يمثل ماخلده الامريكيون ومجدوه طويلا

وفى الواقع ان مصر وأمريكا متشابهتان تماماً فى العاطفة الانسانيـة وأن اختلفتا فى اللغه والتاريخ وباعدت بينهما الشقة فقد وجدنا فى هـذه الـكلية أن عند الطلبة المصريين مايبعثهم على البكاء أو الضحك مثل الذى عند الامريكيين

ولقد تعلمت فى شبابى وفى شيبى فى المدارس والجامعات الامريكية أن أحترم

مواقفهم آراء معينة ووجـدت هذه الآراء مجتمعة فى شخصية سعد باشا زغلول وأخلاقه . ومنذ خمس سنوات وأنا واحد من اتبـاعه المخلصين وكثيرا ما كنت اسائل نفسى هل هو أمريكى أم أنا مصرى

وهنا فى هذه الـكلية حيث تضع مصر يدها فى يد أمريكا أرى أنه من الواجب على ان احدثـكم معنى سعد بالنسبة لى وبالنسبة لامريكيين كثيرين فقد ابلغ الطلبة الامريكيون الذين زاروا مصر مندوبى الصحف ان أعظم وأشرف تجربة خبروها كانت فى مقابلتهم له وفى اجتماعهم به

١ — الوحدة الوطنية

ان الوحدة الوطنية شئ عظيم جداً عند الامريكيين فقد ألفنا أمة واحدة من مهاجرى اربعين دولة وهذه مصر قد واجهت هى أيضاً هـذا الامر وكانت قوات الانقسام قوية فى الجاليات الاجنبية الموجودة فى المدن البعيدة وفى محاربة الاحزاب السـياسية بعضها لبعض وفى عدم وجود الصداقة بين المسلمين والاقباط ففى وسط هذه العواصف الهوجاء جاء سعد باشا زغلول وصرح بانه لا يوجد غير صنف واحد من الاهالى ، وبوجود قضية واحدة عامة ، وحياة واحدة وبوجود مصر لا غيرها فأخذ المسلم والقبطى سوياً ، والمالك والفلاح معاً ، وجعل منهم جميعاً حزباً واحداً وأبى أن يترك بلاده مشتة الشمل أو ممزقة باختلاف أهلى وضمد جروحها وخلق وحدة وطنية . واذا كان محمد على هو مؤسس مصر الحديثة فان سعد زغلول باشا هو ابراهام لنكولن الذى خلق الاتحاد وحافظ عليه وهذا الاتحاد الذى خلقه لن يموت . . .

٢ — رجل خلق نفسه

فى بلاد أمريكا هنرى فورد وتوماس إديسون يجب على كل شخص ان يعمل عملهما فليس عندنا ارستقراطية وليس عندنا شرف موروث والفرصة فى انتظار الرجل الذى يخرج الى ميدان العمل من أى بلد ومن أية أسرة ولقد كان سعد

باشا زغلول رجلا من الشعب فصار رجل الشعب و بدأ حياته وليس معه من المال اكثر منى ومنك ولم يكن هناك من يساعده بل هو الذى ساعد نفسه و بكفايته وقوة ارادته أصبحت مسؤلياته الصغيرة كبيرة وخرج الى عالم الشهرة الذائعة ، و بنفسه وحده ، بيديه العاريتين وعقله أو جدله شخصية بارزة كانت موضع إعجاب ملوك فهو لكل واحد منكم مثل حى صادق يدل على ان الزعامة فى انتظار أى شخص يواجه الحياة كرجل

وان صفة خلق الانسان نفسه ليست احتكاراً للقليلين بل هى امتياز للكثيرين ولا عبرة بان تكون فقيراً أو من طبقة دنيا فقد كان سعد فقيراً ثم كان عظيما وما يعمله رجل يمكن غيره أن يعمله وتعجب أمريكا بتكوين الشخصية وخلق النفس وهذا ما يبحث عنه العالم أجمع ، وهذا ما وجدته مصر فى هذا الجيل فى شخص سعد باشا زغلول

٣ — الشخصية المحبوبة

نحن الامريكيين لا نعتبر الرجل عظيما لانه من أسرة شهيرة أو انه حائز على رتب وأوسمة بل لانه من طبقة شريفة . وتمجد أمريكا بطلكم لا لانه كان « باشا » ولكن لانه كان « سعد » وهذا الاسم الساحر يدل على شخصية محبوبة كان لصاحبها قوة فوق قوة الرجال ولم يكن عنده جيش ولم تكن لديه ثروة . .

ولقد كانت ملامح وجهه تدل على الدعة مع الجد وكانت له قوة شجر السنديان ووداعة الزهر .

وكان إذا ابتسم انتعشت قلوب الرجال واذا جد توقف تنفس الرجال ، اجتمعت فيه أجمل عناصر الشفقة والعاطفة الانسانية أقوى صفات الزعامة وكل من عرفه ذهب إلى أبعد حد فى احترام الانسانية والى أبعد حد فى الثقة بالله

لا تظنوا اننا اجتمعنا هنا لنشرف سعداً فليس فى كل ما يمكننا قوله ما يضيف

شيئاً الى شهرته ولكن تخليد ذكراه هى التى تشرفنا وسيبقى ذكراه حياً حتى نموت .
ان روح سعد زغلول باشا لن تموت ، وعند ما تبلغ أنت وأنا من الكبر عتياً ، وعند ما تزدحم هذه الابهاء بعنصر جديد من الشباب سيكون سعد هنا يبين لهم الطريق إلى الرجولة ، والى خدمة الوطن ، والى حب الانسانية

ولقد وضع أساس مستقبل مصر وستبنى فوقه أبناؤها وقد رقد جثمانه ليستريح ولكن اسمه سيبقى منقوشاً بين النجوم .

ولسنا فى حاجة إلى ذكرى مصر القديمة ولا الى الذهاب إلى دار الآثار للتدليل على عظمة مصر فقد وجدت أسرة جديدة من رجال أحرار . ان مجد الفراعنة ملك للماضى وأما مصر الحديثة فقد أنجبت رجلا اقوى عظمة من أى فرعون

ولن تخلد ذكراه باهرام أو مقبرة وإنما بسمو مبادئه وقوتها

واذا كنا نريد ان نطمئنه فيابنا الى العمل الشريف الذى تقدمنا فى عمله بشرف . . .

وبدلا من أن نملأ جيوبنا يجب أن نكون خداما لمصر بلادكم وبلادى ...

ولتكن أخلاق كل ناشئ مصرى كأخلاق هذا الرجل العظيم فى القرن العشرين سعد باشا زغلول

خطبة الدكتور عبد الوهاب عبد العزيز

فى حفلة تأبين الفقيد العظيم فى برلين عاصمة ألمانيا

سادتى واخوانى : ان شكرتكم لحضوركم فقد أسأت اليكم . إذ الحضور واجب عليكم . وكلكم خير من يقدر ذلك الواجب . حضرتم اليوم لتؤبنوا عظيما قد رحل . ونجما ساطعاً فى أفق مصر قد أفل . ولتذكروا له جليل أعماله وجميل

صفاته وحسن جهاده . حضرتم لتشدوا ازر بعضكم بعضاً حتى لاتزحزح تحت عبء تلك الفاجعة لأن فى اجتماعنا تسلية لنا ورمز لوحدتنا

انى والله فى حيرة من أمرى . ما اذا أكتب وماذا أخطب . إذا ما هممت بالكتابة لايطاوعنى البنان . واذا خطبت أعوزنى البيان . وإذا مر بخاطرى فيمن أكتب ومن أرثى ؟؟ وقف القلم لما له من هيبة وجلال لكن المضطرب يركب الصعب من الامور لاسيما إذا كان الامر من الواجبات (ثم انتقل إلى ذكر تاريخ حياة الفقيد منذ نشأته حتى وفاته . . ذاكراً جهاده فى نشر الدعوة وبث الحركة قبل اعتقاله حيث ولى الأنجليز ظهورهم ولم يصغوا الى مطالب الامة قائلا) : « قال سعد ياقوم أننا أمة لها تاريخ مجيد وعز تليد وحضارة سلفت وعظمة مضت يشهد بذلك ما كتب فى بطون التاريخ وما هو شاهد أمامكم من آثار تشف عما كان لنا من قوة وسلطان » فنظر اليه العميد شزرا وقال لست بمصغ الى ما تقول . وانى قاذف بك الى النفى فما عساك فاعل وكان ذلك فى (٨ مارس سنة ٩١٩) قال سعد افعل ماشئت ان ورائى أمة حية سوف تريك عجبا . واذا أخرجتنى من مصر أدخلونى فى القلوب . . ونفذت القوة ما أرادت وانفجر بركان الثورة فكان له دوى وكان له زئير . ووقفنا لهم موقف الند للند . لهم مايملكون من آلات الهلاك ولنا الايمان بحق مغتصب . والذود عن كرامة مهانة أبينا الا ان نغسلها بالتضحيات

لقد خبرناكم ياأبناء التاميز وعجمنا عودكم فانتم لاتطأطئوا الرءوس إلا لعظمة الاساطيل ولا يزعج سمعكم إلا طنين الطيارات ولايعمى أبصاركم إلا بريق السيوف ولا تصافحوا إلا يداً حديدية . وأخذتهم الصيحة فاذا هم ذاهلون وسقط فى يدهم فما علموا ماهم فاعلون . رأوا أمامهم شعبا تسيل منه الدماء ثم هو عن حقه لايحيد وتحصده المهلكات فتميد الجبال ولا تميد — فارتد القوم القهقرى وذهب العميد إلى قومه غضبان أسفاً قال انى أرى شعباً عنيداً فى الحق عنيداً فانظروا ماذا أنتم

قاعلون — أما بعد فقد احله المصريون فى الصميم . وذهب سعد يوالى الجهاد أشد مما كان وأقوى . فتارة يخطب وتارة يكتب وبينا هو يدبر الامور بحكمة إذا هو يرد كل فرية . وتسمع صوته فى الشرق فيتردد صداه فى الغرب

ايه ياسعد لقد كنت تبكى إذا ماحملوا اليك شهيداً . كنت تبكى وانت تعلم حق العلم ألا حرية بغير دماء . وكأنك وقد علقت صورة « بسمارك » معبود الالمان فى مكتبك كنت تدين بدينه . كنت تتألم لالمنا وتشعر بشعورنا . فتبكى لبكائنا وتفرح لفرحنا فكنت المعبر عن ارادتنا والناطق بلساننا والمدافع عن حقوقنا وكنت فى ذلك الوكيل الامين لقد أحببناك ووضعناك فى الصميم من القلب ورفعنا لك ذكرك ونلت مجداً وعظمة لم يسبقك اليهما إلا القليلون فى التاريخ . وما رفع سعد إلى تلك المكانة إلا متانة فى الخلق وشدة فى الحق وصدق فى القول وإخلاص فى العمل كائنا من كان خصمه »

خطبة الاستاذ محمد ابراهيم الجزيرى

السكرتير الخاص لدولة المغفور سعد زغلول باشا

على قبر الفقيد الراحل

سيدى الرئيس الجليل

تعودت ان أقف بحضرتك لتملى على أو لأستمع لك . فهأنا الآن مكانى منك لا أخرج عن عادتى ، ولا أتعدى حرمة الاجلال والتأدب الواجبين على

هذا مقامك أيها الرئيس فألق خطابتك وأفض بلاغتك . قل . ولست أكتب بقلم على قرطاس . وانما أكتب بدم القلب على صفحة القلب

هذه الوفود حاشدة . وهذه المظاهرات متدافعة ، جاءتك فى يوم الكرب

وفى شدة الخطب. جاءتك تقتبس من وطنيتك وتشد أزرها بعزيمتك. نخذ أيها الرئيس مكانك فوق هذا العلو ولكن رحمة بصحتك ! لا تتعب نفسك برفع صوتك. اخطبهم صامتاً فأنت بصمتك اليوم أخطب من سعد بالامس اخطبهم انك لن تسمعهم وحدهم، بل أنت مسمع أهل القطر، من البحر الى منبع النهر ....

لقدخادعت(١) فيك النفس(٢) جهلا ارجى موتك النوم الهنيا
وما أيقنته إطفاء نور قضاه الله نوماً سرمديا (٣)
فأين اللحظ (٤) تنفذه حديداً تروع(٥) به الخميس (٦) الاروعيا (٧)
وأين إرادة صعبت مراساً (٨) على الازمات (٩) تطويهن طيا
دهانى (١٠) يوم نعيك (١١) مادهانى فجائع(١٢) تهرم(١٣) الحدث(١٤) الصبيا
قصدت بكل جانحة (١٥) فؤاد (١٦) أشب به الجوى(١٧) زندا(١٨) وريا(١٩)
فأى الرزء بعدك أتقيه وأى الخطب (٢٠) محتدما حميا

---

(١) خادعت : اخفيت (٢) النفس : الروح قال تعالى خلقكم من نفس واحدة (٣) سرمديا : دائما (٤) اللحظ : النظر بمؤخر العين (٥) تروع : تفزع (٦) الخميس الجيش لانه خمس فرق المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق (٧) الاروعى: هو الذى يعجبك حسنه (٨) المراس هو المعالجة ومنه الممارسة (٩) الازمات : الشدائد ولها معان اخرى منها القحط والضيق (١٠) دهانى اصابنى (١١) النعى: خبر الوفاة (١٢) فجائع : جمع فجيعة وهى الرزيئة (١٣) تهرم : الهرم كبر السن (١٤) الحدث بفتحتين الشاب (١٥) جانحة : واحدة الجوانح وهى الاضلاع التى تحت الترائب وهى مما يلى الصدر كالضلوع مما يلى الظهر (١٦) الفؤاد : القلب (١٧) الجوى الحرقة وشدة الوجد (١٨) الزند : مفصل طرف الذراع فى الكف وهما زندان الكوع والكرسوع (١٩) ريا ! بكسر الراء وفتحها الارتواء من الماء (٢٠) الخطب : الامر الجليل

وأى مصائب الايام أقنى لفجعتها دم القلب الزكيا
قضيت (١) وما المصاب مصاب فرد فتهدأ من جوى الحزن الحميا (٢)
أدرت الفكر بعدك ألمعيا (٣) لأملأ من كفتيك مقلتيا (٤)
فلا والله ما قلبت طرفى على الف يدانون الثريا (٥)
حملت عظيمة الامر اضطلاعاً وغيرك هابها (٦) أفناً (٧) وعيا (٨)
مكارم أنت واحدها جماعاً كأنك قد بعثت بها نبيا
يذكرنيك آمال كبار غرست فآتت الثمر الشهيا
(وكانت فى حياتك لى عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيا)

خطبة صاحب العزة مشيل لطف الله بك

بين يدى ام المصريين

أتقدم الى عصمة ام المصريين وإلى الشعب المصرى الناهض باسمى واسم هذا الجمع الذى يتمثل فيه شعور سوريا الحزينة معزياً بفقيد مصر والشرق أجمع المغفور له سعد زغلول باشا وأقول — ان أثمن ساعات كسبتها فى حياتى هى يوم ان أتيح لى ان اكون من اعضاء الجمعية التشريعية والوفد المصرى فأرى فى أعمال الزعيم الجليل عن كثب سر البعثة الخطيرة التى سيقوم بها فى هذا الوطن العزيز. ان تلك الاستقامة المجسمة والثبات الذى يزحزح الجبال والادراك الذى

---

(١) قضى مات وانتهى (٢) الحميا. حمى التنور حميا اشتد حره (٣) المعيا. الذكى المتوقد (٤) مقلتيا. مثنى مقله وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد (٥) الثريا نجم (٦) هابها. من باب ضرب خاف وفزع (٧) الافن بسكون الفاء ضعف الرأى (٨) العى. بكسر العين ضد البيان

ينفذ إلى أعماق الحقائق جعل هذه المصيبة لا تقتصر على وادى النيل فحسب بل تتناول العالم العربى جميعاً وفى مقدمته سوريا الدامية . وان اعظم ما تتحفنا به العناية هى ان ترسل لنا من يحمل المصباح الذى كان يحمله ليرشدنا فى هذا الظلام الداجى ، تغمد المولى الفقيد العظيم برحمته

خطبة الدكتور عبد الرحمن بك شهبندر

على قبر الزعيم الفقيد

يتوهم بعض الناس ان المرء إذا مات انقطع عمله

ان الذين انقطعت اعمالهم من الموتى هم الذين عاشوا ليأكلوا ويشربوا وينامو ، وأما الذين نبضت عروقهم لتغذية الروح السامية التى حملوها فى ادمغتهم والعبقرية الاثيرية التى تحلوا بها فى صدورهم فلن يموتوا . ذلك لان الموت وقوف الحركات المادية واستحالة الخلايا الفردية وأما الخلود فبقاء الروح واستمرار العبقرية

لقد ذهب من سعد اللحم والدم والعظم وهذا قريباً سيفنى ايضاً لانه من العناصر المادية التى تتحول وتتبدل وأما الذى بقى من سعد فهو الروح المرفرفة ليس فقط على هذا الجمع الحافل ولا فى هذا الوادى المبارك ولا فى الاقطار الثلاثة الشقيقة بل حيث فهم الناس مباشرة ومن غير ترجمة لسان حال سعد ينادى من غير لكنة ولا عجمة « ان من يبنى كيان امته السياسى يبنى اخلاقها الثابتة وميزتها البارزة وعزها الدائم .

ايها الزعيم الراحل بجسمه والخالد بروحه ان العالم العربى الذى اتينا لنمثله لديك يفهمك فهماً صحيحاً لا لأنه شريكك فى لغة اللفظ فقط — فى تنميق الجمل وصف الكلام وتهجية الحروف بل لانه شريكك فى لغة المعنى ايضاً —

شريكك فى شعورك وشريكك فى ألمك وشريكك فى املك وهذا لعمرى ارقى انواع التفاهم وأشرف انواع الشركات

انني كلما تذكرت اجتماعنا الثمين فى مسجد وصيف فى شهر مايو الماضى اندب فيك الفانى واهنئ الخالد ابكى فيك المتحول المتبدل وأحيي الدائم الثابت فأقول ما قال (كاليماكوس) قيم مكتبة الاسكندرية فى صديقه (هرقل) فى القرن الثالث قبل المسيح

لقد بلغونى ياهرقل لقد بلغونى انك مت . وجاءونى بالنبأ السئ لاسمعه وبالدموع الآسية لاسكبها . انني بكيت اذ تذكرت كم نحن اتعبنا الشمس بحديثنا المتبادل وانزلناها من على قمة الفلك . والآن وأنت مضطجع ايها الضيف العزيز القديم . حفنة من رماد اشهب قد تمتعت بالسكون منذ أمد بعيد . فان اصواتك المطربة وهى بلابلك الحية لا تزال تصدح . لان الموت يذهب بالجميع ولكنه عاجز عن الذهاب بها

ايها الزعيم الجليل انني لا اقول على ضريحك ابداً ان تلك الشمعة المضيئة التى بهرت العالم العربى بنورها الوضاء اصبحت ذبالة تنتشر من حولها روائح الشحم الذائب بل انني اقول ان تلك الشمعة الوضاءة اصبحت الآن نوراً وهاجا من غير شمع وحرارة محركة من غير دخان ومهما بعدت المسافة بين عالمنا الفانى وعالمنا الباقى فما يشع من هذا النور وما ينتشر من هذه الحرارة سينير لنا حندس الليل ويحرك فينا خامل الهمة على ان ابعاد الخلاء ما حالت قط دون اتصال الارواح

وما بعدت دار ولا شط منزل * اذا نحن ادنتنا الامانى والذكر

خطبة محمد افندى عبد الرحيم طه

فى حفلة تأبين الفقيد ببرلين عاصمة ألمانيا

اخوانى ومواطنى الاعزاء . فى الثالث والعشرين من اغسطس هـذا العام هوى أكبر كوكب ينير سماء وادى النيل . فى الثالث والعشرين من اغسطس هذا العام . غربت اسطع شمس فى سماء الشرق بأجمعه — فى الثالث والعشرين من اغسطس هذا العام مات أكبر زعيم للشرق ووقف عن الحركة أكبر قلب لوادى النيل كان لايخفق الا له ولاجله وأقسم الا ان يكون قرباناً وفداء للامة والوطن وقد كان. مات الرئيس الجليل. مات الزعيم سعد زغلول. رجل وداى النيل الأوحد و بطله الاعظم . فوا مصيبتاه ووا حسرتاه ووا حر قلباه . اليوم تندب حظ مصر . اليوم تندب سوء طالع مصر . مسكينة انت يامصر » . الى ان قال « فعزاء وصبراً جميلا ان كان للعزاء والصبر منفذ . وسلام على تلك الروح الزكية التى فاضت وكتبت مجد مصر فى صحيفة التاريخ وأثبتت لمن يأتى بعدها ان الحياة رخيصة فى سبيل اعلاء شأن الوطن اذا جد الامر وعز الفداء . فنامى هادئة مطمئنة أيتها الروح الطاهرة الزكية وارجعى الى ربك راضية مرضية وان كان الجسد قد اختفى « سنة الله فى خلقه » فانك ستبقين حية خالدة ترفرفين علينا من سماء عليائك لنهتدى بهديك الطريق الذى رسمتيه لنا وستبقى تلك المبادئ السامية التى خلقتها ياسعد وآياتك البينات فى الوطنية حية الى الابد وستثمر فى المستقبل القريب تلك الدروس البليغة والتعاليم العظيمة التى غرستها فى نفوس الامة وستبقى كما قال سعد « إننا أمة عرفت حقوقها وعرفت واجباتها وستدل الامة بمقاومتها لأعمال الغاصبين ان لها ارادة لا يفلها الا ارادة الله سبحانه وتعالى وقد لا يمكنهم ان يتغلبوا على هـذا الشعور الالهى الذى بثه الله فينا ، فى نسائنا فى اطفالنا ولا يمكن احـداً اطفاء هذا الشعور » تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته آمين

خطبة الاستاذ ابراهيم عبد الهادى

فى حفلة الطلبة لتأبين الفقيد

تحيه لروح البطل الخالد الذكر . ورحمات تترى على جدث ضم أشجع من من أنجبت مصر وأبر من ولدت مصرية فى النيـل

استلهم تلك الروح الدافعة القوية نجدة على موقفى هذا ، موقف عرفت جلاله واستشعرت رهبته وقدرت حرجه ومع كل ذلك لم أفكر فى التنحى عنه ولا التراجع دونه لانه واجب فى عنقى حتم على أداؤه وليس يبرر لامرىء ضعفه عن أداء كل الواجب ترك كل الوجب

ولئن تواضع المؤبنون على أن يلموا بجلائل أعمال الراحلين وتعـداد مناقبهم والاحاطة بحياتهم فى صحف قلائل معدودات وكان جلهم موفقاً ان لم يكن كلهم بالغاً حد الكمال فى مطلبه فذلك مالا يطمع فيه مؤبن يذكر سعداً وعظمته

فالكل جيل افذاذه ورجاله ولكن الافذاذ لا يستوون . واذا علمنا سواد الناس يخرجون من الدنيا كما سبقوا اليها وليس لهم فى صحف الانسانية أثر ولا ذكر أدركنا عظمة من يكتب بحياته كلمة طيبة فى سجل البشرية أو سطراً كاملا وعلمنا اذن كيف يسهل عد مآثر العظماء من هـذا الطراز . . . ولكن كيف بك أمام حياة لم يقتصر أثرها على سطر أو صحيفة ولكنها خلقت كتابا ضخما هو تاريخ أمة فى مدى أربعين عاما أو يزيد هو مستودع لكل فخارها وجهادها تتبين فيـه صحوها من الخمول فشعورها بذل الرق فتململها من القيد فأخذها بأسباب فكاكه بقـدر ما يسرت لها الظروف من نهضة علمية واجتماعية حتى اذا استكملت أهليتها فزعت من الظلم وأبت حمله وأنكرت الاستبداد وأهله

وانت ترى سعداً وأثره فى كل هذه الادوار واحداً واحداً ليس منها دور إلا

له فيه قدم صدق وجولة ايمان حتى اذا كانت ساعة الجهاد برز البطل المحنك الى الميدان فى يوم شديد الهول ينازل فى غير رهبة خصما يحمل فى يمينه سيف المنتصر القاهر. خصما هز عروش القياصرة وثل مجدها ، فكان مشهداً عجباً أن ينازل الاعزل مدججا وان يرهب المسالم محاربا . . . وظنت الكثرة ان دعة هذه الامة لن تلد غضبا وان سكينتها جمود دائم لاينكشف عن قوة وأن شكواها نجوى المستضعفين لاتلبث أن تنقلب أمام العصى ضراعة واستخذاء وتسليما . .

ولكن الرجل الذى ساير حياة أمته بدقة طوال السنين كان يعلم منها غير مايعلم خصومها منها بل أكثر مما تعلم هى من نفسها انه يعرف فى أى مكان من قلبها أودعت تعاليمه وتعاليم اخوانه والى أى عمق استقرت هذه التعاليم انه يعرف كيف يستخرج ماأودع وكيف يستثير مابث . لذلك أقدم مؤمنا جريئاً وشجاعا ثابتاً حتى اذا وقعت الواقعة رأيت المترددين بالامس فى طليعة الصف يجاهدون لاخوف فى قلوبهم ولاهم يضعفون .

انه مهندس ماهر باشر بنفسه مداسلاك الكهرباء يعرف أين طرفاها الموجب والسالب ويعرف كيف يضمهما فيجعل من الظلام نوراً ومن البرد ناراً.

انه عرف من أين تبدأ الشرارة الاولى وماذا يخرجها لتسير فى أعصاب الناس جميعاً . عرف ان لن يخرجها الاصدمة القوة تهوى على رأس الزعماء فتقدم للانجليز حتى اذا تلقى الضربة بالنفى وصمد لها كان من ذلك الشراره المباركة التي لا تزال حرارتها تسرى فى اعصابنا وتتغلغل فى قلوبنا وستبقى كذلك الى الأبد ان شاء الله .

عرف سعد كيف يحرك الامة فكانت وسيلته التضحية وضرب المثل فى الاقدام وانكار الذات . كذلك عرف متى يخرج الفكرة . واذا قبلت ذلك رجعت بذاكرتى الايام كنت تسمع فيها « ليته بدأ الجهاد فى أوائل أيام الحرب » ??? قبل ذلك . ولكن نسى القائلون حالنا عند بدء الحرب من التنازع والتفرق

أمر ان ما كان لاحد من يد على ازالتها . فلما نزلت الحرب بظلمها علينا لم تفرق يد القوة بين مصرى وآخر بل بطشت بالجميع بطشة جبار وضربت لهم مثلا عملياً حياً ودرساً قاسياً مراً علمهم أنه مهما اشتد أحدهم على أخيه فهو أرحم به من الاجنبى وكلنا يعلم أنه ليس يجمع بين القلوب مثل اتحاد المصائب .

هنا صرخ الرجل العظيم صرخته أن كلكم فى الوطن اخوان وأن الوطنية ديننا جميعا . كلمات نزلت وراء برهان ساطع من صنع الحوادث فقادت القلوب على حق و بعد بينة الى الغاية العليا يسعى اليها الكل صفا واحداً لا ثغرة للخصم منها ولا منفذ للفتنة تنساب من خلاله . وهكذا كان سعد عظيما فى اختيار الظرف بقدر ما كان عظيما فى اقدامه وشجاعته وكذلك امتازت قيادته بظاهرتى القوة فى حركات الجهاد والتضحية وتوحيد الصفوف .

وتلك سنة الله قضت ان تنقضى ايام هذا البطل من عالم الفناء الى عالم الخلود فهل من خوف على شمل جمعه ورأى وحده ؟ : لا خوف ايها المصريون على اتحادكم ولا خطر ! فلقد توحدت ذكرياتكم ومفاخركم وأصبح لكم من ايام جهادكم المشترك مجد يتصل بكبريائكم جميعاً

لقد كانت القومية المصرية مزودة بمقوماتها المادية من وحدة فى اللغة الى وحدة فى الجنس الى وحدة فى التقاليد ما كان ينقصها الا المقوم المعنوى ذلك هو وحدة الذكريات وفيها عنصر الحياة الاقوى وذلك ما زودها به سعد فى ايام جهاده وبه تمت لها العصمة من التفكك ، وبه كتب اسمها فى صحيفة الخلود

بزغت شمس الحركة الوطنية الاخيرة ، والقومية المصرية هيكل من الهياكل وصورة من الصور . وما زالت بين يدى سعد ينفخ فيها من روحه ونفحاته ورهبة مواقفه وخالد جولاته ثم تولى عنها ولها كل مميزات القومية الكاملة الا انها تبذ غيرها بحرارة الفتوة وقوة الشباب

وعظمة سعد ليست محصورة فى جهاده الاخير ومجهوده فى سبيل مصر

بل عظمته بدأت منذ أول حياته . الم تره كيف كان من الاحرار المضطهدين منذ الثورة العرابيه ؟ الم تطالع ما كتب بصحيفة الحكومه فى الحرية والاخلاق وما بث فيها من روح حار كلها حياة وغذاء لروح الشعب ومنبه لعزته ؟ أتراه كان فى هذا موظفاً يعمل لعيشه فحسب ؟ أم تراه كان يفكر فى هذا العيش وانت تعلم نفسية الحاكمين إذ ذاك لا يعرفون من الطاعة الا فناء الارادة ولا يطلبون من الموظف الا أداة للاخذ برقاب الناس اذا فكروا ان لهم مرتبة غير مرتبة العبد. حياته وما ملكت يمينه لسيده ؟

لا شك انه كان مدفوعاً بشئ أغلى لديه من رضا الرؤساء وعطف الامراء مشغولا بما هو أخطر قدراً من سلامة العيش ولين الحياة فى ظل خدمة الحكومة وهل من يجهل سعداً محامياً يذود عن الحق ويحمى حمى المظلوم وينتقل بالمحاماة من درك المهانة الى مرتبة من الرفعة وازت مرتبة القضاء وسمت الى عليائها ؟

سوف لا ينسى له التاريخ ما أورث المحاماة من مجد وما غذاها به من قوة وعزة ، وليس هذا تقديراً طائفياً وكفى — على أنه لو صح لكان مفخرة تزدان بها صحف العظماء — ولكن الامر جل عن هذا كثيراً . .

ان حفظ المحامى وصيانته وحياطته صيانة لحق الدفاع الذى يتولى باسمه المجادلة عن حقوق الشعب ، وكيف يجرؤ محام أن يذود عنك اذا كان غير مطمئن على نفسه فى موقف أغلب ما يكون ضد القائمين بالامر ؟ هل يدفع الضيم الذليل ؟ كلا لهذا كان عملا شعبياً عاماً لا طائفياً محصوراً قيام الفقيد باصدار قانون معترف فيه بنقابة المحامين ووضعه نظاما خاصاً بتأديبهم الى آخر ما فيه مما هو فى الواقع صيانة للحقوق وحماية للقائمين عليها قبل ان يكون خدمة شخصية للمحامين ولطائفة من الطوائف . .

ولقد شهده القضاء فى كرسيه فشهد النزاهة المطلقة والمنطق المستقيم والعدل الرائع والعلم الزاخر والبحث الدقيق كما شهدته كراسى الوزارات شخصية غلابة

تجرفه سيطرة القوة التى لا تقوم على القانون وانما تقوم على هوان نفوس الرؤساء يضحون بكراماتهم وضمائرهم وواجباتهم ثمنا لطول المقام فى الحكم ولكن سعداً كان يفهم الحكم غير فهمهم وتلقاه على غير ما تلقوه ، تلقاه كحق من حقوق الامة ائتمنته عليه فاستشعر مسؤلية هذه الامانة

ومضى يؤديها أداء النزيه باخلاص وصدق شبت عليهما نفسه ولم يسترح لغيرهما ضميره . و رأى هواناً على روحه الكبيرة أن يكون وهو أحد أعلام البلاد رهن يد تقلبه حيث شاءت الاهواء

يومئذ اعتزت مصر لاول عهدها بوزير من أبنائها واحست بان لها فى تسيير أمرها أثراً ولا تنسى انه كان أول مصرى بكر إلى العناية برغبات الشعب وجعل لها من احترامه مكاناً قدسيا فحدث الشعب على غير سابقة بخطته فى التعليم ورأيه فى إصلاحه دفعاً لما ظهر يومئذ من اعتراض على سياسة التعليم وكم من اعتراض أبدته يومها ومن قبل على اعمال غيره فما فكر فى اقناعها برد ولا اعار ملاحظاتها لفتة . .

وثار الفلك دورته فاذا سعد بعيد عن مناصب الحكم و إذا الامة تعرف رجلها فتقدم الى الجمعية التشريعية معتمداً على ثقتها معتزاً بحبها محوطاً بجلالها و إذا هو المدرة الفياض يتولى الدفاع عن حق بلاده بأسرها ويشد جانبها بما وهب من علم و رأى وحكمة زادتها شجاعته ورسوخ إيمانه قوة على قوتها ومهابة على جلالها . و إذا مبادئ الثورة الحقة يفيض بها فؤاده يومئذ فيضاً و يقذف بها فى وجه القوة ووجه الاستبداد كانه فى عالم والمخاوف فى عالم آخر . مع انها منه قاب قوسين ولكن المؤمن بالحق يرى الباطل كانه خيال وهكذا نادى سعد يومئذ بكلمته الخالدة (الحق فوق القوة والامة فوق والحكومة)

الحق فوق القوة هذا مبدأ جهادنا للخلاص من الغاصبين والامة فوق الحكومة هو مبدؤنا الدستورى واساس حقنا للخلاص من الاستبداد وهو نفس المعنى الذى

يقرره الدستور الحالى فى صدره بأن الامة مصدر السلطات جميعاً

هذه هى أحلام سعد وأمانيه التى بعثت اليه من فجر حياته أن يخاطب الامة موظفاً صغيراً ووزيراً كبيراً بلهجة من تلقى الامانة عنها ومن عرف الفضل لها ومن آمن أن الامر راجع اليها وإن المستقبل والفوز لها . فلما حانت الفرصة أطلق مبدأه كالسهم فى وجه الحكومة وعلى مشهد من نواب الأمة وأنه وان لم يؤت أكله فى حينه فقد لبث يفعل فى نفس الشعب و يتغلغل فى عقليته حتى أصبح ايمانا وعقيدة مصرية مالبثت أن انتقلت الى نفوس المتحكمين فآمنوا ان محالا حكم هذه الامة بغير نوابها فكان الدستور وكانت حقوق البلاد فى الحكم مكفولة به

آمن سعد بحق الوطن وجعله فى عمله قبلته فما اكتفى من مجهود بما يجدى على شخصه بسعة فى الرزق و بسطة فى الجاه ولكنه كان دائماً يؤدى فى سكون فريضة الوطن الكبرى فلا يقنع من عمل بما دون الخلود لذلك ترى آثاره بادية باقية فى كل عمل تولاه ، لم يؤثر عليها تركه للعمل ولا بعده عنه ولو أنه مجهود خاص بشخصه لولى من بعده . اما وهو لوجه الوطن فهو خالد كخلوده باق كدوامه

ذلك هو الاخلاص فى العمل الذى يحدثنا عنه الزعيم فى حكمته المأثورة (يعجبنى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل)

ومازال الراحل الكبير يضرب لنا فى كل يوم مثلا مصداقا لحكمته هذه حتى انتهى شهيد الواجب والاخلاص له فأزرى بحكمة المتنبى التى يقول فيها

واذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الاجسام

وأصبحت من بعد سعد كلمة الحق فى هذا

واذا كانت النفوس كباراً فنيت فى مرادها الاجسام

وسيحفظ التاريخ فى أطهر صحائفه مثلا ضربه الراحل فى الاخلاص للواجب ليس أقل روعة من موته فى سبيله ، ذلك موقفه يوم توعدته القوة بنوازلها ان لم يترك

ميدان الجهاد ويعتزل سياسة البلاد فنادى فى وجهها « سأبقى فى مركزى مخلصاً لواجبى وللقوة أن تفعل بنا ماتشاء أفراداً وجماعات » حتى اذا أنفذت القوة ماتوعدت به مكث والامة مؤمنين بان الحق فوق القوة حتى ذابت قواعد العسف ورجحت كفة الحق فاذا به فى مركزه مخلصاً لواجبه وإذا سيف الباطل فى غمد من الخزى

أيها الراحل الكريم هـذه بعض آثارك فينا وذاك طرف من وصاياك بيننا جئنا اليوم لنذكرها ولنتواصى بها وفاء لك وبراً بأنفسنا التى طالما تعهدتها بالبر. نرى قضاء لحقك الذى لاتؤديه الدموع ولا توفيه الحسرة على فقدك أن تكون هادينا للمستقبل، وعهدنا فى العمل، وزادنا فى الجهاد

أيها الراحل البطل لقد كنت دوحة فينانة مشرفة مثمرة كلما هبت عليها رياح الحوادث ألقت ثمراً شهياً ونثرت بزور الحياة تغـذى شباباً قوياً درج ونشأ بين عطفك وعصف الحادثات فاعتاد أن يغلب الحادثات على عصفها والشـدائد على نوازلها وها هى الشعبية الزاهرة تحيى ذكرك وتحفظ عهدك وتترسم خطاك . قم فى عليين هادئاً مطمئناً تباركنا روحك ويهدينا سنا آثارك

أيها الراحل البطل . أن يذكر لك الوطن فضلك عليه وعلى بنيه وكنت فيهم من الذاكرين فان لك فى عنقى فضل المعتق من الاسر المطلق من القيد ، فضلا يضاعف شجنى عليك ولوعتى لفقدك . . . . لقد والله أحرق قلوبنا التى أعززت وحميت أن تخفق ويسكن قلبـك الكبير وعقل ألسنتنا التى حررت وأطلقت أن يجرى عليها القول ويحبس الى الابد منطقك القوى المبين . .

وانى لاراك فى كل مايصادفنى فى الحياة من نعمة وخير لأنك انت الذى أعدتنا الى أحضانها وأطلقت أجنحتنا فى فسيحها تخفق حرة لا تثقلها نعمة مخـلوق ولا توهن منها يد منان

وانت يارافع العلم وخليفة الزعيم الاكبر لك منا كل الثقه وللبلاد فيك خير رجاء . نثق بنزاهتك وجرأتك واخلاصك وغيرتك ونعرف لك كفايتك وفضلك

وعلو همتك .. سر فى طريق سعد الذى صحبته طوال السنين ميمون الصحبة صادق العهد . ونسأل لك التوفيق الجدير بفضلك ونرجو الله ان يكتب السعادة لقيادتك

وأنت يا أماه . نتوجه اليك من هذا المكان بقلوب تفيض احتراماً لك وألماً لمصابك مصاب الوطن ، سائلين لك عزاء عن عظيمك بما خلع على بلاده من عظمة خالدة وما ترك لها من تراث مجيد سيبقى حديث التاريخ الى نهايته ذا كرين لك فضلك فى مشاركته وما كان لك من أثر فى عظمته والله نسأل أن يمدك بقوته وان يطيل لك فى العمر حتى يتم عزاؤك بتحقيق غاية فقيدك فترين عزة مصر باستقلالها التام

رحم الله سعداً فى المجاهدين . والبقاء لله . والمجد للوطن .

خطبة الاستاذ لطفى المسلمى المحامى

فى حفلة تأبين الفقيد بالزقازيق

سعد ، يا روح البلاد ، وعلم الجهاد ، ورسول السلام ، ورمز الوئام ، و بطل الشرق ، ومنقذ النيل

سعد ، يا مجد التاريخ ، وفخر الوجود ، ومعجزة العصر وحياة مصر

سعد ، يا أبا الامة ، ورجاءها فى كل ملمة ، وغايتها الى كل غاية ، وعزيمتها اذا عزم الامر

سعد ، يامنبر الحق ، ولسان الصدق ، ومنطق الصواب ، وفصل الخطاب

سعد ، ياحياة الحياة ، وهادى الهداة ، وعلاء العلاء ، وسماء السماء

سعد ، يامن قدتك العناية لوادى النيل وقدته لك ، فجعلت من سينك

السودان ولعينك اعالى النيل وفى دالك الدلتا

سعد ، وفى سينك للبلاد سعد ، وتحت عينك للشرق عز ، ومن وراء دالك لهما الدوام

سعد ، هل انت كما انت وحيث انت ، أم هل تبدلنا نحن ، ام هل تغيرت انت

لا ياسعد ، كذبت عينى ، وأخطأت اذنى ، وتاه فؤادى واحتار قلبى

لا ياسعد ما هذه مظاهر الموت ولا تلك مظاهر الفناء ولا ذاك وداع القبور ولا تلك تحية الشهداء

لا ياسعد لا انت انتهيت ولا هذه الامة عال على سوادها سوادها ولا على حدادها حدادها ولا هى تتلمسك فلا تجدك

لا ياسعد ما ابرك بأمك مصر وما احناك على ابيك النيل وما ارحمك بأبنائك الشعب فهل تقتلهم وجيباً وتبرحهم نحيباً

لا ياسعد ما هكذا تدك الجبال وتخر الصروح وتصرع العظمة وتفنى المآثر والآثار

لا ياسعد . انت ابقى على الدهر من جدة الدهر وأطول فى العمر من طولة العمر فان ثويت فنى الحنايا والجنوب وان طويت فنى سويداء القلوب

ولماذا ياسعد . تحتجب فى الصدور عن الدور وتؤثر سكنى الافئدة عن الاعهدة وقد علمت ان لك فى كل فؤاد مثال وفى كل قلب تمثال وانك الحقيقة ونحن الخيال

لا ياسعد لا اظنها منك الا مظاهرة اردت ان تستشف بها القلوب وتقيس بها الايمان وتختبر بها جنودك وتمتحن بها امتك وهى ذاهبة لملاقاة عدوها فى ساعة الفصل

لا ياسعد جئت تبلو السرائر فشققت المرائر وبرحتنا لتعود فمالك الآن

فارقت الوجود

هل صحيح ياسعد ان الحياة باتت تندبك والوجود أضحى ينعيك والعالم اصبح يبكيك وان الثريا منك تسكن الآن الثرى

هل صحيح ياسعد ان هذه العبقرية التى شهد بهما لك العالم كله وتلك الفصاحة التى اعترف لك بها حتى خصومك وهذا البيان الذى سحر أقسى الناس ضميراً وتلك العظة التى استولت على كل قلب قد شلت جميعاً ولم تعد تتحرك

هل صحيح ياسعد ان جبار الخطباء وامام البلغاء وعلم الساسة وسيد الزعماء وعظيم العظماء يصمت الآن الى الابد

هل صحيح ياسعد ان الحرية التى لم تشعر بوجودها الا فى شخصك ولم تجئ الا على لسانك ولم يؤد أمانتها الا قلبك الكبير تندب حظها فيك وهى وليدة فعلك وغرس يدك

هل صحيح ياسعد ان المبدأ السامى الذى ربيت عليه الشعب وأحييت عليه الامة والمثل العالى الذى ضربته فى كل شئ وأعجزت به العالم اضحى الآن روحا بلا جسم ورسما بلا رسم

هل صحيح ياسعد ان الصحائف الغر التى طبقت العالم كله قد انطبقت الساعة وأن الاعلام التى رفعت لك فى كل مكان قد طويت الآن

هل صحيح ياسعد أن كلمة (يحيا سعد) التى كانت دائما تدوى فى كل ربع وتخرج من كل قلب وتتسابق عليها الالسنة وتتبارى فيها الافواه قد استبدلت اليوم برحماك ياسعد يقطعها الانين وتخنقها العبرات ويذيبها الحزن

هل صحيح ياسعد ان الصيحات العالية التى كانت تشق امامك الصخور وتحمس البلاد وتذكى الجهاد قد اصبحت اليوم بكاء حاراً يفتت الاكباد ويحرق الاجساد

هل صحيح ياسعد ان الامة التى كانت تلقاك كلها كلما خرجت هاتفة

مستبشرة مهللة مكبرة قد ودعتك منذ أيام الى مقرك الاخير حاسرة حائرة باكية صارخة ضارعة ضائعة لا تلوى على شئ

هل صحيح ياسعد ان المعتقل الذى سكنته والسجن الذى دخلته والمدافع التى صوبت الى صدرك والحراب التى وجهوها اليك لم تستطع ان تذهب بك ولا ان تغير منك وانك من سريرك والامـة فى يمينك اسلمت نفسك للموت وقلت لنا والهلع يقتلنا (انا انتهيت)

وهل انت انتهيت

نعم انتهيت الى أرقى سلم فى الكمال البشرى

نعم انتهيت من اكمل اداء لاقدس واجب فى الحياة

نعم انتهيت من أبر وفاء لارحم أم مصر

نعم انتهيت من أبرع دفاع فى اكبر قضية الاستقلال

نعم انتهيت من اصدق اداء لاكمل غاية الحرية

نعم ولكن هل انتهيت من الدنيا وهل مثلك ينتهى

لا ياسعد . اسمح لجندى قاتل تحت لوائك ان يظهر معجزتك على اعين الناس وأن يقول انك مهما حاولت فلن تنتهى من الوجود وان تناهى بعدك

لقد كانت حياتك مثلا عالياً وكان فراقك درماً غالياً وان صفاتك وأعمالك بحيث لا تفنى ولن تموت . يقولون انك ثويت الى الخلد ، وتركت العمل لنا والجد — لا — فانك انت القائل :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه * نازعتنى اليه فى الخلد نفسى

يقولون انك الآن بمعزل عن الاحياء كلا أفلم تقل لك :

هذا الوجود وان تعدد ظاهراً * وحياتكم ما فيه الا أنتم

يقولون لك انك الآن فى الحياة الاخرى وأما نحن ففى الحياة الدنيا . كلا او لم يقل الله عز وجل (وان الآخرة لهى الحيوان)

فأنت كما انت ، انت الزعيم ونحن الجنود انت الرئيس ونحن المجاهدون ؛ واللواء في يدك ولن نسلمه لغيرك . ومن عبث ان نتلمس سواك اللهم الا وكيلا عنك او نائباً لك يسير على نبراسك ويهتدى بهداك

أو لست باقياً يبيت الامة بما فيك ومالك وما عليك وزدناه ساحة للخطباء ومسجداً للصلاة ومضيفاً للزائرين

أو لسنا نحن الذين كنا بين اصابع الموت فانتشلتنا من يد الجلاد ومن قرارة السجن ، فكيف تهب الحياة ولا تكون حياً ؟ لا . ان ما يقولون خرافة . ولكن ما هذا الحداد وماذاك السواد ؟ خلته أولا ان السودان وسلخه ونكسه سيادة القوى الغاشم على الضعيف المسالم . ولكن هذا النحيب وذاك الوجيب وهذا الصمت الرهيب وهذا الحزن المذيب وهذا الموقف المشيب ، لوعة الشيخ الباكى وحسرة العجوز المنتحبة ودمع الشباب الغزير ونحيب الصبية العميق وصراخ الطفل المزعج وأنين الجنين فى بطن امه واحمرار مدامع النيل بفيضانه ورعدة الشرق بالزلازل وبلوى الامة بافتقارها اليك . كل هذا أخشى ياسعد أن يكون مظهراً لما يقولون . وياعظم ما يقولون . فان كان حقاً

من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت احاذر

***

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر * فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ان كان حقاً فسيبكيك كل مافى الوجود وكل مافى قاموس الكمالات وكل ما فى عالم الفضائل وسنظل نبكيك ولكن لن يجدى عنا البكاء ولن يعوض رزؤنا فيك ولن نجد الى السلوان سبيلا ولا الى الصبر منزعاً ولا الى الحياة بعدك غرضاً، ولا منها مفراً وسنقضيها لك وفيك فاللهم ارحم غربتنا بعدك وآنس وحشتنا منك وألهم الامة عنه الصبر وأجزل لها فيه الاجر انك انت أرحم الراحمين

وأنت ايها الراحل الماثل الغائب الحاضر البائد الخالد تربع فى كل قلب

واسكن فى كل فؤاد

ومن عجب انى أحن اليكم * واسأل شوقا عنهمو وهمو معى
وتبكيهمو عينى وهم فى سوادها * ويشكو النوى قلبى وهم بين اضلعى

لا ينتظم جمع الا عليك ولا ينصرف الا فيك ولا ينطق لسان الا بك ولا يخفق قلب الا بذكرك ولا يفكر أحد إلا من خلال عقلك ولا ترى عين الا بنواظرك ولا يتنفس متنفس الا بك وابق حياً فى كل حى الى ان يرث الله الارض ومن عليها والسلام عليك الى ان نلقاك ورحمة الله وبركاته . رضوان الله عليك وتحيته اليك الى الابد السرمدى والخلود الابدى

خطبة محمد افندى شعراوى

فى حفلة الطلبة لتأبين الفقيد

فى هذا الموقف الرهيب تذكر البلاد زعيمها الاكبر وقائدها الاعظم . اليوم تبكى البلاد سعدا نعم فقد طوى الموت جثمان سعد وما كانت تلك الصولة العاتية لتلين لغير الموت . ولكن سعدا لم يكن شخصا يموت فيدرج فى كفن . ولاجسدا يدفن فى قبر ولكنه كان ذلك الالهام الوطنى الذى يتصل شعاعه بالقلوب . كان ذلك التاريخ الذى تتحلى بعظمته سير العظماء من قادة الامم . هو تلك الارادة الجبارة التى كانت تستخف ببأس الحديد . هو تلك الصرخة القاسية التى نفذت الى سمع العدو من بين رعوده القاصفة وكتائبه المرصوصة . هو الذى وقف مع اثنين من خلصائه وقفته المشهورة يوم كانت الفتنة قائمة والشر ضاربا . فاكره الاعداء على الاصغاء الى نداء مصر . وحملهم على تجريد الجيوش للكفاح من جديد على ضفاف النيل . وكان كيدهم له . وتنكيلهم به . كالحطب يلقى فى النار فيشعل لظاها . ويزيد

استعمارها . ولقد نفوا سعدا فانقلعت البلاد وراءه بتلك الثورة التاريخية تطالب نصيبها من الحرية . وتحاول ان تقف فى مكانها بين الاحياء . ذلك هو سعد ولقد يشتد بى الجزع حين اشعر بما كان لى منه خاصة فقد كنت اجلس بين يديه فلا يزال يبسط على من عطفه ويشد يدى بتشجيعه . ويؤنسنى بحديثه . حتى لا أكاد انسى تلك الهيبة المطيفة بأسارير وانى كانت دائما تتمثل عليها اشباح هذه الثورة المخيفة ولقد يزيدنى جزعا ما كان يذكره لابى من بلائه معه . ومكانه من نصرته وان العالم ليرقب عن كثب ذلك الفراغ الذى خلا بموت سعد . وان علينا معاشر الطلاب . وقد كنا نحن طلائع جنده وانصار جهاده ان نعيد لهم شبح هذه الثورة فى ذكرى سعد وان نجعل هذه الذكرى ميراثا وطنيا نتواصى باحيائه ونتعاهد على الاحتفاظ به ليظل سعد على الابد شاخصا باقيا يثير حفائظ النفوس . ويوقظ ثائرة الهمم . علينا ان نحسن الخلافة على سعد وان نمد ايدينا لبيعة انصاره . وان نرابط دائما لنجدة هذا الشعب الاسيف حتى يمتنع حماه . ويبلغ مناه

. . . .

خطبة عبد المجيد افندى بدر

بحفلة الطلبة لتأبين الفقيد

سادتى اخوانى

أنا لا أدرى بأى عبارة يصح ان استهل الرثاء ومن أى باب من ابواب هذه العظمة الهائلة يجب ان ادخل اولا لتأبين الفقيد العظيم . فالامر فيما يبدو لى بحر متزام عميق الغور بعيد القرار فمن أى شرعة نزلت لم آمن على نفسى الغرق ولم اضمن على حوافيها السلامة

فهل ابكيه باعتبارى ولداً من ابنائه يندب اباه الرحيم . وهل ارثيه بصفة

كونى جندياً من جنود الوطن وقف يؤبن قائده العظيم . أم اتفجع عليه كمصرى روعته المنون فى فقد الزعيم . أم ارسل النفس حسرات عليه لانه كان مناط الآمال ومعقد الرجاء ومبعث الايمان ومصدر القوة وملاذ الامة ومعاذ الحقوق

كل هذه الاعتبارات توجب له على حق الرثاء فهل انا قادر على ان اقضى لسعد هذه الواجبات جميعاً ؟ أظن لا . بل أؤكد لا . ومبلغ جهدى انى سا كب عليه دمعة سخينة ولكنها دمعة من ذوب الفؤاد الكليم وعصارة الروح الوفية ومن خلاصة النفس الحزينه

كنت فى بيت الامة ليلة انتهى الينا النبأ المشئوم وكنت فى نفر من رفاق نرتقب فى لهفة ان يبشرنا الاطباء بان سعداً يتماثل الى الشفاء ولكن سعداً أسكت الطب وأجاب دعوة الله واعلن انه انتهى

يالها من كلمة هائلة يتمت شعباً بأسره . كلمة واحدة أوحش الله بها أنس كل حى وآنس بعدها وحشة الاموات

لم يكد ينعى الينا حتى رأيت من حولى يتفجرون من البكاء ولكنى أشهد الله العليم على انى لم أدر ساعتها ابن دمعى اذرفه مع الذين خروا من حوالى مجهشين بكياً والحقيقة انى لم أدر ساعتها شيئاً

لكن أرأيت الطير تذبحه فلا يدرى من حدة السكين انه ذبح فهو يصيح صياحه المعتاد وقد يمشى ايضاً مشيته المعهودة وما هى الا برهة حتى يدب الموت فى اوصاله ويشيع فى جسمه ويطبق عليه من كل نافذة ويشعره انه احتواه فعند ذلك يضرب الارض بجناحيه وترفعه عنها بقية من الحياة وتحطه اليها يد الموت الغالبة . وكذلك كنت

سعد احلى بسمة فى فم الزمان واينع زهرة فى رياض الامل عبست لنا الدنيا وزالت الابتسامة وعصفت بنا المنون عصفة عاتية فاذبلت تلك الزهرة اليانعة الزاهية . ليتها يا سعد طاحت بالالوف منا وابقت عليك

وشيعناه على رغمنا وأهلنا بايدينا عليه التراب ونحن الذين كنا نذود عنه النسيم لو رأى الراحة فى ان نذوده ورجمناه رجعة الايام تتفطر قلوبنا من الحزن العميق وتغمرنا لجة من ماء الشئون واحتوانى شعور اليتم بعده . وسرحت فى تيه من الذكريات وجعلت أنظر باحدى عينى موكب استقباله يوم عاد ومشهد توديعه الى يوم المعاد فاذا عن اليمين وقفة تملأ الدنيا ضياء وعن الشمال رفدة تملأ الدنيا ظلاماً وهنا جموع زاخرة تعج داعية له . وهناك أمة آسفة تضج باكية عليه . وهتاف يسمو لا جواز القضاء ونشيج هو صوت تمزيق القلوب . وعيون يشع منها السرور وآماق تفيض بالدمع الغزير ورقاب تشرئب للطلعة الجليلة وأعناق أمالها الخطب الجليل . واذرع تلوح فى الهواء من نشوة الفرح وايد تدق من فرط الاسى كفاً بكف . وطريق الى بيت الامة ومسار الى دار البقاء

أنت ياسعد كنت فينا صريحاً ولماذا كتمت عنا ا لزماعا

رحلة لا رجاء فى العود منها كيف تمضى ولم تؤد الوداعا

سبحانك ربى . هو هو موقفى الذى طالما قد وقفته لكن كل شئ فيه قد تغير وبدلت فيه من قوتى بالكيان المتهدم ومن لسانى باللسان المتلعثم ومن سرورى بالحزن العميق والعبرة الخانقة ومن جهارتى بالنبرة المختنقة

لو تمثلت اجتماعكم هذا قبل ان اجيب الدعوة اليه ما قبلت ان الىها مطلقاً لانى اذ أراكم تتساوق الى الذكريات القاسية ولست أقوى على احتمالها

وكأنى آراه الآن مقبلا يخطبكم . لكنه خيال . وخيال دق حتى تلاشى فلست أرى الا النفوس الواجمة والوجوه الساهمة والقلوب الدامية والعيون الهامية وصورة الموت الرهيب

وكأنى أراه الآن زينة اجتماعكم وفريدة عقدكم يصغى الى بكل سمعه فقد كان عليه رضوان الله يحب ان يسمعنى وكنت اتمنى دائما ان اخطب فى حضرته وأقسم ان سعداً كان يلقى باله للوليد إذا خطب كما ينصت للخطيب الجليل الخطر لانه

كان يقر عينه أن ترى ناشئة البلاد كيف ينبتها الله مشربة بروح مبادئه مطبوعة على حب الوطن

وكان يختص الطلبة برعاية سامية ويحلهم من قلبه مكاناً كريماً ويوسع لهم من صدره ويفسح لهم ساحة الرأى لانه كان يطمئن الى براءتهم ويثق باخلاصهم ومنشأ هذا الميل فيه هو اعتقاده بأن المستقبل لهم وانه انما يجاهد لاسعادهم بتحقيق آمالهم

وترى بعضهم من حوله فتعجب لصبره على جدالهم وقرار نفسه اذا أقر فى نفوسهم ما يريد وكان يدور بعينيه ليرى ضميراً قلقاً او عقلا ثابتاً فيظل عليه حتى يتسق الامر لديه وعندئذ يظهر الرئيس ارتياحه الا ان انصاره انما يناصرونه عن عقيدة مطمئنة ويقين ثابت مكين

وتجلس اليه فيبهرك ما نشره الله عليه من نورانية وجلال ويتحدث اليك فيخلبك ما يلقى عليك من البيان العذب والسحر الحلال وما يطلع به من الرأى الناضج والفكرة البارعة

واحسرتاه . أصحيح اننا لن نراه . ولن نسمعه . ولن نلقاه فى هذه الحياة مرة اخرى أى وربى انه لصحيح فلم تعد عيوننا لتراه ولا آذاننا لتسمعه ولكن قلوبنا معمورة بصورته مأنوسة بمبدئه مطمئنة بذكراه

ولئن طوى الموت جثمانه لقد نشر الله ذكره كتابا نقرأه

فسعد هو الذى أيقظ الامة من سباتها وأشعرها وجودها وجدد فيها شعور الكرامة القومية وبعث فيها ميت الآمال . وألف القلوب وكانت شتى وسار بالامة فى اشرف سبيل الى أنبل غاية فى الوجود

وسعد هو الذى قوى العزائم فى محن السياسة وثبت الايمان فى فتنة العقول وأمسك الحق فى زلازل القوة . وبصر الامة بشرك الخداع

وسعد هو الذى احتمل على ضعف صحته عذاب النفى والتشريد وتمنى ان

يموت في منفاه ليذكي في قلوب المصريين نار الوطنية المقدسة فكان بذلك أعلى مثل في التضحية من أجل البلاد

وسعد هو الذي حدد لنا المبدأ وعين الغاية وحمل الراية وجاهد الاعداء في سبيلها وتمثل للامة رمز أمانيها العالية

وسعد هو الذي دان له الكل بالزعامة وقدموه للامانة . ووضعت الامة كل أملها فيه وامتزج بدماء الناس حبه فكان ملء العيون ملء القلوب والاسماع

وسعد هو الزعيم الذي غمرت شخصيته كل من عداه ورفرفت كل الاعلام تحت بنده الخفاق

وسعد هو الذي وقف على رأس الائتلاف يرد عن الدستور معاول الرجعية ويذود عن حوضه غول الاستبداد

وسعد هو البطل الذي عاش لنا ومات في سبيلنا بعد حياة حافلة بجلائل الاعمال وجهاد طويل في طلب الحرية ورد الاستقلال

وماذا عسى أقول فيه أبلغ مما قاله هو عن نفسه . اسم رفعه الله فوق الاسماء ونور نشره على الارجاء

سعد هو كل هذا وفوق هذا . فهل ذهب هذا كله ؟

لا . لم يذهب من سعد الا جسمه . أما اسمه فعطر الافواه دائم الارج ورسمه زينة المهج ومبدأه خالد يتحدى سطوة الفناء

لم يكن سعد الا فكرة سامية ولو ذهبت الافكار في أثر أصحابها ما بقي على الارض ولكن الاديان قائمة والافكار دائمة ومصالح الاشخاص دائماً للزوال

وعظمة سعد لم تكن عظمة طارئة ولا هي جاءته آخر الزمان اتفاقاً ولكنها عظمة نشأت بنشأته ونمت بنموه وتطورت تبعاً لاطواره في الحياة

فكان في الطلبة أنجب الطلاب . وكان في الشبيبة زين الشباب وكان في المحاماة وردة بين الاشواك وكان في القضاء أعدل من حكم وكان في الوزارة خير

من وليها وفى الصدارة أعظم من تربع فيها وكان فى الزعماء كابرهم وفى الاموات أطيبهم ذكراً وانه بهذه الذكرى لأعظم الخالدين

ومن آثار عظمته بعد وفاته انه كلما عبرت الايام على موته زادتنا الايام حسرة عليه وشعوراً

ومن آثارها أيضاً ذلك المظهر الجليل الذى بدا يوم البيعة الكبرى فروح سعد هى التى أملت على الوفد بيانه وثبتت أركانه ووجهت هيئته الى الرأى الحصيف وعقد اجماعها على أحسن اختيار وكذلك اضطلع مصطفى باعباء الخلافة وحقق الوفد أمل البلاد وخيب ظن الاعداء وأحسن لهذه الامة العزاء وأقر روح الفقيد العظيم فى سماء الخلود

خطبة الاستاذ احمد فهمى ابو الخير

فى حفلة تأبين الفقيد بالخليفة بالقاهرة

أيها السادة :

هذا الجمع الحاشد أمامى وحولى يدل على الشعور الذى أثارته فى نفوسنا تلك المصيبة الداهمة . هذه الوجوه التى تفيض عطفاً وحزناً ، والتى ترنو بابصارها خاشعة في جو هذا السرادق مدفوعة بعاطفة واحدة هى عرفان الجميل ، هذه الوجوه تعلن فى صمت أن خطبنا فقد الزعيم الذى اختاره الله لجواره خطب جلل ملك علينا قلوبنا وطبع فيها أثراً عميقاً

ونحن اليوم ما جئنا لنثبت فى صحيفة سعد والسعديين أمراً غير معلوم أو لنلفت الانظار الى شئ خفى وناحية مجهولة وانما جئنا لنقوم بحرمة الصنيعة ونؤدى مفترض الآلاء نحو زعيم نهضتنا فنحيي ذكراه

أيها السادة : تعلمون أن سجل الاعمال العظيمة انما هو صدور الناس وذاكراتهم وتعلمون اننا اذا احتفلنا بذكرى سعد لا بل اننا لو اقمنا له تمثالا عالياً يناطح السحاب فلن نبلغ ما بلغته تلك الذكريات ولا تلك التماثيل الروحانية المقامة فى صدور الناس والتى نحتتها الحوادث فى الذاكرة وعلى الاخص حين تكون هذه الحوادث لا تزال ماثلة أمامنا ولكن الغرض من إحياء الذكرى انما هو اظهار تقديرنا العظيم لكبير أبطالنا و بذلك تقدم لمبادئ نهضتنا أكبر اجلال وأثبت تعظيم واحترام . فالناس أيها السادة . ليست لهم عقول فقط بل لهم أيضا خيالات ولهم أيضاً عواطف ومن الامور امور صامتة ناطقة هى الدلائل المحيرة والعبر الواعظة ولن يضيع عبثا كل ما يبذل فى سبيل توجيه العواطف الى الجهة الصحيحة وفى سبيل فتح ينابيع الشعور الحق فى قلوب الناس

وها نحن اليوم نجتمع فى ظل تلك الفجيعة التى حزن لها الناس فى مصر وفى غير مصر بما لم نعهد له مثيلا فى التاريخ ففى مصر حزن وحزن فى فلسطين ولبنان وسوريا والعراق والاناضول وبلاد العرب شرقا وفى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش وبلاد الفرنجة غربا وفى بيوت العظماء والاغنياء كما فى أكواخ المساكين والفقراء توجع وأنين وتلك نعمة أفاءها الله على سعد ولن يبلغها إلا المقربون ولكن يجب الا ننسى خلال هذا الحزن الشامل أننا لا زلنا فى منتصف الطريق.أذكروا اننا حتى الساعة لم نحظ بتحقيق آمالنا كلها واعلموا انه ستمر بنا ان عاجلا أو آجلا أيام كتلك التى مرت على كل الامم التى تحررت .فالى سعد وذكرى سعد وأعمال سعد قد تتجه حينذاك أنظار أصحاب العزائم الخائرة والوطنية المزجاة وعندئذ يتحقق هؤلاء ان رمز نهضتنا بما بث فى نفوس الشعب وبما مهد له من الطريق وما عبد لا يزال قائماً رغم مماته يسخر منهم ويهزأ بهم فيفيقون من غمرة اليأس والضعف والتردد . اننا لم نحظ بعد بتحقيق آمالنا كلها فاذكروا ان علينا ان نبقى كما نحن الان كتلة واحدة نذود عن بلادنا حتى تتحقق تلك الآمال انظروا كيف بدل

الله من حالنا لقد كنا قبيل نهضتنا شيعاً متفرقة فألف الله بين قلوبنا بأن بعث فينا سعداً زعيما رفع راية الائتلاف فتوحدت الغايات والمناهج وانتهى الجدل ومنحنا الله نعمة الائتلاف الاخير لانقاذ الدستور من الرجعية فأنقذنا الدستور وسنزيده رسوخاً وتثبيتاً وسنحظى باذن الله بنعمة الاستقلال

فلكى نحتفظ بأملنا الواسع فى الحصول على مطالبنا القومية علينا ان نذكر سعداً وكبير جهوده وجميل صنيعه واعلموا انه لن تستطيع أى قوة فى الوجود ان تمحو من سجل مصر التاريخى ذكر سعد وجميد أعماله وعظيم تضحياته فاسمه مقترن بحرية البلاد فى الداخل والخارج تلك الحرية التى أشعل لهبها وأوقد لظاها ولهب الحرية إذا اشتعل فانه يبقى مستعراً ولن تستطيع أى الجهود اطفاءه فهو كالنار التى فى جوف الارض قد تخمد إلى حين . قد تتغلب عليها مياه البحار قد تكبحها الجبال الراسيات بالضغط ولكن قوتها الفطرية التى لا تقهر لا بد أن تتغلب على البحر والارض فتثير الماء واليابسة وتنحسر عن بركان تتفجر نيرانه ويرتفع لهبها نحو السماء

أيها المؤتلفون من المصريين : اعلموا ان الآمال الوطنية أمامكم وان الرجعية من ورائكم تطعنكم فى الاقفية والظهور ، وليس شئ أقدر على تحقيق الآمال وقتل الرجعية من ائتلافكم فغذوا هذا الائتلاف ما استطعتم ، وليكن لكم فى موت زعيم الائتلاف محك يصقل الهمم ويشحذ النفوس وانهجوا فى مجابهة الوجعية والرجعيين نهج الزعيم الراحل ، فلطالما اصفرت من منازلته وجوه الخونة الآثمين الحانثين فى أيمانهم الذين أعمتهم نزوات الرءوس وشهوات النفوس عن خدمة الوطن ومصلحة البلاد

وأنتم ايها الوفديون ! كونوا كما كنتم وكما أنتم الآن كتلة واحدة . أطيعوا زعيمكم الجديد ما أطعتم زعيمكم الراحل ، وكونوا منه ما كنتم من سعد خضوعا وطواعية فى حدود الشورى ، فالجيش بغير قائد مطاع لا قيمة له ، والجند بغير

طاعـة القادة لا يفلحون وان قسم الخليفة الذى يفخر بوفديته وسـعديته والذى شرفت أرضه باحتوائها على قبر الزعيم الراحل ولو إلى حين ، ليعلن من جـديد تعلقه بالوفد ورجال الوفد ويجهر بالبيعة فباسم لجنة الوفد الممثلة لقسم الخليفة ، بل وبالنيابة عن أهل هذه الدائرة أبايع الزعيم الجديد مصطفى النحاس باشا ، وهذى وفود الحى قد بايعت معى

أيها السادة

لقد مات سعد فاهتفوا من أعماق قلوبكم ليحى النحاس باشا خليفة سعد

خطبة سعادة الاستاذ احمد زكى باشا

فى حفلة تأبين الفقيد بالجيزة

الى السادة المحترمين اعضاء لجنة التأبين بمديرية الجيزة

سلام عليكم ، وسلام على مصر !

وبعد

فقد كنت اتخذت اهبتى من اجل الحضور اليكم فى الميعاد الموقوت، لمشاركتكم فى الاحتفال المشهود ، الذى ستنجلى فيه دلائل الاخلاص لزعيم مصر على الاطلاق بل زعيم الشرق العربى بلا اعتراض ولا امراء

لكن ظروفا تولدت فى آخر لحظـة ، فحالت بينى وبين ما اشتهى

من اجل ذلك ، لجأت الى البريد المستعجل ، لاوافيكم بنفثة عن فؤادى ، وبنبرة من صدرى

***

ففى سماء الاسكندرية التى تحب « سعدا » والتى كان سـعد يحبها ، رأيت

روح « سعد » ترفرف على الجيزة من أعلى عليين ، وهى رافلة فى حلل النعيم المقيم

رأيتها وهى تطل من سماوات العلا على الاهرام وعلى ابناء بناة الاهرام ، مفتبعث فى قلب النيل شعاعا من الامل ، وقبسا من نور الهداية والتوفيق

رأيتها ، وهى تتهادى بين الملائك بالبشر والسرور ، لبقاء الوفد على العهد ، حينما ظهرت على يده آية الوطنية الكبرى باجماعه (وباجماع الامة من ورائه) على اصطفاء المصطفى الذى هو اقوى قدير على تولى الزعامة ، واكبر جدير باستلام الراية : لرفعها خفاقة ترمقها العيون وتتجه اليها القلوب ، وتسير الامة كلها تحت ظلها

***

كأنى بهذا الروح الطاهر يناجى خليفته ويناجى امته باختتام الحداد ، لاستئناف الجهاد فى سبيل مصر والسودان

ويقينى انهم سيكونون كلهم عند حسن ظنه بهم ، بعد ذهابه الى جوار ربه فى الرفيق الاعلى وانهم باقون كما كانوا فى ايام حياته الغالية : يتسابقون الى السماح ببذل الارواح عند اقل تضحية من تضحياته فى مصلحة امته وبلاده

فكيف بهم اليوم ، وقد ضحى بحياته لحياة الوادى كله ؟

ولئن ذهب « سعد » بجثمانه ، فان فكرته باقية : ببقاء خليفته ، ببقاء الوفد ببقاء الامة كلها .

***

ايها المصطفى ، ويارجال الوفد

ان مصر الخالدة ترنوا اليكم ، وتنظر الينا ، ونحن كلنا يد واحدة وقلب واحد انها تنتظر منكم ان تسارعوا وتأمرونا بكل قربان لصيانة الدستور (على مابه) وهى تترقب صنيعكم وسترى عملكم من اجل استكمال الاستقلال حتى يكون حقيقيا بكل معنى الكلمة

انها عرفت ماهيــة ذلك الاستقلال الذى « لاشك فيه » فكان محــلا

لـكل الشك فيه

ولقد ادركت كنه الاستقلال الموصوف بانه « تام » فاذا هو كلام فى كلامّ

فاما الاستقلال الحقيقى الصحيح . فهو الذى نرجو ان يجيئ على يدكم فى هذه المرة ويد الله فوق ايديكم .

فالى العمل !

والى الامام !

خطبة الاستاذ تادرس اقلاديوس

فى الكنيسة القبطية الارثوذكسية بأسيوط

مات الرجل والرجال قليل . مات سعد ولا يوجد فى مصر من استكمل مزايا سعد . نعم صمت لسان مصر الناطق . وسكت قلبها الخافق فأى لسان غير لسانه يستطيع رثاءه . وأى بيان دون بيانه يجرأ على وصف مزاياه . فيا لعظم المصاب على فاجعة لم تترك فؤاداً الا وجرحته

ويا لهول الموقف من فادحة لم تمر على قلب الا ومزقته كيف لا وهذا سعد الذى يتغنى بذكره الرجل فى مصنعه ومزرعته والسيدة فى خدرها والطفل فى حجر أمه . وهو الخطيب الذى كانت تهتز لـكلماته المنابر وتتغذى من أقواله العقول . . . .

نعم هذا سعد العظيم سطا عليه الموت كما يسطو على أى إنسان وضعه القبر ملتفاً فى الاكفان ووفاه القضاء المحتوم وليس لقضاء الله من مفر

ونحن اذا بكيناه اليوم فانما نبكى أخلاقاً سامية تجلت فى حياته وآداباً راقية رفعته بين قومه الى السماك . فـكان مثلا أعلى فى قوة ارادته وما قوة الارادة الا

هبة من المواهب الآلهية الكامنه فى الانسان وما القوى فى ارادته الا من يكون لنفسه قانوناً وشريعة ونظاماً .

هو ذلك الذى يعلم علم اليقين انه اذا نزل على رأى غيره وعمل بأمره وخضع لسلطانه عطل ارادته التى تحركه والتى هى هبة من هبات العزيز الحكيم . من ذا الذى ينكر على فقيد الامة ان كان فى طليعة من زكت قوة ارادتهم واشتدت فى نفوسهم قوة الاستقلال فى الرأى ؟؟

نعم نبكيه لانه كان عظيما . عظيما فى عقله . عظيما فى فعله . عظيما فى اخلاقه الوطنية . عظيما فى كفاءته النادرة . عظيما فى نزاهته وبعده عن الدنايا التى تعيب الرجال. حراً من النقائص التى تزرى بشرف النفوس . نبكيه لانه كان شديد التمسك بالمبدأ الذى يعتقد عن اخلاص بانه الحق الذى لايصح العدول عنه . كان شريف النفس لم يلوثها بنقص يخفض من مقام الانسانية الصحيحة وقد كانت له أيام بارزة فى حياته وستبقى كذلك بارزة فى حياة الامة التى جاهد فى سبيل خدمتها تذكرها له الاجيال المتعاقبة

كان عظيما فى حياته وكان كذلك فى مماته لأنه يندر أن يقوم رجل بين أمته تحتفل بوفاته احتفالا يفوق فى جلاله وتأثيره ما كان لفقيد الامة أو يشابهه أو يقرب منه وذلك من أعظم الادلة على ما كان للفقيد العظيم من مكانة سامية ومركز دقيق ليس له شبيه ولا مثيل .

ويحق لنا نحن جماعة الاقباط بنوع خاص أن نبكيه ونسكب عليه بدل الدمع دما لأنه الرجل الوحيد الذى نادى بالوحدة الوطنية لافرق بين مسلم ومسيحى واسرائيلى من أبناء الوطن وهو الذى سعى جهده فى محو الفوارق الكاذبة (التى لايسعى اليها الامن لايعرف آداب دينه ولا يفهم معنى للوطنية الصحيحة)

متخذاً القومية المصرية علماً للجميع وما كان أشد تألمه حين كانت تبلغ مسامعه وياحبذا لو أمهله الدهر قليلا حتى يرى بعينه ويجنى بيديه ثمار ما غرسه

يمينه من غرس صالح

ويعجبنى ماقالتـه عنه جريدة المقطم الغراء فى عددها الصادر فى يوم الخميس ٢٥ أغسطس فى وصف مزاياه تحت عنوان سعد والتعصب الدينى (إنه كان مسلماً شديد العقيدة بدينه يفتخر بانتسابه للازهر ولـكنه كان رسول الوطنية أدرك عن حق و بعد نظر مافعل التعصب الدينى فى أمم الشرق وفتح الابواب لتدخل الاجنبى فآلى على نفسه أن يصلح هذا الفساد ويطهر مصر من جراثيمه فاظهر بالعمل والقول انه لايميز بين المسلم والمسيحى واليهودى فى خدمة البلاد وان مما يذكر عنـه من الاقوال التى تنم عما كان يكنه فى قلبـه الطاهر ان جماعة من الاخوة السوريين المتمصرين زاروه بعـد تأليف مجلس الشيوخ شاكرين على تعيينه ثلاثة من السوريين المسيحيين فى المجلس فـكان جوابه انى لاأعرفهم بهـذا الوصف بل انى أعرفهم مواطنين مصريين وعليهم أن ينهضوا بعبء العمل كما ينهض اخوانهم من سلالة المصريين القدماء انتهى ملخصاً)

وهكذا جاء هذا المديح والوصف الصحيح فى معظم الجرائد نذكر منها على سبيل المثال بعض ما ورد فى جريدة كوكب الشرق الغراء فى عددها يوم الاثنين ٢٩ اغسطس سنة ١٩٢٧ منقولا عن جريدة لاريفورم حيث قالت : —

(وكان سعد باشا هوالرجل الذى كانت مصر فى حاجة اليه بايجاد الوحدة الوطنية وتحقق آمال الامة ولهذا نودى به زعيما للامة انتهى أيضا ملخصاً)

نحن لاننـكر ان الموت حق مصلت على الرقاب ولا بد لـكل ذى حياة أن يذوق الموت ولـكن مما لا ريب فيه ان موت العاملين النافعين خسارة لاتعوض ولذلك كان فقد الوطن رجلا نافعاً حكيما قوياً نادراً مثل سعد تمضى الاعوام الطوال حتى يقوم من يملأ الفراغ الذى حدث بموته خسارة فادحة لاتقدر .

الله نسأل أن يعزى الامة المصرية جمعاً على فقـده ويمطر على الفقيد غوث الرضوان ويلهم الجميع الصبر والسلوان ويهيء لهذه الامة الاسيفه من يأخذ بيدها

فى سبيل سيرها الى الهدى و يوحد بين صفوفها و يضم شمل جموعها و يعمل مافيه خيرها واسعادها حتى نستطيع أن نقول مات سعد فلتحى مبادئ سعد .

خطبة الآنسة امينه السرجانى

على قبر الفقيد و بين يدى ام المصريين

فى ظلام الليل الدامس نعى الناعى سعدا وما علم انه نعى للامة أعز أبنائها و رافع علمها . فلا كانت تلك الليلة المشئومة التى فقدت الامة فيها رمز أمانيها

نعى الناعى سعدا . فنعى العزيمة والحزم والعبقرية . مات سعد فيالهول المصاب . و يالفداحة الخطب . لقد كان سعد لسان الامة الناطق وقلبها الخافق فهجرها الى مقره الاخير وترك فى كل قلب حسرة و فى كل نفس لوعة و فى كل فؤاد حرقة . . . بكته مصر . واذا ما بكته فانما تبكى رمز أمانيها وعلم وطنيتها و رجلها الاوحد وابنها البار و باعث الاباء القومى

فزعت مصر . وكان حقاً أن يقابل المصريون هذا النبأ بالفزع الاكبر وأن يعزى كل منهم الآخر فلم تكن مصيبة موته لفرد دون الآخر . بل مصيبة اشترك فيها المصريون على السواء . . الكل أذهلهم الخطب فباتوا واجمين كأن على رءوسهم الطير حتى اذا ما رأيتهم حسبتهم سكارى وماهم بسكارى ولكن هول الخطب شديد

مَنْ منَ المصريين سمع هذا النعى ولم يرتجف فؤاده ولم تسل عبراته ولم يذرف دموعه حزنا على هذه الفاجعة التى حصلت فى وقت نحن أحوج مانكون فيه الى من يقودنا نحو الغاية التى نبغيها ؟؟

اللهم رحمة بنا وأسبغ علينا صبرا من لدنك إنك أنت الرحمن الرحيم

لقد كان سعد عظيما فى منبته فكان المحامى القدير الذى ينتصر للحق دون

الباطل وكان القاضى العادل الذى رفع لواء الحق وكان الوزير العظيم صاحب الهمة العالية

تقلد وزارة المعارف نخدم أمته بتحويل الدراسة الى اللغه العربية رغم معارضة المعارضين فصلح بذلك حال الطلبة والطالبات وعادوا الى لغة بلادهم بعد ان كادوا يكونون عنها غرباء وكفاه ذلك شرفا . ثم كان وزيراً للحقانية فلقب بحق ناصر العدالة فى مصر . ثم وكيلا للجمعية التشريعية وإذا به سعد زغلول رئيس الامة العظيم حامل لواء النهضة المصرية وزعيم الحركة الوطنية وقائد الامة فى حركتها الاستقلالية فما فترت له عزيمة ولا وهنت له قوة ولا لانت قناته لغامز فلا القوة فى غطرستها ولا السلطة فى غشمها بمخيفة سعد زغلول أو محولة إياه عن دفاعه عن حق أمته ولا ثانية من عزمه فى القول باسمها ولا التصريح بحقها ولا الاحتفالات فى عظمتها ولا الاستقبالات فى فخامتها واذا الشعب حاشد ذات اليمين وذات الشمال يحيي سعد وينادى باسمه ويهتف له بدافع الغرور الى نفسه . فهو فى كلتا الحالتين سعد زغلول ابن مصر البار ورمز الاستقلال التام

فيا أطباء سعد أخانتكم علومكم فماوجدتم لدائه من دواء ؟ ويامرض سعد ألم يكن أمامك أربعة عشر مليونا من الناس مقدمون أنفسهم فدية عن سعد ؟

فى ذمة الله أيها الراحل الكريم وفى جنة الخلد والنعيم . والى أم المصريين أقدم عزائى بالنيابة عن السيدات على هذا المصاب العظيم الذى تكل من حمله الجبال ولكن ما العمل وقد قال الله تعالى (كل من عليها فان) فلنا الله بعد ذلك فهو الكفيل واليه مرجعنا فهو مولانا ونعم النصير

النداءات

نداء ام المصريين

صاحبة العصمة صفية هانم زغلول

أبنائى وأبناء وطنى

لو كان سعد الذى اختاره الله لجواره سعدى وحدى لشكرت لكم جميل العزاء فى فقده ، وحسن المؤاساة فى خطبه ، ولكنه كان سعد مصر وابنها وقائدها وأمينها . المصاب فيه مصابكم ، والبكاء عليه بكاؤكم ، فان كان لى من حق الشكر نصيب استقل به فانما يكون ذلك بقدر ما نالنى من بره وعطفه ، ومن شرف اسمه وقربه ، وبقدر ما لقيت من التشريف والتكريم منكم ومن حكومة الشعب لتلك الصلة التى جمعت بينى وبينه . فان أذنتم لى بهذا النصيب فتقبلوا منى شكراً يضيق القلب بكتمانه ويعجز اللسان عن بيانه .

أبنائى أبناء وطنى

ما كان سعد الا فكرة سامية وهى بحمد الله باقية ذاكية فلئن غاب عنا شخصه المحبوب فقد بقيت لنا ذكراه الغالية و « الذكرى تنفع المؤمنين » ولئن برح بنا الالم لفراقه لنتخذن من هذا الالم حمية وبأساً ، ولنجعلن منه حاجزاً وحصناً حصيناً فانما الالم النبيل قوة تزكى العزائم ولا تخمدها ، وتستحث الهمم ولا توهنها . ولئن حق له علينا الوفاء فقد وجب علينا أن لا نهجر الامل فهو غراسه ، والا نكون الا عند ظنه بنا ورجائه فينا ، نتم عمله ، ونقيم فوق أساسه ، ونذكر مصر ولا نذكر شيئا غير مصر . فهى مبدأنا ومنتهانا ، واليها والى الله مرجعنا ومعادنا ، ويومئذ نجد سعداً بيننا بل نجد سعداً فى كل عامل لوطنه وكل غيور على حقوق بلاده . فان سعداً الذى نحبه

ونصون عهده هو القضية التي نسهر عليها ،وهو الحرية التي ننشدها وهو الاستقلال الذي له نحيا وعليه نموت

أبنائي وأبناء وطني

ان مصر تنظر اليكم فولوها نظرة وأصيخوا اليها بسمعكم وانها لن تضيع عندكم دعاء . فلا يكن نصيبها بعد اليوم منكم الا كنصيبها فى كل يوم من أيامه . لقد مات سعد فلتحى مصر ، ومات زعيم الامة فلتحى الامة ، ومات رمز الامال الوطنية فلتحى الامال الوطنية . ولنحمل نحن اللواء مريحين رافعه غير وانين ولا وكلين . والله ، الذى يكفل مصر بعنايته الوافية هو المسؤول أن يلهمنا الصواب ، ويعوض هذه الامة خير العوض ، ويفتح له باب رحمته ونصره انه خير مسئول وهو خير مجيب

صفيه زغلول

بيت الامة فى ٢٩ صفر سنة ١٣٤٦ — ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٧

نداء فتح الله بركات باشا

ما كان الفقيد العظيم المغفور له سعد زغلول باشا رجل أسرته بل كان رجل أمته فان كانت الامة قد حزنت لفقده ولبست الحداد من أجله وهبت رجلا واحداً لتشييعه فانما شيع كل منها فقيده وليس لأحد أن ينفرد فى ذلك بشكر يقدمه لاخيه ولكن مع هذا أرى واجباً على أن أشكر باسمى وباسم باقى أسرته لهذه للامة الكريمة انها حملت معنا المصاب كما حملناه . وأبدت لنا من العطف ما خفف عنا بلواه . وكانت فى كل ذلك سامية يشهدها العالم بالنبل وجليل الصفات

وأشكر فى الوقت نفسه للجاليات الاوروبية وللبلاد الشرقية أنها واستنا وجاملتنا بأرق أنواع العزاء

نسأل الله أن يلهمنا جميعاً الصبر والسلوان — محمد فتح الله بركات

بيت الامة فى ٢٩ صفر سنة ١٣٤٦ — ٢٧ أغسطس سنة ١٩٢٧

نداء الوفد المصرى

أيها المصريون :

لقد نفذ قضاء الله جلت قدرته فمات سعد زغلول ، وجزعتم على فراقه باكين محزونين ولكن الله فى رحمته أبى الا أن يشرفكم فى زعيمكم ميتا كما شرفكم فيه حيا ، فمات كما عاش مجاهداً فى سبيل الحق وكان له فى الدارين أجر المجاهدين . . . .

مات سعد ، فتساقطت عليه نفوسكم ، وكادت غلبة الحزن تذهب بقلوبكم وخيل الى البعض أن آمالا كباراً عاشت فى صدره قد ماتت بموته ونزلت معه الى قبره ! . .

ولكن حاشا للامة ولذكرى الزعيم مما يتخيلون ، فان سعداً بموته قد قضى مستقبلا وجه البقاء وأن آمالكم التى تمثلت فى شخصه قد خلدت روحه فلم يعد فيها مطمع لأحكام الفناء .

والوفد المصرى وان تضاعفت نكبته فى رئيس هيئاته وزعيم أمته ليستمد من روح الفقيد قوة يتقدم بها اليكم معزيا ومذكراً ولن يجمل عزاؤكم الا اذا أحييتم ذكرى سعد فى قلوبكم وفى أعمالكم

ويرى الوفد من أقدس واجباته أن يتقدم الى أم المصريين وشريكة سعد فى حياته وجهاده بأصدق عبارات العزاء والولاء ذاكراً لها ما بذلت من تضحية وعاملا معها على تحقيق غاية سامية تقدست بموت زوجها الزعيم

ويرى حقا عليه أيضا أن يقدم العزاء لأسرة الفقيد وأن يشكر للأمة على اختلاف طبقاتها والحكومة المؤتلفة التى شعرت بشعورها ما تجلى من مظاهر الاخلاص والاجلال فى تشييع الراحل العزيز الى مقره وما اتخذ من قرارات لتخليد ذكره

***

أيها المصريون :

ان الوفد المصرى . وقد كان أول مظهر لنهضتكم واجرأ وثبة الى مجدكم لايزال باقياً وسيبقى مقياسا لقوتكم وعنوانا حيا لجهادكم . ونواة لوحدتكم . ولسان صدق لآمالكم وآلامكم

لقد فجع الوفد فى رئيسه ولكنه لايزال حياً قوى الحياة بأمته . واحداً فى كتلته . أمينا على عهده . وفيا ليومه ولغده . كما كان وفيا لأمسه . باذلا كل جهد حتى نفسه . ولن يترك ميدان الشرف حتى يتحقق مجد البلاد باستقلالها صحيحا وحريتها كاملة

ولن يكون للوفد عهد سوى العهد الذى عاش ومات عليه سعد . فاصبح فى عنقه عهدا مسئولا . وهو السعى لاستقلال البلاد حيثما وجد اليه سبيلا .

لقد فصّل الرئيس مبادئ الوفد فى برنامجه و بياناته وسيعمل الوفد على تحقيقها بكل ما أوتى من قوة ناهجا نهج رئيسه متجها على الدوام الى رايته . مستعينا بالله وبالامة على تأدية واجبه

وستظل خطته كما كانت من قبل وهى الجهاد فى جو من المودة والصفاء فما كانت الوطنية بغضاً أو خصاماً بل محبة ووئاماً

ان الوفد وهو مثال وحدة الشعب لن يألو جهداً فى توثيق تلك الوحدة المقدسة وتمكينها من نفوس الامة جميعاً وسيكون لصيانة الدستور وائتلاف الاحزاب المكان الاول من نفسه ومن عزيمته

وسيتابع الوفد سياسته فى تمكين صلات المودة بين مصر والامم الاجنبية عامة والامة الانكليزية خاصة ذاكراً للكثير من تلك الشعوب وجالياتها فى مصر — ولشعوب الشرق على وجه أخص — ما أظهرته من عطف على الامة فى مصابها وتقدير صحيح لعظمة رجلها الذى كان عظيما بانسانيته كما كان عظيما بعصريته

***

أيها المصريون

ان العالم ليرقب قوة نهضتكم ومتانة اتحادكم والحوادث واقفة بالمرصاد لامتحان ثباتكم وروح الزعيم العظيم لن تطمئن حتى تبرهنوا للناس انه كان عظيما بكم

الا أن الشجرة التى اثمرت سعداً لا تزال باسقة تؤتى اكلها كل حين باذن ربها وهى هى الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء

بيت الامة فى يوم الاثنين ٢٣ ربيع الاول سنة ١٣٤٦ (١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٧)

حمد الباسل . مصطفى النحاس . مكرم عبيد . على الشمسى . محمد فتح الله بركات . مرقص حنا . محمد علوى الجزار . مراد الشريعى . محمد نجيب الغرابلى . نخرى عبد النور . راغب اسكندر . مصطفى بكير . حسين هلال . ابراهيم راتب . محمود فهمى النقراشى

نداء رئيس الوفد المصرى النحاس باشا

الى الامة المصرية الكريمة

أيتها الامة الحزينة : فجعت فى سعد أبر أبنائك ، حامل لوائك ، وجمع وحدتك وناشر عظمتك ، والمدافع عن إقضيتك ، فكنت فى حزنك الرهيب حريصة على مبادئه حفيظة على ما أورثك من حكمة وحزم ، متلفتة الى وفدك بثقة كاملة، ويقين عظيم

ثبات بر ويه الايمان بقضاء الله ، وتماسك بشدة الاعتصام بحبل الله ، كرمت أمة أنجبت سعداً ، ومجدته حياً وميتاً

أيتها الامة العظيمة : ندبنى الوفد المصرى لحمل رايتـه ، وموصلة السعى معه لتحقيق غايته ، فاستعظمت مقاماً جليلا . واستشعرت من نفسى ضعفاً وقصوراً . ولـكنى أمام إجماعه الرائع لم يسعنى إلا النزول على ارادته، معتزاً بقوتك مؤزراً بتعضيد ممثليك الكرام شيوخاً ونواباً . مستمنحاً رعايتك ، جاعلا نصب عينى ما أورثناه سعد من وحدة و ثق عراها و كرامة أعزها وحماها ، ودستور كافح الثورة المشبوبه عليه وحكمة خاطب بها الشعوب ، وود أسكنه جميع القلوب .

أيتها الامة الكريمة : لقد أوليتنى فضلا سابغاً ، وحبوتنى كرماً غامراً ، فهذه الرسائل الحكيمة ، والبرقيات البليغة ، إنما هى ذوب العواطف النبيلة وعصارة الايمان الوطنى ملأت شعاب قلبى ، ولا مست مكان الاقدام من نفسى ، وتلك الوفود الكاثرة التى بعثت بها الى بيت الامة لتعمر جوانبه وتشد أزرى ، وتواسى ام المصريين فى فجيعتها الفادحة أرتنى الوطنية فى جلالتها ، والاخلاص فى سموه . فما أكرمك فى احسانك المشكور ، وبرك المحمود .

أيتها الأمة الرشيدة : لقدوجب علينا أن نتواصى بالحق وان نتواصى بالصبر ، فينصرف كل مصرى الى عمله ، مشكور المسعى ، واسع الامل ، كبير الرجاء ، ثبت الله قلوبنا وطيب ثرى فقيدنا وكلأ بحياطته مصر الخالدة رئيس الوفد المصرى

مصطفى النحاس باشا

بيت الامة فى يوم الاثنين ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٤٦ : ٣ ا كتوبر سنة ١٩٢٧

نداء الاحرار الدستوريين

الى الامة المصرية الكريمة

يتقدم الأحرار الدستوريون الى الأمة المصرية الكريمة بأخلص عبارات العزاء عما دهمها من فجيعة بفقد زعيمها العظيم سعد زغلول ، كما يتقدمون بمثل هذا العزاء الى الوفد المصرى عما حل به من مصاب بوفاة رئيسه الجليل ، وإلى اسرة الفقيد الكريمة عما أصابها بفقد عميدها الكبير ، راجين ان يكون للامة من المثابرة على العمل لتحقيق آمالها وآمال الفقيد الراحل خير عوض ، وللوفد من تأسيه وقيامه على سيرته أكبر السلوى ، وللاسرة من فخر هذه الذكريات عون على الصبر الجميل

***

ويجدد الاحرار الدستوريون عهد الائتلاف الوثيق مرسلين صوتهم بين الامة بتأييد الدعوة الى الوئام ، فان هذا الائتلاف هو أمضى ما عرف من أسلحة الحق وأسد ما نلجأ اليه من طريق يثبت لهذا الوطن الكريم حريته واستقلاله الصحيح

وسيكون الدستور ، وهو الثمرة الاولى لجهاد لم تضن الامة فى سبيله بما

يتطلبه من بذل وتضحيات ، أوفر نصيب من عزيمة الاحرار الدستوريين وسيظلون حريصين أصدق الحرص على الائتلاف إذ هو وحده الذى يصل بالامة الى مطمحها الاسمى وضالتها المنشودة

عن الاحرار الدستوريين
محمد محمود

نداء الحزب الوطنى

يتقدم الحزب الوطنى الى الأمة المصرية بواجب العزاء فى الفقيد الأعظم والزعيم الأكبر المغفور له (سعد زغلول) ويرى فى وفاته لاسيما فى هذه الظروف الحرجة التى تقطعها البلاد كارثة وطنية كبرى ويسأل المولى أن يضاعف روحه العزيزة الثواب جزاء وفاقا لجهاده الخالد فى سبيل البلاد

لجنة الحزب الوطنى الادارية

نداء الشيوخ والنواب

الى صاحبة العصمة ام المصريين

عزيز علينا أن نتقدم اليوم الى بيت الامة بعد أن خلا من سعد حاملين العزاء إلى شريكته فى جهاده وعذابه . وشريكة البلد فى حزنه ومصابه

أيتها السيدة الجليلة

لقد وضع سعد الحجر الاول فى بناء القومية المصرية . وجعل النيل أمة واحدة شعارها الاستقلال التام . وصفها من خلفه صفاً واحداً وهو الامام .فسارت نحو الغاية وهو هاديها وسعت الى النهاية وهو حاديها . قاد صفوف الاستقلال الى مواطن الشرف . ومهد طريقه والآن صعابه . وجعله غاية قريبة بما بذل من

تضحيات باق على الدهر ذكرها وما وطد من دعائم خالدة فى القلوب أثرها

وكان سعد للدستور أباً صانه وحماه . وكلأه ورعاه

أول فاتح للبرلمان . أول صوت هز أعواد منبره صوته . وآخر صوت دوى هذا العام في أركانه صوته . فقد أبى القدر الا أن يجعل منبر البرلمان آخر منبر يرقاه سعد خطيباً . فقد اعتلى ذروته فى ختام الدورة الاخيرة فأرهفت الاسماع . وما كان يدور بخلدنا أن نسمع منه خطبة الوداع

وضع للبرلمان تقاليده . ورسم خططه . وسن قواعده . ورفع منبره . وأعلى ذكره . وأسبغ عليه من جلاله احتراماً . وكساه من وقاره اجلالا واعظاماً . ففى أحضان تجاربه وحكمته وفى ضوء المجد الذى كان يشرف علينا من منصته علمنا منه القول كيف يسدد . والكلام كيف يحدد . والغاية كيف تقصد

كان فى منصة الرياسة ميزان عدل لكل قائل وخطيب . ومنارة للبعيد والقريب . بعد نظر فى بديهة صادقة . وقوة عزم فى شيخوخة . وعظمة فى مضاء . قول معجز فى لفظ موجز . وحكمة بالغة فى حجة دامغة . نور أفاضه الله على جميع الانحاء . تختلف الآراء وتنتهى اليه . وتتزاحم الخطباء وتسكن لديه

مبادئ وتقاليد صالحة سنها لنا سعد . فلها من عظمته الخلود . ولها من اسمه السحر تلقيناها عنه صحفاً خالدات مقدسة كودائع القديسين ومخلفات الصالحين . وستبقى أبداً نوراً ونبراساً لكل من يتولى شرف النيابه فى الاجيال المقبلة

أيتها السيدة الجليلة

فى هذه الساعة التى يشملك فيها حزن عظيم ويرعى سعداً رب كريم نتقدم اليك متبادلين العزاء مجددين عهد الوفاء . مقسمين أن نعمل لاستكمال الاستقلال التام ما حيينا ونصون الدستور ما بقينا فى صفوف متماسكة ووئام تام

أيتها السيدة الجليلة

ما كان سعد لنا ولا لك . ولكنه لله والوطن . ولقد أعطى الوطن ما ملك

من جرأة واقدام . وتضحيات جسام . وعزم يفل الحديد . وظل يسخر كل هذه المواهب العظام لخدمة وطنه حتى أدركه الموت وهو شهيد

فليطمئن فى مستقره ومقامه فبعده أمة لا تنسى له عهداً . فسلام عليه فى حياته ، وسلام عليه فى مثواه

نداء الطلبة

قضى سعد . وانتهى مأتم سعد . وضاع أملنا فى سعد . وخاب رجاؤنا من سعد وانتظرنا سعداً حتى أعيانا الانتظار . يعز علينا ان نصدق انه مات . وأنه لن يخرج الينا ثانياً . ولن يخطب فينا بعد الآن . ولن نرى وجهه بعد اليوم . عزيز علينا يا سعد أن نشيعك من بيت الامة مركز الجهاد والكفاح الى مقر السكون والخلود

عزيز علينا أن نشيع بأنفسنا رمز أمانينا . وندفن بأيدينا محط آمالنا . ونوارى تحت أطباق الثرى عدة مستقبلنا وعنوان استقلالنا . عزيز على الجنود ياسعد أن يفقدوا قائدهم . ويصعب على الابناء ياسعد أن يتركوا والدهم وعلى الرغم من المصريين ياسعد أن يبتروا عضدهم وساعدهم

عزيز علينا ياسعد أن نرى عرين الاسد خالياً بعد أن زلزل بزئيره الحصون وأرهب القلاع عزيز علينا ياسعد أن يستلب منا سيف الوطن ونحن نشهد استلابه خاشعين عاجزين عن رده عزيز علينا يا سعد أن يخمد صوت عجزت عن إخماده النار والحديد ولم يسكته النفى والتشريد عزيز علينا ياسعد أن نفقد لساننا الناطق وسهمنا الصائب وحصننا الحصين وركننا المكين

تركت الامة ياسعد وهى من اكبر كبير إلى أصغر صغير تشعر بشعور واحد شعور اليتيم دفن والديه ثم عاد إلى العالم لا يجد له نصيراً

لقد علم ياسعد من لم يعلم انك كنت طوداً عظيما تصد عواصف السياسة عنا وهاهى بعد فقدك تنذرنا بالهبوب . لقد علموا ياسعد مكانك وقدروا منزلتك وفهموا مركزك بعد أن توارى شخصك وتوارت معه غشاوة احقادهم لهذا الشخص الكريم

لو كنت تفتدى ياسعد لقدمت الملايين اليك فداء ولو كنت تسترجع بالجهاد لكانت دون موتك الارواح وسالت الدماء ،ولو كان المعتدى عليك امة من الامم أو حكومة من الحكومات لشتتناها ايما تشتيت ومزقناها كل ممزق ، ولو أن أبناء الفراعنة الذين اجتمعوا فى صعيد واحد لتشييعك صرخوا صرخة واحدة لدكوا الاطواد وزلزلوا الوهاد ولو كانت تنفع الضحايا لذبحت أمام نعشك فلذات الاكباد

تلك امتك ياسعد التي تحبها وتحبك قد جاءتك مناديه اياك متوسلة لك هاتفة باسمك متطلعة اليك فهل أنت مجيب ؟؟ . !

اللهم قد أعيانا الصبر وعز علينا الامر وضاع مفتاح ثمرة جهادنا وممسك أزمة قيادنا

اللهم هذا والدنا فقدناه وقائدنا دفناه مكرهين غير مختارين اللهم تولنا برعايتك واحسانك وتغمده برحمتك وغفرانك ربناذهب درعنا فلم يبق الا درعك ،وانهدم ركننا فلم يبق إلا ركنك ، وضاع محط آمالنا فلم يبق لنا أمل الا فيك ، كل سيفنى وما عند الله خير وأبقى

أبناء الوطن

مصابنا عظيم ورزؤنا جسيم ونحن الآن أضيع من الايتام وتلك أعاصير المستقبل قد آذنت بالهجوم وأبواب الجهاد قد فتحت على مصاريعها ولم يبق لكم ولله إلا الصبر والجلد — من كان يخلص لسعد فان سعداً قد مات ومن كان يخلص للوطن فان الوطن باق لا يموت ، وان سعداً وان غاب عنا بجثمانه المبجل فتلك روحه

الطاهرة ترفرف فوق رءوسنا ونفسه العالية توحى الى نفوسنا وهذه عينه القوية فى غير ما تعصب تنظر إلى أعمالنا فارضوه فى مماته كما أرضيتموه فى حياته والتفوا حول علمه التفافكم بالامس حول جسمه وها نحن أبناؤه وجنوده نعاهدكم عهداً لا نحيد عنه ولا نتحول أن نضحى أرواحنا وأهلينا . وما ملكت ايدينا . فى سبيل تنفيذ مبدئه القويم غير محابين فى ذلك كبيراً ولا صغيراً . وان نعمل على رفع لوائه من بعده . ملتفين حول وفده المقدس بكل ما أوتينا من قوة . ثم مقومين ما اعوج منه بتضحية الارواح قبل الاموال . وانا لا ننسى شعارنا الذى رسمه لنا منذ بدء النهضة « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » وسيرى سعد فى قبره ان كلمته هذه نفذت الى آخر حرف منها . وان وصيته لم تضع سدى . وجهاده لم يذهب عبثاً . .

اخواتنا الطلبة

لقد مضت مدة ارتكنتم فيها على سعد وجهاده وعزيمته . وتركتم له الامر كله يتصرف فيه كما شاء باخلاصه ووطنيته . فعلى من تركنون الآن؟ لقد مات سعد وكل نفس ذائقة الموت فلم يعد لكم الا بدء الجهاد وتحمل اعبائه بانفسكم مؤيدين قادتكم . رجال وفدكم . خلفاء سعد الراشدين . لم يبق الا ان تحزموا أمركم وتجمعوا كلمتكم ، وتوحدوا قيادتكم وتيقظوا الى سياسة امتكم وتعلموا انكم الجنود المجاهدون وانكم المسؤولون عن نهضة هذا البلد الامين التى قامت على اعناقكم ، وسطرت بدمائكم ، فان قوة النواب مستمدة من قوتكم ، ودعائم الدستور قائمة على تأييدكم ، وهيبة برلمانكم واحترام قراراته لا يكونان الا بيقظتكم وانتباهكم وان تستعدوا للتلبية كلما أذن مؤذن الوطن . ان لأبيكم العظيم حقاً معلقا فى اعناقكم ان تقفوا حياتكم على خدمة وطنكم . وان تعلموا ان حياة الافراد فانية لا بقاء لها وحياة الامم باقية لا يعتورها الفناء ان سعداً لم يمت . ولن يموت ما دامت مصر على قيد الحياة . وما رئيسكم المحبوب بالأمس الا رئيس ضحايا كم اليوم . هاهم وسعد

على رأسهم فى حياتهم الخالدة ينظرون اليكم . ويعلقون كل الآمال عليكم وكاننا بسعد يكرر لكم نداءه الرهيب :

« ستطلب منكم ضحايا فأدوها بكرمكم وحسن احتمالكم » اللهم لا عزاء لنا الا الجهاد ولا سلوى الا التضحية . ولن تغيب ذكراه عن قلوبنا ولن تضيع نصائحه من اذهاننا ولن تزال كلمته ترن فى آذاننا . وستبقى صورته ملء عيوننا . وقلوبنا ستظل دامية . ودموعنا ستبقى جارية : وعزائمنا لن تنفك متحدة فى خدمة هذا الوطن اليتيم ما دامت الارض والسماء . والله على ما نقول شهيد

الجمعية العمومية للطلبة المصريين

نداء المحامين

الى حضرة صاحبة العصمة ام المصريين

يرفع مجلس نقابة المحامين لعصمتك بمناسبة انعقاده لأول مرة بعد عطلة الصيف عزاءه الخالص على تلك الكارثة الوطنية والفاجعة الكبرى التى رزئت بها البلاد فى زعيمها وأبر أبنائها المرحوم المغفور له سعد زغلول باشا الذى خسرت المحاماه أيضا بفقده خسارة مضاعفة حيث كان رأس أسرتها فرفع من شأنها وأعلى منارها بأعماله الخالدة وآثاره العظيمة فيها

واذا كان مما يزيد فى فداحة الخطب حرمان أمة بأسرها من رجلها فى وقت كانت فى أشد الحاجة للاسترشاد بجميل رأيه و بعد نظره وثاقب حكمته وصادق وطنيته ومضاء عزيمته تلك الصفات التى امتاز بها فجعلت منه زعيما واماما متبعاً فانه مما يخفف عنا أن روحه لا تزال ترفرف علينا وان تعاليمه ستبقى دستوراً لنا ونصائحه ماثلة أمام أعيننا من حيث العمل على توطيد الجهود وتوطيد الائتلاف واتفاق الكلمة على ما فيه خير البلاد والله يتولانا جميعاً بصبره وحسن توفيقه مجلس نقابة المحامين

نداء الحقوق الى الامة

ان طلبة الحقوق فى مصر يبكون اليوم رجلا كان حفاظاً للحقوق العامة والخاصة ،وموئلا للامة فى أيام محنتها وعزاء لها فى أيام شدتها،ونبراساً لها فى جهادها الشريف الابدى . نعم يبكون العظمة الخالدة فى شخصه الخالد والجرأة الوثابة فى حزمه التالد والاقدام الماجد فى حكمته الغالية . نعم لهم وللامة أيضاً أن تبكى هذا البطل الراحل بكاء مراً فقد كان رجلامن ذوى المضاء والعزم . تميد الجبال ولا يميد وتزلزل الارض وتعصف العواصف وهو هادئ رزين ، يدبر الامور و يدبر الحلول. نعم هذا واجب عليها ولكن عليها أيضاً أن تحذو حذو الامم الخالدة الباقية وتستقتل فى ائتلافها واتحادها.وتتمثل بقول أبى بكر رضى الله عنه بعد وفاة رسول (صلى الله عليه وسلم) يوم وقف فى العرب خطيباً يدعو الناس إلى الجهاد فى سبيل الله فقد قال (من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات . ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت) واليوم نوجه نفس هذا القول فنقول (من كان ينصر سعداً فان سعداً قد مات ومن كان ينصر الوطن فان الوطن حى لا يموت)

هذا واننا نقدم وافر العزاء للسيدة الجليلة حرم فقيدنا الراحل ونعلن اننا نحن الحقوقيين ما زلنا بمبادئ سعد مستمسكين ولنصرة الوطن متفانين

طلبة الحقوق

نداء لجنة الدفاع الوطنى بألمانيا

من كان يعبد سعداً فان سعداً قد مات ومن كان يعبد الوطن فان الوطن باق .

فارق سعد داره الى جوار ربه وودع وطنه بعد تغلب المرض على ضعف جسمه فكانت كارثة الأمة عظيمة ومصيبتها فادحة وصدمتها أليمة، فعزاء أيتها الامة العزيزة وجزاء للفقيد العظيم والراحل الكريم بمقدار حرصه على حقوق بلاده، وسعيه لخلاصها، وعمله على انقاذها ونسأل المولى جلا وعلا أن يلطف بالوطن ويصونه من شرور المخاصمات والتفرقة بجمع الكلمة ودوام الوحدة واشتعال القلوب بالمودة ما دامت الحركة والسكون « وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون »

أبناء الوطن الأعزاء !

الوطن أمامكم يدعوكم للاخذ بيده ويستغيث لنصرته والعدو وراءكم يقبض على ناصية سيفه لاجئاً الى سافل حيلته ودنئ خديعته، يود سلب عقولكم بالالفاظ العذبة والاقوال المنمقة ويريد سوقكم الى حيث المذلة والاستبداد والظلم والاستعباد فخذوا حذركم وأعدوا عدتكم وكيدوا لغاصب بلادكم بالتفافكم حول وطنكم وعدم التفريط فى ضئيل حقوقكم ولا تقبلوا التساهل فى ذرة من استقلالكم مهما استعانت القوة الغشومة بجيوشها الجرارة وأساطيلها الضخمة فان « الحق فوق القوة »

أبناء الوطن الاعزاء !

أعلنوا مبادئكم صحيحة وانطقوا بمطالبكم صريحة ونادوا بأمانيكم مفسرة واضحة لا تحتمل تأويلا ولا تقبل تعديلا أو تحويراً أو تبديلا واسهروا على تحقيقها وجدوا لنيلها وضحوا بنفوسكم ونفيسكم من أجلها ولا يزعجنكم عناد العدو وجبروته ولا يخيفنكم توعده وتهديداته فانه لن ينال منكم بالقوة حقاً مشروعا وهو أول من يعرفه باطلا يفتقر الى مصادقتكم حتى يصبح نافذاً فيكم ومقيداً لكم

أبناء الوطن الاعزاء :

وحدوا كلمتكم ولا تحدثوا ثغرة فى صفوفكم يتسرب منها العدو للتفرقة بينكم والكيد لكم فتكونوا بذلك قد مهدتم الطريق لاداء واجباتكم كاملة واقامة

فرائض الوطن تامة غير ناقصة

ان نسيتم سعداً فانسوا السودان ، وان أسأتم الى سعد وذكراه فأسيئوا الى الوطن بقبول فصل جغبوب عنه . لـكنكم لن تنسوا زعيم البلاد ، ولن تتغافلوا عن سودانها ، ولن تسيئوا الى رئيس الوطن فى جغبوبه ، ان السودان وجغبوباً عضوان للوطن لازمان يجب الاحتفاظ بهما احتفاظاً تاماً إذ بغيرهما يصبح الوطن أعرج أجدب . والى الحكومة جم شكرنا أن تمجد سعداً وتحيى ذكراه خالدة ، بشراء داريه واقامة تمثالين فوق أرض العاصمة والاسكندرية ، فلعلها تصرح بلا ابطاء باقامة تمثال الزعيم الوطنى الاول المرحوم مصطفى كامل باشا ، وآخر للزعيم الثانى المرحوم محمد بك فريد ، وحبذا لو تم ذلك قريباً حتى تقام كل هذه التماثيل لرموز الأمانى الوطنية فى يوم واحد يصبح يوم الوطن المشهود ومجده المنشود

لجنة الدفاع المصرى بألمانيا



كلمات مأثورة للزعيم الراحل

يجب أن يسقط من حساب الأمة هؤلاء الاشخاص الذين يعضدون كل حكومة ويشايعون كل دولة ويعبدون القوة فى أى مظهر ظهرت

***

ان الروح التى أودعها الله هـذه الأمة لاتقوى على مغالبتها أحكام عرفية ، ولا استبداد مستبد ، ولا قوة قوى ، لأن الاستبداد انما يقع على الأجسام ، أما الروح فهى بعيدة عن متناول يده

***

أفتخر بأن أكون على رأس أمة حية شاعرة مفكرة وهى منزلة لا ينبغى لرجل أن يطلب لنفسه أعلى منها

***

يجب أن ننقاد للقانون وألا نعتبر الانقياد له مهانة ومذلة بل عزاً وشرفا

***

إننى رجل قد وطنت نفسى على الدفاع عن الحق وأن أتحمل فيه كل مكروه ولو كان آتياً من الذين أدافع عنهم

***

خطتى مع الحكومة تأييدها اذا أصابت والتفاهم معها اذا اخطأت ، ومع الأمة البحث عن حاجاتها وتعرف رغباتها ومشاورة ذوى الرأى فيها ،ومع زملائى احترام ارائهم والتضامن معهم فى السعى لكل ما فيه خير عام

***

الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة

لا يفوتنكم أن تحتجوا على أمر ترون أن فيه مخالفة للقانون مهما كان صغيرا في نظركم . فربما كان لهذا الأمر الصغير علاقة في المستقبل بأمر كبير فيتخذ من سكوتكم في هذا حجة عليكم في ذلك

***

أتقبل والسرور يملأ جوانحى أن أكون على رأس أمة لا تساق سوق الأنعام ولكنها تسير خلف المبادئ لا الاشخاص

***

لا أريد أن أكون موضع خوف بل موضع احترام

***

إنا أذا احترمنا أمرا للحكومة نحترمه لأنه نافع للأمة لا لأنه صادر من تلك القوة المسيطره

***

كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهى شريعة باطلة

***

قد عاهدت الله مذ نشأت على أن أصرح بما في ضميرى وهذه هى لذتى في حياتى

***

كل أمر يقف في طريق حريتنا لا يصح ان نقبله مطلقا مهما كان مصدره عاليا ومهما كان الآمر به

***

الصحافة حرة تقول في حدود القانون ما تشاء ، وتنتقد ما تريد . فليس من الرأى أن نسألها لم تنتقدنا ؟ بل الواجب أن نسأل أنفسنا لم نفعل ما تنتقدنا عليه ؟؟

إن كانت الحكومة تريد أن نكون فى صفها مدافعين عنها فما عليها الا أن تتبع الحق والعدل وتحترم القانون

***

يعجبنى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون

***

نحن لسنا محتاجين لكثير من العلم ولكنا محتاجون لكثير من الاخلاق الفاضلة . . .

***

الذى يلزمنا أن نفاخر به هو أعمالنا فى الحياة لا الشهادات التى فى أيدينا

***

لا يكفى أن يتخرج التلميذ من المدرسة لينال الثقة بين الناس بل لا بد له ان يتعلم أيضا فى مدرسة العالم لينال الثقة العامة التى يريدها

تم الجزء الاول بحمد الله

فهرست

الجزء الاول من عبرات الشرق

صفحة	
	الاهداء
٥	فاتحة الكتاب
٧	موجز عن ترجمة الفقيد
٧	مولده ونشأته
٩	اشتغاله بالمحاماه
١١	« بالقضاء
١٤	اختياره لوزارة المعارف
١٦	« « الحقانية
١٦	فى الجمعية التشريعية
١٧	أيام الحرب الكبرى
٢٢	الزعيم بين مصر ومالطه
٢٦	« « « وسيشل
٣٣	« ورئاسة الوزارة
٣٥	الائتلاف ورئاسة البرلمان
٤٠	أيام الراحة
٤٢	الزعيم فى مرضه الاخير
٤٥	النعى

صفحة

صفحة	العنوان	
٤٦	بلاغ رئاسة الوزارة	
٤٧	كلمة الحكومة	لحضرة صاحب المعالى جعفر والى باشا
٤٨	« البرلمان	« « العزة محمود بك بسيونى
٤٨	تاريخ الوفاة	للاستاذ الكبير السيد سلامه افندى حسن الراضى

المراثى

النثر

صفحة	العنوان	
٤٩	دموع الرئيس الجديد	للكاتب الحزين محمد السيد محمد
٥٢	ساعة الفراق	« القدير عبد القادر بك حمزه
٥٤	فى ذمة الخلود	« الشاعر عباس محمود العقاد
٥٧	سعد	« الكبير داود بك بركات
٥٩	مأتم الوطن	« البارع الدكتور محمد حسين هيكل
٦١	سعد زغلول	« الفاضل ابراهيم عبد القادر المازنى
٦٤	سعد زغلول	« الكبير خليل بك ثابت
٧٥	فى ذمة الله	« الجرئ محرر الاخبار
٧٧	مصر تشيع الزعيم	« المحترم محرر الكوكب
٨١	أ كانت مصر فى حلم	« الفذ مصطفى صادق الرافعى
٨٣	إلى الراحل العظيم	« الكاتب الاجتماعى محمد السباعى
٨٨	سعد	« الفاضل عباس حافظ
٩٢	بين البيت والقبر	« الشاعر عباس محمود العقاد

صفحة

٩٦ لذكرى سعد — للاستاذ الدكتور منصور فهمى

١٠٠ أحقا عباد الله ؟ — للنائب الجرئ حسن يس

١٠٤ هجع جبار الوادى — للكاتبة الاجتماعية الآنسة «مى»

١١٠ مات الرجل ! — للكاتب الفذ حسن الشيخه

١١٤ أعند قبرى سعد زغلول ومصطفى كامل — للكاتب القدير الاستاذ ادجار جلاد

١١٧ كلنا نبكى — « البارع حسين شفيق المصرى

١٢١ سعد — « النابه احمد أبو الخضر منسى

١٢٥ أسد الوادى وجبار الشرق — لزعيم من كتاب فلسطين

١٣٠ لم يمت سعد ! — للكاتب المحترم ميخائيل بشاره داود

١٣٢ هجع الجبار — « المصرى الصميم عبد السميع عرابى

١٣٦ «٢٣» أغسطس — للكاتبة النابهة عزيزه فوزى

١٤٠ سعد زغلول — للكاتب الفاضل عز العرب على

١٤٣ إلى سعد — للنائب المحترم عبد السلام بك فهمى محمد

١٤٥ المدينون بأعمارهم لسعد — للكاتب الحقوقى حسنى عبده الشنتناوى

١٤٦ فجيعة السودان — للكاتب السودانى مجد الدين سعفان

١٤٩ أحقا مات سعد ؟ — للكاتبة محررة مجلة روز اليوسف

١٥١ هذه دموع — للكاتب الاديب محرر الفكاهة

١٥٣ الى الخلود — للكاتبة السيدة استر فهمى و يصا

١٥٤ فى ذمة الله يا سعد — للرياضى البارع جهينه

صفحة		
١٥٥	الى حرم الرئيس	لجناب المسيو بيولا كازيللي
١٥٦	الى ام الشعب	للكاتبة البارعة بلسم عبد الملك
١٥٨	آهات الاسى	للشاب الوديع محمود حسن خليل
١٦٠	صوت السودان	للكاتب الفاضل « عفان »
١٦١	سعد !	« الاديب محرر اللطائف المصوره
١٦٢	سعد !	« المحترم محمد صالح العرب
١٦٤	سعد فقيدنا الخالد	« المسرحي محمد على حماد
١٦٥	الساعة الرهيبة	للفتاة النابهة رتيبة . م . ح بعملات شبرا
١٦٦	رثاء المقتبس	للاديب الفاضل رشيد الملوحي
١٦٩	« صوت الشعب	« عيسى بندك
١٧١	« الف باء	« ناجي اديب
	تحليل شخصية الزعيم	
١٧٣	الزعيم الاكبر فى حياته الخاصة	للكاتب القدير عبد القادر بك حمزه
١٨٠	شخصية سعد	« الاجتماعى عباس حافظ
١٨٣	سعد زغلول فكرة قومية	للاستاذ الكبير عبد الحميد حمدى
١٨٦	صفحة الديموقراطية فى حياة سعد	للمؤرخ الاديب الدكتور محمد أبو طائله
١٩٠	سعد والصحافة	للكاتب الفاضل ا . ط
١٩٣	سعد والرأى العام	للمؤرخ الاجتماعى الدكتور محمد أبو طائله
١٩٦	عصامية سعد	للاديب المحترم محرر الكوكب
١٩٩	سعد كمشرع	» » » »
٢٠٢	« والانظمة البرلمانية	للصحفى الكبير محرر المقطم

صفحة

صفحة	الموضوع	الكاتب
٢٠٦	سعد وكفاءته الخطابية	للاديب محرر الكوكب
٢٠٩	« خطيب الثورتين	للاستاذ المجدد أحمد خيرى سعيد
٢١٢	البطولة على ذكر سعد	للكاتب الاديب عباس محمود العقاد
٢١٩	بساطة سعد وتواضعه	« الاجتماعى محرر الكوكب
٢٢٢	صفحة القومية فى حياة سعد	« المؤرخ الدكتور أبو طائله
٢٢٥	سعد وترقية مستوى التعليم	« المحترم محرر الكوكب
٢٢٨	أثر سعد فى ترقية الطلبة	للاديب عبدالحليم رافع بالحقوق
٢٣٢	تطرف سعد واعتداله	للاستاذ حامد المليجى الاسكندرى
٢٣٥	كيف كان سعد عظيما !	للكاتب المجدد أحمد خيرى سعيد
٢٣٨	عظمة سعد	للاستاذ الكبير مكرم بك عبيد
٢٤٨	سعد زغلول	للكاتب الاجتماعى سيد محمد خليل

الذكريات

صفحة	الموضوع	الكاتب
٢٥٢	ما أوجع الذكرى للقلوب	للكاتب الفاضل حسين شفيق المصرى
٢٥٤	الذكرى	للاديب التقى طاهر أحمد الطناحى
٢٥٧	ذكرى سعد	للكاتب الحزين محمد السيد محمد

الخطب

صفحة	الخطبة	
٢٦١	خطبة معالى مصطفى النحاس باشا	فى حفلة التأبين الكبرى
٢٦٨	« دولة عبدالخالق ثروت باشا	» » »
٢٧٣	» « حسين رشدى باشا	» » »
٢٧٤	» معالى محمد محمود باشا	» » »
٢٧٨	» الاستاذ مكرم بك عبيد	» » »
٢٩٢	» الاستاذ عبدالحميد بك سعيد	» » »

صفحة

٢٩٥ خطبة الاستاذ ابراهيم بك الهلباوى في حفلة تأبين الفقيد بالجيزة

٣٠١ « صاحب العزة جعفر بك فخرى « « « بالاسكندرية

٣٠٨ « معالى محمد فتح الله باشا بركات « التأبين الكبرى

٣١٠ « الاستاذ نسيم صبيعه » » »

٣١٣ « حفنى بك محمود « تأبين الفقيد بالجيزة

٣١٩ « احمد بك رمزى » » » بسمنود

٣٢٣ « ابراهيم بك سيد احمد » » » بالاسكندرية

٣٢٥ « الاستاذ السيد حسين المحامى » » » بملوى

٣٢٩ « « على محمود المحامى » » » ببغداد

٣٣٤ « « الدكتور إدى » » » بالجامعة الامريكية

٣٣٧ « الدكتو عبد الوهاب » » » ببرلين

عبد العزيز

٣٣٩ خطبة الاستاذ محمد ابراهيم الجزيرى على قبر الزعيم

٣٤١ « مشيل بك لطف الله بين يدى أم المصريين

٣٤٢ « الدكتور عبد الرحمن شهبندر على قبر الزعيم

٣٤٤ « محمد افندى عبد الرحيم طه في حفلة تأبين الفقيد ببرلين

٣٥٠ خطبة الاستاذ ابراهيم عبد الهادى في حفلة الطلبة لتأبين الفقيد

٣٥٢ « « لطفى المسلمى المحامى « تأبين الفقيد بالزقازيق

٣٥٧ « محمد افندى شعراوى « الطلبة لتأبين الفقيد

٣٥٨ « عبد المجيد افندى بدر » » » »

٣٦٣ « الاستاذ احمد فهمى ابو الخير « تأبين الفقيد بالخليفة بالقاهرة

٣٦٦ « سعادة الاستاذ أحمد زكى باشا « « بالجيزة

صفحة

٣٦٨ خطبة الاستاذ تادرس اقلاديوس فى حفلة تأبين الفقيد بالكنيسة بأسيوط
٣٨١ « الآنسة أمينه السرجانى على قبر الفقيد وبين يدى أم المصريين

النداءات

٣٧٣ نداء أم المصريين
٣٧٤ « معالى فتح الله بركات باشا
٣٧٥ « الوفد المصرى
٣٧٧ « رئيس الوفد المصرى
٣٧٩ « الاحرار الدستوريين
٣٨٠ « الحزب الوطنى
٣٨٠ « الشيوخ والنواب
٣٨٢ « الطلبة
٣٨٦ « المحامين
٣٨٥ « الحقوق
٣٧٦ « لجنة الدفاع الوطنى بألمانيا
٣٨٩ كلمات مأثورة للزعيم الراحل

فهرست الصور

أمام صفحه

صورة الزعيم الراحل

» » فى المحاماه ٩

» » فى القضاء ١١

» » وهو مستشار ١٣

» » وهو وزير المعارف ١٤

» » وصحبه فى مالطه ٢٢

» » فى بدء الحركة الوطنية بباريس ٢٤

» » وصحبه فى سيشل ٢٦

» » فى جبل طارق ٣١

» » فى رئاسة مجلس الوزراء ٣٣

» » فى مجلس النواب ٣٥

» » مع عدلى باشا وثروت باشا قبيل انعقاد المؤتمر الوطنى ٣٨

» » فى بساتين بركات ٤٠

» » وهو يعانى آلام المرض ٤٢

» صاحبة العصمة ام المصريين ٤٤

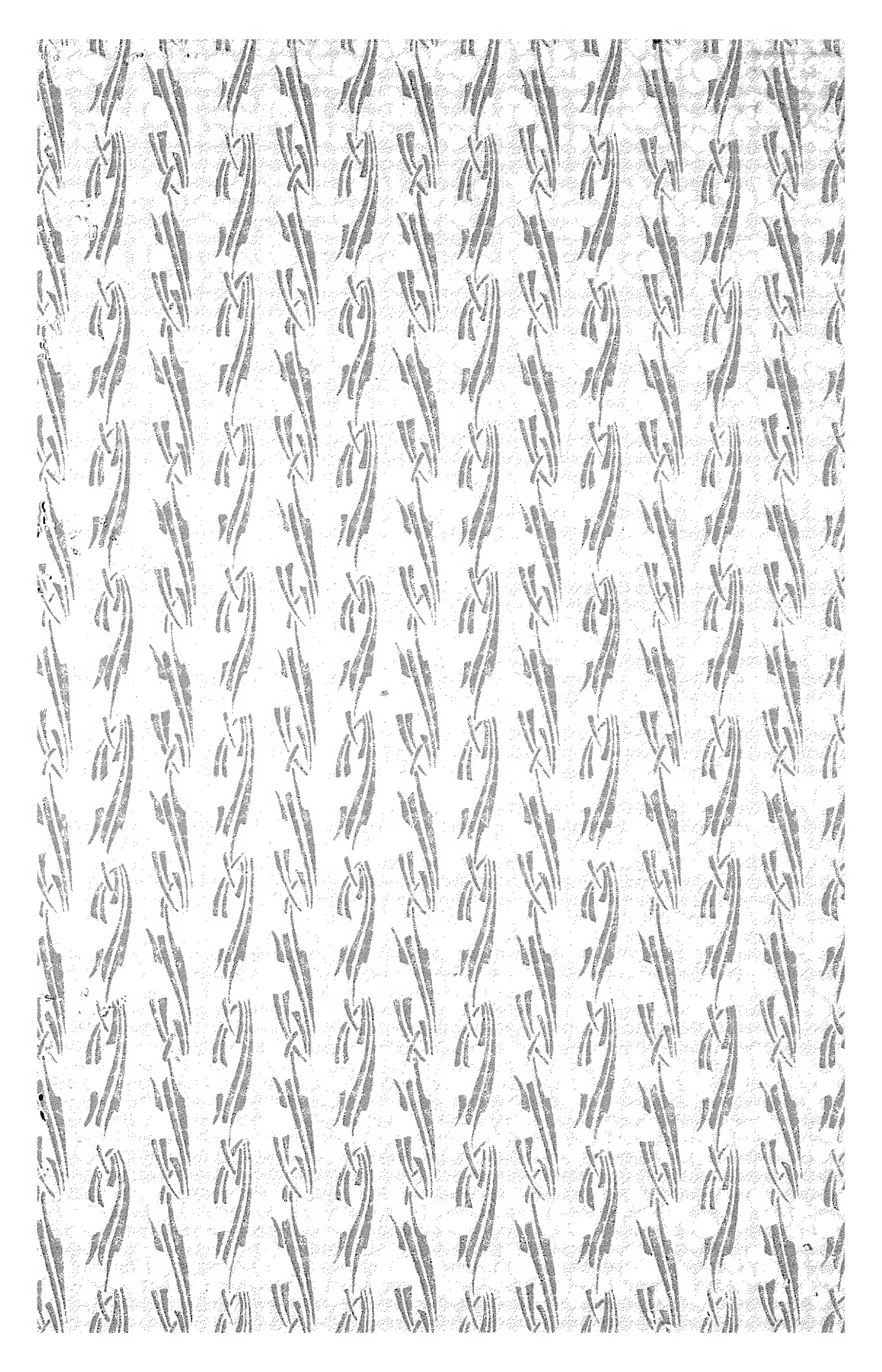
» الرئيس الجديد معالى النحاس باشا ٤٩

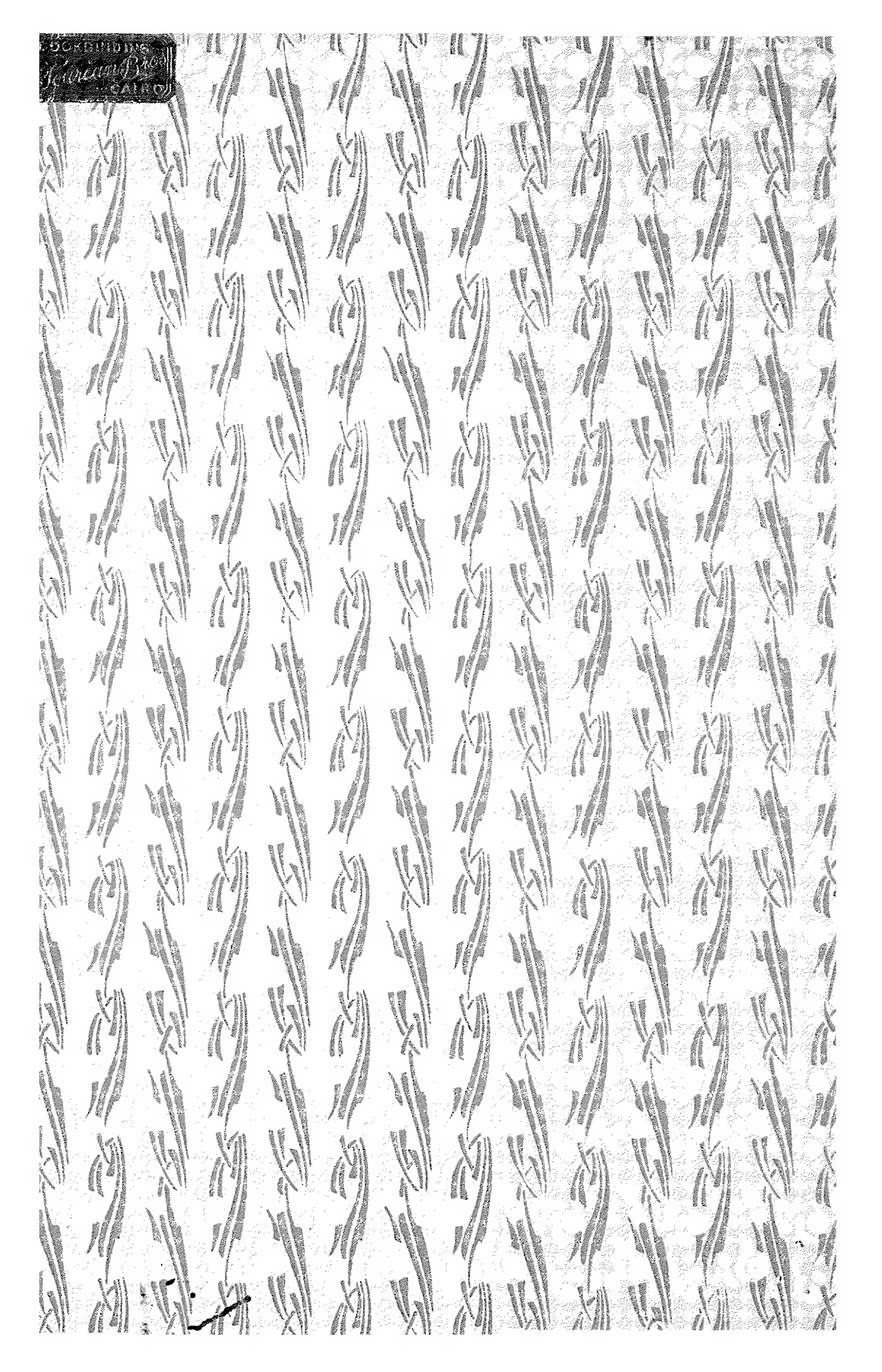
تمت الفهرست

الى القارىء الكريم

سيظهر قريباً الجزء الثانى وموضوعه دموع الشعراء ورسائل الكتاب التى فاتنا ان ندرجها فى هذا الجزء وسنشرح فيه بمشيئة الله تعالى قصائد الشعراء شرحا يسهل على القارئ مطالعته بما يغنيه عن البحث فى مراجع اللغة وقواميسها وسنوضح فيه ايضا مايرد من اعلام وتراجم .مرجعنا أوثق المصادر وأدقها مستعينين فى كل ذلك بعون الله وقوته ،






CAIRO

